شؤون فلسطينية

٧

آذار (مارس) ١٩٧٢

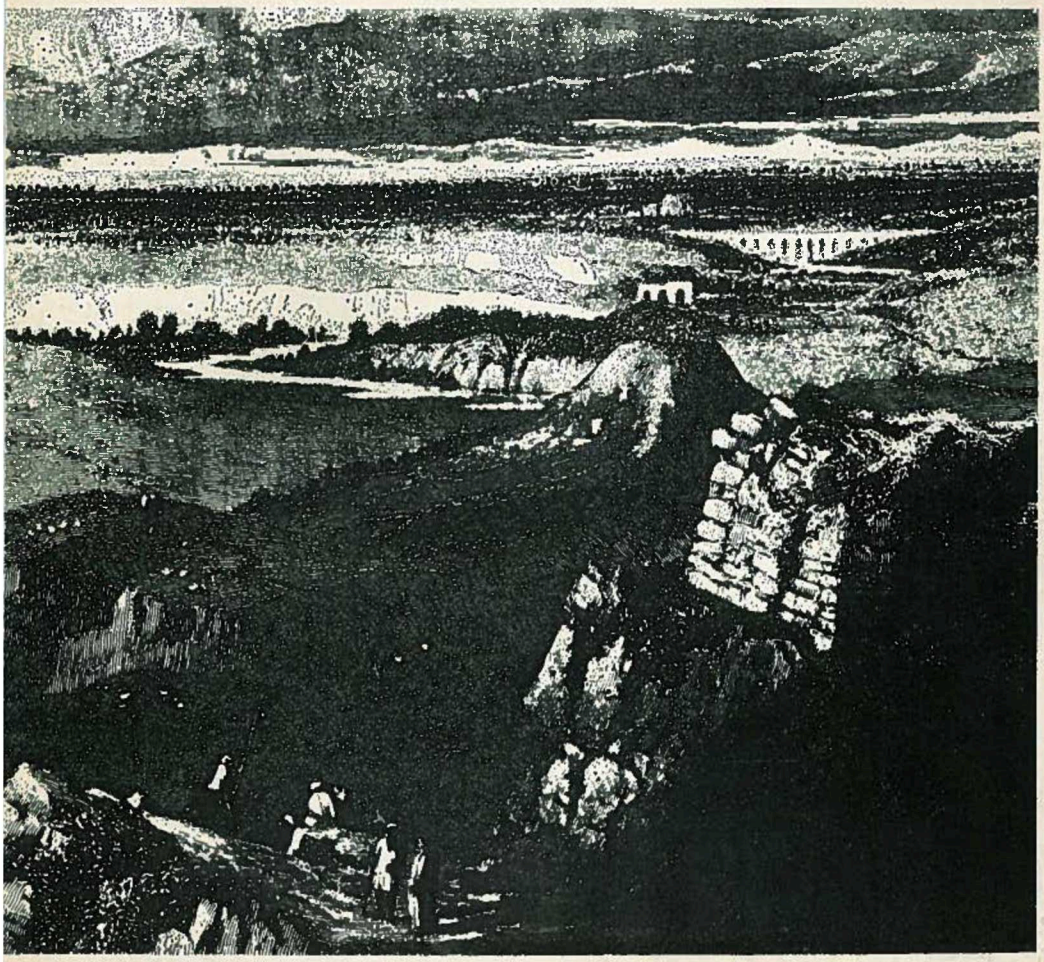

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٧ — اذار (مارس) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير الادارة** : جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : غور اريحا ، القرن التاسع عشر .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٩ **فتح بين النظرية والتطبيق : (١) الاطار النظري** ، هاني الحسن [من قادة فتح] .

٢٢ **خواطر في العنف الفلسطيني** ، د. حسام الخطيب [رئيس قسم اللغة العربية في جامعة دمشق] .

٢٧ **احاديث مع قادة المقاومة الفلسطينية حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني** (الحلقة الثالثة) ، سامي عطاري (امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية) ود. عبدالوهاب الكيالي [مدير المؤسسة العربية للدراسات والنشر] .

٥٠ **حول المؤتمر الصهيوني الاخير** ، د. اسعد رزوق [الباحث في الشؤون الاسرائيلية — مركز الابحاث في م. ت. ف.] .

٦٥ **لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة** ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] .

٧٤ **كيف روت « اسرائيل » قصة الكرامة للعالم** ، جويس قاضي [الباحثة في م. أ.] .

٨١ **ندوة العدد : تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية** ، د. خليل احمد خليل [الحزب التقدمي الاشتراكي] ، غسان شرارة [المستقلون المساندون للعمل الفدائي] ، سهيل الطويلة [الحزب الشيوعي اللبناني] ، رغيد الصلح [حزب البعث العربي الاشتراكي] ، نزيه حمزة [حزب العمل الاشتراكي العربي] .

٩٧ **مواقف النواب الاميركيين من مسالة تقديم المساعدات للفلسطينيين والاسلحة لاسرائيل** ، جانيس ج. تيري [استاذة التاريخ في جامعة ايسترن ميشيغان] .

١١٦ **الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى** ، نبيل بدران [الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] .

١٣٠ **المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة** ، د. شاكر مصطفى [استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة الكويت] .

١٥٢ **مراجعات** : عمران فلسطين ، مايكل ادامز [الامين العام لمجلس تنمية التفاهم انبريطاني العربي] . الارض غير المقدسة ، ولمن ارض فلسطين ، هاني احمد فارس [الدارس للدكتوراه في كندا] . اسرائيل بين الامم ، صبري جريس [رئيس قسم الدراسات الاسرائيلية في مؤسسة الدراسات الفلسطينية] . هل تستطيع اسرائيل احتواء الثورة الفلسطينية ، ابراهيم

العابد [نائب مدير م. أ. وسكرتير تحرير شؤون فلسطينية] . المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي ، د. جورج حجار [استاذ الفلسفة في جامعة واترلو في كندا] . يا اورشليم ، داود تلحمي [الباحث العربي في فرنسه] . المؤسسات الاقتصادية في اسرائيل، الياس انيس نجم [الدارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] . مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية ، م. ش. مجلة عناصر الفرنسية ، العفيف الاخضر [الكاتب العربي] .

١٧٥ **فلسطين في خمسة مؤتمرات** : حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية ، شحاده موسى [الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، د. سعيد حمود [مساعد مدير عام مركز التخطيط في م. ت. ف.] . المؤتمر السنوي الرابع لجمعية الخريجين العرب ، د. حاتم الحسيني [الخبير الاعلامي في مكتب الجامعة العربية في واشنطون] . المؤتمر الثامن للادباء العرب ، مي صايغ جبجي [الادبية الفلسطينية] . المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ، زينة ابو شديد [الباحثة في م. أ.] .

١٨٨ **ست رسائل اعلامية من الخارج** : الراي العام العالمي والمجابهة العربية الصهيونية منذ ١٩٦٧ ، طالب يونس [الدارس للدكتوراه في بريطانية] . نظرة سريعة حول مواقف الراي العام الفرنسي تجاه المسالة الفلسطينية ، د. ت. كسب الراي العام البلجيكي ، نعيم خضر [المحاضر في جامعة بروكسل الحرة] وبشارة خضر [المعيد في جامعة لوفان] . اليسار الاميركي والقضية الفلسطينية ، د. ادوار سعيد [الاستاذ في دائرة الادب الانكليزي والادب المقارن في جامعة كولمبيا] . النشاط الصهيوني بين اليهود الاميركيين ، سهير احمد السكري [الباحثة في مكتب الجامعة العربية في واشنطون] . منظمة ميثاق ابراهام ، ماجد نعمة [الدارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] .

٢٣٣ **شهريات** : المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [رئيس تحرير دراسات عربية] . القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . مع ملحق : رسالة خاصة من الولايات المتحدة ، الضغط للحصول على الفانتوم ، عودة ابو ردينة [الدارس للدكتوراه في جامعة هارفرد] . السياسة الاسرائيلية ، احمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . المناطق المحتلة ، عبدالحفيظ محارب [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٢٦٩ **رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسام** ، ابراهيم الشيخ خليل .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

يرجع تاريخ تفكير مركز الابحاث باصدار دورية فكرية مختصة بالشؤون الفلسطينية الى العام ١٩٦٦ الذي وليت في صيفه مسؤولية ادارة المركز . وقد اجرينا في العام ١٩٦٧ محاولة لم يكتب لها النجاح لاسباب مالية صرف ، وبشكل خاص لانخفاض ميزانية المركز التي يتلقاها سنويا من منظمة التحرير الفلسطينية كنتيجة لاحداث ذلك العام وانقطاع معظم الدول العربية (ثم كلها فيما بعد) عن الوفاء بالتزاماتها لمنظمة التحرير . (وقد تمخض عن تلك المحاولة كتابان نشرا في العامين ١٩٦٨ و١٩٦٩ بعنوان « فلسطينيات » تضمن كل منهما مجموعة من البحوث التي اعدت لمشروع المجلة). لكن الرغبة في اصدار الدورية ، والاصرار على اهمية المشروع ، لم تنهزم امام تفاقم المصاعب المالية التي اخذ المركز يعاني منها منذ ١٩٦٧ ولا يزال ، وهي مصاعب تركته عاجزا عن اعداد الكثير من البحوث ونشر الكثير من الدراسات وجمع الكثير من الوثائق ، وعن تلبية طلبات جهات مختلفة وتنفيذ مقترحاتها والاخذ بملاحظاتها حول نشاطات كثيرة على المركز ان يقوم بها كجزء من العمل المطلوب منه . ولولا سلوك المركز سبيل التقشف الشديد والتضحية بأكثر من باحث واكثر من مشروع ، ولولا معونات قليلة نسبيا يعبر بها اصحابها عن تقديرهم للمركز ولرسالته من خلال مساعدته على تنفيذ مشروع او نشر كتاب ، لولا ذلك كله لما استطاع المركز ان يبقى حتى هذا الاسبوع الذي يبلغ فيه عامه السابع .

بفضل هذه المساعدات المالية استطعنا ان نصدر في مارس ١٩٧١ « شؤون فلسطينية ». وان كان هذا يعني ، فيما يعنيه ، ان دوريتنا ليست عبئا ماليا على الثورة الفلسطينية ولا على الصندوق القومي الفلسطيني بشكل خاص ، فهو يعني ايضا ، من جهة اخرى ، ان مصير الدورية رهن ببقاء المعونة المتقطعة القصيرة الاجل ، وان اي تخطيط للمستقبل لا يتجاهل ان رصيدنا في البنك لا يكفي الا لاشهر قادمة قليلة فقط .

« شؤون فلسطينية » ابنة مركز الابحاث . ولعلها الابنة الاصغر . لكنها ابنة مستقلة . وهي تستفيد من خبرات اخوانها ، مشاريع المركز الاخرى ، ومن جهود باحثي المركز ومن معلوماتهم ، ومن مكتبة المركز . وهي ايضا ترتبط مع المشاريع الاخرى وتتعاون معها . لكنها تظل مستقلة تماما . وهذا هو اهم ما فيها . ولا يعني الاستقلال ، فقط ، ان كل عمل يجري فيها انما يجري خارج دوام المركز ، من الناحية الادارية . ولا ان كل مصاريفها منفصلة تماما عن ميزانية المركز ، من الناحية المالية . بل ان الاستقلال يعني ايضا ان ما تقوله المجلة لا يمثل الا الكاتب ، وليس فيها ما يعبر بالضرورة عن مركز الابحاث ولا عن منظمة التحرير التي ينتمي المركز اليها . ويعني الاستقلال ، ايضا ، ان رئاسة تحرير « شؤون فلسطينية » ، بمساعدة ومشورة هيئة تحريرها ، هي التي تتحمل مسؤولية سياسة المجلة وافكارها .

ان « شؤون فلسطينية » تكمل عمل مركز الابحاث وتقوم بدور خاص في خدمة القضية

لا يستطيع المركز ، سواء لتكوينه او لطبيعته او لانظمته ، ان يؤديها . وهي تكمل ، بنوع خاص ، منشوراته التي تبلغ حوالي المئتين واربعين منشورا . وقد قصد منها ان تكون مجـــالا رحبا لتقديم المعلومات والتحليلات ، ومنبرا حرا لتقديـــم الاراء والافكار . وتحرص المجلة ان تؤمن لجميع الاصوات السبيل للوصول الى الجماهير بمنتهى الحرية، ما دامت هذه الاصوات ، والافكار والاراء والاتجاهات التي تعبر عنهـــا ، انما هي من ضمن الاطـــار العام للثورة الفلسطينية ، ومن ضمن الالتزام العام بأهـــداف الثـــورة الفلسطينية وباماني الشعب الفلسطيني ومطلبه في الكفاح المسلح لتحرير وطنه واستعادة حقوقه واقامة الكيان الفلسطيني الديمقراطي العلماني الحر الذي ينادي به . ومما سهل على « شؤون فلسطينية » ان تقوم بهذا الدور الخطير ان اسرتها وهيئة تحريرها وكتابها ومعلقيها ومراسليها ليس فقط لا ينتمون الى تنظيم سياسي واحد ولا يلتزمون ايديولوجية معينة ، بل هم ايضا يؤمنون بان تعدد الافكار التي يحملون وتنوع المعتقدات التي ينتمون اليها انما هو يخصب المجلـــة ، كما انهم يؤمنون بان اتاحة المجال امـــام الاتجاهـــات والحركـــات السياسية المختلفة لتتناقش ولتعرض افكارهـــا بهدوء وبموضوعية وثقة واحترام متبادلين هو السبيـــل الافضل لايصال صوت الثورة الفلسطينية الى المثقـــف العربي ، ولحمل رغبة الجماهير الى قيادة الكفاح الفلسطيني ، وهو العمـــل الذي اذا استطاعت مجلة ما ان تؤديه بامانة تكون قد قدمت للثورة خدمتها الجلى .

من هنا كان توكيد « شؤون فلسطينية » ، ان في اعدادها الستة الماضية التي تشكـــل سنتها الاولى ، او في مخططاتها لسنتها الثانية التي تبدأ بهذا العدد السابع ، على جعل المناقشة الهادئة والهادفة مادة اساسية تبرز على صفحاتها في كل عدد : سواء في مقالات افرادية تعالج مواضيع لا يتفق الفلسطينيون على تفسيرها ولا ينظرون اليها بمنظـــار واحد ، او في مقالات وردود عليها معاكسة لها تنشر في العدد نفسه ، او في مقابلات مع مسؤولي المنظمـــات المختلفة تحمل اليهم شكـــاوى وشكوكا واتهامات يتناقلهـــا بعض المواطنين ، او في ندوات يشارك بها افراد او ممثلو جماعات لا يتفقون على راي واحد حيال المسائل المطروحة للنقاش . وان كنت لا ازعم ان هـــذا الجو الصحي من النقاش الهادىء غير المتوافر كثيرا في المجال السياسي العربي ، قد انقذ الافكار المتصارعة على الصفحات الصامتة من المهاترات ومن الاصطدامات ومن الصراعـــات غير الرياضية في الحقول الاخرى ، الا انني استطيع ان اؤكد ان نقاشات « شؤون فلسطينية » أعطت مجالات واسعة لعدد كبير من اصحاب الافكار للتعبير عن انفسهم وللرد على غيرهم مما اغنى الفكر الثوري الفلسطيني الى حد ظاهر .

وقد عنيت الاعداد السابقة من « شؤون فلسطينية » بالتركيز على عدد من المواضيع : منها الكتابة المستمرة عن الشعب الفلسطيني ـــ لا بالكلام المعروف عن حقوقه ومطالبه وانما بدرس متعمق لمشاكله واوضاعه وبتحليل لقطاعات معينة فاعلة ومهمة فيه . ومنها التعريف المستمر بالعدو ـــ لا بالكلام في العموميات المألوفة بل بدرس احواله الحاضرة (الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية) وبتحليل مواقفه وسياساته ومؤسساته وقياداته . ومنها التتبع المستمر للثورة الفلسطينية ـــ لا بسرد افعالها العسكرية والاشادة العاطفية ببطولاتها ، بل بالكشف عن متاعبها ومحاولة ايجاد بعض الحلول لها ، وبدرس قضاياها وتقييم مؤسساتها وتفسير اهدافها وشعاراتها . ومنها التغطية المستمرة للنشاطات المتعلقة سلبا او ايجابا بالقضية الفلسطينية : تغطية الاحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية فلسطينيا واسرائيليا وعربيا ودوليا ، وتغطية النتاج الفكري والفني والمؤتمرات والندوات وكافة الجهود الاعلامية في دول العالم المختلفة .

والواقع ان مخططات كثيرة وضعت وتوضع لشؤون فلسطينية ، ولكل عدد منها بشكل

خاص . ونحن ننجح في تنفيذ بعض هذه المخططات ونفشل في بعضها . ولكننا نؤمن ان المجلة الناجحة لا تبلغ مرتبة النجاح عفويا ، وان نجاح مرحلة لا يتم الا اذا استمر وتصاعد في المرحلة التالية ، وان رئاسة تحرير المجلة هي التي تسير المجلة وتقرر وجهتها (بمساعدة ومشورة هيئة التحرير) ولا نترك المجلة رهن الظروف وتحت رحمة ما يردها من مواد ومن يتجاوب معها من متعاونين ، بل ان المجلة هي التي تأخذ بزمام المبادرة ، وهي التي تستكتب ، وهي التي تقرر المواضيع ، وهي التي تحدد الاحجام والمستويات . فمن حيث **المواضيع** التي تعالجها المقالات المختلفة نحاول ان تكون متنوعة ومتوازية في العدد الواحد ، وكلها في مستوى يتراوح بين الجيد والممتاز ، وعليها ان تشمل جوانب تثير اهتمامات قطاع واسع من القراء او تجيب على استفسارات عدد كبير من المواطنين او تساعد المثقف العربي على استيعاب او فهم امور معينة متعلقة بالقضية او بالثورة او بفلسطين او بالعدو . وفي احصاء سريع للمواضيع التي دارت حولها مقالات السنة الاولى نجد انها قسمت الى اربعة اقسام شبه متساوية : عالج الربع الاول مواضيع اسرائيلية وصهيونية ، وعالج الربع الثاني المقاومة الفلسطينية ، وكان الربع الثالث عن النشاطات الاعلامية الفلسطينية والعربية والنشاطات الدعاوية الصهيونية ، في العالم ، اما الربع الاخير فكان عن الشعب الفلسطيني وعن التاريخ العربي لفلسطين . اما في نقد الكتب والمؤتمرات فقد راجعت دوريتنا في اعدادها الستة الاولى ستين كتابا عن فلسطين والقضية الفلسطينية ، وقد صدر كلها في ١٩٧٠ و ١٩٧١ . وكان عشرون منها بالعربية واثنان وثلاثون بالانجليزية وثمانية بالفرنسية والالمانية والهولندية والسويدية والنرويجية . كما حضر مندوبو شؤون فلسطينية خمسة وعشرين مؤتمرا عالميا له علاقة بالقضية الفلسطينية ، وغطوها كلها .

اما من حيث **الكتّاب** فان شؤون فلسطينية تخطط لتوسيع رقعة المساهمين بها فلا تحصر نفسها بباحثي مركز الابحاث ولا بالكتّاب الفلسطينيين المعروفين ، بل اننا نسعى دوما لاستكتاب المزيد من الكتّاب من خارج مركز الابحاث ، ومن غير المقيمين في لبنان ، ومن العرب غير الفلسطينيين ومن الاجانب ايضا . وقد اسهم في تحرير المجلة ، في سنتها الاولى فقط ، ١٠٩ كتاب (وهو ، بالطبع ، عدد كبير نسبيا) : ٦١ فلسطينيا و ٣١ عربيا غير فلسطيني و ١٧ اجنبيا . ويقيم ٥٨ منهم في لبنان و ١٩ في انحاء اخرى من الوطن العربي و ٣٢ خارج الوطن العربي . وفقط ٢٥ منهم من الباحثين في المركز . ويبدو من هذه الارقام اننا نجحنا الى حد بعيد في استقطاب العشرات من الباحثين من خارج المركز، ونجحنا الى حد اقل في استكتاب نسبة لا بأس بها من خارج لبنان ومن خارج البلاد العربية . ونرجو ان ننجح اكثر ، في المستقبل ، في استكتاب المزيد من غير الفلسطينيين وغير العرب .

ان العثور على الكتّاب المناسبين والاتفاق معهم وضمان تقيدهم بالمستوى المطلوب وبالوقت المحدد انما هو من المشاكل التي تواجه كل مجلة ، ولا تنفرد «شؤون فلسطينية» بذلك . لكنها ربما هي تنفرد بمواجهة مشكلة اخرى : مشكلة الحجم . فان كثرة المواضيع الفلسطينية التي تحتاج الى معالجة فرضت على المجلة التضخم بشكل يفوق ما كان قد خطط له سابقا ، فقد قفز حجمها من ٢٣٦ صفحة في العدد الاول الى ٢٦٠ صفحة في العدد الثاني . ومع اننا تمكنا في العدد الثالث من النزول الى ٢٥٠ صفحة عاد الحجم فارتفع الى ٣٠٠ في العدد الرابع والى ٣٢٢ في الخامس والى ٢٩٨ في السادس — متذكرين ان ثلث العدد الواحد ، على الاقل ، هو في الحرف الصغير (اي ٦٠٠ كلمة في الصفحة الواحدة . وما كنا نستعمل هذا الحرف المتعب للعين عند القراءة لولا ضرورة اختصار الصفحات) ومتذكرين ان الصفحة العادية في المجلة تضم ٥٠٠ كلمة على الاقل، وهو تكثيف يكون في معظم الحالات على حساب الاخراج الفني واناقة الشكل ، ورغما عن

توصيات (واحتجاجات) مدير الاخراج ! ولو اتبعنا الاسلوب الاميركي في الاحصاءات لتبين لنا ان الاعداد الستة السابقة من دوريتنا بلغت كلماتها ، في سنة واحدة فقط ، حوالي ٩٠٠،٠٠٠ كلمة . وهي كثافة لا نجدها ، اطلاقا ، في اية مجلة عربية مماثلة ، لا في الحاضر ولا في الماضي .

هناك ايضا مشكلة تغطية النفقات . ان تخصص المواضيع التي تعالجها « شؤون فلسطينية » ، وكثرة عدد المساهمين فيها (كتّابا ونقادا ومراسلين ومعلقين ، الى جانب المدققين والمصححين والمترجمين) ، ونوعية الكتّاب ومستوى البحوث التي يقدمونها عادة ، والحجم الضخم ، يضاف الى ذلك حرص المجلة على بيع اعدادها باسعار معقولة نسبيا وباسعار اكثر انخفاضا في بعض الاقطار العربية وعلى تقديم حسم بمقدار نصف سعر البيع للمنظمات والاتحادات الفلسطينية ، وقلة الاعلانات (وهناك حصار تقاسي منه المجلة اعلانيا يعود لاسباب سياسية معروفة) ، ان ذلك كله ، واسباب اخرى كثيرة ، تجعل مصاريف هذه الدورية الفلسطينية ، في الاعداد والطباعة والتوزيع وكافة النفقات اليومية الاخرى العادية ، تفوق دخلها من البيع والاشتراكات والاعلانات بمعدل اربعة اضعاف . ومما يؤلمنا ان يشكو قراء كثيرون من ارتفاع سعر العدد الواحد. ونحن ندرك ان مبلغ اربع ليرات لبنانية للعدد الواحد (كما كان في السنة الاولى وقبل ان ينخفض ابتداء من هذا العدد الى ٢١/٢ ل.ل.) هو مبلغ يبدو للوهلة الاولى كبيرا بالنسبة الى مجلة (اية مجلة) والى نتاج ثوري بالنسبة الى شعب يعاني القطاع الاكبر منه من مداخيل قليلة . لكننا ، من الجهة الاخرى ، نود ان نذكر ان العجز في المجلة يزيد سنويا على ١٥٠،٠٠٠ ليرة لبنانية ، وان الاغلبية الساحقة من المبيعات تكون بنصف سعر (باعتبار ان الموزعين والوكلاء والمنظمات والاتحادات ، لا يتركون لنا الا نصف السعر) ، وان نفقات شحن النسخة الواحدة الى كثير من الاقطار تزيد على سعر العدد وتبلغ احيانا ست ليرات لبنانية — وغير ذلك من الحقائق المجردة والبشعة التي كانت تضطرنا لان نجعل سعر العدد اربع ليرات ، وهو مبلغ اقل مما يدفعه عادة الشخص الواحد في مطعم عادي في اية مدينة عربية ثمن وجبة غذاء واحدة .

ولا يصح ان نقفل الكلام عن المصاعب التي واجهناها في سنتنا الاولى ، ونخشى ان تظل تعترض سبيلنا هذه السنة ايضا ، دون ان نعرج على مشكلة اخرى اعمق وأقسى واجهناها في كل عدد بدون استثناء — وهي مشكلة عتب العاتبين (ولعلني يجب ان اقول غضب الغاضبين) بسبب سياسة « شؤون فلسطينية » ، بل بسبب مقال او تعليق في عدد واحد . ونحن لا نستغرب ان يؤدي تشديدنا على اهمية عرض جميع الاراء واتاحة المجال امام الجميع لمناقشتها وحرصنا على ممارسة النقد الصريح (وقد مارسناه على منشوراتنا وانفسنا قبل ان نمارسه على غيرنا) ان يؤدي ذلك كله الى اثارة بعض الاخوان (وعتابهم ، وغضبهم) ، سواء كان هؤلاء الاخوان افرادا او مسؤولي منظمات واتحادات فلسطينية او انظمة ومؤسسات عربية . فان شرط دخول مجلة مثلنا لهذا الميدان الخطر ان يكون لها الصدر الواسع على تحمل العتاب والنفس الطويل على مجابهة العاتبين . انما ما لم نكن نتوقعه هو ان نتهم ، لكلمة واحدة في تعليق واحد ، مثلا ، اننا « اداة » بيد هذا التنظيم او ذاك ، او اننا « عملاء » لهذه الجماعة او تلك . وفي مدى اسبوع واحد فقط صدرت علينا ثلاثة احكام من ثلاث صحف ينتمي كل منها لتنظيم فلسطيني يختلف عن الاخر ، تشترك كلها بادانتنا وانما يتهمنا كل واحد منها باننا عملاء للتنظيم الاخر وان همنا الوحيد هو التهجم على التنظيم الذي تنطق باسمه المجلة صاحبة الاتهام . (نحن عملاء لـ أ ضد ب. لا ، نحن عملاء لـ ب ضد ج. لا ، نحن عملاء لـ ج ضد أ) . ولعل هذه التخبط في الاتهام ، في وقت واحد من ثلاث جماعات متناقضة ، يزيد من قناعتنا الذاتية باننا نسير على الطريق الصحيح في ان المجلة ، وان

كان كتابها ينتمون الى عدة تنظيمات ، ليست لجماعة ضد اخرى ، وانما هي لفلسطين . وفلسطين ، في نهاية المطاف ، اكبر من الجميع وامنع من الجميع .

الا انني اظلم اختبارات السنة الاولى من حياة دوريتنا اذا اكتفيت بالكلام عن المصاعب ولم اتطرق ، ولو باسطر قليلة جدا ، الى تقدير المواطن ورضى القارىء — وهما ، في النهاية ، الاهم والابقى . وقد كان هذا التشجيع هو الحافز الذي اعاننا ويعيننا على اجتياز المصاعب وعلى القفز فوق العقبات . وهو قفز بالحجم (بحيث اصبحت شؤون فلسطينية ، ابتداء من اليوم ، شهرية) ، وبالرواج (بحيث ارتفع المبيع ، في سنة واحدة فقط ، بنسبة الضعفين وثلث الضعف) . وكل ما نرجوه هو ان نستمر في خدمة قرائنا حتى يستمر تقديرهم ورضاهم وتشجيعهم لنتمكن من اداء قفزات اهم نوعية ومدى : قفزات في المستوى ، حتى تكون « شؤون فلسطينية » هي بالفعل تجسيد لعبارات المديح التي نسمعها من المئات من القراء ، وهي عبارات مديح نمتنع عن ترديدها هنا حتى نحمي انفسنا من تهمة الغرور .

فتح بين النظرية والتطبيق
١ ـ الاطار النظري

هاني الحسن

يبحث هذا المقال في الاطار النظري لحركة فتح ، ولا يتطرق الى موضوع التطبيق ، ولكنه مع ذلك يشكل وحدة متكاملة ، تنشره « شؤون فلسطينية » آملة ان تتمكن من تقديم القسم الاخر المكمل له ، في العدد القادم .

مع اشراقة عام ١٩٧٢ يكون عمر الكفاح المسلح لحركة (فتح) قد القى ظله على سبع سنوات مضت . وبمجرد تذكر هذه الحقيقة يتجه عقل كل مناضل من المناضلين الثوريين العرب ، وبشكل لا ارادي الى مقارنة عمر الكفاح المسلح الفلسطيني مع عمر الثورات الشعبية العالمية الحديثة . انطلاقا من عمر الثورة الجزائرية البطلة والتي انجزت مهمتها خلال سبع سنوات ، ومرورا بالثورة الفيتنامية والتي ما زالت منذ حوالي خمسة وعشرين عاما تناضل بلا كلل ، ولكنها حررت شمال البلاد وقطعت شوطا كبيرا في تحرير جنوب البلاد ، وانتهاء بالثورة الصينية العظيمة والخالدة والتي استمرت ربع قرن من الزمن ، قادت في النتيجة الى نتائج يمكن ان توصف بزلزال ثوري شمل الصين والشرق الاقصى جميعا .

اننا اليوم ونحن نقف على عتبة العام الثامن للثورة الفلسطينية تتجاذب الكثيرين منا ـ وخاصة ابناء فتح ـ مشاعر متداخلة من الامل والتشاؤم من التفاؤل والسوداوية . والسبب يرجع الى واقع الضبابية الذي يخيم على القضية الثورية الفلسطينية ، ذلك الواقع الذي لم يقم بعد بوضع الماضي بايجابياته وسلبياته في اطاره النقدي الصحيح من جهة ولم يبلور بالتالي تصور خط السير الصحيح بوجهيه العسكري والسياسي الذي سيقود المسيرة الثورية في السنوات القليلة القادمة ، من جهة اخرى .

لهذا فاني سأحاول محاولة متواضعة القاء الاضواء على المراحل الحاسمة التي مرت بها (فتح) سواء بحياتها الداخلية او الخارجية . (ففتح) هي الثورة الفلسطينية ، والكلام عن حياتها الداخلية او الخارجية يعني الكلام عن حياة الثورة الفلسطينية . فتاريخ حياة (فتح) هو تاريخ الثورة الفلسطينية الحديثة ، وتاريخ الثورة هو في التحليل النهائي تاريخ حركة (فتح) .

اني اذ اتجرأ اليوم على الخوض في موضوع لم يصبح كله بعد للتاريخ ، فاني افعل ذلك حفاظا على اطول ثورة مسلحة خاضها الشعب الفلسطيني في هذا القرن حتى الان . واوجه كلامي بالذات الى الفتحويين ، سواء اولئك الذين عندهم الحس الفتحوي، والذين سيستمرون رافعين راية الثورة الشعبية المسلحة مهما طال الطريق وتعقد ، او اولئك الذين عرفوا الثورة في أيام مدها فقط ، وعندما بدأ الانحسار ـ الظاهرة التي لا تتفرد بها الثورة الفلسطينية ـ بدأوا يحاولون اعدام الماضي ، ويحاولون تحويل

الاخطاء الى خطايا ويلقون المسئولية على النظرية والشعارات المرحلية ، وذلك كله بدافع اخفاء مسئوليتهم الشخصية . لقد اصبح من الضروري اعادة الاعتبار الى الحقيقة ، وهذا لا يتم الا بممارسة النقد الثوري ، الذي هو حتما ليس حفلة شتائم او اسلوبا للادانة فقط . فالنقد الثوري مصدر الابداع . وحتى يتحقق ذلك لا يجوز ممارسة النقد من اجل اراحة الضمير ، وانما من اجل وضع القضية في اطارها الصحيح المدفوع نحو الافضل .

١ ــ نظرية العمل الفتحوية

من يعرف اين يقف وماذا يريد يعرف في النهاية حتما الى اين سيتجه . هذه الصفات الثلاث كانت متوفرة لدى (فتح) في مرحلة ولادتها وحتى نهاية عام ١٩٦٨ عام معركة الكرامة .

ما هي ابعاد الاجواء السياسية والفكرية التي ولدت فيها (فتح) ؟ . عام ١٩٥٢ اطل عبد الناصر من خلال الثورة المصرية على الوطن العربي وكانت الساحة يومها تعج بالاحزاب ذات الطابع القومي وخاصة في المشرق . ولما كانت الامة العربية مثخنة بالجراح، مطأطئة الرأس امام الهزيمة العسكرية التي لحقت بها فان القضية الفلسطينية اصبحت محور حديث كل من يريد الاستيلاء على قلوب الجماهير العربية وعقولها . وكان عهد التحرير واسترداد فلسطين يكاد يكون الكلمات الاولى التي يبدأ بها البلاغ العسكري لاي انقلاب او تغيير سياسي يحدث في المنطقة العربية .

بين عامي ١٩٥٥ و١٩٥٨ حققت القوى الوطنية العربية في مصر اروع الانتصارات حيث تم طرد الاستعمار البريطاني من مصر وصمدت مصر وسوريا في وجه حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور . وكذلك سقط حلف بغداد بانفجار ثورة ١٤ تموز وانهيار الحكم الملكي الاقطاعي في العراق وانهارت بشكل عام السيطرة الاستعمارية التقليدية، وتوجت هذه الانتصارات بقيام وحدة بين سوريا ومصر في اوائل عام ١٩٥٨ . كل تلك الانجازات وعلى راسها معركة السويس عام ١٩٥٦ الهبت حماس الجماهير العربية وبدأت ترتفع بالنضال العربي الى ارفع مستوى ، بحيث عادت الى الحركة الوطنية ديناميكية التحرك والثقة بالنفس وبقدرة الشعب على صنع اهدافه .

ان المؤرخين لن يجدوا مفرا عندما يؤرخون لفترة الخمسينات من تاريخ المنطقة من أن يقدروا بأن طريق دايان الى غزة والقويصمة وسيناء عام ١٩٥٦ كان طريق عبد الناصر الى كسر الارتباط التاريخي بالغرب ، وطريق الفلسطينيين الى اكتشاف دورهم الخاص ومن ثم التمرد فالثورة . وقد اكتشف الفلسطينيون دورهم الخاص اثناء الاحتلال الاسرائيلي الاول لقطاع غزة ١٩٥٦ ، وانهم يستطيعون ان يقاتلوا حتى في اسوأ ظروف الاحتلال . وان الانسان اذا ما اراد يستطيع النضال حتى ولو كان على حافة الموت ، وان سيطرة العدو على الارض لا تعني الهزيمة النهائية . فالهزيمة هي سقوط الارادة . باختصار لقد الهمت حرب السويس من خلال التمرس في مواجهة الاحتلال طليعة من الفلسطينيين بما يمكن فعله وما يمكن تجنبه ، وكيف يمكن الانتقال من الانتقام السلبي الى المقاومة الايجابية ، من الملاحظة الى التخطيط . يضاف الى ذلك ان الثورة الجزائرية التي اعادت الى المواطن العربي احساس النصر الغريب عليه منذ زمن طويل ، ساهمت مساهمة فعالة في اغناء قناعات نواة الطليعة الثورية بالقدرة على الولادة والبدء . وكلما حققت الثورة الجزائرية انجازا باتجاه النصر كانت الظروف الموضوعية لولادة عمل ثوري مسلح ضد اسرائيل تزداد توفرا ويرافق ذلك تنام في وضوح الرؤيا عند كوادر الطليعة ويرفع من معنوياتها . بزوال الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٥٦ فوجيء الطليعيون والواعون من ابناء الشعب الفلسطيني بأن الانظمة العربية لم

تع الدروس المستفادة من المعركة . وان الدول العربية خرجت « مضبوعة » مذعورة من الاستعمار واسرائيل وان استراتيجيتها مبنية على ان هناك مـا يسمى بمعركة الاسترداد وهنالك ما يسمى بمعركة الوضع الراهن .

معركة الاسترداد ــ كما كانت الدول العربية الثورية تقول ــ يجب ان تكون حربـا خاطفة تتقرر نتائجها خلال أيام بل خلال ساعات . الامر الذي يضمن حسم الامـور قبل تمكن المستعمرين الامريكيين من التدخل . والتسلسل المنطقي لتحقيـق الحـرب الخاطفة قاد الى الشروط اللازمة لسرعة الحسم وهي : ١ ــ قوى عسكرية نظامية ضاربة كلاسيكية سريعة الحركة . ٢ ــ تحقيق وحدة دول الطوق كحد أدنى لتكون بمثابة السوار المدبب المحيط بالمعصم ليدميه وينهيه . ٣ ــ بناء كل مـن الانسان العربـي والصناعة العربية وهما العاملان المكملان للطاقة الذاتية للحرب النظامية الخاطفة .

ان ذلك التفكير ذا النظرة الوحيدة الجانب المهمل لجانب العدو وامكانيات نموه وتطوره قاد العسكريين والسياسيين العرب الى القناعة بأن الامور الثلاثة السابقة الذكر لا يمكن توافرها الا على المدى البعيد وفي ظل ظروف دولية يجب ترقبها واستغلالها ولذلك فان جميع الدول العربية الثورية وعلى رأسها مصر الناصرية كانت تخطط على انها لا تخوض مع اسرائيل معركة استرداد وانما **معركة الحفاظ** على الوضع الراهن .

ان منطق الحفاظ على الوضع الراهن قاد الاستراتيجية العربية الى الالتزام بخـط استراتيجي يحكم سيرها وردود فعلها وهو أن خط الهدنة **خط دفاعي ثابت** ، نحن نطور خلفه قوى الحرب الخاطفة وليفعل العدو خلفه ما يريد . وكان موضوع تحويل نهـر الاردن من الامثلة النموذجية على خط الدفاع الثابت، فالعدو يحول خلف خطوطه ونحن نحول خلف خطوطنا .

المناضلون الاوائل في (فتح) والذين عاشوا مرحلة الولادة الصعبة للثورة الفلسطينية ، والذين عاشوا عن قرب أو في داخل ما جرى من أخذ ورد ، ومن اتهام وتأييد ، قبـل ويوم انطلاق الرصاصات الاولى عام ١٩٦٥ ، يجمعون حتما على ان السمة الاساسية لفكر (فتح) في تلك الاونة ــ وهكذا استمر حتى معركة الكرامة ــ هي الرفض الكامل للنظرة الاستراتيجية العربية ولكافة التحليلات التي طرحتها كل القوى الوطنية ــ ناهيك عن القوى غير الوطنية ــ سواء في الاسلوب او في المنهج لتحرير فلسطين .

بدون تردد يمكن القول بأن فكر (فتح) وخطها السياسي في تلك المرحلة يعرف من خلال تمييزه بصفة النقض الكلي للاستراتيجية والتكتيك العربيين المطروحين . والفكر النقيض هو في النهاية رفض وثورة على المطروح .

من يراجع أدبيات (فتح) حتى عام ١٩٦٥ فانه مع ملاحظته لندرة ما كان يصدر داخليا فانه سيجد ان مجلة « فلسطيننا » المعبرة عن وجهة نظر (فتح) في مقالها الرئيسي وما كان ينشر تحت باب «رأينا» تطرح دائما شعارات واضحة محددة،وتحليلات يحكمها منهج واضح المعالم في التحليل الامر الذي يحقق انسجاما بين (فتح) ونفسها المعبر عنها (بهيكل البناء الثوري) . الا انه سيلاحظ ان هنالك محاولة متعمدة لعدم الخـوض في التفاصيل . دون ان يعني ذلك عدم توفر التفاصيل ، وانما تمسكا بالقناعة التي كانت مسيطرة يومها على كادر (فتح) المجرب الخبير بالساحة العربية ، تلك القناعة التي كانت ترى بان أهم عنصر لحماية (فتح) من بطش الانظمة العربية هو القـدرة على طرح الشعارات التي تجنب الثورة استنفار قوى كبيرة في معسكـر الخصم قبل ان تقف على قدميها . اذ ان معرفة القوى المضادة بالابعاد الكاملة للعمل الثوري الجديد، يجعلها قادرة ــ في وقت مبكر ــ على ابداع وسائل وتكتيكات مناسبة ، تبطل وتنقص من فاعلية الفكرة أساسا ، والاستراتيجية والتكتيك المنبثقـين عنها . كانت المحافظـة علـى

الغموض في كل قضية ، غير الخطوط العامة لاسلوب التفكير ولمعالم الطريق قضية متعمدة . واخذت (فتح) تزيل الغموض شيئا فشيئا بعد انطلاقتها المسلحة عام ١٩٦٥ وذلك من خلال الرد بالوقت والقدر المناسبين لما يثار ويطرح . ولذلك فان أدبيات (فتح) التي تلت ولادتها المسلحة يمكن أن يستنبط منها فكر (فتح) ومنهج عملها .

من يقرأ ما صدر عن (فتح) في « بيان التوقيت » ، و« فتح تبدأ النقاش » ، و« نضالنا القطري » ، و« الثورة والمضمون الاجتماعي » ، مع « كيف تتفجر الثورة المسلحة » و« مذكرات (فتح) لمؤتمرات القمة العربية » ، سوف يلاحظ بدون لبس او غموض الحسمية والرفض الكامل للعقل العربي الرسمي وشعاراته المرحلية المطروحة للتحرير .

يبرز مستوى الوضوح الفتحوي ، النقيض للتفكير العربي من خلال منظومة الشعارات التي طرحتها منذ بداية نشأتها . فشعار الثورة الشعبية المسلحة طريق تحرير فلسطين نقيض ورفض لمفهوم الحرب الخاطفة والنظامية ... وشعار تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية نقيض ورفض لمفهوم التوالي الزمني الهادف الى تأجيل معركة الاسترداد بانتظار الوحدة العربية اولا ... وشعار غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة رفض لمحاولة الانظمة العربية فرض وصايتها وولاية أمرها على الفلسطينيين .

ان الحسمية ليست هي الصفة الرئيسية الوحيدة المميزة لفكر (فتح) ، عند ولادتها ، وانما الارتباط بالواقع ايضا . والذي يتجلى بأوضح مظاهره في الاصرار على الممارسة ، الذي كان يطغى على التحليل ، بحيث تشكل الممارسة طبيعة (فتح) الاولى والتحليل طبيعتها الثانية .

هذه الخاصية (الممارسة) يلاحظها ببساطة من يتعمق بنظرية العمل الفتحوية ، حيث تتسم بالالتصاق بالواقع والاعداد لمواجهة الواقع من خلال رفضه كأمر واقع . (فتح) في مرحلة ولادتها ونشأتها كانت ترفض الصوفية الفكرية ذات الالتفاتات التأملية لوقائع أمور متخيلة .

ما هي نظرية العمل الفتحوية ؟

اصبح من الضروري وضع نظرية (فتح) في العمل مجددا على الورق وذلك بعد الانعطاف الفجائي الذي قاد الى الانحسار المؤلم خلال العام الماضي (١٩٧٠) . اذ ان سؤالا يطرح نفسه علينا بالحاح : ما اذا كانت نتائج الممارسة نتيجة طبيعية للنظرية ام انها كانت على حساب النظرية التي لم يلتزم بها ؟ ان الوصول الى نتيجة بالنسبة لهذه النقطة بالذات أمر مهم لمعرفة مستقبل خط سير (فتح) وبالتالي مستقبل ديمومة (فتح) كلها كحركة ثورية .

المواطن العربي يعيش على ارضه غريبا . وحالة الاغتراب السياسي التي كانت وما زالت تسيطر على الامة العربية تعتبر الخطر الحقيقي الذي لا بد لنا من ان نزيله ونقضي عليه . لقد قامت في المنطقة العربية احزاب وحركات عربية عديدة حاولت تحقيق أهداف الامة العربية وخلق الانسان العربي الجديد اللامغترب سياسيا واقتصاديا ، ولكنها فشلت جميعا . ان تلك المؤسسات سواء الاحزاب القومية او الحركة الناصرية ، كانت ثورية من حيث آمالها واخلاصها ، ولكنها نسيت ان تخطي الاوضاع التي أوجدها الاستعمار والصهيونية من تخلف وتجزئة ، والتي خلقت مناخ الاغتراب ، لا يمكن بدون تعبئة الجماهير ، وبدون ايصالها الى مرحلة استعمال العنف الثوري بكل اشكاله لفرض ظروف التغيير ، بينما سارعت القوى الوطنية الى تسلم السلطة عن طريق الانقلاب العسكري قاطعة بذلك الطريق على نشوء التنظيمات الشعبية القادرة على أن تكون الواسطة بين السلطة والجماهير ، والنتيجة الحتمية لذلك مواجهة التناقضات الجديدة

داخليا وخارجيا مواجهة عاجزة عن الوفاء بوعودها التي قطعتها على نفسها قبل تسلمها السلطة سواء في الامور الداخلية او في القضايا القومية كالوحدة وتحرير فلسطين . ولذلك تحولت تلك القوى الى أداة قمع قسري للشعب تمنع عنه القسط الضروري من الحرية السياسية ، حتى انها أصبحت أحيانا تذكره بأولئك الذين ناضل ضدهم ، ولم يبق أمام المواطن العربي في ظل القهر والاضطهاد وضعف الحركة الجماهيرية الا الانسحاب من ميدان النشاط او الانعزال والاهتمام بأموره المعيشية الضيقة ، مشكلا جزيرة قائمة بنفسها ، الابعاد الجغرافية بينه وبين الاخرين معدومة بينما الابعاد النفسية شاسعة(١) وهذا هو السبب الذي جعل الاربعين مليون عربي المحيطين باسرائيل رقما (كتلة) لا دور حقيقي لهم فيما يجري حولهم من أحداث ، وموقفهم من سير الامور يتحول الى موقف لا يتعدى كونه تأمليا صرفا تجاه سير الاحداث(٢)، فهو متفرج قادر على البكاء عند الهزائم القومية ، وعلى التصفيق عند الانتصار . والنتيجة الحتمية لهذا الوضع الشعبي هو تحول المجتمع الى مجتمع اللاقدرة واللاانتماء الذي تغيب فيه قواه الفاعلة فيقف عاجزا أمام الهزيمة وتآمر الاستعمار ، وحدوث ذلك هو اكمال عوارض المرض .

ان للنضال دائما هدفا وأداة ، وغاية النضال هو حل المشاكل السياسية والقومية ببعث طاقات العطاء والكفاح عند الشعب المستعمر او شبه المستعمر . وأداته هي الشعب الواعي والمنظم والمسلح . ان حضور الشعب (الواعي والمنظم والمسلح) ، ومشاركته ككل — بكل ما في كلمة مشاركة من محتوى — في خوض النضال هو وحده الكفيل بتنمية حركة الجماهير ، وبالتالي انجاز المهام القومية الصعبة . ولكن كيف نصل الى ذلك ؟ الماء لا يعطي كهرباء الا اذا كان خلف السد . وكذلك الجماهير لا بد من وضعها في وضع تكون فيه قادرة على العطاء . وهذا لا يتأتى الا من خلال ممارسة ما يحدث في النهاية تغييرا جذريا . وفي ظروف الامة العربية ، التي تواجه يوميا خطر الوجود الاسرائيلي ، كأداة معدة لضرب أي نهوض في الحركة الوطنية العربية ، فان تركيز الانظار حول هذا الخطر ، والسعي لحله والهيمنة عليه ، باعتباره العائق « الفعلي » الذي أعدته القوى الامبريالية لتتمكن من الاستمرار في فرض نفوذها على المنطقة العربية ، يشكل القضية المصيرية ، التي يتوقف على حلها ، انجاز كثير من المهمات الجذرية التي تبدو الان بعيدة المنال ، كما يشكل القضية المصيرية القادرة على حشد أكبر طاقات جماهيرية عربية باتجاهها ، كما اثبتت ذلك الاحداث نفسها ، على مدى فترة زمنية طويلة . فاذا اضفنا الى ذلك ان تعميق النضال القطري ، هو المدخل لتوفير نضال قومي متماسك ، لان النضال القومي يبقى شعارا عائما ، وملاذا للهرب ، اذا لم يأت كنتيجة لنمو النضال القطري ، اذا أضفنا ذلك ، نجد أنفسنا أمام المبدأ الذي يشكل دعامة أساسية من الدعائم التي تقوم عليها نظرية العمل الفتحوي . والادبيات الفتحوية مليئة بتحليلات تشير وتدافع فيها بكل وضوح عن ضرورة الالتزام بالنضال القطري القائم على وحدة وطنية لجميع القوى الثورية العاملة في القطر من جهة ، والمتداخل مع طلائع النضالات القطرية الاخرى... « ان النضال لتحقيق الاهداف القومية لا يتم الا من خلال الواقع القطري ، ان ممارسة الانسان العربي لنضاله الثوري من خلال قطره الذي يعيش فيه يزيده عطاء وقدرة ونموا في الوعي(٣) .. ان على النضال القطري ان يلتزم بوعي بحدود « الاطار التحرري » بمعنى ان يحرر القطر نفسه من العوائق التي تحول بينه وبين الالتقاء مع الاقطار الاخرى لتحقيق الوحدة والعدالة

---

١ — حسب تعبير ملفيل في رواية موبى ديك .

٢ — لوكاش ، في التنظيم الثوري ، ص ٦١ ، ترجمة جورج طرابيشي .

٣ — دراسات وتجارب ثورية رقم ١ ، مقال بعنوان نضالنا القطري ، ص ٤٧ .

الاجتماعية . فان كان القطر مستعمرا لا بد ان يخوض قبل كل شيء معركة التحرر من الاستعمار ، وان كان القطر مستقلا فلا بد من ان يخوض معركة الخلاص من الرجعية. وهذا يشترط في البداية الوحدة الوطنية لجميع القوى الثورية العاملة في القطر كشرط أساسي لسلامة النضال القطري ... ان مهمة النضال القطري محددة باطار الحرية لان الوحدة والعدالة الاجتماعية بمفهومهما الثوري الشامل لا تتحققان على اساس قطري ولا بد من أن يكون الوطن العربي اطارهما الواسع .. »(١).

ان تركيز واصرار (فتح) على النضال القطري مبعثه قناعة (فتح) بأنه الطريق للحصول على افضل محصلة للنتائج النضالية ، انطلاقا من الواقع الموضوعي لاختلاف ظروف كل قطر عربي بسبب الخصائص التي يتميز بها التركيب السياسي والاجتماعي لكل قطر . تلك الخصائص التي قادت اليها التجزئة والتي تجعل من غير الممكن رسم مخطط واحد لكل الاقطار او تعميم الاساليب . فلكل قطر خصوصيته التي يفرضها مستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي له . ان القضية التي وضعت (فتح) يدها عليها وادركت ضرورتها بالنسبة لدور الشعب الفلسطيني، هي المعنى الخاص والفعالية الثورية الكامنة في النضال القطري الفلسطيني والذي تفرض صفاته الخصوصية مباشرة، ابعادا قومية له ، وليس ابعادا جغرافية فقط . ان الحقيقة القائلة بأن فلسطين بعد قومي وليست بعدا جغرافيا هي محور وجوهر نظرية العمل الفتحوية . وهي مسلمة فتحوية تعتمد على مبررات ومنطلقات كان للحوار الطويل مع الرفاق الصينيين منذ عام ١٩٦٣ فضل كبير في بلورتها المبكرة والتي ابرزت الاحداث ، من خلال تجربة السنوات الاربع الاخيرة عمقها ، وتبناها كثير من الكتاب والمحللين في الساحة العربية .

ان ماوتسي تونج قد حلل التناقضات من خلال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية معبرا عن أن هنالك تناقضا رئيسيا بين الامة والامبريالية وتناقضا رئيسيا ثانيا بين الشعب والاقطاعية . وعندما نحاول تطبيق هذا على الوطن العربي بشكل عام ، فانا نستطيع القول بأن التناقض الاول بين الامة (الاقطار العربية) والامبريالية تناقض قومي ميدانه الرئيسي هو الساحة الفلسطينية ، ودور الفلسطينيين فيه تعميق نضالهم القطري . اما آفاق النضال القومية فهي مهمة الثوريين العرب ، الذين يشكل نضالنا القطري بالضرورة جزءا عضويا منهم .

واذا كان الخطأ لا يظهر الا اذا جسد بالمخطىء، والصواب لا يظهر الا اذا جسد بالمصيب. كذلك فان القول بأن التناقض الرئيسي هو بين الامة والامبريالية لا يمكن لنا أن نتحسس معناه وابعاده الا اذا جسدناه بمواجهة اداة قمعه الاساسية ، اسرائيل .

الاستعمار بدأ يدرك مع مطلع القرن العشرين أنه يعيش آخر مراحله . واستمرار السيطرة المباشرة من خلال جنود الاستعمار ودباباته سوف يصبح أمرا غاية في الصعوبة . الا انه نظرا لاهمية الوطن العربي استراتيجيا للاستعمار ، فانه انسحب من المنطقة واقام استعمارا استيطانيا على الارض الفلسطينية من اجل الابقاء على مصالحه وتواجدها .

ان استمرار وجود اسرائيل في فلسطين يعني استمرار الوجود الامبريالي في كل الارض العربية(٢). فمن هذا الاطار يجب فهم الوجود الصهيوني والادراك التام : ان التركيب الفكري والمادي للصهيونية ونشأتها الفاشستية بالاضافة الى المهمة الاساسية، تتضامن للحفاظ على تواجد مصالح الامبريالية ، ان تلك الخواص جميعها تجعل اسرائيل (كأبرز

---

١ ــ **المصدر السابق** .

٢ ــ منيف الرزاز ، **السبيل الى تحرير فلسطين** ، ص ١٨ .

مظاهر الوجود المادي للامبريالية) مضطرة باستمرار للتوسع ، الامر الذي يقرر بأن التناقض معها عدائي ودائم ، شاءت الاستراتيجيات الرسمية العربية ذلك أم ابت . وفي لحظات جمود الصراع العدائي المسلح ، فان ذلك الجمود تفرضه الحركة الصهيونية وحدها ، عندما تكون في حاجة للهدوء ولهضم مكاسب أحرزتها ، استعدادا لعملية قضم وانقضاض جديدة . ان هذا الفهم لمعنى وجود اسرائيل يفسر العلاقة الجدلية القائمة بين وجود اسرائيل من جهة وبين التخلف الاقتصادي واستمرار وجود القوى والانظمة الرجعية في المنطقة العربية من جهة أخرى . وهذه العلاقة تفسر كيف ان الوجود القومي للأمة العربية مهدد باستمرار من قبل اسرائيل (التجسيد المادي للامبريالية) . صحيح انه نظريا يمكن القول بأن اسقاط النظم الاقطاعية والعشائرية الرجعية يقود الى تحرير فلسطين عبر تحقيق الوحدة العربية . ولكن هذا ليس سوى هروب نحو حل تاريخي حضاري لمسألة الصراع العربي الاسرائيلي ، بينما تواجه كل أمة مستعمرة ، سؤالا ملحا : ما هي اسرع الوسائل للنصر ؟ ولم يكن السؤال ابدا امام الثوريين : كيف يستطيع التطور الحضاري ان يحل المعضلة الاستعمارية ، المعروف سلفا ، انها ستسقط وتنتهي على المستوى الحضاري. اما على صعيد التخصيص ، فان نضالاتنا الوحدوية لم تنضج الى الحد الذي يجعلها أمرا راهنا . وعلى ضوء هذا فانه من غير الممكن ان نطالب بوقف النضال القطري الفلسطيني، كما انه من غير الممكن ان نطالب بوقف النضال القطري ضد القوى الرجعية والاقطاعية على يد الحركة النضالية الثورية لذلك القطر، لاننا اذا ما فعلنا ذلك نكون كمن يطلب أن تكف الارض عن الدوران . الا ان المطلوب هو أن تكون النضالات القطرية داخل الاطار القومي . والسؤال الهام كيف ؟ والجواب بدون تردد ان تكون الثورات القطرية جميعها بموازاة وداخل القضية التاريخية للمرحلة الراهنة للامة العربية ، بحيث تكون القضية التاريخية هي الاساس والمحور ، ولها الاولوية على كل شيء في الامكانيات وفي الاستمرار في النضال ، وليس هنالك من قضية تاريخية في المرحلة الحالية للامة العربية الا فلسطين باعتبارها المدخل الاساسي للمواجهة مع النفوذ الامبريالي . « المعركة المسلحة (على أرض فلسطين) ومستلزماتها يفرضان المصلحة القومية ، وهذا يعني ان الحدود الاقليمية بين الاقطار العربية ستزول من خلال التجربة المسلحة وسوف تتخطاها القوى الثورية لتتصل ببعضها بعضا كشرط أساسي لحماية الارض العربية وخاصة في المواقع الجغرافية التي لا تتوفر لديها الحماية العسكرية اللازمة ... »(١) ان المقتطفات السابقة الذكر تبرز قوتها عندما نتذكر انها قيلت عام ١٩٦٥ وكيف انها أصبحت تبدو ممكنة للجماهير حتى عام ١٩٧٠ بعد انجازات النضال المسلح ، تلك الانجازات التي لم نستغل نتائجها وكانت لذلك مع الفشل صنوان .

القضية التاريخية يمكن تحديدها بعدد كبير من النقاط التي تكشف كل نقطة منها عن زاوية معينة ترتكز عليها القضية التاريخية . الا انه من الواضح ان زاويتين اساسيتين لا يمكن للقضية التاريخية أن تفقدهما: الاولى هي ان القضية التاريخية هي قضية التحدي الاكبر لمجموع شخصية الامة المستعمرة في ان تبقى او لا تبقى في ان تكون او لا تكون في ان تنهض او لا تنهض ، في ان تتحرر او ان تبقى مستعبدة . والثانية نتيجة الاولى وهي انه اثناء حل (التناقض التاريخي) يجري بحكم ارتباط النتائج بالاسباب ، والجزء بالكل، فتح الطريق أمام حل التناقضات الرئيسية الاخرى وكذلك توفير المناخ لحل التناقضات الثانوية . اي انه يمكننا القول بدون تردد أن حل تناقض تاريخي ، نتائجه في التحليل النهائي عملية خلق جديدة تكون بداية مرحلة حضارية جديدة للامة . وهذا هو ما يقصده

---

١ ــ نفس المصدر ، ص ٢٩ .

ماوتسي تونج عندما يقول :
(ان الحرب الثورية هي نوع من الترياق تدفع سموم العدو ، وفي الوقت ذاته تطهرنا من الاقذار والاوساخ . وفي كل حرب ثورية عادلة (قضية تاريخيـــة) تكمن قوة جبارة تستطيع ان تعيد تكوين اشياء كثيرة او تمهد الطريق لاعادة تكوينها ... ان الناس والاشياء في كل من الصـــين واليابـــان سيصهرون من جـــديد في سياق الحرب وفي اعقابها ...)(١).

ان هذه المقدمة البسيطة ضرورية كمدخل لفهم المقصود برفض التوالي الزمني القائل بتجميد القضية التاريخية (فلسطين) ريثما يقضى على الاقطاع والانظمـــة والقوى الرجعية ، وللتأكيد على بديهية ان حل التناقض التاريخي يحمل معه اثناء المسيرة الثورية المسلحة وبعدها تغييرات كبيرة اجتماعية وسياسية واقتصادية . واول ما يحققه البدء بالمسيرة الثورية جر القوى الرجعية ممثلة الامبريالية داخل معسكر الامة الى القتال على الارض التي ليس من مصلحتها القتال عليها مفرزة نفسها مع الامبريالية الامر الذي يقود حتما في مراحل المد الثوري الى تأزيم التناقضات داخل المجتمعات الرجعية ومن ثم تحريكها . هذا هو المعنى الذي لا تخلو منه مقالة لفتح . ففي « فتح تبدأ النقاش » وتحت عنوان التوجه الكلي نحو ساحة فلسطين نقرأ :

(اننا ننادي بالتوجه الكلي نحو ساحة فلسطين ، وشد الانظار والهمم وكل سلاح ممكن الى الارض المحتلة ، والابتعاد عن الحرائق الجانبية ، لانها انعكاس للوجود الصهيوني في الارض العربية. ان الوجود الصهيوني سبب لكل مشاكلنا في المنطقة العربية ، وتحطيم لكل تطلعاتنا نحو فجر جديد للامة العربية ... فالوجود الصهيوني جذر امراضنا وليس نتاجا من نتائجها ... ان التوجه الكلي نحو فلسطين واشعال المعركة في الارض المحتلة محك لا يخطىء ابدا ، وميزان صادق حتما يميز الخائن العميل من الوطني المخلص . ان القوى الثورية في المنطقة العربية يجب ان تدرك بوضوح ان نقطة الاحتكاك مع الاستعمار والعملاء والصهيونية هي في الارض المحتلة(٢). وفي « بيان التوقيت » نقرأ (ان التذرع بوجود مشاكل معينة في الاقطار العربية لا بد من حلها قبل خوض معركة فلسطين هو تذرع يخلو من المعالجة الجذرية لهذه المشاكل ، ويترك قضية فلسطين في دوامة الاحداث المفتعلة(٣) .

(فتح) لم تقل مرة واحدة لا كتابة ولا لفظا انها ستحرر فلسطين وحدها ، وانما هي تهدف الى ايقاف قضايا الامة العربية على قدميها بدلا من رأسها ، والى جعل المواطن العربي يعيش حيث الجرح ، كي لا يسيطر عليـــه سراب ثوري فيكتشف اوهامـــه وضياعه بعد فوات الاوان . اذ انه فقط من يعيش حيث الجرح ، هو القادر على التطور نحو الافضل وعلى الاستفادة من تجاربه . والعيش حيث الجرح بمفهوم (فتح) يتجسد بتحريك القضية الاساسية والتاريخية للامة العربية (فلسطين) لتفجير التناقض مع الصهيونية عن طريق خوض الكفاح المسلح كتيار فلسطيني في البداية يتحول بالممارسة الى تيار عربي ، وتحويل ارادة النضال من ارادة سلبية دفاعية الـــى ارادة ايجابية هجومية . وبعد خلق هذه الحقائق يصبح من السهل جدا البناء عليها ونقـــل المواطن العربي من الفردية الى الجماعية ومن التأخر الى التقدم .

---

١ ـــ مقتطفات من اقوال الرئيس ماو ، ص ٦٤ ، ماخوذة عن « **هول الحرب الطويلة الامد** » ، المؤلفات المختارة ، المجلد الثاني .

٢ ـــ **دراسات وتجارب ثورية** ، رقم ١٠ ، مقال بعنوان : فتح تبدأ النقاش ، ص ١١ .

٣ ـــ **دراسات وتجارب ثورية** ، رقم ١٠ ، ص ٢٩ .

لقد سيطر على الوطن العربي حتى الخامس من حزيران منطقان لتحرير فلسطين . احدهما القائل بأن الحزب القومي الشامل هو القادر على تحقيق الوحدة العربية ومن ثم تحرير فلسطين كنتيجة للوحدة. ومنطق آخر يقول أن الدولة صاحبة الامكانيات الواسعة في ظل قائد فذ ملهم تعطيه الجماهير تأييدها وثقتها المطلقة يمكن ان يحقق الوحدة العربية بداية وتحرير فلسطين انتهاء . ان كلا المنطقين رغم اختلافهما طرحا صيغة خاطئة تلتقي في نقطتين اولاهما ان معالجة التناقض الاساسي الاكبر والاهم مع الصهيونية يجب الهرب منها بحجة الاستعداد وخلق الوحدة التي لا يمكن ان تتم الا من خلال مواجهة العائق الاساسي أمامها . وثانيهما اذابة الشخصية الفلسطينية داخل الاطار القومي بحجة قومية وعروبة المعركة . (فتح) طالبت بالعودة الى المنطلق ، الى الساحة الاساسية التاريخية ، فتحرير فلسطين هو المنطلق الذي يزيل اداة التهديم التي اعدت لضرب كل قوة ثورية تسعى لحل مشاكل الامة العربية في الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية ، ورفضت (فتح) مصادرة الذات الفلسطينية وذوبانها في الدائرة الاوسع ، الدائرة القومية . وهي فعلت ذلك ليس ارتدادا ورفضا للبعد العروبي للقضية ، وانما تأكيدا له . فبدون الفلسطينيين تفقد الثورة صفتها التحررية القطرية الاساسية وتبدو القضية عالميا وكأنها نزاع بين الدول العربية واسرائيل الامر الذي يسلب الثورة احد اركان الثالوث اللازم لخوض اي حرب ، الرأي العام العالمي(١)، يضاف الى ذلك نقطة هي الاساس والاهم من سابقتها ، وهي أن الفلسطينيين ، بسبب المعاناة وحالة الاغتراب والضياع والالم ، يشكلون نبعا غنيا للثورة والعطاء ، ومن هنا فان اذابة هذا القطاع ومصادرة اسمه وكيانه يعني بالنتيجة سلب الامة العربية قضيتها التاريخية الوحيدة من فعاليتها والابقاء على جانب البؤس السلبي فيها . الحقيقة التاريخية لا تتحول الى واقع من خلال التعميمات العريضة وانما من خلال سياق الاحداث المعقدة . هكذا تقول الممارسة ، المعلم الكبير للحركات الثورية . ومن جملة التعميمات العريضة التي تجعل العربي يبني أوهاما كبيرة على قواه ، القول بأن مائة مليون عربي يخوضون معركة مع الصهيونيين في فلسطين ، وهذا كلام نظري يحتاج الى تجسيد . بل ان التحدي المضاد الذي توجده الصهيونية هو القدرة على تعبئة القوى وتطويرها الى طريق عمل وكفاح .

ان البعد العروبي والعمق الثوري الشعبي مفهومان لا يجسدهما عدد المواطنين العرب ولا مساحة الارض العربية من المحيط الى الخليج ، بل يجسدهما عدد العرب المزجوج بهم في معمعان ممارسة الكفاح المسلح ، وبالمساحة التي يعيش عليها شعب واع ومنظم ومسلح ، يحمي مؤخرة قواته المركزة عندما يهاجم ، وينحول الى محيط ثوري يغرق به العدو عندما تقتحم حدوده ، أي بالدائرة الجماهيرية التي تحولت ارادتها ومساهمتها النضالية من سلبية الى ايجابية . ان حرب الخامس من حزيران لم تكن حرب الجماهير الشعبية المسلحة المنظمة والواعية وانما كانت حرب مئات الالوف الموضوعة تحت السلاح من الجيوش النظامية . اما عشرات الملايين الاخرى فلم يكن امامها الا الجلوس الى الراديو والبكاء والنحيب ومن ثم الاستسلام .

ان فكر (فتح) في هذه النقطة بالذات يجمع بين الموقف الجذري من حيث المبدأ العام ويتجنب الغموض من حيث الاستنتاجات العملية . ففي بيان التوقيت نجد (ان الحدود الاقليمية بين الاقطار العربية ستزول من خلال التجربة المسلحة ، وسوف تتخطاها القوى الثورية لتتصل ببعضها بعضا كشرط اساسي لحماية الارض العربية وخاصة في المواقع الجغرافية التي لا تتوفر لديها الحماية العسكرية اللازمة ... ان

١ ــ الثالوث ، هو : اسلوب الحرب الملائم ، التعبئة الشعبية القصوى ، الرأي العام العالمي .

وجود حركة ثورية منظمة تستطيع تجسيد العمل المسلح بشكل واع وفاعل هو الذي يستقطب هذه القوى العربية ... وبذلك تصبح الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة هي نقطة الالتقاء للقوى العربية وقاعدة لتوحيد جهدها من خلال ذلك ... وتلتقي لقاء واعيا لتحقيق هدف تحرير فلسطين ... !

النضال القطري الفلسطيني اذن نضال قومي التركيب والوجود ونقطة تجمع وتلاقي كل القوى الثورية العربية ذات الرؤيا الواضحة لمعنى الاستفادة من التناقض الاساسي . تلك الاستفادة التي طريقها المواجهة الدائمة للتناقض العدائي بيننا وبين الصهيونية . لوضع الامة العربية امام التحدي الكبير . الحافز المغير لكافة مظاهر الحياة العربية من خلال ممارسة الثورة الشعبية المسلحة . اذ انه فقط يمكننا ان نغير ذاتنا فيما نحن نحرر أرضنا . فوحدة الكيان ووحدة المصير ووحدة الارادة لا يمكن خلقها الا باذابة كل العوائق والسلبيات ، وهذا لا يتم الا عبر النضال المسلح من اجل تحقيق اماني شعبنا وانقاذ وجوده القومي المهدد ، الامر الذي له اسبقية حتى على الافواه الجائعة التي لا حل لجوعها عن غير هذا الطريق : هذه الحقيقة ادركتها (فتح) وكانت حجر الاساس في نظرية عملها منذ نشأتها ، حيث ولدت وهي مقتنعة تماما : ان المستقبل في الوطن العربي ليس في يد الحركة او الحزب الذي يملك البرنامج الاكثر تقدمية ، وانما في يد الحركة الوطنية التي ستعرف قبل كل شيء كيف تجلب الجماهير الى ممارسة الكفاح المسلح في ميدان المعركة الاساسي . واقناعها بأن مشاكلها واهدافها في الحرية والتحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية لا يمكن ان تسوى وتحل حلا جذريا ، الا من خلال انهاء العدو ركيزة الامبريالية المادية . اسرائيل .

لا يستطيع أحد الادعاء بأن مؤسسي (فتح) عندما وضعوا منهج العمل وضعوا أمامهم مقولة ماو الشهيرة (ان الذي يقرر طابع الثورة هو اعداؤها الرئيسيون من جهة، والقوى الثورية الرئيسية من جهة اخرى) . ولكن بدون شك ان الثورتين الصينية والجزائرية كانتا ملهمتين لفتح في هذه النقطة بالذات . يضاف الى ذلك ان الوضع الفلسطيني في هذه النقطة اقل تعقيدا وتداخلا منه في ثورة اخرى .

ان دراسة انماط الانتاج بقصد تحديد النموذج الذي ينتمي اليه القطر ومن ثم دراسة خصوصيات هذا التكوين من خلال الاعتماد على التحليل الطبقي لتمييز موقع مختلف الطبقات الاجتماعية في النموذج لم يكن أمرا معقدا ، او بحاجة الى دقة لاستنباط النتائج من واقع الشعب الفلسطيني . فالاحتلال الصهيوني حطم الهرم الطبقي للشعب الفلسطيني ، فبفقدان الارض تحطم المجتمع وتقطعت أوصاله ووضع الشعب الفلسطيني في واقع نضالي مرير مستمر من اجل تثبيت وجوده والعودة الى ارضه . ومن هنا كانت القضية الاساسية المطروحة على حركة التحرير الوطني الفلسطيني هي تحرير الارض وانهاء الوجود الصهيوني التجسيد المادي للامبريالية بجميع مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وهذا حدد تلقائيا الشكل الرئيسي للنضال على انه الكفاح المسلح . هذه القضية هي التي قادت (فتح) الى القناعة ان تبقى حركة تحرر وطني قادرة على تجميع أوسع قطاع ممكن في قاعدتها بسبب خصوصية الوضع الفلسطيني . (فتح) حركة حللت المجتمع الفلسطيني بعد النكبة ودرست السلبيات والايجابيات في الوضع الاجتماعي للفلسطينيين والناتج عن تحول قطاع واسع منهم الى لاجئين يعيشون على هامش العملية الانتاجية وعن قيام الاحتلال الصهيوني لارضهم . ومن خلال ذلك التحليل استنتجت مدى الفعالية الثورية الكامنة في القطاع المتمرد من الشعب العربي ، وكون فلسطين هي القضية التاريخية للامة العربية في المرحلة الراهنة . ومن خلال ذلك

التحليل حددت المبادىء والاهداف والاسلوب[1]. رافضة الوجود الصهيوني والوضع الجديد لشعب فلسطين . والاسلوب العربي لمواجهة الوجود الصهيوني ونتائجه . رافضة ذلك كله فكرا . ومنذ عام ١٩٦٥ ممارسة بالبندقية . ونظرا لايمان (فتح) بالنضال القطري فقناعتها بأن هيكل الثورة العربية الواحدة هو محصلة لقاءات الحركات الوطنية في كل الاقطار العربية داخل اطار واحد ، واعتبار نفسها ليست البديلة للحركة الوطنية الاردنية وانما ترعاها وتشكل معها . بحكم الظروف الملائمة . المحور الاساسي للقاء الحركات الوطنية القطرية الاخرى . لهذه الاعتبارات كلها لا تجد سوى شعار واحد يتعلق بالارض طرحته (فتح) وهو «الارض لمن يحررها».

صحيح ان (فتح) كانت منذ البداية مدركة ان الثورة الفلسطينية هي ثورة العرب من أجل فلسطين . الا انها داخل هذا الاطار من فهمها . اعتبرت نفسها منذ البداية ممثلة للحركة الوطنية الفلسطينية فقط ، صاحبة الدور الاساسي ضمن اطار وحدة الحركات الوطنية العربية . وبالتالي فهي ممثلة للفلسطينيين .

الحركة الوطنية الفلسطينية في اطارها القطري تمثل مرحلة تحرر شعب فقد كيانه الاجتماعي والسياسي ولم تعد عنده مشكلة فلاحين وعمال؛ لان فلاحيه وعماله لم يعودوا جزءا من الهرم الطبقي الذي تحطم بتشردهم . هذه الظاهرة ، يلقي كثيرا من الاضواء عليها اسلوب عمل الاتحادات النقابية العمالية والطلابية الفلسطينية ، والتي تجد نفسها عاجزة عن اعطاء الاولوية للمصالح النقابية لمن تمثلهم ، ليس بسبب العجز الذاتي ، وانما بسبب الواقع الموضوعي الذي يجعل من النقابات تنظيمات ذات مهام تعبوية سياسية بالدرجة الاولى .

ان الوصول الى مرحلة الاراضي المحررة كان يعتبر منذ البداية حلما جميلا بعيد المنال يتهم كل من يتحدث فيه بمزاولة احلام اليقظة ، وكان معروفا باستمرار في البداية ان (فتح) حذفت هذا الحلم من ذاكرتها مؤقتا .

الجماهير لا تؤمن الا بالعمل . وكل حركة او منظمة تفقد عنصر القدرة على وضع نظريتها موضع الممارسة والتطبيق تفقد الاتصال بالجماهير وستجد نفسها مجرد قوة ثورية لفظية تجتر الشعارات والمبادىء كمادة الهائية ، وتعجز بالتالي عن تكوين تجربة نضالية خاصة بها وتبقى ثورة في البرج العاجي ... انطلاقا من ادراك هذه الحقيقة حرصت (فتح) حرصا كبيرا على تأمين المناخ والظروف الملائمة لولادتها . واثبتت الايام ان فتح الى جانب وضوح هدفها التاريخي — تحرير فلسطين — وما يحمله من فعالية ثورية تؤهله ليكون محورا للثورة العربية ، فانها قد وعت طبيعة الخطوات العملية والتكتيكية الضرورية لتأمين ولادة ثورة غير ميتة بحيث لا تكون الرصاصات الاولى رصاصات يتيمة. وتمثل هذا الوعي باختيار سوريا ، الوطن العريق التقليدي للنضال القومي العربي بالاضافة الى موقعها الاستراتيجي ، قاعدة للانطلاق . ومن اجل ضمان النجاح في القدرة على افشال عملية الاستيعاب ، وعلى الحفاظ على حرية التصرف ، تلك المعركة السياسية التي كان واضحا منذ البداية انها ستكون ضارية بمجرد الوقوف على الارض وستزداد ضراوة كلما رسخت اقدام الثورة الجديدة ، فقد رفعت — فتح — منذ البداية شعارين اساسيين يجعلان — فتح — قادرة على ممارسة الصمت الواقي وتبريره ، والى عدم دفع الانظمة العربية الى الدخول في معركة جدية تشعر فيها الانظمة انها تخوض معركة هي فيها « قاتل او مقتول » . هذان الشعاران كانا شعار عدم التدخل في الشؤون

---

١ — راجع في نهاية المقال : الاساليب والاهداف والمبادىء لحركة (فتح) .

المحلية للدول العربية (وليس الداخلية كما حرف الشعار) وشعار الجبهة العربية المساندة .

اعلنت (فتح) بملء صوتها وحتى يسمعها الجميع انها لن تتدخل في الشؤون المحلية لاي دولة عربية . ان هذا الشعار « يستهدف التفريق بين النظام والشعب . النظام الذي تمثله الدول والشعب الذي نحن جزء منه . نحن لا نتدخل بشؤون الانظمة بمعنى اننا لا نسعى الى الحكم ولا نريد ان نصل اليه ولا نتآمر على حكم عربي لصالح حكم اية فئة او جماعة ولكننا نعيش كل احداث الامة العربية بقلوبنا وافئدتنا ومستعدون ان نناضل وسنناضل من أجل انتصار هذه ليتحقق أملها الكبير ... »(١). وطرحت (فتح) شعار الجبهة المساندة رافضة كلمة المشاركة عن قصد، ولهجته غير المعادية، من الغموض بحيث لا يثير اي اعتراض .. (الجبهة العربية المساندة في راي حركة فتح هي الامة العربية كلها ... لان هنالك تداخلا فعليا وواقعيا بين القضية الفلسطينية والقضية العربية ، بل هي في الواقع قضية واحدة ... يجب ان تعرف الامة العربية انها مشاركة للشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والرجال في حربه ضد الاحتلال الصهيوني ... ان المرحلة القادمة سوف تتسع لاخواننا العرب ليقفوا مع اخوانهم الفلسطينيين على جبهة القتال داخل أرضنا المحتلة ...)(٢).

صحيح ان (فتح) لم تكن هي خالقة فكرة الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، بيد ان (فتح) كانت أول من جعل هذه الفكرة المجردة مهمة عملية وشعبية ، والسبب ليس هو امتلاك (فتح) لسر التحليل الصحيح وانما بسبب قدرتها على طرح منظومة من الشعارات تشكل بمجموعها منهج عمل يضمن الا تضع الثورة الناشئة نفسها في مأزق لا مخرج منه . والشعاران المذكوران هما شعاران استراتيجيان خلقا لفتح مجالات تكتيكية واسعة . فالطوباويون طوباويون كما يقول لوكاش ، ليس بسبب الهدف الذي يضعونه نصب اعينهم وانما بسبب عجزهم عن ادراك الخطوات اللازمة لتحقيقه ، هذه الخطوات التي تكمن في ماهية الهدف بالذات . ان هذه الحقيقة هي التي تفسر لنا لماذا استطاعت (فتح) بتواضع ان تخوض تجربتها الجماهيرية الخاصة بها بينما بقي كثيرون ممن يرفعون راية الثورية اللفظية بلا جماهير . فالفرق بين الثوري القادر والعاجز لا يكمن في فهم دروس الماضي واستنتاج العبر منها وانما بالقدرة على الا يكون طوباويا ، وذلك بوضع اهداف المستقبل موضع التنفيذ . وهذا يتطلب تركيب معادلة معينة لا تتنازل عن اتجاه الضربة الرئيسية بينما تتغاضى عن عمد عن قضايا اذا كانت ضرورية لحماية اتجاه الا انها لا تتيح توجيه الجهود باتجاه الضربة الرئيسية . وهذا هو دور شعار عدم التدخل والجبهة المساندة في معادلة الثورة الشعبية المسلحة الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

الثورة الفلسطينية ، سيكتب التاريخ في يوم من الايام تجربتها تحت باب ثورة المستحيل. الفييتناميون عندما يعددون مصاعب ثورتهم يتحدثون عن صغر مساحة الارض ، فكيف بثورة لا تقف على الارض اساسا .

لقد ولدت الثورة الفلسطينية رافعة شعار النضال القطري غير مدعية بانها ستحمل اعباء الامة العربية كلها على كتفيها، وان كان نضالها القطري مدخل اساسي لحل مشاكل الامة العربية . ولدت وهي تحمل معها ازمة القاعدة الآمنة والمنطلق ، لانه لم يكن بامكانها الا ان تولد من الخارج في وسط عقلية عربية متخلفة شعارها (تكفيني صنعاء).

---

١ ــ دراسات وتجارب ثورية ، رقم ١٢ ، ص ٤ ــ ٥ .

٢ ــ دراسات وتجارب ثورية ، رقم ١٢ ، ص ١٠ــ١١ .

هذا الواقع يفرض على كل منهج عمل ان يتبنى في اجواء الولادة تكتيكات صحيحة تضمن الاستفادة من الحد الاقصى من القوى الثورية الفاعلة لصالح الثورة وتفكيك الحد الاقصى من القوى العدوانية المضادة التي يمكن تفكيكها . وتحييد الحد الاقصى من القوى التي لا يمكن دفعها الى جانب الثورة . ولكن يمكن الحيلولة بينها وبين الوقوف في صف القوى العدوانية .

ان التمرد الفتحوي على الواقع العربي الفاسد والرفض بالممارسة المسلحة للاستراتيجية العربية عام ١٩٦٥ فرضا على (فتح) العمل السري من جهة ، وضرورة استقطاب الجماهير من خلال مخاطبة حدسها المباشر من جهة أخرى . ولقد سلكت (فتح) لذلك طريق منع الدوريات الاولى والمتجهة من الضفة الغربية او الشرقية الى الارض المحتلة من الاصطدام بالجيش الاردني حتى وان اطلقت النار عليهم من قبل الجيش . وبالرغم من ان اول شهيد للثورة الفلسطينية ــ احمد موسى ــ قد قتل على يدي الجيش الاردني الا انها اضافت الى تلك الصورة التي هزت يومها الضمير العربي ، اضافت الى ذلك صراخها بانها لا تنوي التدخل في الشؤون المحلية للدول العربية . لتجسد امام الجماهير ان من يضطهدونا يقفون في صف اسرائيل وضد التحرير والجماهير وهذا أمر ما كانت (فتح) قادرة على تحقيقه لو انها اضفت على نفسها منذ البداية صفة الاله أطلس الذي يحمل على ظهره مستقبل الامة العربية والمدافع عن كل المظلومين والمضطهدين في العالم .

كان طرح منظومة الشعارات (الفتحوية) بمثابة التجاوز الفكري للاستراتيجية العربية (الناصرية او الحزبية القومية) في الساحة الفلسطينية ، الساحة القائدة لكل الساحات الاخرى مهما بلغت قيمتها واهميتها . الا ان التجاوز الكبير الذي حققته (فتح) هو قدرتها على تجاوز ذاتها داخليا ، عندما تمكنت من نقل امكانياتها الذاتية المادية والفكرية من مرحلة الامكان الى مرحلة الفعل ، مرحلة البدء بتفجير الثورة . مرحلة الانتقال من النظرية الى التطبيق . ذلك الانتقال الذي بقي راسمال الامة العربية عندما تحطمت كل بنادق الانظمة العربية امام البندقية الاسرائيلية الا بنادقها بقيت صامدة حتى تآمر الصهيونيون العرب عليها فتقدم النظام الاردني يلعب دور الحجاج ومن ورائه الخلفاء .

لقد كانت ولادة الثورة الفلسطينية عملا اذهل كل المناضلين العرب حتى ان احد المفكرين في لبنان كتب يقول (اليس من المفاجآت الحرية بالانتباه ، ان يخرج عمل تاريخي ضخم كالعمل الفدائي . بعد كل هذه المرحلة التي قطعها العرب في السير تحت رايات الثورة والاشتراكية من اوساط غير يسارية في الاصل ..)(١) .

هذا هو الاطار النظري العام لحركة فتح . ولكن ترى ... كيف جرى التطبيق ؟ .

١ ــ منح الصلح . مقابلة في مجلة **مواقف** ، العدد ٤ ، ص ١٥٥ .

المقاومة الفلسطينية في دراستين علميتين

ــ **الوثائق الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية** . بقلم ليلى قاضي (بالانجليزية . ١٩٧٠ . ٨ ل.ل. .

ــ **دليل حركة المقاومة الفلسطينية** . بقلم غازي خورشيد (بالعربية . ١٩٧١ . ٨ ل.ل.)

من منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. (بيروت)

خواطر في العنف الفلسطيني

الدكتور حسام الخطيب

اثارت حادثة اغتيال رئيس الوزراء الاردني وصفي التل (القاهرة ١٩٧١/١١/٢٨) من جديد مشكلة الوسيلة والغاية ، مشكلة العنف المشروع وغير المشروع . وحتى لا يقع التباس بين المفهوم الحقوقي الاصطلاحي لهذه الكلمة (المشروع) وبين معناها العام فانه لا بد من التأكيد بادىء ذي بدء على أن الكلمة مستعملة هنا بالمعنى الاعم : اي المقبول عرفا عند الناس . فمثلا لو أن رجلا كوصفي التل لقي مصرعه في ساحة قتال أو في صراع مكشوف وجها لوجه لكان رد فعل الرأي العام مختلفا بنسبة كبيرة عن رد الفعل المتحفظ الذي ظهر في الصحافة العربية ورد الفعل المشوب بالحيرة الذي تجلى عند رجل الشارع (هل يظهر تحبيذه ام يضبط مشاعره ؟) . ومن الناحية المنطقية الخالصة يمكن لكل من يقرأ سجل حياة الرجل كما نشر في الصحافة العربية ان يستنتج طبيعة رد الفعل الذي يتوقع ان يثيره لدى الرأي العام اختفاؤه عن مسرح الاحداث ، ولكن مع ذلك قرأنا في تلك الصحف احيانا استنكارا مكشوفا واحيانا مبطنا لعملية الاغتيال .

ان نظرة فاحصة لجميع التعليقات التي استنكرت العملية بشكل او بآخر تفيد بأن الاستنكار كله انصب على **الاسلوب** لا على النتيجة ، وهذا بالضبط ما يدفعنا الى طرح الموضوع من هذه الزاوية : العنف المشروع والعنف غير المشروع وامتداداتهما . وحتى لا يبدو الكلام اقرب الى التجريد فلنسارع الى القول : ان التعليقات التي استنكرت الحادثة بالذات اوردت حججا مختلفة يمكن تلخيصها بالاتجاهات التالية : ١) رفض اسلوب الاغتيال السياسي من حيث المبدأ ، ويتفاوت اصحاب هذه النظرة بين التصلب العقائدي (الدوغمائية) وبين التذبذب باتجاه رفض الحادثة على اساس نتائجها وعواقبها . ٢) لوم الشباب الاربعة لاستغلالهم كرم الضيافة في قطر عربي يعد المركز الاساسي للنشاط العربي العام ويفترض فيه أن يؤمن حرية الحركة والرأي (والوجود ايضا) لكل من يفد اليه ولا سيما بمهمة رسمية في ظل الجامعة العربية . ٣) انتقاد الحادث من وجهة نظر ذرائعية (براغماتية) على اعتبار ان هذا الحادث يؤدي الى تعقيدات كثيرة وقد يعود بالضرر على الفلسطينيين المقيمين بالاردن ، بل اعتبره بعضهم — من ناحية النتيجة — نسفا للجهود التي بذلت في مجلس الدفاع لرأب الصدع العربي ودفعه الى مواجهة العدو بشكل موحد او شبه موحد .

وبالطبع لا يمكن ان تكتمل الصورة الا باستيعاب الدوافع التي تذرع بها الشبان انفسهم، وهناك من الدلائل ما يشير الى انهم صادقون ، فسذاجة اعترافاتهم واسلوبهم غير المحتاط في تقديم انفسهم للشرطة وللمحققين وللرأي العام يوحيان بنسبة كبيرة من العفوية والصدق في موقفهم .

ماذا يقول هؤلاء الشبان ؟

دونما تدقيق في التفصيلات التي قد يكون فيها تزيد او تحريف يعتبر الشبان الفلسطينيون

وصفي التل مسؤولا مباشرا عن أحداث أيلول الدامية وينسبون اليه أوامر بالابـــادة الجماعية للفلسطينيين ، وليس من المستبعد كما يقول احد هؤلاء الشبان ان بعضا من أقرب اقربائه كأمه او اخته او ابيه تعرض لعملية سحق فظيعة من الدبابات امام عينيه ، فاذا أضفنا الى ذلك ان الشبان الاربعة نسبوا الى وصفي التل انه هو الذي أصدر الامر بقتل المناضل (أبو علي أياد) ، رئيس فرقتهم ، تبين لنا ان هناك من الاسباب النفسية والعاطفية ما يكفي لدفع هؤلاء الشبان ــ سواء أكان تحليلهم لدور التل صحيحا تماما أم تقريبيا ــ الى السعي وراء الثأر بأية طريقة ودون التفكـير بالعواقب السياسيـة بالنسبة للقضية التي يحاربون من أجلها أو بالعواقب الفردية بالنسبة لمصيرهم (مـا داموا مجرمين في نظر القانون) .

ولكن هل تشكل الاسباب العاطفية والسايكلوجية غطاء شرعيا كافيا لمثل هذا العمل ؟ قطعا لا . ولسبب بسيط هو أن هذه الاسباب غير خاضعة لمقاييس عامة ، وهي ذات صفة فردية انفعالية غير متبصرة وغير متوازنة . وربما غير منسجمة دائما مع الهدف المقصود منها . ولكن هذا لا ينفي أنها انسانية اي ناتجة عن **دافع انساني مفهوم تماما** ، وكذلك **متوقعة** اي ان الانسان يجب ان لا يستبعد حدوثها لان العالم ، بكل بساطة ، ليس عقلا . والمشكلة هنا تختلف تماما عن مشكلة القتل السياسي المدبر من قبـل هيئة او منظمة والذي يكون فيه الفرد مجرد منفذ لاوامر اعلى منه قد يفهمها ويقدرهـا ولكنه لا يستطيع ان يدرك بالضبط لماذا يختار هو بالذات ولماذا يطلب منه بالذات ان يكون اليد القذرة والضحية في الوقت نفسه (الايدي القذرة لسارتر) . اننا هنا ازاء وضع انساني (حار) لا (بارد) ، ازاء وضع اشبه بأوضاع الثأر المباشر عند اجدادنا العرب ، وضع نابع من الداخل لا مفروض من الخارج (التنظيم) ، وضع ينتظر ان تكون له ذيول وامتدادات لان الظروف والملابسات الحادة التي أوجدته قائمة ومستمرة الى حـين .

هنا بالضبط تكمن الخطورة وهنا بالضبط نصل الى بيت القصيد : امتدادات العنـف الفلسطيني .

ان التسلسل المنطقي للكلام يقتضي البدء بشرح المقصود من التركيز على هذه النقطـة ولكن هناك خواطر تستبق هذا الشرح وتضطر المرء الى اعطائها الاولوية . قبـل الانطلاقة الاولى (١٩٦٥) للثورة الفلسطينية بأمد قصير قابل مندوب مجلة «فلسطيننا» احد زعماء الثورة الجزائرية وتحدث معه حول التحسبات التي تدور في أذهان القـادة الفلسطينيين بالنسبة للانطلاقة ولا سيما خوفهم من عواقب تحرك اسرائيلي استعماري انتقامي ضد الدول العربية للرد على التحرك الفلسطيني ، قال الزعيم الراحل : « والله لو كان العالم برميلا من البارود لحق لكم ان تفجروه » .

وفي جلسات شخصية لكاتب هذه السطور مع كثير مـن الاوروبيين المهتمين بالقضية الفلسطينية او ــ على الاصح ــ بما يجري في الشرق الاوسط أبدى معظمهم استغرابه (بعضهم باعجاب وبعضهم باستنكار) لغياب العنف الفلسطيني التلقائي مع وجـود الاسباب النفسية والعاطفية الكافية لتوقع مثل هذا العنف .

لنعترف اولا بصحة هذه الملاحظة ان ما ظهر من العنف غير المنظم عند الفلسطينيين اقل بكثير مما يتوقع من شعب نام مر بظروف قاسيـة جدا وتجددت نكبتـه باستمـرار خلال ربع قرن وتعرض لالوان شتى من الاهانة والذل على يد الاعداء وكذلك على يد الاهل وذوي القربى في حالات كثيرة . وبالنسبة لموضوع الاغتيال بالـذات انحصرت الحالات ذات الطابع الوطني بحوادث معدودة جدا بعد سنة ١٩٤٨ : اغتيال الملـك

عبدالله في القدس سنة ١٩٥١ . اغتيال هزاع المجالي سنة ١٩٦٠ ، اغتيال وصفي التل سنة ١٩٧١ ، تضاف الى ذلك بعض المحاولات غير الناجحة لاغتيال افراد من الاسرة الهاشمية . أما فيما عدا ذلك فيبدو الفلسطينيون شعبا عاقلا ومنضبطا وصبورا، اذ قلما سمعنا بقيام مظاهرات انفعالية في هذه المنطقة العربية او تلك وقلما سمعنا بردود فعل عاطفية جماعية او فردية ضد وضع اضطهادي ما . بل ان حوادث الاغتيال نفسها تشير الى اتجاه معين : الاسرة الهاشمية وحاشيتها ، اي بمعنى من المعاني : المنافس الاخر على كيان فلسطين او المقتسم الاخر او طرف الاحتكاك المباشر في وجه التحرك الفلسطيني . وبتحديد ادق ظهر العنف الفلسطيني الداخلي مصمما وعنيدا في الحالات التي تضمنت خروجا واضحا على عناصر الموقف العربي او تحديا مباشرا للوجود السياسي الاجتماعي للشعب الفلسطيني .

هل نحن اذا ازاء ظاهرة خنوع وانحلال ام ازاء ظاهرة وعي وتبصر ؟ يدل تاريخ الشعب الفلسطيني انه عرف دائما عدوه وعرف دائما ضخامة عدوه ، ولم يكن ذلك نابعا على الدوام من وعي سياسي نام ولكن من وعي عام — ربما مبهم — بالمأزق الوجودي الذي هوى فيه الشعب الصغير طوال نصف القرن الماضي ابتداء من نهاية الحرب العالمية الاولى . وخلال هذه الفترة كان نضال هذا الشعب يبرز في شكل قمم من النضال المشترك (المشروع) : مرحلة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ . مرحلة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، مرحلة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ . مرحلة ١٩٦٥ — . وقد رافق هذه التحركات العنيفة المشتركة حوادث من الاغتيالات الداخلية غير مستندة الى معيار واضح واهداف متماسكة ، وفيما عدا ذلك كان الشعب الفلسطيني دائما اميل الى تجنب ردود الفعل الانفجارية او حوادث العنف غير الجماعي وغير الهادف . وان عدم توصل هذا الشعب الى نتائج ملموسة حتى اليوم لا ينهض حجة ضد هذه الحقيقة ، ذلك ان التحدي كان دائما اكبر من امكانياته .

ولكن يجب ان لا يتوقع المرء استمرار هذا الضبط الى ما لا نهاية . ومن المستبعد ان تقف المسألة عند هذا الحد لان الظروف السياسية الخاصة للشعب الفلسطيني والظروف العامة للقضية تسير في خط بياني منحدر باستمرار . وان حادثة اغتيال وصفي التل حين توضع ضمن اطارها العام تعتبر مؤشرا لما يمكن ان ينجم عن هذه الظروف السيئة من ردود فعل انفجارية .

ولا يفهمن أحد من هذا الكلام انه يتضمن محاولة لتسويغ الحادثة بحد ذاتها او المرافعة لصالح مرتكبيها . انه محاولة لفهم اصح لطبيعة الموقف . وان هذه المحاولة مطلوبة بوجه خاص من اصحاب الحل والربط في الوطن العربي والا فان الوضع سيتفاقم ويتعقد وقد يتحول الى نهاية فاجعة .

وبوجه عام يمكن تلخيص عناصر الوضع على النحو التالي :

اولا : ان الشعب الفلسطيني بعد الثورة يختلف من نواح كثيرة عن الشعب الفلسطيني قبل الثورة : **فمن الناحية النفسية** : كان الشعب صابرا يترقب ويدبر . اما الان فهو في مواجهة الواقع بكل مرارته وقسوته . كان قبل الثورة مستمرا في دفع ضريبة التخلي القهري وغير المقصود عن الارض ولكنه بعد الثورة حقق التبرئة المنشودة واصبح بامكانه ان يلقي اللوم على الاخرين . ولقد زرعت احداث أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ المرعبة جرحا بليغا في قلبه أعمق من جرح ١٩٤٨ . ليس لانه وقع تحت وطأة ظلم ذوي القربى فحسب بل لان كارثة أيلول حلت به وهو في حالة توقعات كبرى وتفتح وتحفز ووعي .

ومن الناحية السياسية : كان قرار الشعب الفلسطيني في منتصف الستينات ان يتولى بنفسه شق طريق المعركة تحوّلا تاريخيا كبيرا لا يمكن أن يتصور المرء امكان التراجع عنه ، وينتج عن ذلك ان التماسّ مع حكام الوطن العربي ولا سيما على النطاق الاردني الفلسطيني سيتركز حول هذه النقطة وقد تفوق حدته واعتباراته حدة المعركة المنتظرة مع العدو واعتباراتها لسبب بسيط هو اعتقاده ان المعركة نفسها غير ممكنة الوقوع على الشكل الجذري المطلوب قبل تسوية هذه المشكلة .

ومن الناحية العملية : اتصلت اجزاء الشعب المشتت بعضها ببعض وتلاقت وتفاهمت على موجة مشتركة بحيث اصبح يخفق بنبضة واحدة من شأنها ان تتحكم من الان فصاعدا بوضعه العام في الدول العربية المضيفة ، وربما دفعته الى التصرف من خلال المصلحة الفلسطينية المشتركة على نحو قد يخل بالوضع الاجتماعي والسياسي في اقطار عربية كثيرة .

ثانيا : من الضروري جدا ، لصالح الوضع الفلسطيني والوضع العربي في وقت واحد ، أن يستبعد العنف الرسمي كحل لمواجهة العنف الفلسطيني المتوقع . وتقول القاعدة التربوية ان كل ظاهرة تعالج على أساس تحليل مسبباتها . وباختصار يمكن القول ان العنف الفلسطيني ناتج عن الضغط السياسي وتضييق الخناق على الحركة الفدائية ابتداء من احداث أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وما تبعها من اقفال الجانب الاكبر من الحدود العربية للمنطقة المحتلة في وجه الحركة الفدائية . وينتظر المرء ان يزداد العنف الفلسطيني اتجاها الى الداخل بما يتناسب طردا مع ازدياد الضغط . لقد تربى في ظل الثورة جيل فلسطيني جديد ثائر يختلف تماما في موقفه من العالم عن اللاجئين الفلسطينيين الذين استقبلتهم البلاد العربية بعد سنة ١٩٤٨ والذين كانوا يعانون من وطأة الصدمة بشكل جعلهم اكثر طواعية للوضع العربي العام . وان الجيل الفلسطيني الجديد جيل ثوري وعنفي بكل معنى الكلمة ، وهو غير مستعد لان يطيع احدا بما في ذلك قيادته المباشرة بعد أن مارس بنفسه حرارة الكفاح المسلح في الارض المحتلة او الكفاح السياسي على الساحتين العربية والعالمية . وان مواجهته بالعنف سوف تدفعه الى مواقف وتصرفات اكثر خطورة . وكل من يخطر له الشك في هذه القاعدة مطالب بأن يتفهم العلاقة الدياليكتيكية بين عنف الحاكم وعنف المحكوم في قطاع غزة (مع اختلاف التشبيه اختلافا هائلا بين بلد عربي واخر وعدم انطباقه ابدا على اقطار عربية معينة ولا سيما الاقطار المتوجهة بجد لخوض المعركة) . وتقول تجربة غزة أن عنف الحاكم يلقى الان جوابا واحدا من المحكوم وهو مزيد من العنف .

ثالثا : واذن فقد عرف الشعب الفلسطيني طريقه الى العنف بعد سلسلة من التجارب التاريخية المرة ، وهذا العنف حتما في مصلحة المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيوني الامبريالي بل هو ورقة ذات اهمية مركزية في الصراع الذي تتصاعد حدته يوما بعد يوم . ويجب استغلاله وتوجيهه باتجاه المعركة وافساح المجال ليأخذ دوره الفعال والطليعي . ان دوافع العنف الفلسطيني انسانية وسياسية ومسوغة ضمن منطق المرحلة التاريخية ، ورد الفعل السليم تجاهه هو اعطاؤه الفرصة الكافية لكي يتبلور وينظم نفسه ويأخذ مجراه الطبيعي باتجاه العدو المحتل . واذا لم يتم خلق جو من الحرية للعمل الفلسطيني المسلح فان الامر سيؤدي الى نتائج وخيمة على المستويين العربي والفلسطيني . ويقول التاريخ ان الشعوب تصل في ظروف زمنية معينة الى مرحلة الانفجار نتيجة للضغوط التي تمارس عليها وتتخذ هذه المرحلة شكل احتكام كامل الى العنف يسوده جو من (روح الجماعات) تذوب فيه اعتبارات الخوف على المصير الفردي او الجماعي وتظهر فيه اندفاعات من مستوى غير مألوف في الظروف

العادية ، وقد يتاح لهذا العنف نوع من التنظيم والاساس الطبقي او القومي نيكون عند ذلك ثورة ويتخذ الاندفاع شكلا بطوليا ، وقد يتم هذا الاندفاع بشكل عفوي غير منظم وغير واضح الهدف وعند ذاك يتخذ طابع المغامرة الفرديـــة او طابع الفتنة العامة .

ان مشكلة الشعب الفلسطيني اعقد من هذين النوعين فقد مارس هذا الشعب النوع المنظم من العنف وانتهى به الامر الى مجزرة ـــ مأساة أفدح ما فيها انها لم تتم على يـــد العدو القومي المباشر ، وانها استهدفت منعه من ممارسة حقه المشروع في الكفـــاح المسلح ضد الغاصب المحتل ، والى ان يتبلور العنف في شكل جديـــد ادق تنظيما واكثر تحسبا وحيطة فان هناك احتمالا شديدا لظهور مرحلة من العنف الفردي او العصابي غير المنظم ، من شأنها ـــ كما يعلمنا التاريخ ـــ ان تتناول المؤسسات القائمة واصحاب العلاقة المباشرة وغير المباشرة، والمستحقين وغير المستحقين ، وان التداخل الفلسطيني العربي في معظم اقطار المشرق العربي سوف يزيد الامر سوءا ويؤلف جوا مؤاتيا جدا للانزلاق في الفوضى واللا تمييز .

وازاء هذا الاحتمال الذي يبدو للمراقب المدقق غير بعيد لا يلوح في الافق سوى اختيار واحد ، وهو أن تعمل المنطقة العربية على اتاحة فرصة كافية للجيل الفلسطيني الثائر كي ينظم نفسه ويمارس العنف المشروع بحرية ودون تأثيرات وضغوط ، على أن يرافقه تصور عربي مشترك (بقدر الامكان) لمواجهة التحدي المصيري وخوض الصراع الذي لا بد من خوضه .

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

بقلـــم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شعث

من منشورات مركز الابحاث التابع لـــ م. ت. ف. (بيروت)

٥٠٣ صفحات ٥ ل.ل.

احاديث مع قادة المقاومة
حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني

(الحلقة الثالثة)

(١) سامي عطاري
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي

تتابع « شؤون فلسطينية » في هذا العدد لقاءاتها مع بعض قادة حركة المقاومة الفلسطينية ، لمناقشة القضايا الراهنة التي يواجهها العمل الفدائي ، وكانت قد قابلت في اعداد سابقة كلا من الاخوة خالد الحسن ، جورج حبش ، صلاح خلف ، نايف حواتمه . وهي تقابل في هذا العدد الاخ سامي عطاري، امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية واحد المسؤولين الرئيسيين في طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) ، والدكتور عبدالوهاب الكيالي ، احد كبار مسؤولي جبهة التحرير العربية . وستواصل شؤون فلسطينية في اعدادها القادمة نشر لقاءات مع عدد آخر من قادة المقاومة ، حيث يكون القارىء في النهاية امام خريطة واضحة لكافة القضايا المطروحة والردود عليها ، آملين ان يسهم ذلك في توفير الوضوح اللازم لمواجهة متطلبات المرحلة المقبلة من النضال الفلسطيني الذي تكتنفه حاليا صعوبات جمة يلعب فيها الوضوح دورا اساسيا في صمود الجماهير امام هجمات التصفية .

الحديث الاول : مع الاخ سامي عطاري

من المهم لحركة المقاومة الفلسطينية ان تناقش بتوسع قضاياها الراهنة . ولكن من المؤكد ان هذه المناقشة لا يمكن ان تجري بجدية الا على ضوء مناقشة الملامح الاساسية للتجربة الماضية ، ونقاط الضعف فيها . على ضوء ذلك ما هو تقييمكم للقضايا الاساسية التالية :

أ ــ المرحلة السابقة :

الى أي حد نجحت حركة المقاومة في وضع صيغ ملائمة لتحقيق قضية الوحدة الوطنية . وما هي الثغرات الاساسية في التجارب السابقة .

لو عدنا الى قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية السابقة في هذا الصدد واخص بالذكر المجلس الوطني التاسع الاخير لوجدنا ان جميع القرارات التي اتخذت كانت تمثل بالنسبة لنا حدا ادنى قبلنا به وعملنا جاهدين من أجل وضع هذه القرارات موضع التنفيذ الا أننا وللظروف التي احاطت بمجمل مسيرتنا بدءا باحداث جرش والاحراش ومرورا بمؤتمر

جدة وانتهاء بمقتل وصفي التل احداث أثرت جميعها بوضع القيادة السياسية ممثلة باللجنة التنفيذية ، وبالرغم من ان بداية هذه اللجنة كانت بداية أمل وعمل وتطلع الا انه لم يعد خافيا على أحد الاوضاع الحالية التي تمر بها اللجنة التنفيذية مع هذه الاوضاع التي تتنافى مع منطق الحرص على أية صيغة لقاء جبهوي وتتنافى مع منطق جماعية وديمقراطية القيادة . وسبب ذلك يعود الى الفردية لدى بعض فصائل حركة المقاومة ومحاولة الانفراد بالعمل الفلسطيني متجاهلة أبسط قواعد اللقاء الجبهوي . ونأمل ان تنقشع هذه الغيوم ويسود المنطق الصحيح منطق جماعية القيادة .

اما عن التجارب السابقة بدءا من تجربة الكفاح المسلح ومرورا بالقيادة الموحدة التي كانت أثرا من آثار صدام ١٩٧٠/٢/١٠ ، مع السلطات الاردنية وانتهاء باللجنة المركزية ، أريد ان اقول في البدء انها جميعا كانت محاولات على طريق قيام جبهة وطنية ذات برنامج عمل واضح ومحدد او على الاقل هكذا كنا نريد لها ان تكون لان جملة هذه المحاولات كان من الممكن تطويرها وتثويرها لو سادت فيها روح الجماعة الديمقراطية . ولكن الثغرة الرئيسية في جميع هذه المحاولات انها جاءت لهاثا وراء الاحداث والازمات وسرعان ما كانت تنتهي عند نهاية مبرر قيامها أي أن هذه التجارب جميعها كانت وليدة ظروف فرضت نفسها على حركة المقاومة ولم تكن نابعة من وضوح الرؤيا لدى فصائل هذه الحركة او بعضها على الاقل ... فكثيرا ما كان انضمام بعض الفصائل الى هذه الصيغة او تلك وخروجها منها كيفيا وبدافع حماية النفس .

هل استطاعت حركة المقاومة ان تقيم علاقات وثيقة مع الجماهير الفلسطينية على صعيد الحشد والتنظيم والتعبئة السياسية ؟

الجماهير الفلسطينية هي التي اندفعت نحو حركة المقاومة باعتبارها الامل الذي راود هذه الجماهير منذ نزوحها الاول وباعتبار ان الجماهير الفلسطينية التي تلقت سلسلة الضربات تولدت لديها قناعة لا يساورها أدنى شك بأنها يجب ان تحمل السلاح لتقف في الخندق الاول في مواجهة العدو الصهيوني ، على ان الاطلاق هنا ليس المقصود بحد ذاته بل كان هناك الكثير من جماهيرنا الذين اندفعوا نحو حركة المقاومة بدافع ردة الفعل العاطفية من جهة والحقد على الانظمة العربية وعلى النظام الاردني بصورة خاصة من جهة اخرى لانها لم تستطع ان تنتصر في معركة واحدة او حتى أن تفي بوعد واحد من الوعود التي قطعتها على نفسها تجاه شعب فلسطين .

هذا المد الجماهيري لم تستطع حركة المقاومة ان تستوعبه وان تصبه في المسار الصحيح الذي كان ينبغي ان تصب جميع الطاقات فيه وذلك يعود الى ان هناك خلافا بين فصائل المقاومة نفسها على قضايا أساسية كثيرة وعلى جانب كبير من الاهمية ، كرفع شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية ، وطبيعة العلاقة القائمة بين فصائل المقاومة والانظمة العربية وكيف يجب ان تكون ، وعلاقة حركة المقاومة بحركة التحرر الوطني العربية .

الخلاف على هذه القضايا الاساسية بالاضافة الى عدم صدق فصائل المقاومة في طرح وجهات نظرها مع الجماهير وتصوير كل فصيل لنفسه على انه وحده يمتلك الرؤيا الصحيحة ، بالاضافة الى ممارسة عمليات التجريح علنا لبعضها بعضا كان سببا في انفضاض بعض الجماهير الفلسطينية من حولها . على أن أحداث الاردن الاخيرة رغم ضراوة الهجمة وحجم المؤامرات الهادفة الى تصفية الثورة والتي كانت برأي الجماهير الفلسطينية حصيلة ونتاجا لعمل المقاومة اليومي وتخلي هذه الفصائل عن جماهيرها على الساحة الاردنية كان سببا في عملية الانفلاش التي تعاني منها الجماهير اليوم .

وباختصار فان عدم قدرة فصائل المقاومة على الوصول الى برنامج عمل محدد وموحد يمثل الحد الادنى لتطلعات الجماهير الفلسطينية كان سببا رئيسيا في عدم قدرتها على اقامة علاقات وثيقة معها بالمستوى الذي يجب أن يكون .

في العلاقة مع الجماهير الاردنية تخصيصا ، ما هي الخطوات التي انجزت وما هي نقاط الضعف التي برزت ، وساعدت النظام الاردني على استفلال وتعميق النزعات الاقليمية في الاردن ؟

الجماهير الاردنية جزء من الجماهير العربية اندفعت هي الاخرى نحو حركة المقاومة بردة فعل عاطفية اعتقادا منها ان حركة المقاومة هي بارقة الامل التي يمكن ان ترد لامتنا العربية كرامتها بعد ان منيت بسلسلة الهزائم التي كان آخرها هزيمة الخامس من حزيران . على ان الجماهير الاردنية التي تعرضت الى ابشع صنوف القهر من النظام الهاشمي كانت تؤمن ان عملية تحرير فلسطين لا بد وان تكون مرورا بعمان مما يساعدها على الخلاص من نظام حكم عميل متسلط ابتليت فيه . لكن الذي أصاب الجماهير الاردنية هو نفس الذي أصاب الجماهير الفلسطينية حيث شعرت بأن حركة المقاومة بجميع فصائلها غير صادقة بطرح قضاياها امام هذه الجماهير مما جعلها تنكمش شيئا فشيئا . على ان نقطة الضعف الرئيسية هي ان الجماهير الاردنية قد فوجئت بأكبر فصائل حركة المقاومة تطرح شعار عدم التدخل في الاوضاع الداخلية للانظمة العربية ومنها النظام الاردني وهي أي الجماهير الاردنية التي كانت مقتنعة بأن قضية شرق النهر وغربه هي قضية واحدة باعتبارها كانت تشعر باستمرار بأن هناك سلطة غريبة على كاهلها . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان الامر الاكثر خطورة ان الثورة الفلسطينية ايضا ممثلة بأكبر فصائلها قد بنت التنظيمات النقابية والمهنية الاقليمية مما ادى الى تعميق النزعات الاقليمية في الاردن وشل فعاليتها بشرذمتها وهي التي خاضت نضالا طويلا مشتركا ضد النظام اضافة لذلك كله منذ انطلقت الثورة الفلسطينية من فهم خاطىء متجاهلة تاريخ الحركة الوطنية الاردنية ومجمل نضالاتها على الساحة الاردنية ووضعت نفسها بديلا لهذه الحركة حيث ظنت بعض فصائل المقاومة ان العمل المسلح ليس بحاجة الى أرضية سياسية واعية وواسعة مما ادى الى اغفال العمل السياسي واهماله بشكل فاضح في اكثر الاحيان حتى خيل لبعض فصائل حركة المقاومة ان الحركة الوطنية على الساحة الاردنية الفلسطينية لم يعد لها أي دور وخاصة وان معظم فصائل هذه الحركة قد حملت السلاح واخذت تشارك في الكفاح المسلح . جملة هذه الممارسات وهذا الفهم الخاطىء هو الذي ساعد النظام الاردني على استغلال وتعميق النزعات الاقليمية بالاضافة الى كثير من الممارسات الفردية التي كانت تحصل من قبل أفراد اما مدسوسين او اغبياء او جهلة لم يحاسب أي منهم علنا ليكون عظة لغيره وتدليلا على حسن نية حركة المقاومة تجاه الجماهير . خاصة وان معظم هذه الممارسات او ما كان يستغل منها كان يحصل مع الجماهير الاردنية تخصيصا .

وبالرغم من ذلك كله فان حركة المقاومة لم تتخذ حتى الان ما هو كفيل لاعادة الثقة والعلاقة مع الجماهير الاردنية ومن هنا كان اصرارنا على ان تبني الجبهة الوطنية الاردنية بأسس موضوعية وسليمة بعيدا عن وصاية البندقية لانها وحدها الكفيلة برأب الصدع ولئم الجرح لاننا شعب واحد لا شعبان .

كيف ترون علاقات حركة المقاومة مع الواقع العربي ، أنظمة ، وحركات شعبية ؟ هل سارت هذه العلاقات باتجاه يخدم مصلحة الثورة ؟ وما هي اسس العلاقات الثابتة التي تقترحونها تجاه الانظمة وتجاه الحركات الشعبية .

هناك مبدأ ثابت بالاساس حددته المجالس الوطنية الفلسطينية وهو ان معيار العلاقة ما

بين الثورة الفلسطينية واي نظام عربي او اي حركة شعبية تتحدد بما يقدمه هذا النظام او تلك الحركة لخدمة الثورة وقضية تحرير كامل تراب أرض فلسطين .

لم تكن جميع هذه الانظمة تضع امكاناتها وطاقاتها لخدمة الثورة ، هناك انظمة تقدمية عربية كانت ولا زالت تزج بطاقاتها في سبيل استمرار الثورة ، ودعمها وحمايتها، في حين ان بعض الانظمة كانت ولا زالت تسعى لتصفية الثورة بينما بعض الانظمة وقف متفرجا وعلى هذا الاساس فان على الثورة الفلسطينية ان تميز بين من هم معها ومن هم عليها . مع التأكيد على اننا حركة تحرير وطني وهي بالتالي جزء من حركة التحرر العربية التي هي ايضا جزء من حركة التحرر العالمي .

لقد شكلت منظمة التحرير اطار اللقاء لكافة اشكال الوحدة الوطنية . هل لا زال هذا الاطار صالحا لتلبية متطلبات النضال الفلسطيني أم ان هناك حاجة لاشكال تنظيمية أرقى وما هي هذه الاشكال ؟

تعرضنا من قبل للاجابة على هذا السؤال وما اريد أن أؤكده هنا أن ليست التسمية هي المشكلة ومنظمة التحرير اطار يضم جميع الفصائل الرئيسية على الساحة ، وهو اطار كاف ومقبول ومن خلاله كان يمكن تنفيذ كافة مقررات المؤتمرات الوطنية ووضع برامج وصيغ محددة حتى لو مثلت الحد الادنى الذي يمكن أن تتفق عليه جميع الفصائل . ولكن كما قلنا ، المشكلة تكمن في محاولات تسييب هذه المنظمة وشل فعاليتها من خلال تعمد البعض الانفراد والتصرف بعيدا عن جماعية وديمقراطية القيادة . هذا الامر الذي نصر نحن وغيرنا من الفصائل التي عانت من عدم سيادة الروح الصحيحة على أن تأخذ الامور مجراها الطبيعي . وباعتقادنا اننا اذا استطعنا أن نضع الامور في نصابها فان المنظمة ستصبح صالحة لتلبية متطلبات النضال الفلسطيني وهي نفسها قابلة للتثوير والتطوير الى اي شكل تنظيمي أرقى .

ب ــ المهمات الراهنة :

تواجه حركة المقاومة الفلسطينية حاليا المزيد من الاخطار والمتاعب والتي تقتضي تركيزا في العمل والجهد ، ووضوحا اكبر في الموقف السياسي . انطلاقا من هذا الواقع ما هي الوسائل التي ترونها ملائمة لمواجهة المشكلات الاساسية التالية :

المساعي التي تبذل حاليا لانجاح التسوية السياسية . خاصة وان مشاريع التسوية السياسية ، بدأت تأخذ لونا أمريكيا ظاهرا ؟

نحن رفضنا في البداية قرار مجلس الامن واعلنا ولا زلنا بأن طريق الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية هو الاسلوب الوحيد وسواء أخذت هذه المساعي لونا امريكيا او اي لون آخر . فان الهدف الذي ينبغي ان لا تتزحزح عنه المقاومة الفلسطينية هو تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني واستعادة عروبة فلسطين وقد تكون الطريق لتحقيق هذا الهدف طويلة الا ان المقاومة مطالبة بالاصرار عليها مبدئيا وعمليا والتصدي بالعنف الثوري لكل محاولة تستهدف اجهاض نضال التحرير .

ان المساعي التي تبذل حاليا لانجاح التسوية السياسية ترمي الى ايجاد طرف فلسطيني يقبل بهذه التسوية ويزعم تمثيل شعب فلسطين . والمهمة العاجلة التي تواجهها المقاومة هي الحيلولة بشتى الطرق والوسائل دون ايجاد مثل هذا الطرف الفلسطيني ، وفي مقدمة هذه الوسائل استمرار نشاطات المقاومة داخل الارض المحتلة ولو بشكل عمليات منتقاة تستهدف بتركيزها ، على النوع لا على الكم ، اثبات استمرار وجود المقاومة واستمرار الاصرار على تحرير كامل التراب الفلسطيني مع قمع أية محاولة يقوم بها طرف فلسطيني للتجاوب مع المساعي الاستعمارية .

هناك نشاط متصاعد داخل الضفة الغربية بشكل خـاص ، لاشراك طرف فلسطيني في التسوية السياسية ، عن طريق رفع شعارات مثل الكيان الذاتي او الدولة الفلسطينية. كيف ترون ان على الثورة مواجهة هذه القضية ؟

التحركـات الغربية والمشبوهة التي تشهدهـا الضفة الغربية ، ليست جديـدة على الاطلاق ، ولكنها كانت تجري في الماضي وقبل عملية الصدام مع النظـام الاردني همسا وبسرية ، لان رؤوس هذا التحرك لم يدخلوا باب العمالة حديثا ، بل اتجروا في القضية منذ زمن . لكن علنية التحـرك الان أملته عوامل عدة لعل من اهمهـا وأبرزها ضرب المقاومة على الساحة الاردنية من جهة ، وارتماء النظام الاردني في دوامة الحلول واعلانه عدم استعداده لدخول أية معركة مقبلة مـع العدو الصهيوني . هـذه العناصر أيضا أصبحت تتلقى اليوم كل اشارات الضوء المشجعة من اسرائيل وأمريكا لان الاستعمـار يدرك اهمية توقيع الفلسطينيين انفسهم على وثيقة الصلح والاستسلام . هذه العوامل جميعها مجتمعة أعطت الفرصة لهؤلاء بالتحرك بالاضافة الى الشعور الذي بدأ يسود في أوساط الفلسطينيين بأن حركة المقاومة التي منيت بسلسلة التراجعات عاجزة الان عن حزم أمرها ومواجهة المعضلات التي تعترض مسيرتها . وباعتقادي ان اية مواجهة لهذا التحرك لا يمكن أن تتم باعلان الرفض المجرد من هذه الجهة أو تلك بل لا يمكن أن يكون الا بزيادة الحشد والتنظيم والتعبئة السياسية لصفوف الفلسطينيين ضمن برنامج عمل واضح ومحدد يمثل على الاقل الحد الادنى الـذي يمكن أن تلتقي عنده فصائـل حركة المقاومة . وباعتقادي أن الاستمرار في السكوت والاسترخاء في هذه المرحلـة الدقيقة وعملية تمييع الامور لا يمكن أن يكون الا في خدمة هذا التحرك . على ان هنـاك نقطة جوهرية يجب ان ترافق باستمرار عملية الحشد والتعبئة السياسية وهي التوجه فورا وبكل القوى المتوفرة لدى حركة المقاومة لتصعيد عملها العسكري في عمق الارض المحتلة لكي ترتبط الجماهير المعبأة سياسيا بالبندقية القادرة على حمايتها وعلى بقائها مشدودة اليها بأمل التحرير .

في ظل حالة الانحسار التي يواجهها العمل الفدائي منذ ايلول ١٩٧٠ ، وفي ظل التحـرك المضاد لتشويه الموقف السياسي الفلسطيني من قبل القوى اليمينية الفلسطينية ، كيف تنظرون لقضية العمل العسكري في الاراضي المحتلة ووسائل تصعيده ؟

بعد مجازر ايلول الاخيرة في الاردن وبعد الانحسار الذي تلا هذه الاحداث بدأ التحـرك المشبوه لليمين الفلسطيني العميل علنا من أجـل التوقيـع على وثيقة الاستسـلام . وباعتقادنا أن اسلوب المواجهة الوحيـد هو أن تحزم الثورة الفلسطينية أمرها كما قلنا بزيادة الحشد والتنظيم والتعبئة من جهة ومن جهة أخرى أن تتصدى الى تعزيز وتصعيد عملها العسكري في الارض المحتلة ، هذا التصعيد يتطلب منا بالدرجة الاولى توحيد البؤر الثورية داخل الارض المحتلة وتعزيز صمود وبطولة ابنائنا وثوارنا في غـزة البطلة . ان هذا هو الطريق الوحيد باعتقادي للوقوف بوجه اليمين العميل وتفويت الفرصة عليه.

لمواجهة كل هذه القضايا ما هو نمط العلاقات المطلوبة ، على صعيد المنظمات فيما بينها ، وعلى صعيد المنظمات والواقع العربي ، لوضع خطة عمل قادرة على تقديم علاج ثوري لكافة القضايا المطروحة سابقا ؟

لا شك أن النمط المثالي للعلاقات المطلوبة بين المنظمات ببعضها بعضا هو ذلك النمط الذي واجهته شعوب أخرى مارست نضال التحرير ونقصد بذلك التقاء القوى الوطنية ضمن جبهة وطنية بقيادة حزب تقدمي ثوري .

لكننا هنا نستطيع القول انطلاقا من التجربة الفلسطينية في محاولة تحقيق الوحدة الوطنية

وما آلت اليه هذه التجربة ، انه كان بالوسع الاستفادة من تلك الخطوط التي رسمها المؤتمر الفلسطيني الاخير ، لو توفرت النية لدى جميع الاطراف المعنية على تجسيد الوحدة الوطنية تجسيداً عملياً ملتزمة بمبدأ وضع الشخص المناسب في المكان المناسب . وتلافي ما يجره التعصب التنظيمي من نتائج . هذا التعصب الذي قاد الى محاولة البعض الانفراد في التصرف ومحاولة احتكار العمل والسيطرة عليه مما الحق اشد الضرر ليس فقط بالوحدة الوطنية ولكن أيضا بروح هذه الوحدة . بالاضافة الى ذلك كان ينبغي ان تتلو الحدود الدنيا من اللقاء التي حققها المؤتمر الوطني الاخير جهود صادقة للوصول الى وضع دليل نظري للثورة الفلسطينية تلتقي من حوله جميع فصائلها ويحدد خطواتها السياسية التكتيكية والاستراتيجية الا أن أية محاولة من هذا القبيل لم تجر حتى الان مما ادى الى استمرار واقع التعدد على الصعيد النظري وعلى صعيد الممارسة العملية وبالتالي فان تجاوز الوضع الراهن يقتضي على الاقل الالتقاء حول دليل نظري ثوري وبرنامج للعمل الثوري يحددان علاقات موضوعية داخل اطار الوحدة الوطنية تختفي فيها روح الاثرة ورغبة السيطرة والتنافس ليحل محلها التنسيق الفعلي بين القوى وتوجيهها في المسار الصحيح. اما على صعيد علاقة المقاومةبالواقع العربي فاننا نعتقد ان هذه العلاقة يجب أن تتحدد وفق الاسس التالية : ــ ١ ــ ان حركة المقاومة هي حركة تقدمية بطبيعتها وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من الحركة التقدمية العربية ، ٢ ــ ان ساحة العمل الاساسية للثورة الفلسطينية هي الساحة الفلسطينية ويجب أن لا تشغلها اي مهمات أخرى عن ممارسة نضالها في هذه الساحة . ٣ ــ لكن ذلك لا يعني أن تجرد حركة المقاومة الانسان الفلسطيني كمواطن عربي من حقه في ممارسة النضال العقائدي على الساحة العربية . ٤ ــ تلافي المعارك الجانبية مع الانظمة العربية لان من شأنها تبديد طاقات الثورة الفلسطينية واشغالها عن ممارسة مهمتها الاساسية لان هذه المهمة على أهميتها هي من مهام الحركة الوطنية العربية في مختلف اقطارها ولا ينبغي لحركة المقاومة أن تحل نفسها محل هذه الحركات ولكن حركة المقاومة مطالبة في الوقت ذاته بأن لا تسمح لنفسها بممارسة اي دور على الصعيد العربي من شأنه ان يشل او يحد من قدرة قوى الثورة العربية على انجاز مهمتها . ٥ ــ وأخيرا فان علاقة حركة المقاومة الفلسطينية بالانظمة العربية تحدد بمقدار ما تقدمه هذه الانظمة لها من دعم وتأييد .

بشكل خاص ما هي المهمات الراهنة المتعلقة بموقف حركة المقاومة في الاردن (النظام ــ الخط السياسي تجاه النظام ــ الجبهة الوطنية الاردنية) والتي يمكن تنفيذها العمل الفدائي من الاستمرار في القتال باتجاه العدو الاسرائيلي ؟

لا شك أن الاجابة على هذا السؤال هي من اكثر المسائل التي تواجهها الثورة الفلسطينية صعوبة ، ففي الوقت الذي كانت فيه محادثات جدة مستمرة ، تلك المحادثات التي قبلنا أن نذهب اليها ، وذهبنا اليها صادقين ومخلصين ، لاننا نعتبر أن الساحة الاردنية هي المنطلق الرئيسي لحركة المقاومة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان أية قيادة عليها أن تتعايش بين جماهيرها لا أن تبتعد عنها وتقودها من الخارج كما أن تواجدنا في الاردن على خط المجابهة يسهل علينا عملية الاتصال بشعبنا في الارض المحتلة ، وقد بذلنا من اجل ذلك جهودا صادقة رغم كل ما لقيناه من عدم صدق من قبل وفد النظام الاردني الذي اخذ يراوغ ويميع ويؤجل حتى انتهى الى قراره المعروف ، ودون أن تعود المقاومة الى الاردن ، فأصبحت المقاومة الان أمام السؤال الاساسي التالي : اذا لم تكن هناك امكانية للعودة السلمية الى الاردن فما مدى امكانية العودة بأسلوب آخر ؟؟ ان هذا الاسلوب الاخر قد يقود المقاومة الى زج جميع طاقاتها في معركة طويلة الامد مع النظام الاردني بدلا من زج هذه القوى في معركة طويلة الامد ضد العدو الصهيوني وهي نتيجة يطمع العدو الصهيوني دون شك للوصول اليها خاصة وانها ستضمن على الاقل عزل واشغال

مليون ومائتي الف عربي فلسطيني يقيمون في الضفة الشرقية، كما اتضح من الاحصاءات الاخيرة من الاردن ، أي ما يقارب نصف الشعب الفلسطيني .

من ناحية ثانية فان الجهود التي بذلت لانشاء جبهة وطنيـــة اردنية تضم كـــافة القوى الوطنية في الاردن وتضع على هذه القوى مسؤولية النضال من أجل قيام حكم وطني في الاردن يؤمن في المستقبـــل القريب أو البعيد عودة المقاومة الى الساحـــة الاردنية ، قد تعرض لمحاولة الاجهاض بانشاء جبهة شكلية تحمل لافتة الجبهة الوطنية الاردنية وتختفي وراء البندقية دون أن تضم القوى الوطنية في الاردن ، وهذا تكريس آخر للفهم الخاطىء الذي وقعت فيه المقاومة قبل ايلول الاسود ، ويبرز من خلال هذا التحليـــل ، أن انشاء جبهة وطنية اردنية حقيقية ، يظل في الظروف الراهنة مطلبا أساسيا قابلا للتحقيق .

ج ــ اسئلة خاصة بالصاعقة :

نريد في هذه الاسئلة ان نكون صريحين ، وهدفنا تسجيل الملاحظات الاساسية التي تقال كاتهام للصاعقة حتى يمكن الرد عليها بجدية وثورية . وأبرز هذه الاتهامات :

الصاعقة ، هي نتاج حزب قومي ناضل طويلا لقضيتي الوحدة والاشتراكية . هذا التراث النضالي كـــان قادرا على ان يمكن الصاعقة من ان تلعب دورا قياديـــا بارزا في ساحة النضال الفلسطيني ، الذي حصل ان الصاعقة مثلت دائما رديفا لحركة فتح ، واذا كانت لها انتقادات على ما هو سائد ، فهي لم تعمل على اساس طرحه وتجاوزه ، فساهمت بذلك في ابقاء نقاط الضعف في العمل الفلسطيني على حالها . هل ترون هذه الرؤيا لدور الصاعقة منصفة ؟

من المسلم به أن الصاعقة في ولادتها كانت ولا زالت تمثل نتاج حزب قومي ناضل طويلا من أجل قضايا الامة العربية وأمانيها العريضة . وكـــان من الممكن أن لا تكون منظمة الصاعقة على الساحة لولا أن القناعة اكتملت لدى قواعـــد الحزب بضرورة قيام منظمة فدائية تقدمية الاتجاه قومية النزعة يسارية المفاهيم والعقلية والاسلوب قادرة بالدرجة الاولى على استيعاب كافة المناضلين التقدميين في الوطن العربي وزجها في المعركة لكي تملأ الفراغ القاتل الذي كانت تعاني منه الساحة الفدائية ومبرر ذلك أن منظمة الصاعقة تمتلك اساسا ارضية نضالية من خلال دور الحزب التاريخي والعريق ونضاله على الساحة العربية . هذه الارضية وهذا التراث كـــان من الممكن أن يعطي الصاعقة دورا قياديا بارزا في ساحـــة النضال الفلسطيني . وولدت الصاعقة وهي تمتلـــك كل هـــذه المقومات . لكنها لم تكن وحدها على الساحة كانت هناك فصائل أخرى ليس من الانصاف اطلاقا أن ننكر وجودها وحجمها ومن غير المستطاع تجاوزها . ولما كان الهدف الاساسي من تشكيل نواة المنظمة هو كما ذكرنا استيعاب الطاقات الجماهيريـــة العربية التقدمية وزجها في المعـــركة تلك الطاقات التي لم تكـــن الفصائل القائمة آنذاك قادرة علـــى استيعابها . لذا كانت الطلائع تحاول باستمرار أن تبني علاقة ودية مع بقية فصائـــل المقاومة وخاصة فتح من خلال قناعتها المطلقة بأنها لا تستطيع وحدها أن تقود وكذلك لا يمكن لاية منظمة فدائية أخرى أيضا أن تقود وحدهـــا . وكنا ننطلق باستمرار من أجل العمل على قيام جبهة وطنية ذات برنامج عمل محدد وواضح . ومن الحرص على هـــذا الهدف الكبير كان حرصنا باستمرار على بقاء العلاقة مع فتح وتطويرها باتجاه الافضل لان حركة فتح كانت أساسا بالنسبة للحزب ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي رعاها وقدم لها كل عون ، كانت تمثل شيئا قائما وموجودا . وكان الحزب حريصا على استمرارها ، ولم يكن ميلاد الصاعقة اطلاقا بديلا لحركة فتح بل كان دعما لها واستيعابا للثغرات التي تعتورها ونقاط الضعف التي كانت تعاني منها الساحة الفدائية . هكذا كان يرى الحزب . ومن هنا كان الحزب يتصور ان أية عملية حوار من خلال قوتين

اساسيتين موجودتين على الساحة الفدائية تلقيان من الحزب روح الحرص والدعم كان من الممكن ان يعطي ثمارا ايجابية اكثر بكثير من بقاء مناضلي الحزب داخل صفوف حركة فتح . ناهيك عن الاخطار التي كان من الممكن ان تنجم عن استمرار هذا البقاء .

ولم ينقطع الحوار مع فتح يوما . بل كان معها ومع الديمقراطية الشعبية مفتوحا باستمرار — وان لم يكن مقطوعا مع غيرهما — رغما عن اختلاف نظرة الحزب لكل من المنظمتين . وكثيرا ما اثمر هذا الحوار واعطى على الصعيد النظري صورة افضل للمستقبل ، لكنه ككل قرار او تصور نظري يبقى في حدود النظريات . وللحقيقة ان حركة فتح كثيرا ما كانت تطمع في هذا الفهم .

على ان قواعد الصاعقة كثيرا ما كانت تتمرد على استمرار اللقاء الذي لم يعط ثمرة واحدة لانها كثيرا ما كانت توعد من قيادتها بآمال افضل وبالتوصل الى صورة مرضية وتصور للقواعد ان حركة فتح قدمت تنازلات معينة ومحدودة تمثل بالنسبة لقواعد الصاعقة حدا ادنى يمكن القبول به .

ولنكن صريحين اكثر وخاصة في هذه الفترة بالذات التي لم تعد تحتمل الا مصارحة الجماهير بكل شيء . لقد تجاوزت قواعد الصاعقة قيادتها في اكثر من تصور حتى انها طرحت علنا اثر الخلاف مع فتح في اوائل عام ١٩٧٠ اللقاء مع يسار المقاومة مهما كانت اخطار محورة العمل الفلسطيني ، وبالفعل فقد تم اللقاء مع كل من الجبهة الشعبية (جورج حبش) والشعبية الديمقراطية وقوات الانصار في قائمة تقدمية علنا ضد قائمة حركة فتح في انتخابات اتحاد عمال الاردن كما تكررت صورة مماثلة في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع دمشق . في الوقت الذي كانت فيه قيادة الصاعقة تتفق مع حركة فتح على صيغة او اخرى واكثر من ذلك كله ان القواعد اصرت على موقفها ونفذت ضاربة بكل الاوامر والتعليمات التي صدرت اليها من قيادتها عرض الحائط (موقف عاشته الفصائل الاخرى) .

هاتان الحادثتان من جملة حوادث كثيرة يمكن التعرض لها . ولعل عمليات الصدام مع النظام الاردني في اكثر من منطقة باللقاء مع يسار المقاومة بعيدا عن تعليمات القيادة من خلال تجاوز قواعد المنظمة وعدم تسليمها بالفهم الخاطيء لعملية الدفاع عن النفس واللهاث وراء الاحداث وشعارات عدم التدخل ، ادلة اخرى تؤكد عدم اللقاء في بعض الظروف والمراحل السابقة .

صحيح ان تمرد القواعد مع كل ادراكها مسبقا على عدم جدوى الحوار جاء متأخرا ولكنه يبقى حقيقة يجب ان تقال . على انه ليس من الانصاف أن نقول ان الصاعقة وحدها اسهمت في استمرار نقاط الضعف لكن مجمل فصائل حركة المقاومة اسهمت بنسب مختلفة في استمرارها نتيجة لعقدة الثورة الفلسطينية نفسها والكامنة اساسا في العصبية التنظيمية لدى كل فصائلها . تلك العقدة التي لا زالت تشكل سببا من اسباب عدم قدرة الثورة على مواجهة ازماتها .

يلاحظ ان منظمة الصاعقة لم تعط للجانب السياسي والجماهيري من النضال المسلح الاهمية التي تستحقه ، وبقيت لذلك ضعيفة التاثير في الحركة اليومية للعمل . هل توافقون على هذا التصوير ، وما هي اسبابه ؟

عندما نقول وعندما يسلم معنا الجميع بأن الصاعقة هي نتاج حزب قومي مناضل تاريخيا ، وقبل ميلاد حركة المقاومة بما يقارب ربع قرن من الزمن حزب له جذوره وله جماهيره يدرك ان في صيغة السؤال مغالطة . ولعل المغالطة لا تكمن فقط في التغني بتراث الحزب ونضاله فحسب بل ان الصاعقة التي جاء ميلادها متأخرا على الساحة

الفدائية استطاعت أن تلف حولهـا من الجماهير العربية ما لم يستطعه أولئـك الذين سبقوها . على ان هناك نقطة هي علـى جانب كبير من الاهمية وهي ان الصاعقة منذ الساعات الاولى لولادتها كانت تعتمد النوع لا الكم . اما عن مدى تأثيرها على الحركة اليومية للعمـل ، فقد كانت الصاعقة بمعرفة الجميـع على الساحة الفدائية والساحة العربية بأسرها فاعلة بنسبة أكثر بكثير من عمرها الزمني ، لكن الصاعقة لم تبتل بمرض الاعلام المهوش والمشوه للحقيقة .

ولكي نضع أصابعنا على الحقيقة يكفي العودة الى تقارير المنظمات الفدائية التي كان لها تواجد في معارك أيلول علـى الساحة الاردنية لنرى ان الصاعقة كانت تمثل قاسما مشتركا للتواجد على ساحة القتال والدفـاع عن الثورة ، وهذه الفصائل وجماهيرنـا بأسرها تعرف أن الصاعقة قدمت في عمان وحدها ثلاثة وتسعين رفيقا شهيدا على مذبح الدفاع عن بقاء الثورة الفلسطينية ، كل هؤلاء من صفوف الحزب والعاملين في ميليشيا الصاعقة من جماهيرها . لذا فاننا مع كل حرصنا على اعطاء الحقيقة نرد هذا التصور الخاطىء بهذه الحقائق والارقام البسيطة والمتواضعة .

التصور السائد ان الصاعقة كانت تمتلك امكانيات عسكرية مرموقة ، ولكن فعالية عملكم العسكري لم تكن بمستوى امكانياتكم . ويقال بان هذا مرتبط بضعف الجانب السياسي والجماهيري من عملكم . ما هو رأيكم ؟

التصور السائد هنا ينطلق في الحقيقة من فهم خاطىء أساسا ومن تصور خاطىء ايضا من خلال تسمية اراد البعض تكريسها ، هـذه التسمية هي « الصاعقة السورية » . هؤلاء كانوا يتصورون أن امكانيات الصاعقة العسكرية والمرموقة هي امكانيات الثورة في القطر العربي السوري . هذا التصور في الحقيقة عانينـا منه كثيرا وهو يعود الى التضليل والتشويش الاعلامي الـذي مارسته بعض الصحف والاذاعات والمؤسسـات الرجعية. وهذه الحملة التي رافقت بداية دخول قواتنا وتمركزها على ساحات القتال مع العدو . الغاية منها ليس اكثر من اغراق الانظمة العربية وخاصة القطر العربي السوري بتهمة التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية المعينة والتي كانت تبحث عن ذريعة لتصفية حركة المقاومة .

والحقيقة هي ان المنظمة نشأت بعد تبلور القناعة لدى قواعد الحزب ، وقد أسهبنا في هذا المجال طويلا ، ومن الطبيعي أن يبقى الحزب العمود الفقري للمنظمة التي ضمت في صفوفها خيرة الشباب العربي التقدمي واللامنتمي لصفوف الحزب .

اما علاقة المنظمة بالحكـم في سوريا فلم تكن يومـا كما أرادت هـذه الاجهزة المعادية تصويرها ، وليست هناك أية علاقة بين الصاعقة ودوائر الدولة في سوريا أكثر مما بين بعض الفصائل الاخرى وهذه الدوائر وجميع مشاكلنا واحتياجاتنا تحل عن طريق مكتب العمل الفدائي في قيادة الحزب .

اذن فهذا التصور مبني أساسا على حملة تهويش وتشويه خاطئة جرت البعض الى أن يتصور ان امكانيات الصاعقة العسكرية هي امكانيات دولة وان فعاليتها لم تكن اطلاقا بمستوى امكانياتها . ولو سلمنـا بالفهم الخاطـىء لقلنا صحيح . ولكن الحقيقـة ان امكانيات منظمة الصاعقة العسكرية لم تصل على الاطلاق في يوم من الايام الى امكانية أكبر فصائل المقاومة بل كانت دونها بكثير ، لهذا كان تواجدها وفعاليتها العسكرية أكثر بكثير من امكانياتها العسكرية ، وفي كثير من الاحيان ، وخاصة عملياتهـا في عمـق الارض المحتلـة . وليست معركة كفرشوبا ببعيدة عن أذهاننـا ، ولا معركة خسفين وبطولات رفاقنـا واستشهاد سعد معاذ بطل هـذه المعركة واحد القادة المعروفين في

المنظمة ولا معركة العرقوب التي قادها الرفيق البطل الشهيد الاخضر العربي الا مرآة حية تعكس صفاء صورة فعاليتنا . ناهيك عن كثير من العمليات في عمق الارض المحتلة التي قام بها مناضلو الصاعقة وانتحلتها منظمات فدائية أخرى ونسبتها اليها وبقينا صامتين مثل المعركة البطولية التي خاضها رفاقنا ضد مبنى المخابرات الاسرائيلية في قلب مدينة رام‌الله والتي قتل فيها مدير مخابرات العدو .

اما عن ارتباط هذا الضعف بما سمي بضعف الجانب السياسي والجماهيري من عملنا فهو منطق مغاير اطلاقا للحقيقة فالمقاتل في الصاعقة يعي تماما لماذا يحمل بندقيته لانه قبل كل شيء ابن أمة تدافع عن قضيتنا وعن امانينا العريضة في الوحدة والحرية والاشتراكية . عقل يحمل بندقية دفاعا عن الارض والانسان .

اثار موقف الصاعقة من قضية مقتل وصفي التل دهشة شعبية واسعة . لان نقدكم للعملية لم يتركز حول جدوى هذا الاسلوب في العمل الثوري ، وهذه قضية مطروحة للنقاش دائما . بل تركز نقدكم حول ادانة العمل بالاساس . ما هو رأيكم ، وكيف تبررون هذا الموقف ؟

لم يكن للصاعقة موقف من قتل وصفي التل يثير الدهشة اطلاقا ، ولم تتصد الصاعقة لنقد عملية مقتل وصفي التل رغم أن هذا الاسلوب بالنسبة للحزب مدان وغير مقبول ، ولكن الصاعقة وقفت من عملية اغتيال وصفي التل موقفا خاصا علميا وموضوعيا لما يمثله وصفي التل من ارتباط وماض حافل بالعمالة والارتباط بعيدا عن العواطف والمزاودة ولكن الاجهزة المشبوهة حاولت ان تصور للصاعقة موقفا كما حلا لها ان تصوره طمعا في استغلاله ليس الا . ولكن الصاعقة كفصيل مشارك في مسيرة الثورة الفلسطينية ترى أن من حقها التساؤل فيما اذا كان هذا الاسلوب هو خط الثورة أم لا ؟ ومن الذي يقرر هذا الخط ؟ ان الصاعقة ترى أن من مصلحة الثورة عدم الانفراد بمثل هذا العمل الذي يمثل بحد ذاته مسارا جديدا للثورة الفلسطينية بعيدا عن جماعية القيادة ، ونحن نؤمن بأن وصفي التل لا يمكن ان ينتهي الا بمثل هذه النهاية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان

دراسة في القانونين المحلي والدولي

بقلم

انيس فوزي قاسم

١٧٣ صفحة ٢ ل.ل.

الحديث الثاني : مع الاخ الدكتور عبد الوهاب الكيالي

نعتقد أن حركة المقاومة بحاجة الى وقفة امام تجربتها الماضية لتتمكن من تحديد الاخطاء ونقاط الضعف بهدف تجاوزها والارتفاع الى مستوى التحديات الحالية، فما هي القضايا التي ترى أنها جديرة بتركيز الاضواء عليها ؟ وما هو تحليلك لها ؟

في رأيي ان المقاومة عانت من ازمتين رئيسيتين الاولى هي الازمة الموضوعية ، اي أزمة فكرها الاستراتيجي العام ، والرؤيا الكاملة في تشخيصها لطبيعة الصراع القائم ، وفي فهمها لطريق النضال والارتفاع الى مستوى المعركة . فالمقاومة من حيث شرارتها ، ومن حيث مركز الثقل الاساسي فيها في المرحلة الحالية هي عبارة عن ردة فعل وتمرد ورفض للاوضاع العربية العامة ولواقع ازمة الثورة العربية ، أزمة حركة التحرر العربي التي تمثلت في القوتين الاساسيتين فيها واعني بهما عبدالناصر وحزب البعث العربي الاشتراكي . لقد ادركت المجموعة التي شكلت نواة المقاومة في مرحلة مبكرة ان قوى حركة التحرر العربي كانت شبه منصرفة عن معركة تحرير فلسطين ، اذ لم تكن هذه القوى في نضالها العام ضد الاستعمار وفي سبيل تحقيق التحرر الوطني والوحدة العربية في مستوى فهمها لمركزية القضية الفلسطينية في القضية العربية واحجمت عن خوض نضال خاص وكفاح يومي مسلح من اجل تحرير فلسطين . ولم تدرك اهمية النضال اليومي المسلح ضد الوجود الصهيوني في فلسطين ودوره الاساسي في تحقيق اهدافها الشاملة . ان هذا النقص الاساسي في حركة التحرر العربي يبرر الى حد ما قيام ردة الفعل الفلسطينية متمثلة بالمقاومة ، ولكن ردة الفعل هذه لا تشكل ثورة بحد ذاتها . التمرد ليس ثورة وان كان يشكل في كثير من الاحيان الارضية الصالحة لها . ومن هنا كانت بدايات المقاومة بدايات صحيحة ، ولكنها ليست كل الجواب المطلوب . لان ردة الفعل هذه تنكرت لايجابيات تجربة حركة التحرر العربي في ربع القرن الاخير وبالتالي فقدت منذ قيامها الكثير من امكانيات تطوير التمرد وردة الفعل الى ثورة شاملة قادرة على فهم استراتيجية التحرير وتعبئة القوى الكفيلة بانجاز مهام التحرير . كما انه من الضروري الاشارة الى ان هذا العامل الموضوعي الاساسي ارتبط منذ البدء ببعض البنى التكوينية وببعض الاشخاص وببعض الخلفيات . بحيث ان هذه الشرارة اغفلت ضرورة استيعاب تكامل وتفاعل الصراع القومي مع الصراع الاجتماعي من اجل تحرير الانسان الذي سيتولى مهمة تحرير الارض . وهكذا فان جوهر حركة المقاومة الموضوعي ، اي طبيعة المقاومة واثرها الفعلي في الاوضاع العربية ، هو اكثر سلامة واعمق ايجابية من منطلقها النظري ، وان كان لبعض الفصائل منطلقات نظرية سليمة .

هنا في الواقع ننفذ الى الازمة الثانية ، وهي الازمة الذاتية في المقاومة ، ازمة طبيعة القيادة ، طبيعة تجاربها الشخصية ، طبيعة خلفياتها العقائدية والطبقية ، وهذه بمجملها تشكل ازمة لان قيادة معركة تحرير فلسطين ليست بالامر اليسير وليست بالامر المتيسر للعاديين من البشر بل هي مهمة تليق بالقيادات التاريخية للشعوب ، وهذه القيادات بدون تحامل وبدون ادنى محاولة للتقليل من نضاليتها ليست تاريخية ، وقد اثبتت انها لا تستطيع أن تقود المعركة ، انطلاقا من الخطأ الاساسي المتمثل في فهمها لطبيعة الصراع ومعادلة التحرير ، وانطلاقا من أن تجاربها الشخصية قد ولدت لديها « حولا » هاما بحيث انها لم تستطع أن تستوعب معنى النضال الجماهيري العربي ضد الاوضاع الفاسدة القائمة في الوطن العربي والترابط المكين بين هذا النضال ومهمة تحرير فلسطين . ثم هناك مسألة التعدد والمنافسة . لقد افسحت

طبيعة الاوضاع القائمة في البلاد العربية المجاورة، ووضع شعب فلسطين المشرد الموزع، والتناقضات القائمة بين صفوفه وطبيعة قصر نظر ومحدودية الرؤيا عند بعض القيادات، افسحت المجال أمام التعدد . والتعدد ليس شيئا خارقا للطبيعة، ولكن المشكلة انه سمح لهذا التعدد ان يتحول الى منافسة غير موضوعية وضارة بحيث اخذت المنظمات تنحو ممارسات خاطئة بهدف المنافسة ، وبهدف المزاودة والمناقصة ، بحيث صرف الكثير من الجهد في هذا المجال ، عوضا عن ان يصرف في مجالات مقارعة العدو وتعبئة الجماهير وتنظيم القدرة الذاتية للمقاومة وزيادتها. المسألة اذن بحاجة الى مراجعة شاملة وجذرية، لا للاخطاء الثانوية ولا للممارسات العابرة بل لطبيعة منطلقات هذه المقاومة وفهمها لقواها وعمقها ومداها ، والاجابة على الاسئلة الاساسية: كيف يكون التحرير ؟ بواسطة من يكون التحرير ؟ ومتى يكون التحرير ؟ بدون الاجابة عن هذه الاسئلة لا نستطيع ان نبدأ الطريق الصحيح ، وتظل المقاومة اسيرة فهمها المحدود اسيرة نواقصها التي عانت منها ولا تزال .

الاسئلة الثلاثة التي طرحتها في نهاية حديثك ، ما هي الخطوط العامة المكونة لها ؟

اعتقد ان المسألة تبدأ بالسؤال : ما هو التحدي الصهيوني في فلسطين ؟ ما هي طبيعة التحدي الصهيوني في فلسطين ؟ وللاجابة على ذلك اقول ان التحدي الصهيوني في فلسطين هو ذروة المحاولة الاستعمارية للسيطرة على المنطقة العربية بأسرها عن طريق اخضاعها لمشيئة حامية صهيونية مسلحة متقدمة ، تمنع قيام الوحدة العربية وتمنع تحرير الجماهير العربية في سياق نضالها من أجل تحررها الذاتي ومن اجل وحدتها القومية . هذا هو الاطار الاساسي للصراع . وعندما يكون فهمنا للاطار الاساسي بهذا الافق التاريخي ، يتحدد الجواب على كثير من الاسئلة . المقصود بالاحتلال هو الجماهير العربية بأسرها ، جماهير الامة العربية بأسرها . وان يكون الشعب العربي الفلسطيني هو الضحية المباشرة ، لا يعني ان هذا الشعب هو الضحية الوحيدة المستهدفة . بقدر ما نفهم ما هو المقصود من هذه المؤامرات الاستعمارية او بهذا التحدي الاستعماري بقدر ما يحمل جوابنا على التحدي نفس الصفة التاريخية لهذا التحدي ، اي اننا اذا قلنا ان المقصود بالمؤامرة هي الجماهير العربية فمعنى ذلك ان الاستعمار قد حشد ما يكفي وسوف يحاول دوما ان يحشد ما يكفي لمواجهة رد فعل الجماهير العربية على هذا التحدي . وبالتالي فان اي محاولة او اي فهم يقول بأن المقصود هم الفلسطينيون فقط ، او هم بشكل رئيسي ، معنى ذلك ، اننا سنعتمد في ردنا على التحدي على الفلسطينيين دون سواهم من الناس ، ومعنى ذلك اننا سنظل نلهث وراء قيام ما أسميه بمعادلة التحرير . معادلة التحرير باختصار وببساطة تكون قائمة عندما نحشد من القوى والامكانيات ما يفوق ما حشدته القوى المعادية في حربها معنا وذلك على المدى الطويل . ان القوى المعادية هي الاستعمار ، زائدا الصهيونية زائدا كل القوى العربية الرجعية منها والمستسلمة التي تتحرك ضمن فلك هاتين القوتين . مقابل ذلك لا يمكنك ان تضع الشعب الفلسطيني كمعادل ومساو لهذه القوى العالمية الكبيرة ، ان العنصر الاساسي في المعادلة من جهتنا نحن هو جماهير الامة العربية بأسرها ، وان هذه الجماهير هي وحدها القادرة بدعم من جميع قوى التحرر في العالم على مواجهة هذا التحدي . ولكن هذا لا يلغي في رأيي دور الشعب العربي الفلسطيني كطليعة لتفجير قوى الجماهير العربية ، وللمزيد من تحديد مسارها الجاد ازاء طريق التحرير لاسباب بشرية وجغرافية وتاريخية ومنطقية . الجماهير الفلسطينية هي رأس الرمح اما الرمح فهو الجماهير العربية . ان هذا الفهم يجيب في رأيي على الكثير من الاسئلة بل على معظم الاسئلة .

الموضوع في الاساس هو كيف تستطيع ان تفجر الطاقات العربية وان توجه مسيرة التاريخ العربي المعاصر نحو التحرير من خلال التوجه الى المقاومة ، مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين ، المسألة انه حتى تتحرر فلسطين ، لا بد من ان يتحرر الانسان العربي ويصبح عنده ما يكفي من الوعي والقدرة والامكانية ، من حيث التنظيم ومن حيث الفكر ومن حيث الانتاج ومن حيث تحرير العلاقات الانسانية . وعندها يصبح قادرا على تنفيذ ارادته في تحرير فلسطين ، فعملية التوجه نحو فلسطين ، هي في نفس الوقت عملية توجه نحو تحرير الجماهير العربية ونحو تحرير الاوضاع العربية . فالنضال لتحرير فلسطين يضع الاوضاع العربية في مواجهة الازمة ، وفي جو الازمة تتعرى المؤسسات البالية . وتنكشف طبيعة التآمر القائم من خلال بنية التجزئة ، ومن خلال الحكومات الفوقية البعيدة عن الجماهير والتي لا تريد تحرير الجماهير لان تحرير الجماهير يعني انهيارها كحكومات وطبقات حاكمة .

على ضوء هذا الفهم كيف يمكن تقييم العلاقات التي اقامتها فصائل حركة المقاومة مع الحركة الوطنية العربية سواء كانت في السلطة أو في الشارع ؟

لا بد من الانطلاق في هذا المجال من نقد حركة التحرر العربي لا من نقد المقاومة . وانني اعتقد أن المسؤولية الاساسية في تحرير فلسطين ، من خلال التشخيص لطبيعة المعركة ومن هو المقصود بالمؤامرة،تقع على عاتق حركة التحرر العربي.وبقدر ما اخطأت حركة التحرر العربي وقصرت في التوجه نحو فلسطين وفي فهم مركزية القضية الفلسطينية داخل القضية العربية بقدر ما اخطأت في حق نفسها ومهدت الطريق امام قيام ردة فعل منحرفة لايجابياتها قبل سلبياتها . المسؤولية تقع على الحركة الام التي هي حركة التحرر العربي . لكن هذا لا يعفي المقاومة الفلسطينية من التقصير الشديد ازاء فهمها لطبيعة علاقتها وتوجهها نحو الحركة الام التي هي حركة التحرر العربي . لقد نظرت طليعة المقاومة او شرارتها (لاسباب كثيرة لا أود الدخول في تفاصيلها) الى حركة التحرر العربي على أساس انها عالم اخر ومسألة اخرى ، وبالتالي اخذت شرارة المقاومة المعاصرة تبني نفسها خارج اسوار حركة التحرر العربي . ومن هنا لم تنشأ بالفعل علاقة صحيحة بسبب الازمة الذاتية عند حركة التحرر العربي والازمة الذاتية عند المقاومة . واذا اردنا ان نحدد طبيعة التقصير نقول أن حركة التحرر العربي لم تزل تتخبط في أزمتها بدليل انقساماتها وتبعثر قواها واقتتال قواها ايضا.وبعض فصائل حركة المقاومة الفلسطينية لم تفهم من حركة التحرر العربي ودورها سوى التصفيق او جمع الاموال ولم تنظر اليها على انها افضل من الحكومات العربية، حتى الرجعية السافرة منها. فمن هذا الفهم نرى ان الهوة شاسعة . والطريق الى تصحيح هذه الناحية بالذات يأخذ شكلين الشكل الاول ان تنمو الدعوة داخل صفوف حركة التحرر العربي الى وضع صيغة جديدة تحدد الفهم المشترك بين فصائل حركة التحرر العربي وجماهيرها لقضية فلسطين ولمركزية القضية الفلسطينية في النضال العربي من أجل تحرير الجماهير ومن اجل تحقيق الوحدة العربية ولقيام جبهة تضم كافة قوى التحرر العربي تضع فلسطين في مركز عملها وبرنامجها ، وتعمل على أساس ان التوجه نحو فلسطين هو توجه امة محتلة نحو تحرير اراضيها ، تماما كما كانت حركة التحرير الوطني الجزائري تنظر الى ان الجزائر محتلة على الرغم من ان ثلاثة ارباع الجزائر لم يكن بعد اندلاع الثورة محتلا، وكانت تسير الامور بعقلية التحرير لكامل الارض الجزائرية ولمصلحة التحرير الشامل . اي ان على حركة التحرر العربي ان تعتبر نفسها حركة وطن محتل لا حركة وطن احتل جزء منه وحسب ، فمن منطلق وحدوي حقيقي لا يجوز ان ننظر الى الاحتلال الصهيوني لفلسطين على انه احتلال لجزء من الوطن ، فاحتلال الجزء هو احتلال للكل ، والجزء غير

المحتل غير محتل لصالح تجزئة النضال العربي وتفتت وحدة توجه الجماهير العربية . والواقع ان الجزء غير المحتل خاضع للنفوذ الاجنبي بدرجات متفاوتة اذ ليس هناك استقلال عربي كامل ، ليس هناك دول عربية مستقلة ، لانه ليس هناك استقلال مع التجزئة ، التجزئة هي استمرار لاخضاع الاوضاع في المنطقة العربية للمصالح وللنفوذ الاستعماريين . هناك دول خاضعة تماما وهناك دول نصف خاضعة ودول خاضعة جزئيا ولكن ليس هناك دول غير خاضعة تماما للنفوذ الاجنبي . فالنفوذ الاستعماري قائم حيث يكون الضعف والتجزئة هي ضمانة الضعف . ومن هنا يصبح تصرف حركة التحرر العربي على اساس انها حركة مناضلة لامة محتلة ويسيطر عليها الاجنبي ، هو وضع لقضية الاحتلال الصهيوني في موضع المركز في الصراع الدائر. من خلال هذا الفهم لمتطلبات التحرير تتقرر نوعية المسلكية داخل « جبهة التحرير العربية » وخارجها ، وتتقرر المواقف من كل الاشياء بما في ذلك الموقف من طبيعة الصراعات الطبقية والاجتماعية داخل المجتمع .

هنا نأتي الى مسألة هامة اعرف ان الاجتهادات حولها كثيرة . اننا نؤمن بوحدة الصراع القومي مع الصراع الاجتماعي والطبقي في مرحلة التحرير ومرحلة التوحيد القومي . فنحن لا نفصل بين المرحلتين واقول ان تحرير الانسان العربي اي تحرير الانسان من جميع القيود ومن الاستغلال الطبقي والقهر الطبقي والتبعية مرتبط ارتباطا كاملا وتاما مع متطلبات التحرير القومي ومع متطلبات حرب التحرير ، اذ كيف يمكن ان يكون الفلاح السوري او الفلاح العراقي او الفلاح المصري قادرا على المساهمة في حرب التحرير اذا لم يكن مسلحا بالوعي والعلم واذا لم يشعر ان هذا الوطن وطنه وان هذه الامة تقدم له متطلبات الحد الادنى من المعيشة ومن الوعي والكرامة والقوت ، ومن مستلزمات الحياة العصرية . كيف يمكن ان تؤهل المسحوقين طبقيا لان يساهموا ، وهم الاكثرية الساحقة في حرب التحرير ؟ هنا نأتي الى مسألة في غاية الاهمية واعتقد انه من الضرورة بمكان ان تفهم حركة التحرر العربي ان تحرير الانسان من الاستغلال الطبقي ومن الانسحاق الطبقي يسير جنبا الى جنب مع متطلبات الانسان ومع متطلبات الصمود ومتطلبات التعبئة القومية في سبيل حرب التحرير ، وان تفهم المقاومة الفلسطينية او حركة الشعب الفلسطيني اهمية تحرير الجماهير العربية التي هي بالاساس العامل الحاسم في حرب التحرير . ان ذلك لا يعني بالطبع ابعاد الطبقة البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة عن المساهمة في المعركة الوطنية ولكنه يشمل ، تحديدا ، اسناد القيادة الى العناصر الثورية الملتزمة التزاما مصيريا بالثورة والى العناصر الشعبية الكادحة التي تشكل مرتكز الثورة ومحورها وأداتها وهدفها ايضا .

ضمن الخطة التي لا تفرق بين النضال الوطني والنضال الاجتماعي ، ما هو الدور الخاص بالفلسطينيين في هذا الموضوع ؟

الدور الفلسطيني الخاص يأخذ وجهات متعددة : الوجهة الاولى ان الشعب الفلسطيني بصفته الشعب الاكثر التصاقا بالظلم الصهيوني والشعب المتحسس قوميا وانسانيا وماديا لهذا الخطر ، على أن يبادر بشكل طبيعي وبشكل عقلي وآلي الى مقاومة الاحتلال والظلم اللاحق به . ومن الطبيعي ان يقاوم الشخص المتواجد تحت سلطات الاحتلال ذلك الاحتلال اكثر من الشخص الذي يقيم خارج الارض المحتلة . ومن الطبيعي ان تقاوم الجماهير التي تنتمي الى الاراضي المجاورة لفلسطين اكثر من الجماهير التي تعيش في أطراف الوطن العربي على بعد الاف الاميال . هذه مسألة فيها شيء من البساطة المنطقية التي لا تخفى على احد، ثم هناك مسألة ضرورة اعطاء المثل الرائد: على الشعب الفلسطيني أن يتحمل مسؤولية المبادرة والتضحية اكثر من سواه من الشعوب العربية

حتى يعطي مثل التضحية لان المثل بحد ذاته قوة جد كبيرة . ثم هناك الواقع الطبقي او واقع الانسحاق الانساني الناتج عن الاحتلال الذي يجعل قضية التحرير والاستشهاد قضية يومية بالنسبة لسكان المخيمات وبالنسبة لمن احتلت اراضيهم ، بحيث يكون الاحتلال والعدوان مركز دوران الحياة بكاملها ، اي ان التحرير يصبح قضية يومية حياتية بالنسبة للانسان الفلسطيني وهذا ما لا يتوفر مثلا لشعب المغرب وبالتالي هناك منطقية وبديهية معينة لمبادرة هؤلاء الناس الذين يعيشون الاحتلال والعدوان كل يوم لتحمل مسؤوليتهم . ثم هناك الناحية الدولية والراي العام العالمي ، ان قيام المسحوقين والمحتلين والمضطهدين في الارض المحتلة بتنظيم المقاومة شيءمفهوم تماما بالنسبة للعالم، فالشعوب التي تحتل ترد على الاحتلال بالمقاومة ، وبالتالي فان ابراز هذه الناحية ، والتركيز على هذه البديهية في المقاومة ، بديهية ان الشعب المحتل يقاوم الاحتلال والعدوان ، تخدم القضية الفلسطينية من حيث انها تجسد ابعاد ونتائج العدوان الصهيوني .

بالنسبة للوضع في الاردن ، هل تعتقد ان هناك مهمات اكثر تحديدا مطلوبة من حركة المقاومة ؟

لا اعتقد بأن الاردن هو بلد آخر غير فلسطين . هو فلسطين بمعناها الكامل اي ان هناك أرضا واحدة ، ولا شيء يفصل بين شرقي الاردن وغربي الاردن الا السدود التي اقامها الاستعمار بسبب تآمره . وتسهيلا لمهمة الحركة الصهيونية العالمية اقام دويلة سماها شرقي الاردن ونصب عليها الامير عبدالله بعد ان أخذ تعهدا بواسطة لورنس بالموافقة على السياسة البريطانية الصهيونية في فلسطين والسياسة الفرنسية في سوريا . لهذا فان شرق الاردن كيان غريب لم يكن في يوم من الايام دولة ، وجاء الاستعمار ليقيمها كحاجز بين عرب سوريا وفلسطين وكمستودع احتياطي لاستيعاب الجماهير العربية التي ستطرد من فلسطين بموجب الخطة البريطانية الصهيونية ، وللسيطرة على هذه الجماهير بعد طردها . المسالة اذا هي مسالة النضال ضد الكيان الاردني المصطنع وضد الكيانية الاردنية الرجعية ، وهي مسالة في صلب النضال من اجل تحرير فلسطين . وكلنا يدرك ان النظام القائم هو امتداد للمؤسسة التي قام الامير عبدالله بقيادتها منذ ان تأسست دولة شرقي الاردن حتى اليوم . ان الشيء الوحيد الذي يحرر الاردن هو اندماجه في وحدة متجهة نحو التحرير لان الاردن سوف يظل خاضعا للقوى الاجنبية طالما بقي له كيان مصطنع خاص به . مسؤولية المقاومة الخاصة في شرق الاردن تنبع من هذه الحقيقة ومن حقيقة اخرى هي ان غالبية السكان في شرق الاردن هم من الفلسطينيين.اذا هناك توحد كامل ما بين حركة الجماهير الاردنية من اجل تحررها والسيطرة على مصيرها وارادتها وبين الهم الاساسي للشعب الاردني كمجموع وهو هم تحرير فلسطين . ويمتزج العامل القومي في موضوع التعلق بتحرير فلسطين مع طبيعة ومسار الحركة الوطنية الاردنية في نضالاتها الاجتماعية والداخلية ، وبالتالي لا بد للمقاومة من ان تبادر بصفتها قلب الحركة الوطنية في الاردن لاقامة جبهة اردنية حقيقية ذات اهداف واضحة وبرامج مفصلة للوصول الى حكم وطني في الاردن يحوله من وضعه المتآمر الحالي الى قاعدة ومنطلق وسند للمقاومة . ولا يمكن أن يتم ذلك الا باستقطاب الجماهير الاردنية وتوحيد نضالها وتحسين احوالها المعيشية وتحقيق سيادتها على نفسها وتحقيق توحدها مع جماهير الاقطار المجاورة ضمن اطار الوحدة القومية العربية . ولا شك بأن احداث ايلول ١٩٧٠ ومجازر جرش التي تلتها قد حسمت الموقف داخل حركة المقاومة لصالح الاتجاه الثوري في هذا الصدد .

ينطوي هذا الموقف اذا على رفض للرأي الذي يقول بأن من واجب العمل الفدائي التوجه نحو اسرائيل بينما واجب الحركة الوطنية الاردنية التصدي لقضايا النظام الاردني ؟

لم افصل بين التوجه نحو فلسطين وبين التوجه نحو تحرير الجماهير العربية من جميع معوقات استلام زمام مصيرها وسيطرتها على نفسها وعلى ارادتها . واذا كان هذا الشيء صحيحا بشكل عام ، فهو صحيح بشكل خاص في الاردن . اعتقد ان النتيجة الطبيعية الاولية للتوجه نحو تحرير فلسطين هو انهيار الانظمة والمؤسسات البالية التي تحيط بفلسطين والتي هي بحد ذاتها مؤامرة على التحرير . ان الاصطدام بالعدو الاقوى اسرائيل ، يعني بالضرورة الاصطدام والتغلب على المعوقات الاقل اهمية واعني بهـا المؤسسات الزجعية القائمة المتمركزة حول اسرائيل والتي كان المقصود منها ان تكون خط دفاع اول للحدود الصهيونية . وهكذا فان التصدي للنظام الاردني لا يعني بالضرورة ايقاف العمل من اجل تحرير فلسطين . على المقاومة الفلسطينية ان تظل مستمرة ، لان استمرارها في العمل التحريري وفي المقاومة داخل الارض المحتلة ، وفي تعبئة القوى الوطنية كافة تستطيع ان تخوض معاركها ضد معوقات التحرير التي تقوم على حدود اسرائيل . انني ادعو الى ان تقوم المقاومة الفلسطينية بتعبئة حقيقية وبتهيئة جميع المجالات النضالية امام شعب الضفة الغربية وامام شعب غزه وامام عرب الارض المحتلة عام ١٩٤٨ . ان تهيىء لهم بشكل حقيقي وفعال ، عن طريق استراتيجية جديدة وتوحيد حقيقي جديد حول برنامج ثوري فعال ، ان تهيىء لهؤلاء عمل المقاومة المستمر . وان تتوجه في نفس الوقت (لانها معركة واحدة) الى تعبئة القوى العربية والجماهير العربية في الاراضي المجاورة ولا سيما في الاردن لتكون قادرة على حماية ظهر المقاومة ومنع التآمر عليها . وبالتالي فالمسالة مسالة واحدة والتفريق غير صحيح ، من يتصدى ؟ ومن يعمل ؟ لان القضية واحدة .

هل توافقون على الرأي الذي يقول بان العلاقات التي اقامتها حركة المقاومة مع الانظمة العربية ادت الى أن تصبح أسيرة لسياسة هذه الانظمة ؟

ان الحركة الرئيسية في المقاومة على الرغم من بطولتها وعظمة المبادرة باتجاه حمل السلاح ومقاومة الاحتلال الصهيوني قد قبلت ضمنا والى حد منظور ان تكون اسيرة الاوضاع العربية عندما قررت ان المسالة تخص الجماهير العربية وحدها ، فتخلت بطوع ارادتها وبقصر نظرها عن الرصيد الاساسي لها اي الجماهير العربية. تخلت المقاومة عن رصيدهاالاساسي ومنحتالحكومات، التي نعلمجميعا انها حريصة علىاستمراراميتازاتها اكثر مما هي حريصة على التحرير ، منحت هذه الحكومات فرصة السيطرة عليها وفرصة ضربها لان الرادع الاساسي لهذه الحكومات من ضرب المقاومة هو حركة الجماهير وليس حسن نيتها ازاء أهداف التحرير ، من هنا نرى ان هذه الخطيئة الخانقة قد ساعدت فيما بعد على ان تقوم الحكومات بفرض شروطها وان تتدخل بشتـى الوسائل في مسار المقاومة وفي سياستها وفي منطلقاتها وفي تحركاتها بحيث أدى شعار « عدم التدخل في الاوضاع العربية » تلقائيا وكلما سنحت الفرصة ، الى تدخل الاوضاع العربية في مسيرة القضية الفلسطينية ، وهذا يعود بنا الى مسالة الخطأ في فهم من هو المقصود بالمؤامرة ومن هو الذي يحرر الارض المغتصبة والمحتلة ، فنقول ان تخلي المقاومة الفلسطينية عن فهمها القومي الشامل لموضوع دور الجماهير العربية ، أدى بها الى التخلي عن هذه الجماهير لحكوماتها وبالتالي قوّى هذه الحكومات امام حركة المقاومة ومكنها بالنتيجة من ضرب المقاومة ، وكلما انحرفت حكومة أو خانت أو تآمرت على القضية الفلسطينية نسمع كلاما كثيرا ينبع من نقطة واحدة « مالنا ومال العرب » . وهذا ليس الا استمرارا لفهم القيادات القديمة لدور العرب في القضية الفلسطينية . ليس العرب كلا واحدا ،

العرب عربان ، عرب الرجعية والاستسلام والامتيازات ، وعرب الجماهير الذين هم العمود الفقـري لاي حركة تاريخية نحو تحرير أي شيء سواء الارض او الموارد او الانتاج او الاقتصـاد او العلاقـات الانسانية في الوطن العـربي . هذا الخلط بحد ذاته هو استسلام لمنطق الطبقات الحاكمة واستسلام عملي للحكومات المتخاذلـة . ومن هنا اغفلت المقاومة اهمية اقامة علاقات مباشرة مع الجماهير العربية . فالحكومات هي التي تعطيها المال حتى لا تقيم علاقات مع الجماهير . والحكومات تعطيها الاذاعة ، حتى لا تقيم المقاومة علاقات اعلامية مع الناس وتشرح لهم ماذا يجري . عندما رضيت المقاومة ان تكون الحكومات وكيلة الشعوب ، قبلت المقاومة في نفس الوقت أن تكون هذه الحكومات قيمة عليها لانها حرمت نفسها من سلاحها الاساسي في وجه هذه الحكومات . وبالتالـي لم تكن العلاقـة مع الحكومات سليمة بالمـرة . لقـد غلبت المقاومـة الاعتبارات المرحلية واعتبارات السهولة على اعتبار سلامة العمل التاريخي . رب قائل يقول ان لبعض الانظمة العربية امتدادا داخـل المقاومة فماذا تفعل ؟ البلـد الفلاني هو رئة المقاومة فهل نخاصمه ؟ او لا نخاصمه ؟ ان المسالة ليست مطروحة بهذا الشكل . ان المسألة منطلقة من الفهم الاساسي لطبيعة الصراع القائم ، لطبيعة القوى ، لفهم طبيعة القوى ودور القوى المختلفة في مسيرة التحرير . المشكلة هنا ، وهنا تتحدد المسألة بكامل ابعادها واي انطلاق لتحليل اين اخطأنا واين اصبنا في علاقتنا مع الدول العربية تنطلق من هذا المبدأ . ولو كانت المنطلقات سليمة والرؤيا والاستراتيجية ثورية واضحة لامكن تحقيق وحدة اداة الثورة ولتحولت هذه الجماعات امـا الى امتدادات للثورة او لهيئات عديمة التأثير .

ما دام التركيز في الحديث على الموقف السياسي فما هو الاسلوب العملي المحدد الذي يمكن من الوصول والاتفاق على هذا الموقف ، بحيث نصل عن طريقه فعلا الى تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية ، خاصة ان هناك من يقول بان المشكلة ليست في تحديد الموقف السياسي من القضية الفلسطينية ومن اسلوب التحرير ، بل في اتخاذ اجراءات تنظيمية لتكوين هذه الوحدة .

اعتقد ان للمشكلة جذرا اساسيا هو الناحية المتعلقة في توحيـد الفهـم والنظـرة الاستراتيجية للمعركة ولطريقة تعبئة القوى ولحشد الطاقات وللعمل ضمن برنامج سياسي متفق عليه . وهناك بالاضافة الى ذلك مشكلة ثانوية ، تقفز احيانا الى المقدمة هي مشكلة التعصب والتحزب الفئوي والتنظيمي . واعتقد ان مشكلة التعصب الفئوي خفت الى حد كبير بعد الاحداث الاخيرة . لقد ثبت للجميع ان القيادات لم تكن في مستوى المعركة وان التنظيم الواحد لا يحوي بالفعل كل انصار وجهة النظر الفكرية لهذا التنظيم وان هناك الكثير من التنظيمات الاخرى التي تضم عناصر اكثر قـربا الى بعض الفئات المنتمية الى هذا التنظيم او ذاك من الفئات الاخرى التي تنتمي الـى نفس التنظيم . وبالتالي لا يضم التنظيم جميع الذين يؤمنون بوجهة النظر الواحدة ، كما وان التنظيمات الاخرى تضم اناسا يؤمنون بوجهة نظر يحملها تنظيم آخر . اذا لم تعـد التنظيمات ، وهذا اتضح بعد أيلول ، تمثل وحدة فكرية منسجمة وبالتالي خف التعصب للتنظيم . هناك اجتهادات واختلافات في وجهات النظر داخـل التنظيمات . وبالتالي لم يعـد من الممكن ان يتعصب عضو اي جماعة الى تنظيمه بالشكل الكامل الذي كان موجودا قبل ايلول لان القاعدة جميعها احست بأن القيادة لم تكن في مستوى المعركة وانها ليست جديرة بأن يتعصب الانسان لها الى درجة شق الوحدة الوطنية لحساب هذه القيادة او تلك . ولكن وفي الوقت الذي أرى فيه ان المشكلة الاساسية هي مشكلة التفاهم حول العمل من خلال برنامج استراتيجي موحد متفق عليه اعتقد ان المشكلة الاكثر اساسية هي مشكلة الحركة الام، مشكلة حركة التحرر العربي. اذا ما تم النجاح في صهر حركة التحرر

العربي في بوتقة جبهة وطنية شعبية عريضة ملتفة حول برنامج وطني ديمقراطي تحريري واضح ، تصبح مشكلة المقاومة وأزمتها في اطار يسمح لها بحل معظم تناقضاتها بسرعة نوعية ويصبح اطار العمل ثوريا بالفعل لا بالكلام . ومن هنا ارى ان المدخل الاساسي لحل هذه المشكلة هو العمل بجد من أجل حل المشكلة الاكبر ، الا أن هذا لا يعفينا من العمل بصدق وباخلاص للضغط داخل جميع التنظيمات وبكافة الوسائل ، على القيادات وعلى جميع المعنيين بالامر ، من اجل اقامة وحدة موضوعية لا وحدة توفيقية كاذبة سرعان ما تنتهي . ولا شك بأن وحدة المقاومة الفلسطينية على أسس ثورية صادقة تشكل اختراقا لأسوار الفرقة والاقتتال اللاموضوعي داخل حركة التحرر العربي ومقدمة لوحدة هذه الحركة .

ننتقل الان للحديث عن موضوع آخر هو الوضع الراهن . ما هي المهمات الاساسية التي ترون ان على حركة المقاومة ان تقدم الان اجوبة عليها وان تلتزم بالنضال من أجلها؟

امام حركة المقاومة العديد من المواضيع ، منها ما يتعلق بالاطار العام للعمل وقد سلف الحديث عنه فيما يتعلق بالفهم الاستراتيجي للمشكلة وطريقة مواجهتها ، اي علاقتها بحركة التحرر العربي وبالجماهير العربية . ولكن هناك مشاكل عديدة اخرى لا بد للمقاومة من أن تعالجها . المشكلة الاولى تتعلق بتكويناتها وبطريقة عملها . اي أن تبادر المقاومة الى توحيد قواها توحيدا موضوعيا حول البرامج وحول خط ورؤيا واحدة وحول خطة عمل واحدة تسمح لها بتثوير الوضع داخل الارض المحتلة . هذه المسألة الاولى . المسألة الثانية اتخاذ موقف واضح وحاسم فيما يتعلق بالوضع في الاردن ، كل ذلك ضمن اطار موقف موحد وفعال بصدد العلاقة مع الجماهير العربية وحركة التحرر الوطني من اجل تثوير الوضع في المنطقة ككل لان اي نجاح للمقاومة يبقى نجاحا معزولا اذا لم ترفده نجاحات عربية كما هو الحال في غزه ، فبدلا من أن تكون مثالا رائدا ، يهز ضمير الامة ويدفع قواها نحو التوحد والصمود والمواجهة اصبحت حالة نادرة معزولة محاصرة لا تفعل فعلها الكافي والطبيعي في مجمل الوضع . ومن هنا فان النظرة الشمولية للموضوع تصبح أساس النجاحات التفصيلية والتقدم المتنامي .

هل يعني اخذ موقف حاسم من النظام الاردني ، رفض كل فكرة للتعايش مع هذا النظام وأذا كان هذا هو الموقف ، ما هو اسلوب العمل الذي يتناسب معه ؟

ان التعايش مع النظام الاردني ، مسألة ليست متروكة للمقاومة ، انها محسومة من قبل النظام ، محسومة من قبل النظام منذ أن قام ، منذ اليوم الاول لتأسيسه ومحسومة منذ ان قرر النظام القضاء على بذور المقاومة عام ١٩٦٥ ، ومحسومة منذ ان انبرى النظام الاردني لتصفية طلائع حركة المقاومة قبل ان يتسع نفوذها وقبل ان يكون هناك ما يسمى بالممارسات الخاطئة ، اي قبل أن تكون هناك مكاتب وسيارات وتجاوزات . هذه المسألة بالنسبة للنظام الاردني ، تعني وجوده فعندما تكون المسألة بهذه الخطورة يكون طرح السؤال هل نتعايش مع النظام او لا هو دلالة على عدم أهلية القيادة وعدم فهمها لطبيعة ما جرى وما يجري في المنطقة ولطبيعة مسارها . ان المقاومة متهمة ومحكوم عليها بالاعدام من قبل النظام الاردني بسبب خطيئة الولادة ، لان فكرة المقاومة هي فكرة معادية للنظام الاردني . فمهما فعلت المقاومة ، مهما نسقت ومهما عايشت ومهما طمأنت النظام ، فالنظام لا يطمئن اليها ولا يريدها لانه يريد ان يقضي على فكرتها . وكل ما فعله النظام وما حاول ان يفعله هو ان يحول محدودية النظرة واقليميتها عند المقاومة الى أداة في يده ، ليخلق المقاومة المدجنة التي تأتمر بأمره والتي تستخدم في النهاية ضد فكرة المقاومة الحقيقية . أسلوب العمل ضد النظام ، يطرح من خلال الفهم العام لحركة التحرر العربي ومن خلال الفهم الخاص للاردن . أسلوب المواجهة يكون

بالاعتماد على الجماهير ، بتنظيمها ، بتعبئتها ، بالتفافها حول برنامج واضح ، بوضع الاولويات امامها بشكل سليم ، بفضح الوضع الحاضر باستمرار ، بوضعها امام مسؤولياتها في حماية المقاومة في الارض المحتلة وبمسألة المشاركة الفعالة من قبل الجبهات العربية المتاخمة . لن نستطيع مواجهة النظام الاردني الا من خلال النفاذ الكامل الى الجماهير الاردنية والى وضعها امام مسؤولياتها في قضية مصيرية بالنسبة لها والتخلي عن جميع مظاهر التعصب الاقليمي الفلسطيني ووضع القضية في نصابها الحقيقي ، اي انها قضية الجماهير العربية . وعندما نربط النضال من اجل فلسطين بالنضال من أجل تحرير ظروف المعيشة وتحرير العلاقات الانسانية داخل المجتمع الاردني ، وحين نستطيع أن نعبىء وان ننظم على هذه الاسس نكون قد مهدنا الطريق امام زوال النظام الذي يتصدى لمهمة المقاومة ولمهمة دعم المقاومة .

لقد رفضت كافة فصائل المقاومة التسوية السياسية من حيث المبدا . ولكن هذا لا يلغي ضرورة الحديث في كل فترة حول المهمات المرحلية لاحباط اي نشاط جديد من اجل تسوية سياسية . هل تعتقد ان حركة المقاومة قادرة في وضعها الحالي على انجاز مثل هذه المهمة ؟ وكيف تتصور وضع المقاومة على الصعيد الدولي والعربي اذا تحققت التسوية ؟

اعتقد ان المقاومة وحدها غير قادرة على ان تحبط التسوية السياسية او حتى ان تحبط تآمر دولة ما من الدول العربية عليها . باعتبار ان الذي يحبط المؤامرات الكبرى هو وحدة الجماهير الوطنية العربية . هذه هي القوة الوحيدة القادرة على المواجهة . اما المقاومة الفلسطينية فتستطيع أن تبادر الى شحذ همة الجماهير والى دعوتها لمواجهة مسؤولياتها عن طريق المزيد من النضال الصلب ، وعن طريق توحيد قواها ، وعن طريق ضرب مثل نضالي يبرز كيف ان شعبا صغيرا يكون قادرا وفي اسوأ الظروف على تحدي الدولة الصهيونية بكامل قواها ، كما يحصل في غزه . ان غزه في نضالها الدائم وتضحياتها العظيمة تدين اي خط استسلامي عربي لان طبيعة ظروف شعب غزه وضآلة موارده وعزلته الكاملة لم تمنعه وهو الشعب الفقير الصغير ، من مقاومة كامل قوة الدولة الصهيونية . اذا تصعيد عمل المقاومة وتوحيد عمل المقاومة ، ووضعها على اسس اكثر ثباتا واوسع مدى ، وفهمها لدور الجماهير العربية وحركة التحرر العربية هو المدخل الى مقاومة التسوية السياسية ، لان مقاومة التسوية السياسية مسألة تعني بالضبط خلق المناخ المناسب للمقاومة عربيا . المسألة ليست لفظية ، انها مسألة موضوعية تقتضي دائما توفير الشروط اللازمة للمواجهة المطلوبة . بالنسبة للشق الثاني من السؤال ، اعتقد ان التسوية السياسية ، بما تعنيه من استسلام ورضوخ لمشيئة الدول الاستعمارية ولنفوذ الدولة الصهيونية سوف تضع القوى الوطنية كافة لا المقاومة الفلسطينية وحسب أمام السيطرة الصهيونية المباشرة ؛ وسوف يجعل مسألة قول اي راي تحرري في اي بلد عربي مسألة في غاية الصعوبة ، ونصبح خاضعين من جديد لنفوذ استعماري مباشر . ومن هنا فان قول الراي الوطني يصبح بطولة يعاقب عليها صاحبها، فكيف بالمقاومة ؟ ستصبح الاوضاع العربية معادية تماما لفكرة المقاومة ولكل من يقوم بأعمال المقاومة ولكل من يدعم المقاومة لان التسوية السياسية ليست وضعا ازاء اسرائيل فقط بل هي موقف من الجماهير العربية ومن الوطنية العربية . اي ان الذي يريد ان يدخل في حل استسلامي يوافق سلفا على قهر وهزيمة وكبت أي راي وطني في البلد ، فتصبح فكرة المقاومة معادية لكل الاوضاع السائدة في المنطقة العربية .

تجري حاليا محاولات لاشراك أطراف فلسطينية في التسوية السياسية بوسائل مختلفة منها الدعوة للدولة الفلسطينية ، ومنها نشاط بعض رؤساء البلديات في المناطق المحتلة ،

والمنادين بضرورة اجراء انتخابات لاختيار ممثلين للشعب الفلسطيني ينطقون باسمه تحت ظل الاحتلال . كيف ترون ان على حركة المقاومة أن تتصرف ازاء هذه التحركات ؟

ان الطريقة الاجدى والامثل في مواجهة كافة التحركات المشبوهة هي المزيد من التماسك والمزيد من تنمية القوى السياسية ومن تنظيم الجماهير وتعبئتها في اتجاه المقاومة ، لانه ليس من المنطق ان تقوم دعوات استسلامية وخيانية في ظل مقاومة قوية ونامية وفعالة. ان بروز هذه التيارات الخيانية ليس سوى ظاهرة لضمور المقاومة ، لفشلها في تحقيق اهدافها الرئيسية في هذه المرحلة ، ولفشلها في تنمية قدراتها الذاتية وفي التحامها مع الجماهير . من هنا أرى ان اقامة الشروط الموضوعية لنمو قوة المقاومة ذاتيا وبين الجماهير وتوحيد قواها حول خط نضالي متصاعد هو الشرط الاول . أما الشرط الثاني (ولا يمكن ممارسته بفعالية الا بعد اقامة الشرط الاول) ، هو أن تقام محاكم ثورية تقدم كل من يطرح الخط الخياني للمحاكمة ويحكم عليه غيابيا وينفذ الحكم الصادر بحقه . لا تستطيع ان تتصرف كثورة الا اذا كنت ثورة ، ولا تستطيع ان تقضي على الخيانة الا اذا كان هناك بديل للخيانة ، أي الوطنية الثورية ، والمقاومة التي تعرف ماذا تريد وكيف تحقق ما تريد .

بحكم صلتك الوثيقة بجبهة التحرير العربية ، نود ان نسأل بعض الاسئلة التي تتعلق بالجبهة . اولا : ما هي حقيقة العلاقة بين الجبهة والحكم القائم في العراق ؟

العلاقة بين الجبهة والحكم القائم في العراق تتحدد من خلال علاقة الجبهة بحزب البعث العربي الاشتراكي . ليس هناك علاقة قائمة خارج هذا الاطار ، حزب البعث العربي الاشتراكي كان القوة الاساسية المبادرة الى اقامة جبهة التحرير العربية ، وبصفته النضالية الشعبية قام الحزب بالمناداة بفكرة الجبهة قبل أن يكون حاكما في العراق . وبالطبع فان قيام حكم يكون الحزب فيه طرفا اساسيا يساعد الحزب على توفير الامكانات المادية للجبهة ، وان يصار الى نوع من العلاقة ، علاقة الدعم المتبادل . من هنا أؤكد ان ليس هناك علاقة خارج هذا الاطار .

ألا يؤثر الارتباط الحزبي والتمويل والوزن المعنوي للحكم في العراق على استقلالية مواقف الجبهة اذا كانت هناك ضرورات لاتخاذ مواقف فيها نوع من التعارض بين المتطلبات الفلسطينية البحتة والمتطلبات التي تتعلق بالعراق كدولة ؟

ان استقلالية جبهة التحرير العربية نابعة من طبيعة اهدافها ومن طبيعة تكوينها ، فهي بقدر ما تكون امينة على فكرة التحرير والنضال الشعبي المسلح بقدر ما تكون مستقلة . وليس هناك من قوى تستطيع ان تحرف هذه الجبهة عن هذه الاهداف الاصيلة ، وكل ما يتعارض مع هذه الاهداف مرفوض من اساسه وبغض النظر عن نتائجه . بالنسبة لامكانية التعارض بين امكانيات القطر العراقي وبين آمال التحرير والاهداف القومية ، هناك نضال دائب داخل الجبهة تتفاعل فيه مع نضال الحزب من أجل تطوير امكانيات القطر العراقي وتسخيرها من أجل المعركة ، ولا يمكن لاحد ان ينكر ان هناك هوة تفصل بين امكانيات قطر عربي واحد وبين العبء القومي من اجل تحقيق الامال القومية والمعارك القومية ، ولكن هناك توجها نضاليا نحو تسخير الامكانيات المتوفرة وتطويرها لتلبية اهداف ومتطلبات المعركة القادمة .

ترددت اقوال كثيرة حول موقف جبهة التحرير في معركة ايلول ١٩٧٠ . قيل ان الاطارات القيادية في الجبهة لم تكن في مستوى مسؤولياتها ، ما هو مدى صحة هذه الاقوال ؟

هناك الكثير من الاشاعات التي انطلقت في أيلول والتي ثبت ان بعضها غير صحيح . وبالتالي يجب أن نأخذ ما يقال بهذا الصدد بعين الحذر . بالنسبة لجبهة التحرير العربية،

شاركت الجبهة شأنها في ذلك شأن المنظمات الفدائية كافة ، في مقاومة هجمة النظام الشرس في الاردن وقاتل فدائيوها وقاتل تنظيمها الشعبي ببسالة شأنه بذلك شأن جميع العاملين في صفوف العمل الفدائي . اما بالنسبة للقيادات ، فان الذي حصل هو ان بعض القيادات في الجبهة كانت من اقطار عربية من خارج الاردن ولم يكن من السهل على هذه القيادات أن تتحرك في أيلول كباقي التنظيمات، التي هي في الواقع اردنية تعرف البلد أكثر ولها أقارب اكثر واذا صادفت جنودا من السلطة فبالامكان القول : « انني من سكان جبل اللويبده » مثلا فيحميهم ذلك من الاعتقال ، بينما كانت السلطة تعتقل كل عراقي او سوري وتتشدد معه . وقد صدف اثناء ايلول ان امين عام الجبهة الدكتور « زيد حيدر » كان خارج القطر لاسباب نضالية ، وعندما وقعت أحداث أيلول توجه عدد كبير من قيادات الجبهة ، الفلسطينيون منهم وغير الفلسطينيين الى الاردن ، الذين كانوا خارج القطر توجهوا جميعا الى أرض المعركة وساهموا قدر استطاعتهم في قيادة المقاومة في المناطق التي كانت خاضعة للمقاومة . ومن هنا نرى ان ما يشاع عن قصور حصل بالنسبة لقيادة الجبهة ، هو نوع من التجاوز للحقيقة ، وان كان بالامكان القول ان القيادات بشكل عام تعطل دورها اثناء المعركة لانه لم يكن من السهل ان تقوم القيادات بالتنقل وبالقيادة داخل الاردن . أي لم يكن من القيادة من هو على اتصال مع القواعد ويستطيع ان يتفاعل معها او يوجهها اثناء المعركة ، الا بضعة اشخاص معظمهم من فتح . عندما وقعت المعارك فقدت القيادة قدرتها على القيادة باستثناءات قليلة جدا طبعا ساعد عليها تواجد بعض القياديين في أمكنة واحدة في بعض المناطق . اما القول بأن القياديين من كافة المناطق تمكنوا من ممارسة دورهم القيادي فهذا غير صحيح بالنسبة للجميع ، والشيء ذاته ينطبق على بعض العناصر القيادية في جبهة التحرير العربية .

رفعت الجبهة دائما شعار «قومية المعركة» واعتبرت هذه القضية اساس استراتيجيتها. وفي كتاباتها الرسمية صورت الموضوع وكانه يتحقق بتشكيل منظمة تضم مناضلين من اكثر من قطر عربي ، بينما المسالة الرئيسية في قومية المعركة هي النضال الوطني داخل كل قطر عربي بهدف تطوير اوضاعه الاقتصادية والسياسية والعسكرية ليمكن وضعها باتجاه طريق التحرير . كيف تشرح ذلك ؟

انني اختلف معك في سؤالك من ناحيتين . الناحية الاولى هي ان قومية المعركة بالنسبة لجبهة التحرير العربية لم تكن تعني مجرد تشكيل يضم مناضلين من اكثر من قطر عربي. هذا لم يكن طرحنا اطلاقا واعتقد انه اذا كان هناك شيء من عدم الوضوح فبالامكان تقديم مزيد من الشرح حول هذه المسالة لازالة اللبس حولها . واما المسالة الثانية التي اختلف معك فيها فتتعلق بما ورد في السؤال عندما تقول « بينما المسالة الرئيسية في قومية المعركة النضال الوطني داخل كل قطر عربي يهدف تطوير الاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية ليمكن وضعها في طريق التحرير » . في راينا ان المسالة اكثر من ذلك ، هي ذات شقين ، الشق الاول هو بالفعل الشيء الذي تتحدث عنه ، أي النضال الوطني داخل كل قطر لتطوير أوضاعه ولوضعها في طريق التحرير ولكن هناك شقا آخر وهو شق المشاركة في المعركة والنضال الخاص من أجل فلسطين ، لا يكفي لجماهير المغرب او تونس ان تناضل في بلدها ، هذا شيء مطلوب طبعا ، ولكن مطلوب أيضا أن يرافقه نضال خاص متعلق بفلسطين ونضال وحدوي مرتبط مركزيا بالقضية الفلسطينية . أي هناك النضال القطري ، النضال الفلسطيني ، والنضال الوحدوي . تفاعل هذه النضالات وسيرها في خطوط متميزة في آن واحد هو مسالة اساسية بالنسبة لقومية المعركة . نحن لا نفهم قومية المعركة على انها تشكيل تنظيم قتالي من بضع مئات من الاشخاص من اقطار مختلفة ، هذا هو مظهر قومية المعركة وليس جوهر قومية

المعركة الذي هو تحرير الاوضاع العربية وربط عملية التحرير هذه بالنضال الدائب والمسلح من اجل قضية فلسطين ، ولذلك نختلف مع بعض الفئات الاخرى التي تطرح هذا الفهم الذي اشرت أنت اليه . نحن نربط ما بين النضال الوطني وما بين تجسيد توجه النضال الوطني والوحدوي في اتجاه فلسطين عن طريق الكفاح الشعبي المسلح . وهنا تحدد أطر قومية المعركة . بالامكان الدخول في التفاصيل ولكن هذا هو اطار فهمنا لقومية المعركة .

على ضوء هذا الشرح هل تعتقد ان الجبهة قامت في كراساتها ونشراتها بشرح مفهومها لقومية المعركة بشكل كامل ؟

لا أدعي الكمال في شروحات جبهة التحرير لفهمها ، ولكن بالنسبة للبيان التأسيسي للجبهة هناك وضوح وهو بالواقع اعمق مما صور السؤال . ان فهم قومية المعركة كان مرتبطا بالنسبة للبيان في عدة أمور ، منها النضال الوحدوي ومنها النضال الاجتماعي ومنها النضال الشعبي ومنها تحرير القوى القادرة على التحرير الخ . لذلك وفي الوقت الذي يكون الجواب على هذا السؤال هو بالسلب اي أن الوضوح لم يكن كاملا ، فقد كان هناك في الواقع درجة من الوضوح كافية لتحديد اتجاه الجبهة ، وبالطبع المسألة بحاجة الى مزيد من التوضيح ومزيد من النقاش واعتقد ان جبهة التحرير العربية قد طرحت مسائل مبدئية فعلت فعلها في تطوير فهم مجمل حركة المقاومة فيما يتعلق بموضوع قومية المعركة والعلاقة مع الجماهير العربية .

انطلاقا من شعار قومية المعركة ، رفضت جبهة التحرير العربية الاشتراك في المجالس الوطنية الفلسطينية وفي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لانها تمثل حسب قولها مؤسسات قطرية ، هل تعتقد ان قومية المعركة تتناقض مع النضال داخل كل قطر على حدة وهل تتمثل قومية المعركة بمجلس وطني يضم عربا من كل الاقطار او لجنة تنفيذية تضم عربا من كل الاقطار ... مثلا ؟

ان مصدر التحفظ تجاه منظمة التحرير الفلسطينية والمشاركة في المجالس الوطنية ليس معارضة الصيغ القطرية للنضال وحسب، فالجبهة تؤمن بأن هناك شيئا اسمه النضال القطري وان على العناصر الوطنية في القطر ان تشارك في النضال القطري الوطني. ولكن التحفظات صادرة عن اسباب اخرى ، السبب الاول يتعلق بمنظمة التحرير نفسها . منظمة التحرير كما تفهمها الجبهة ، كانت تاريخيا وليدة مؤتمرات القمة . مؤتمر القمة الاول الذي دعي الى الاجتماع كتغطية للفشل في صد تحويل مجرى نهر الاردن ، ولمنع العدو من تحويل مجرى نهر الاردن قام بعدة خطوات تسكينية منها مشروع التحويل المضاد ومنها انشاء منظمة التحرير كنوع من الضربة الاستباقية للتململ الثوري الذي كان يسود اوساط الشعب الفلسطيني . لقد كانت نظاما عربيا آخر ، يضاف الى الانظمة القائمة ، بقصد احتواء النضال الفلسطيني ومنعه من التطور نحو مقاومة مسلحة . هكذا تفهم الجبهة دوافع الانظمة التي أقرت بالاجماع تشكيل منظمة التحرير ، ونحن نعلم ان الاجماع لا يكون الا حسب قاعدة « سيروا سير اضعفكم » واضعفنا في هذه الحالة معروف ، سائر بركاب الاستعمار وسائر بمخطط عدم تثوير الاوضاع وعدم الاشتراك بمعركة التحرير . التحفظ اذا نابع من نظرتنا المبدئية . الناحية الاخرى تتعلق بتكوين القيادة في جبهة التحرير العربية . الجبهة قامت لتضيف بعدا قوميا لفصائل المقاومة. وكان معظم افراد قيادتها من غير الفلسطينيين . وبسبب كيانية المنظمة، كانت المشاركة في المجلس الوطني ممنوعة على المناضلين العرب . المجلس الوطني الفلسطيني مجلس كياني وليس مجلس ثورة ، وبالتالي كان مفتوحا ولا يزال أمام الفلسطيني الذي لا يمارس دورا في الثورة وممنوعا على العربي الذي يمارس دورا فيها . فالتحفظ انطلق

من وجهة نظر تسعى لان يتحول كيان المنظمة الى كيان ثوري يعبر عن التوجه نحو التحرير الفلسطيني لا عن تمثيل الشعب الفلسطيني تمثيلا برلمانيا وجغرافيا. الانتساب لفلسطين ليس انتسابا جغرافيا في نظر الثورة ، هو انتساب نضالي ، وقد حرم عدد كبير من الاشخاص لهم ممارستهم الفكرية والنضالية ، من المشاركة في المجالس الوطنية الفلسطينية لانهم مولودون على بعد عشرة أميال من حدود فلسطين الانتدابية . لذلك ان هذه التحفظات ليست منطلقة من تحفظات على النضال القطري ، فالنضال القطري نضال مشروع اذا كان له توجه قومي وارتباط مصيري في القضية المركزية التي هي قضية فلسطين .

لقد قبلت الجبهة بعد أيلول الاشتراك في المجلس الوطني التاسع ، وكذلك المشاركة في اللجنة التنفيذية ، وقالت في بيان علني انها تشارك لتناضل من الداخل من اجل اقناع الجميع بقومية المعركة . نعتقد ان هذا التفسير لا يجيب على السؤال المطروح وهو يحتاج الى توضيح . اولا : ان الاقتناع بقومية المعركة مهمة موجهة اساسا للقوى الوطنية العربية وليس للقوى الوطنية الفلسطينية فقط . ثانيا : لماذا لم تشارك الجبهة منذ البداية في الاسهام بعملية الاقناع هذه ؟ ثالثا ان امتداد الجبهة التنظيمي في العراق مضطر من ضمن الواقع العربي القائم ان يقيم مؤسسات قطرية على كل المستويات . فلماذا قبلت الجبهة ذلك في العراق ورفضته في الساحة الفلسطينية ؟

كما قلت نحن لسنا ضد قيام مؤسسات قطرية نضالية تعمل من خلال الصراعات القائمة في القطر لصالح التحرير ولصالح حشد الطاقات من اجل المعركة . اما بالنسبة لسبب المشاركة بعد أيلول في المجالس الوطنية فيعود الى عدة اسباب وعوامل ، منها ان تفاعل نضال الجبهة مع نضال التنظيمات الاخرى ولد بعض القناعات الجديدة ، منها ان الجبهة يجب ان لا تغيب عن المشاركة في النشاطات وفي المؤسسات التي يكون فيها المنظمات النضالية الاخرى وجود . وبالتالي أصبحت المسألة ان تتواجد الجبهة حيث تتواجد الفئات المناضلة الاخرى . فقبلت ان تشارك بعناصرها الفلسطينية . كذلك مشاركة الجبهة مرتبطة بالنضال من اجل تثوير المنظمة وليس من اجل اقناع الناس بقومية المعركة فقط . تثوير المنظمة هو تحويل مؤسسة مثل المجلس الوطني الفلسطيني الى مؤسسة ثورية وليس مؤسسة كيانية . هو ان يكون المجلس الوطني الفلسطيني ممثلا للقوى وللعناصر المشاركة في النضال وليس للقوى والعناصر التي تنتمي مجرد انتماء جغرافي لفلسطين . فالمفروض ان يمثل المجلس الوطني الثوار والمقاتلين أكثر مما يمثل بعض الفلسطينيين ، الذين ربما لا علاقة لهم بالتحرير وربما لا يساعدون في التوجه نحو التحرير . هناك اذا ظروف استمرت بعد أيلول ، منها ان العمل الفدائي في مجمله أصبح اكثر اقتناعا بقومية المعركة وليس ان الجبهة دخلت لتقنع الناس بقومية المعركة. الناس اقتنعت اكثر بقومية المعركة والجبهة اقتنعت اكثر بضرورة المشاركة في النضال القطري الفلسطيني بسبب هذا التقارب في وجهتي النظر . وهناك ناحية ثالثة ومهمة جدا وهي ان الجبهة رات انه من الضروري المشاركة في عملية تثوير المنظمة والاسهام في عملية تغيير بنيتها من الداخل ، لدعم مؤسسات ثورية لا مؤسسات كيانية ، اذ لا يكفي النضال من الخارج فنقول ان منظمة التحرير منظمة كيانية . وكل هذه المواقف تمثل على اي حال وجهات نظر يمكن ان تتطور على ضوء الممارسة وحسب ما تمليه ظروف النضال الثوري ومصلحته .

حول المؤتمر الصهيوني الاخير

الدكتور اسعد رزوق

انعقد في القدس المحتلة ، بين ١٨ و ٢٧ من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ ، المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون . وجاء انعقاد هذا المؤتمر ، بالنسبة للحركة الصهيونية ، وهي تقف على عتبة الدخول في عامها الخامس والسبعين — منذ تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية تحت اشراف تيودور هرتزل في المؤتمر الاول (بازل ، ١٨٩٧) . أما على الصعيد الاسرائيلي ، فان المؤتمر المذكور هو المؤتمر السادس الذي تعقده الحركة الصهيونية في القدس المحتلة منذ قيام اسرائيل . بالاضافة الى كونه المؤتمر الثاني للصهيونية العالمية منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

ومما لا ريب فيه ان غياب الدكتور ناحوم غولدمان عن مسرح المؤتمر الاخير يشكل ظاهرة جديدة في مسيرة الحركة الصهيونية وتصاعد النفوذ الاسرائيلي الرسمي من خلال القوى الفاعلة في توجيه أنشطة الحركة واستقطابها الايديولوجي الملائم للحاجات الاسرائيلية ، الراهنة منها والطارئة والمتوقعة . فقد شغل غولدمان منصب الرئاسة في المنظمة الصهيونية العالمية طيلة ١٢ عاما (من ١٩٥٦ الى ١٩٦٨) ، ولا يزال حاليا على رأس المؤتمر اليهودي العالمي . وكان مدعوا هذه المرة لالقاء الخطبة الافتتاحية بمناسبة اليوبيل الخامس والسبعين لقيام الحركة الصهيونية العالمية . لكن التصريحات التي أدلى بها غولدمان أمام جمع من اليهود البريطانيين في لندن (خلال الاسبوع الثالث من شهر كانون الاول — ديسمبر — ١٩٧١) أدت الى حرمانه من القاء خطبة الافتتاح التقليدية والتي تصادف مناسبة اليوبيل . فالمعروف انه ناشد اليهود في كافة أنحاء العالم ايقاف الحملة التحريضية ضد الاتحاد السوفياتي بقصد احراجه وارغامه على السماح بخروج اليهود الراغبين في الهجرة الى اسرائيل . وانتقد الذين ينادون بموقف « قصير النظر » زاعمين انه يحق لجميع اليهود الموجودين في الاتحاد السوفياتي ان يهاجروا الى اسرائيل ، لكي يؤكد على حق اليهود السوفيات في الوجود كجماعة يهودية داخل الاتحاد السوفياتي . حتى ان صحيفة « الجيروسالم بوست » نسبت في مقالها الافتتاحي الى الدكتور غولدمان اعتناق نظرية من هذا القبيل : « ينبغي لليهود ان يدركوا بان المستقبل يقبع لدى روسيا والصين ، وليس في الغرب مثلا ، وان يتدبروا أمور حياتهم على هذا الاساس »(١) .

لكن مثل هذه التصريحات ، رغم انطوائها على قدر من الواقعية السياسية واتصافها بشيء من بعد النظر ، زودت المسؤولين الاسرائيليين بمادة ملائمة لاستنباط الذريعة الكافية لاقصاء الدكتور غولدمان عن تلبية الدعوة الاصلية . فسارع الناطقون الرسميون الى اعتبار كلامه وآرائه بمثابة هرطقة صهيونية ، واتهموه بالخروج على الخط المتبع رسميا : كما أعلن لويس آرييه بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية — المنظمة الصهيونية ، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين بأن المسؤولين في الحركة الصهيونية والاوساط الاسرائيلية النافذة لم يكن بوسعهم التغاضي عن تصريحات

غولدمان وتركه يتحدث عن الصهيونية طالما ان آراء الرجل لا تتفق « مع افكارنا وآرائنا بشأن الصهيونية »(٢).

ولا غرو فان جذور الخلاف بين الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية والاوساط الحاكمة في اسرائيل ترجع الى فترة مبكرة من قيام الدولة . فقد نشب النزاع بين غولدمان وبن غوريون حول مسألة بقاء الصهيونيين خارج اسرائيل وحقهم بالمشاركة مع الدولة اليهودية في تقرير الشؤون المصيرية . وتصاعدت نقمة الحكومة الاسرائيلية على ناحوم غولدمان في ربيع العام ١٩٧٠ ، اثر احباط المبادرة التي اخذها على عاتقه لترتيب لقاء مع الرئيس الراحل عبد الناصر . حتى ان الجنرال عيزر وايزمان (قائد سلاح الجو الاسرائيلي سابقا ، وعلى رأس وزارة المواصلات في الحكومة الائتلافية ، والرئيس الاداري لحركة حيروت حاليا) في تحليله لمرحلة حرب الاستنزاف ، اعتبر « الغولدمانية » بمثابة احدى الظواهر المميزة لذلك الجو البائس الذي خيم على اسرائيل في مستهل صيف ١٩٧٠(٣).

لكن اتهام غولدمان بالهرطقة ينعكس على الموقف الاسرائيلي داخل الحركة الصهيونية : مثلما انه يشير الى التوقعات التي تعلقها الاوساط الحاكمة في اسرائيل على دور المنظمة الصهيونية العالمية في المرحلة الراهنة والقادمة . وقد تبدى ذلك بوضوح في مناقشات المؤتمر الثامن والعشرين والازمة التي نشبت حول بعض قراراته النهائية . فالشيء الذي يمكن استخلاصه من تحليلات المراقبين والعارفين ببواطن الامور الصهيونية والاسرائيلية هو ، اولا ، ان الموقف الذي أعلنه غولدمان بشأن اليهود السوفيات — لئلا تطغى مسألة تهجيرهم الى اسرائيل على الاهتمام بضمان حرياتهم وحقوقهم الدينية كأقلية قومية في الاتحاد السوفياتي — هو موقف لا يتنافى ابدا مع برنامج المنظمة الصهيونية(٤). وثانيا ، ان الاوساط الحاكمة في اسرائيل اغتنمت مناسبة التصريح الذي تفوه به غولدمان لكي تقضي على رصيده الصهيوني داخل الحركة وتسحب منه الثقة كضابط اتصال بين الحكومة الاسرائيلية والاتحاد السوفياتي . ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض المؤيدين لناحوم غولدمان ، في اسرائيل وخارجها ، سارعوا الى الوقوف بجانبه وتوجيه الانتقادات الشديدة للخطوة التي اقدمت عليها الاجهزة الصهيونية المسؤولة بوحي من دوائر صادرة عن الاوساط الحاكمة في اسرائيل . حتى ان صحيفة « معاريف » المحت في تعليقها على المؤتمر الذي شاءت له الجهات الاسرائيلية النافذة ان ينعقد في ظل انشغالها الهستيري بقضية الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ، فقالت ما مؤداه : « ينبغي للحركة الصهيونية في الخارج ان تولي اهتمامها المتزايد لمسائل التربية اليهودية ودروس تعليم اللغة العبرية وغرس « الوجدان اليهودي » في نفوس الناشئة ، بدلا من الانشغال بمشكلة الهجرة . اذاك تصبح الهجرة الى اسرائيل نتيجة منطقية ، ولن تحتاج الى عمليات دعائية واسعة النطاق»(٥). كما أقدم نفر من شبيبة المابام داخل قاعة المؤتمر على توزيع المنشورات ورفع يافطة بتأييد غولدمان ، والمطالبة بعودته الى منبر المؤتمر الصهيوني(٦).

لكن المندوبين التابعين لحركة حيروت — هتسوهار انتظروا حتى المرحلة الاخيرة للمؤتمر فتقدموا بمشروع قرار ينص على توجيه اللوم الشديد الى الدكتور ناحوم غولدمان بسبب نشاطه السياسي الذي يتعارض مع الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية (ن. م. د. ف. ١/٢/٧٢) . وتجدر الملاحظة هنا الى ان مشروع القرار هذا قوبل بالرفض من جانب الاكثرية ولم ينل العدد اللازم من الاصوات لاعلانه قرارا صادرا عن المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . كما لا يخفى بان القضاء التام على نفوذ غولدمان داخل المنظمة العالمية معناه غلبة القوى الصهيونية العاملة بتوجيه الاوساط الحاكمة في اسرائيل

(حزب العمل الصهيوني) ، وربما أدى الى اشتداد حدة الانقسام بين التنظيمات التي تقف الى جانب غولدمان أو تشاطره شيئا من آرائه (كالفئات الصهيونية العمومية في الولايات المتحدة ، مثلا) ، وبين العناصر العاملة بوحي من متطلبات السياسة الرسمية لحكومة اسرائيل . حتى ان غولدا مئير ، رئيسة الحكومة ، اختارت عنوانا لخطابها أمام المؤتمر على النحو الاتي : « أخطار الانقسام بيننا » . ومما جاء على لسانها في جو مشحون بالازمة داخل قاعة المؤتمر : « من بين جميع المواهب التي نتحلى بها ، لدينا « موهبة » فذة هي : التطرف » . (مجلة **نيوزويك** الاميركية ، ٧٢/١/٣١) .

على ان اقصاء الدكتور ناحوم غولدمان ليس الا الظاهرة الخارجية التي تميز بها المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون . ولا بد من تناول الجوانب الاخرى لهذا المؤتمر لكي تتضح أبعاد الصورة الكاملة ، ويتاح الوقوف على المشكلات التي عالجها والتعرف الى الازمات التي واجهها . فالحركة الصهيونية ارتأت بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ان تضع لنفسها برنامجا يلخص أهدافها في صيغة جديدة (برنامج القدس ، ١٩٦٨) ، كما عمدت الى اتخاذ قرارات شتى تتعلق بتجديد شباب المنظمة العالمية واستقطاب المزيد من يهود العالم ، بالاضافة الى اعادة النظر في تركيبها وهيكلها التنظيمي .

الاحصاء الصهيوني « وصراع الاجيال »

ظهرت خلال انعقاد المؤتمر الاسبق (السابع والعشرون ، ١٩٦٨) بوادر تذمر ومناداة بالتجديد في صفوف العناصر الشابة داخل الحركة الصهيونية . وارتفعت أصوات الشباب مطالبة بجعل المنظمة الصهيونية ميدانا مفتوحا أمام الجيل الطالع ، لا سيما بالنسبة لاحتلالهم بعض المناصب والمراكز التي تسيطر على مقدرات الحركة ومواقع القوى في داخلها . فبادرت وسائل الاعلام الصهيوني حينذاك الى التحدث بصورة مستفيضة ، ولهجة تنم عن الاعتزاز والرضا ، عما دعته بـ « ثورة الشباب » ، زاعمة ان المؤتمر السابع والعشرين قد انحنى أمام « انتفاضة القوى الشابة » واستجاب لمطالبها . وكان « الاتحاد العالمي للطلاب اليهود » قد ناقش في جلسة استشارية عقدها بمدينة ميلانو (كانون الثاني ، ١٩٦٨) اقتراحا يدعو الى حل الحركة الصهيونية . فسقط الاقتراح نتيجة التصويت . مما دفع بمندوب المملكة المتحدة في الاتحاد المذكور ، غوردن هاوسمان، الى طرح دعوة مضادة من شأنها ان تمتص النقمة وتؤدي الى احتواء العناصر المعارضة. فقد ناشد هاوسمان الحركة الصهيونية توسيع نطاقها حتى تشمل جميع الذين استفزتهم حرب حزيران وتحفزهم لتأييد اسرائيل ودعمها بصورة فعلية . كما دعا الى وجوب احداث تغيير جذري في تركيب الحركة بحيث يؤدي هذا التغيير الى افساح المجال أمام التمثيل على أساس فردي أو على أساس المنظمات التي أعلنت قبولها ببرنامج القدس (١٩٥١) (٧).

لكن العناصر الشابة والطلابية في الخارج تطلعت الى اجراء انتخابات داخل الحركة ، وتوسمت في تحقيق ذلك مناسبة لحقن دماء جديدة تنعش الجسد الفاسد للمنظمة الصهيونية بنظرها . بينما لم تشهد الحركة الصهيونية انتخابات من هذا القبيل طيلة ما ينيف على عقدين من الزمن . ومن الطبيعي ان تلقى مثل هذه الانتخابات معارضة شديدة في أوساط الذين تحدوهم الرغبة الى الاحتفاظ بمقاعدهم وعدم التنازل عن نفوذهم داخل المنظمة .

كيف جرت تلك الانتخابات وما هي نتائجها على صعيد نسبة التمثيل في المؤتمر الصهيوني؟ في أواخر شهر شباط (فبراير) ١٩٧٠ عقد المجلس الصهيوني العام دورته السنوية « تحت وطأة التهديدات التي أطلقتها وفود الشباب بعرقلة سير الاجتماعات والحيلولة دون استمرار الدورة»(٨). والمعروف ان هذا المجلس هو بمثابة الهيئة الحاكمة للمنظمة

الصهيونية خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمر وآخر . فقد اتفق اعضاؤه على اجراء انتخابات عالمية للمؤتمر الصهيوني القادم ، وكتبت صحيفة « الجيروسالم بوست » تقول : ان هذا القرار هو الاول من نوعه منذ عقدين من السنين ، وقد تم اتخاذه حيال وجود مشكلات كبيرة على الصعيدين المالي والتنظيمي أثارها بعض المندوبين(٩) .

اما المرحلة الاولى لانتخابات المؤتمر فقد انطوت على حملة عالمية بغية تسجيل اكبر عدد ممكن من الاعضاء على أساس قبولهم بالبرنامج الصهيوني الذي تبناه المؤتمر السابع والعشرون (برنامج القدس ، ١٩٦٨) . وينص البرنامج المذكور على الاهداف والمبادىء التالية :

« اهداف الصهيونية هي كما يلي :
— وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل في الحياة اليهودية .
— تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي — أرض اسرائيل — عن طريق الهجرة من كافة البلدان .
— تقوية دولة اسرائيل القائمة على رؤيا الانبياء في العدالة والسلام .
— الحفاظ على هوية الشعب اليهودي من خلال تنمية التربية اليهودية والتعليم العبري وتعزيز القيم الروحية والثقافية اليهودية .
— حماية الحقوق اليهودية في كل مكان»(١٠).

فالتسجيل للعضوية قبل المشاركة في الانتخابات يشترط على المرشح ان يبادر الى توقيع استمارة يعلن فيها تأييده لبرنامج القدس الوارد أعلاه . ولقد جاءت هذه الحملة بمثابة احصاء صهيوني على صعيد العالم اجمع . وكانت حصيلتها ان المنظمة الصهيونية العالمية تضم في عداد عضويتها ما مجموعه ٨٩٨،١٤٦ يهوديا — باستثناء اسرائيل(١١). فلو اضفنا الى ذلك مجموع الصهيونيين المسجلين في اسرائيل ، ربما توصلنا الى رقم يتجاوز حدود ٩٠٠ الف عضو . بينما يصل عدد اليهود الموجودين في العالم حاليا الى قرابة ١٤ مليون نسمة — استنادا الى المصادر الصهيونية اياها .

وفي حديث أجرته صحيفة « هآرتس » مع آرييه بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ، (بتاريخ ٧١/١٠/٨) ارتأى الزعيم الصهيوني ايراد تفسيره لعملية الاحصاء على النحو الاتي : « ان برنامج القدس هو في الحقيقة البرنامج الانتخابي الصهيوني . وعلى اساس هذا البرنامج قمنا باحصاء في المهجر . احصينا جميع الذين أعلنوا عن عضويتهم في منظمات صهيونية ، وطلبنا منهم التوقيع شخصيا على البرنامج . وقد تعرفنا ، بهذه الطريقة ، الى عدد كبير من اليهود لا ينتمون الى تنظيمات صهيونية معروفة ، ومع ذلك يتشوقون الى الصهيونية . لقد تعرفنا بهذه الطريقة الى نحو ٩٥٠ الف شخص ، وقعوا البرنامج ويحق لهم الانتخاب»(١٢) .

ان انتخابات المؤتمر جرت على أساس قوائم تستند بدورها الى هذا الاحصاء الصهيوني. ففي المانيا الغربية ، مثلا ، يعيش الان حوالي ٥٠ الف يهودي (تافور) . وينتمي من اصل هؤلاء ما مجموعه ٢٥٣٠ يهوديا الى عضوية المنظمة الصهيونية العالمية ، يمثلهم مندوبان في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . بينما هناك ما يقارب نصف المليون من اليهود في فرنسا ، تمثلوا لدى المؤتمر بعدد من المندوبين بلغ مجموعه ٢٣ مندوبا .

اما مجموع المندوبين الذين اشتركوا في المؤتمر وكان لهم حق التصويت على القرارات فقد وصل الى ٥٥١ مندوبا ، جاء توزيعهم كالاتي(١٣) : الليبراليون (نتيجة تحالفهم مع جماعات متفرقة) : ٧٣ مقعدا ، حيروت (بعد فشل ائتلافها مع الليبراليين) : ٤٩ مقعدا ، الصهيونيون العموميون : ٨٩ ، حزب العمل الاسرائيلي — الصهيوني : ١٥٧ ،

حركة مزراحي : ٨٣ ، المابام : ٣١ ، الليبراليون المستقلون : ١٣ ، النساء الصهيونيات ـ هداسا : ٥٣ . والمجموع ٥٤٨ مقعدا .

وازاء الاحتجاجات التي ارتفعت في أوساط الشباب عن « المركز الاحتكاري الذي يحتله القدامى » داخل المؤتمر الصهيوني وعن ظاهرة التحجر ، والجمود التي تبدت، أعراضها على المؤتمر كمؤسسة صهيونية ، بادر بينكوس الى القول ان ثلث المندوبين (البالغ عددهم ٥٥١ مندوبا) ينتمي الى عنصر الشباب من الذي تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٥ سنة(١٤) . لكن هذه النسبة التي يفردها بينكوس لعنصر الشباب داخل المؤتمر الصهيوني، ان صحت ، فهي تنطوي على بذور تهديد لنفوذ الزعامة التقليدية في الحركة الصهيونية . وفي تصريح أدلى به أحد المندوبين الشبان مردخاي بار ـ أون، نكتشف ان تمثيل العناصر الشابة في المؤتمر لم يبلغ النسبة التي ذكرها بينكوس : « على الرغم من ان الشباب ممثلون في المؤتمر الحالي بعدد كبير (١٠٠ شخص) عن حق وليس منة ، فان الشباب في المؤتمر يشعرون بأنهم يائسون ومضطربون ؛ وغرباء ، ومرتبكون . أما سبب ذلك فهو عدم قدرتهم على تخطي الحواجز الادارية في المؤتمر ... [هذا بالاضافة] الى فوارق الجيل والنفسية بين المجتمع الاسرائيلي وبين المجتمع اليهودي في المهجر»(١٥) .

ولا نعرف ، مثلا ، ما اذا كان « الاتحاد العالمي للطلاب اليهود » قد تراجع عن قراره السابق بعدم الاشتراك في الاحصاء الصهيوني وفي الانتخابات لمؤتمر القدس الاخير . ففي تحقيق نشرته صحيفة « معاريف » على ثلاث حلقات عن هذا الاتحاد بمناسبة الزيارة التي قام بها سكرتيره لاسرائيل تتبين وجود أزمة صعبة بين الاتحاد ، من جهة ، والاوساط الصهيونية والاسرائيلية من جهة ثانية . وتعود جذور هذه الازمة الى استياء القيادة الصهيونية من مواقف الاتحاد التي ظهرت في « مؤتمر عراد » (صيف ١٩٧٠) وتبلورت في برنامج مستقل . فالحركة الصهيونية تعتبر نفسها صاحبة حق في الوصاية على الاتحاد . وعندما يبادر مؤتمر عراد المذكور الى اتخاذ قرار بدعوة حكومة اسرائيل الى الاعتراف على الفور بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، ويؤكد بان « تحقيق الاهداف الصهيونية مرتبط بحل المشكلة الفلسطينية » ـ ليس بمستغرب ان يثير نقمة الحكومة الاسرائيلية وغضب الحركة الصهيونية . هذا مع العلم بان المؤتمر الذي انعقد في عراد لم يتنكر لحق اسرائيل في الوجود والبقاء ، ولم يتردد عن التنديد بـ « أعمال الارهاب العربية » . لكنه أعرب أيضا عن أسفه لعمليات الاستيطان في المناطق التي احتلتها اسرائيل خلال حرب حزيران ، ودعا الى اعتبارها « ورقة مساومة » ابان محادثات السلام(١٦) .

فالقرارات التي اتخذها الاتحاد بشأن الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني أحرجت المندوبين الاسرائيليين وحملتهم على الانسحاب من قاعة المؤتمر عند التصويت عليها . وعندما طلب المسؤولون الصهيونيون الى زعامة الاتحاد ان تبادر الى المشاركة في الاحصاء الصهيوني بوضع التواقيع على « برنامج القدس » (١٩٦٨) ، ارتأت هذه الزعامة ان تطالب ، مقابل ذلك ، بالتوقيع على « برنامج عراد » (١٩٧٠) . ثم لجأت الاجهزة الصهيونية الى تذكير « الاتحاد العالمي للطلاب اليهود » بان الانتخابات التي تجري داخل الحركة الصهيونية انما هي تتم بفضل المبادرة التي تزعمها الاتحاد اياه ابان المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين . لكن سكرتير الاتحاد وجد هذه المرة تبريرا معقولا لمواقفه التي أغضبت الاوساط الصهيونية والاسرائيلية على السواء . فقد أشار الى قرارات اتخذها شباب حزب العمل الاسرائيلي في مؤتمرهم الاخير بروح مشابهة ـ مما حمل غولدا مئير عن الامتناع عن حضور الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر !(١٧)

ولئن دعا أحد المندوبين الشبان الى المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين الى مواصلة

الحوار بين عناصر الشباب والقيادة التقليدية داخل الحركة الصهيونية ، فلا يعني ذلك ان الازمة القائمة أصبحت في حكم المنتهية . بل ان كافة الدلائل تشير الى المخاوف التي تساور القيمين على شؤون الحركة الصهيونية من خروج الجيل الناشىء عن طاعتها التقليدية والتزامه بمواقف لا تتفق مع الخط الرسمي ، وتأبى الانصياع للسياسات التي تمليها حكومة اسرائيل .

غير ان المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين واجه مشكلات من طراز آخر وبالنسبة للتناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي . فالى جانب اهتمامه الرئيسي بقضية الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي وكيفية تأمين الموارد المالية اللازمة لسد نفقات التهجير والاستيعاب والاستيطان والتأهيل ، قامت المنظمة الصهيونية العالمية ومعها المؤتمر بادراج مشكلة التوتر الاجتماعي والصعوبات التي يعانيها اليهود الشرقيون في اسرائيل على جدول الاعمال . ويبدو انها المرة الاولى في تاريخ الحركة الصهيونية ان يعمد المؤتمر الى تشكيل لجنة خاصة لمعالجة المشكلات الاجتماعية في الدولة الصهيونية .

الفهود السود والمهاجرون الجدد

رافقت جلسة افتتاح المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين تظاهرة صاخبة قامت بتنظيمها جماعة الفهود السود وانضمت اليها بعض الفئات اليسارية . وكان الفهود السود قد طلبوا ان يتم تمثيلهم في المؤتمر لكي يتسنى لهم عرض شكاويهم أمام سائر المندوبين عن التمييز الحاصل ضدهم ولصالح المهاجرين الجدد . غير ان اللجنة التنفيذية الصهيونية ابلغتهم بأن حق الكلام داخل جلسات المؤتمر هو امتياز يتمتع به المندوبون المنتخبون فقط. وفي اسرائيل يتم اختيار المندوبين الى المؤتمر الصهيوني عن طريق الاحزاب وتبعا لنسبة تمثيلها في الكنيست . لذا أشارت اللجنة التنفيذية على الفهود ان يقوموا بتلخيص مطالبهم ومشاكلهم وتقديمها مكتوبة الى امانة المؤتمر . لكنهم رفضوا اسلوب التهدئة وامتصاص النقمة ، ولجأوا الى مهاجمة المنظمة الصهيونية العالمية بشدة وعنف. فعمدوا الى توزيع مناشير جاء فيها ما يلي : « عندما كنا في الخارج اغدقتم علينا الوعود التي تنبىء بكل خير ، لا لشيء الا لكي تحملوننا على المجيء الى اسرائيل فحسب . لقد وعدتمونا بتحصيل تربية جيدة ، لكنكم في الواقع جعلتم منا مجرمين . وخلقتم منا شبابا تنقصهم الثقافة وشبيبة تعاني الاذلال والانسحاق ، لا بل جيلا من الشبان الذين تعوزهم التربية والتعليم ... تعهدتم لنا بالسكن في منازل لائقة ، ثم حشرتمونا في أماكن ملأى بالاكواخ واحياء قذرة . انتم تبذلون قصارى جهدكم لكي توفروا المساكن لليهود الروس، ثم يأتي من يقول لنا انكم لا تملكون المال اللازم ... »(١٨).

ثم دعوا مؤيديهم للاشتراك في تظاهرة ضد المؤتمر الصهيوني والاعراب عن سخطهم على موقف الحركة الصهيونية ومن ورائها حكومة اسرائيل . فالاهتمام الكاسح الذي توليه الاوساط الحاكمة لقضية هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي اثار نقمة الفهود السود ونبههم من جديد الى سوء المعاملة التي يلقونها على يد الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، حيث ترجح الكفة لصالح اليهود الغربيين بصورة فاضحة للغاية . واستقدام اليهود من الاتحاد السوفياتي يعني محاباة من جانب السلطة ، لانها تؤمن للمهاجرين الجدد أماكن للسكن على حساب الآخرين، اي دون الالتفات الى مطالب اليهود الشرقيين الذين يعانون من الحرمان ولا توجد مدارس كافية لتعليمهم . ليس من المستغرب ، اذن ، ان يشعر الفهود السود بأن المنظمة الصهيونية التي حفزتهم للمجيء الى اسرائيل قد غررت بهم وخدعتهم . فالحديث الطاغي على جلسات المؤتمر وفي أروقة المكان هو عن هجرة اليهود الروس وكيفية تأمين الاموال اللازمة لكي تتمكن اسرائيل من استيعابهم وتأهيلهم .

غير ان السلطات الاسرائيلية بادرت الى اتخاذ احتياطات مشددة على صعيد الامن .

واذا كانت التظاهرة التي قام بها الفهود السود وانصارهم قد استقطبت حوالي ٢٠٠ شخص (وهناك مصادر ترفع العدد الى ٣٠٠) ، فان قيادة الشرطة حشدت في القدس حوالي ٤٠٠ شرطي جرى استقدامهم من كافة انحاء البلاد . كل ذلك للحيلولة دون تعكير صفو الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . واستعمل الشرطيون هراواتهم في قمع التظاهرة ، كما لجأوا الى خراطيم المياه وفرق الخيالة واستخدموا اقسى الاساليب في تفريق المتظاهرين ، علما بأن القوى لم تأت متكافئة على الاطلاق . حتى ان قوات الامن اعتقلت أحد الصحافيين بالاضافة الى واحد من مندوبي المؤتمر . وهناك مندوب ثان فاجأته الاشتباكات وهو في طريقه الى المبنى فخرج منهـــا بذراع مكسورة . مما حدا بمراسل الماني الى اجراء مقارنة بين اندفاع رجال الشرطة لتفريق التظاهرة أمام مبنى انعقاد المؤتمر الصهيوني وبين تحفظهم وتراجعهم ابان الاسبوع الثقافي الالماني ، عندما انهال فريق من الشبان اليمينيين والمتطرفين بسيل من الشتائم والاهانات على نفر من اليهود الناجين من معسكرات الاعتقـــال النازية ونعتوهـــم بـــ « النازيين »(١٩) .

اما الخطبة الافتتاحية التي القاها آرييه بينكوس أمام مندوبي المؤتمر ، وعقب قيام قوات الامن بقمع التظاهرة واعتقال عدد كبير من المتظاهرين، فقد جاء فيها ان المؤتمر الصهيوني يقود اليوم معركة حياة وموت في سبيل مصير اليهود السوفيات . ولذا وجد بينكوس ان الظروف الراهنة تدفعه الى مناشدة جميع اليهود المقيمين خارج اسرائيل لكي يضاعفوا مساعداتهم المالية للدولة الصهيونية . بينما كانت غولدا مئير قد سبقته في خطابها « امام المؤتمر العالمي الرابع للاتحاد العبري » ، والمنعقد في تل ابيب، فناشدت اليهود في البلدان الغربية ذات الرخاء والبحبوحة أن يقتدوا باليهود السوفيات ويهاجروا الى اسرائيل . واستطردت رئيسة الحكومة للاعراب عن رأي مفاده ان تدفق مليون آخر من المهاجرين على اسرائيل من شأنه الحيلولة دون نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط ، لانه سوف يردع العرب ويقنعهم بعدم جدوى النزاع والقتال(٢٠) .

على ان تظاهرة « الفهود السود » تكتسب دلالات بعيدة المدى ازاء الخلفية التي يصدر عنها موقف اليهود الشرقيين والسفارديين من الحركة الصهيونية والاوساط الحاكمة في اسرائيل . فالمنشور الذي قام الفهود بتوزيعه يعرب عن خيبة أمل مريرة من الوعود التي نثرتها الحركة الصهيونية وأجهزتها بقصد حملهم على المجيء الى الدولة اليهودية. وهناك نقمة شديدة في أوساط اليهود السفارديين خارج اسرائيل ، لا سيما في فرنسا ، حيث يحتشد عدد كبير من يهود شمال افريقيا ولا يريد هؤلاء ان يجازفوا بالهجرة الى اسرائيل خوفا من المعاملة السيئة التي يلقاها اليهود الشرقيون .

فقد نشرت صحيفة « لوموند » في باب « الراي الحر » مقالة تحت عنوان « نحن يهود الكهوف » (٧٢/١/١٩) . وكاتب المقالة هو صموئيل زربيب ، أحد أعضاء المجلس الملي للطائفة اليهودية في تونس سابقا . كما انه من المندوبين الذين حضروا المؤتمر العالمي الاول لليهود السفارديين والاجتماعات التي عقدتها منظمة الصهيونيين العموميين لشمال افريقيا واوروبا في باريس . ومما كتبه زربيب بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، في معرض الاشارة الى برنامج القدس (١٩٦٨) ، هو التذكير بما يلي : « اذا كانت دولة اسرائيل هي مركز الوسط في الحياة اليهودية ، ينبغي لليهودي اذن ان يهتم ايضا بالحياة في دولة اسرائيل . واذا كان ينبغي توحيد الشعب اليهودي في الشتات، فهناك حجة اقوى لتوحيد هذا الشعب داخل دولة اسرائيل . ولئن كان الواجب يدعو الى الحفاظ على هوية الشعب اليهودي وأصالته خارج اسرائيل ، فمن الواجب ايضا افساح المجال أمام هذه الهوية لكي تعبر عن نفسها تعبيرا كاملا في اسرائيل بالذات ، وسواء كانت هوية اشكنازية أم سفاردية » . وفي معرض رده على تصريح أدلت به غولدا مئير

الى مراسل صحيفة « لوموند » ، حيث أجابت عن سؤال يتعلق بانعدام التكافؤ بين القوة العددية لليهود الشرقيين والسفارديين في اسرائيل وبين نسبة تمثيلهم في جهاز الحكم والمراكز القيادية للدولة بالاشارة الى العادات المتأصلة لدى هؤلاء والى عجزهم عن المشاركة في ادارة الدولة الى جانب الاشكنازيين ـ يخاطب زربيب جميع الذين يشاطرون رئيسة الحكومة الاسرائيلية هذا الرأي بقوله : « لو ان موازنة التربية الوطنية سارت على الايقاع التصاعدي ذاته لموازنة الدفاع ، لكانت الجامعات الاسرائيلية تضم الان نسبة من الطلاب المتحدرين من أصول سفاردية تفوق نسبتهم الحالية من ٨ بالمائة . . . ولكان عدد « الفهود السود » قد تضاءل كثيرا في شوارع القدس »(٢١) .

فهل تنوي المنظمة الصهيونية العالمية معالجة المشكلة الاجتماعية داخل اسرائيل ، وهل تستطيع ذلك دون الاصطدام برغبات الحكومة الاسرائيلية وسياسة الاولويات التي اختطتها لنفسها ؟ أم ان التناقضات سوف تزداد حدة ازاء الاهتمام الطاغي باسترضاء اليهود السوفيات وتشجيعهم على البقاء في الدولة الصهيونية ؟ هذا مع العلم بأن الامور لا تسير على خير ما يرام مع المهاجرين الذين وفدوا حديثا من الاتحاد السوفياتي . فقد تبين ، مثلا ، ان هؤلاء المهاجرين الجدد حصلوا على بعض التمثيل في المؤتمر الصهيوني. لكنهم اصيبوا بخيبة أمل واعربوا عن استيائهم من « المكانة الدنيا » التي اعطيت لهم في تركيب المؤتمر . والظاهر انهم كانوا يأملون بالحصول على نسبة أوسع من التمثيل مع ضمان كامل لحقهم في التصويت على القرارات(٢٢) .

تهديدات الحاخام كهانا

لم ينفرد الفهود السود بطلب تمثيلهم لدى المؤتمر والاستماع الى شكاويهم ، بل ان الحاخام كهانا ـ زعيم رابطة الدفاع اليهودية ، الذي قرر الاقامة في اسرائيل مؤخرا ـ أراد اسماع صوته والترويج لافكاره أمام المندوبين . فقد هدد كهانا وانصاره بتعطيل جلسات المؤتمر وعرقلة أعماله ، ما لم تتمثل الرابطة في المؤتمر الصهيوني ويعطى لمندوبها حق الكلام . لكن أوساط اللجنة التنفيذية رفضت الاستجابة لطلب الرابطة ، بحجة ان الرابطة المذكورة كان لديها الوقت الكافي في الولايات المتحدة لكي تنضم الى المنظمة الصهيونية الاميركية فتكتسب بذلك حق التصويت والكلام . بينما صرح الحاخام كهانا بأنه رفع الى المنظمة الصهيونية في أميركا الفي توقيع لتحقيق الغرض المشار اليه . وردت أوساط مسؤولة لدى المنظمة الاميركية بقولها ان الطلب المقدم من رابطة الدفاع اليهودية كان يحمل ٥٠٠ توقيع وليس الفين ، كما جرى تقديمه بعد انقضاء المهلة القانونية . غير ان هذه التبريرات لم تقنع مئير كهانا وجماعته على ما يبدو ، لا سيما وانه ضمن التأييد من اوساط تنتمي الى حركة حيروت ـ هتسوهار . فقد أصر لدى وصوله الى اسرائيل على تنفيذ القسم التالي : « اما ان يتاح لي التحدث أمام المؤتمر . . . أو ينتهي بي الامر الى السجن . لا توجد سبل اخرى » . وهدد باللجوء الى التظاهرات والاساليب المعهودة عنه وعن جماعته . كما ترامى الى الاسماع بأنه لا ينوي الاكتفاء بترديد معزوفته الشائعة عن اليهود السوفيات فحسب ، بل سوف يعمد الى اثارة مسألة « الابادة » التي يتعرض لها اليهود الاميركيون بفضل خطر الاندماج والتماثل ! ويقول تافور ان الحاخام كهانا أراد عرض مشروعه على المؤتمر الصهيوني ، وهو المشروع الرامي الى اجلاء اليهود الاميركيين ونقلهم الى اسرائيل !

غير ان المؤتمر لم يستجب لمطالب الحاخام مئير كهانا . ورغم المؤازرة التي نالها من جانب المندوبين التابعين لحركة حيروت وانصارها ، فقد صوت المؤتمر الصهيوني في جلسة ضمت كافة المندوبين ضد الاستماع الى آرائه ومشاريعه. وكان مشروع الاقتراح الداعي الى السماح له بالكلام صادرا عن اوساط المندوبين الذين يمثلون حيروت . لكن تهديدات

كهانا لم تنفع ، وبقيت دون تنفيذ ، حتى انه أعلن في أعقاب نتيجة التصويت عزمه على استئناف القضية امام محكمة المؤتمر الصهيوني لكـــي تلفظ حكمها . وعلقت مجلـــة « نيوزويك » على تهديد كهانا باللجوء الى حلين لا ثالث لهما ، فقالت : « تبين ان هناك سبيلا أخرى . فقد صوت المندوبون ضد الاستماع اليه . ولم يقم بأية محاولة لاقتحام منبر المؤتمر بحجة اثارة « قضية الابادة التي تواجه اليهود الاميركيين » .

ومما تجدر الاشارة اليه ان انعقاد المؤتمر لم يشهد تظاهرات الفهود السود وتهديدات الحاخام كهانا فحسب ، بل تخللت جلسته الافتتاحية ظاهرة صدرت عن بعض الفئات اليسارية التي رفعت شعارات مناوئة للصهيونية وانضمت الى جماعـــات « الفهود السود » ابان التظاهرة .

قرارات وتصريحات

واستمع المؤتمر الصهيوني الى تهديدات من نوع آخر ، أطلقها وزير الدفاع الاسرائيلي ـــ موشيه دايان ـــ في خطابه مناشدا العرب اعتماد « التعقل » . فقد كـــرر الموقف الاسرائيلي الرسمي من حل النزاع القائم ، ودعا العرب الى تعديل موقفهم الاساسي من النزاع . ثم استطرد قائلا بأن انتصار اسرائيل العسكري لن يسفر عن ايجاد التفهم لدى العرب او التفاهم معهم ، حتى ان المشكلة لم تعد مشكلة عسكرية وليس لها من حل بالطرق العسكرية . وفيما يتعلق بالصهيونية ، أردف دايان بقوله : « جاءت الصهيونية لتصحيح مظالم الماضي ومساوئه ، كما جاءت لكي تضمن مستقبل الشعب اليهودي . وبينما كان على اسرائيل في الماضي ان تقلق بشأن كيفية الدفاع عن نفسها ، فان القاهرة ودمشق هما اليوم اقل مناعة من تل ابيب او بئر السبع . اما المسائل العائدة للهجرة اليهودية او لانشاء مستوطنات جديدة فهي تخضع للقرارات الاسرائيلية دون حاجة الى أخذ موقف العرب في الحسبان »(٢٣) .

كما ذكر شلومو هيلل ، وزير الشرطة الاسرائيلي ، أمام أعضاء المؤتمر بأن عدد اليهود الذين غادروا البلدان العربية الى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ يصل الى قرابة ٨٠٠ الف يهودي ، وان ستين الف يهودي ما زالوا يعيشون الآن في البلدان المشار اليها .

وعندما عقد المؤتمر جلسة خاصة للاستماع الى بن غوريون بمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين من العمر ، بادر الزعيم العجوز الى تكرار معزوفته التقليدية عن الدهشة والاستعراب لتوجيه مثل هذه الدعوة اليه ، بقوله : « انا لست حتى من الاعضاء المنتمين الى المنظمة الصهيونية » . والمعروف ان بن غوريون استقال من عضوية المنظمة قبل عقدين من السنين . لكنه ، رغم الاستقالة ، لم يتخلف عن تلبية الدعوة منذ ذلك الحين . هذا وقد عدد بن غوريون ثلاثة مشاريع رئيسية ينبغي لاسرائيل ان توليها اهتمامها : أولا ، ان اسرائيل لن تكون اسرائيل بدون وجود اكثرية الشعب اليهودي للعيش فيها . ولذا فالامر يحتاج الى هجرة يهودية تحمل ما يتراوح بين ٦٠٥ ملايـــين يهودي الى اسرائيل . ثانيا ، التطوير الكامل والاستيطان التام لصحراء النقب . وثالثا ، احلال السلام مع جيران اسرائيل العرب(٢٤) .

ولقد كتب احد المعلقين في المانيا الغربية (عمانوئيل بيرنباوم) تعليقا تحت عنوان « لا يرغب كل اليهود في الذهاب الى اسرائيل » ، فأشار الى ان الذين يتعاطفون مع اسرائيل من يهود العالم ليسوا بحاجة الى الاستيطان فيها . وأعـــاد الى الاذهـــان قصة البارون روتشيلد الذي تبرع بأموال كثيرة للدولة اليهودية ، وعندما سئل عن المنصب الذي يتطلع اليه في الدولة العتيدة ، أطلق اجابته الشهيرة : « سفيرا لاسرائيل في باريس » . ثم انتقل الى الرد على مشروع بن غوريون القديم ليؤكد ان استصلاح النقب واستخصابه هو مسالة لها حدود تفرضها الطبيعة . هذا بالاضافة الى المساعدات المالية البارزة التي

يحتاجها التأهيل الاقتصادي للمهاجرين الجدد . وانتهى الى الاثناء على موقف غولدمان وتقديره الرصين للوضع السائد في أوروبا الشرقية ، كما اعتبر الذين يقدرون عدد اليهود الراغبين في الهجرة بما يتجاوز رقم ٢٥٠ الف يهودي على أقصى حد بأنهم يمارسون نوعا من التفكير القائم على التمني الصهيوني(٢٥).

لكن قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين لم تشأ تخييب آمال الزعماء الاسرائيليين . فقد تقدمت اللجنة السياسية للمؤتمر من جمعيته العمومية بمشاريع قرارات جرى التصويت عليها بالاجماع . ومن هذه القرارات واحد يدعو الى تأييد اسرائيل في كفاحها الرامي الى « احلال سلام عادل ودائم ، ضمن حدود آمنة ومرسومة بوضوح يتم التوصل اليها عن طريق المفاوضات ودون شروط مسبقة » . كما ينص هذا القرار على دعم اسرائيل في مطالبها بالحصول على السلاح . وهناك قرار ثان شدد فيه مندوبو المؤتمر على حق اليهود السوفيات في الهجرة الى اسرائيل ، مثلما أعرب المؤتمر في قرار آخر عن قلقه « بشأن الوضع الصعب الذي يعانيه اليهود في البلدان العربية »(٢٦)، زاعما بأن هؤلاء اليهود « محتجزون كرهائن » في هذه البلدان ! لكن المؤتمر اياه رفض الموافقة على مشروع قرار تقدمت به أوساط الطلبة والشباب — على ما يبدو — اذ يدعو اسرائيل الى « الاهتمام بالشؤون الاجتماعية للعرب في المناطق المحتلة » . كما رفض مشروع القرار الذي تقدمت به « القائمة الرسمية » (جماعة بن غوريون في السابق)(٢٧).

وهو يتضمن الدعوة الى « تصفية الصندوق القومي اليهودي » (الكيرين كايمت لاسرائيل) ، علما بأن الاعمال التي يمارسها الصندوق المذكور تشمل مسألة استملاك الاراضي في فلسطين والمناطق المحتلة وتأجيرها الى المستوطنين والمهاجرين اليهود .

وعلى صعيد العلاقات مع الطوائف والهيئات غير اليهودية، طالب المؤتمر بضرورة « زيادة النشاط الهادف الى اقامة علاقات بين اليهود وغيرهم من الطوائف الدينية » ، ولا سيما العلاقات مع المسيحية ، على ان تجري « مراعاة المعنى العميق لكل من الصهيونية واسرائيل» . كما دعا المؤتمر الصهيوني الى الابقاء على «الاتصالات مع المنظمات الدولية غير الحكومية ، من أجل زيادة التعريف بكل من اسرائيل والصهيونية في العالم » .

والحديث عن قرارات المؤتمر الصهيوني ينقلنا الى التساؤل عن منجزاته الرئيسية بالنسبة لكل من الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل . ما هي الآمال التي كانت معقودة عليه والتوقعات المنوطة به ؟ هل استجاب للتحديات التي تواجهها الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل ، وكيف استطاع ان يتخطى العقبات والمشاكل التي برزت بصورة واضحة على مسرح المؤتمر الاسبق ؟

وربما كان من الانسب تناول هذا الموضوع من زوايا ثلاث على المستويات التالية : **الايديولوجية والتنظيم والتمويل** . على ان يكون التشديد الرئيسي منوطا بالناحية الايديولوجية في الحركة الصهيونية خلال السبعينات .

هل انتهت صهيونية الآباء ؟

ان الموضوعات المدرجة في جدول اعمال المؤتمر الصهيوني تجري صياغتها عادة بصورة عامة جدا . فالموضوع الذي استغرق جلسة الافتتاح وساد المناقشات طيلة يومين من ايام المؤتمر هو موضوع « الشعب اليهودي والحركة الصهيونية » . وهناك دون ريب موضوعات أخرى تتناول مشكلة الهجرة وقضية خروج اليهود من الاتحاد السوفياتي وبعض البلدان العربية ، بالاضافة الى الموضوع العام عن تحديد الروابط بين الشتات اليهودي واسرائيل ، حيث ترد المشكلات المتعلقة بالتربية اليهودية وتلقين اللغة العبرية لليهود الموجودين في الخارج . كما ان المؤتمر يهتم بتحديد الوسائل الكفيلة بتدعيم دولة

اسرائيل وتأمين المساعدات المالية اللازمة . فالهجرة المتوقفة تأتي من الاتحاد السوفياتي ، مثلا ، بينما تقع على عاتق اليهود في اميركا والعالم الغربي مسؤولية تسديد « الفاتورة » التي تتضمن النفقات في حقول التهجير والاستيطان ومجالات الاستيعاب والتأهيل .

ولقد سبق لرئيس اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية ، آرييه بينكوس ، أن قال في كلمته الختامية التي القاها عند انتهاء دورة المجلس الصهيوني العام (آذار ، ١٩٧٠) ما يلي : « ثمة واجب ادبي يقع على عاتق كل يهودي يعي يهوديته ، وهو واجب الانضمام الى المعسكر الصهيوني » . ثم عاد وافضى في حديث أجرته معه صحيفة « هآرتس » بالكلام التالي « ان التربية اليهودية في المهجر هي المهمة الرئيسية للحركة الصهيونية في السبعينات »(٢٨) .

بينما بادر رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ، اهود افريال ، الى تقديم استقالته (أواخر ١٩٧١) من المنصب الذي كان يشغله وتوجيه النقد الشديد الى المنظمة الصهيونية . فهي بنظره منظمة تحتاج الى اعادة نظر جذرية ، بحيث يجري تناول مسائل من هذا النوع : من هم زعماء المنظمة ؟ وما هي الوجهة التي تتخذها لدى الجمهور اليهودي ؟ ومن هم أولئك الاشخاص الذين يتماثلون معها ؟ ومن هم الذين تجتذبهم هذه المنظمة ؟ واذا كانت استقالته قد جاءت لانه لم « يستسغ الاسلوب الذي تدار به اعمال المنظمة الصهيونية ويتم به تنفيذ تلك الاعمال » ، فقد حدد افريال في مقابلة اذاعية مفهومه للاولويات في المهام الرئيسية الملقاة على عاتق المنظمة الصهيونية العالمية على النحو التالي : اولا ، التربية العبرية . ثانيا ، هجرة الاعضاء المنتسبين الى هذه المنظمة ، وثالثا ، التماثل التام دون قيد او شرط مع دولة اسرائيل . وانتهى الى القول : « ان الهجرة الى اسرائيل تأتي قبل طائرات الفانتوم . ويجب اعطاؤها ما تستحقه من افضلية . واذا ما ضاعفنا جهود الهجرة ، وخفضنا مستوى حياتنا من اجل استيعاب المهاجرين الجدد ، فاننا نستطيع الوصول خلال فترة تتراوح بين ٤ و٥ سنوات الى خمسة ملايين يهودي في البلد »(٢٩) .

لكن هذه التصريحات التي ادلى بها كبار المسؤولين في المنظمة الصهيونية ، وخلال فترة سابقة لانعقاد المؤتمر الثامن والعشرين ، تعكس شيئا من تضارب الآراء والتناقضات الكامنة في صميم الايديولوجية الصهيونية ، كما في اتجاهات الحركة والتركيب الراهن لاجهزة المنظمة الصهيونية العالمية . فقد ارفض المؤتمر وسط أزمة شديدة عصفت به ونشبت اثر حدوث انقسام في الرأي حول ما اذا كان يتوجب على كل صهيوني المجيء الى اسرائيل والتوطن فيها . والمعروف ان هذه المسألة كانت المحك الذي أصر عليه بن غوريون في مطلع الخمسينات ، فأدى به الامر الى الخروج من المنظمة الصهيونية ، مثلما ازداد التباعد بينه وبين غولدمان ، رئيس المنظمة العالمية حتى العام ١٩٦٨ . فماذا حدث في جلسة التصويت على القرارات لكي ينتهي المؤتمر في جو مشحون بالازمة التي تكاد تشق الحركة الى معسكرين ؟ وهل جاءت القرارات موضوع الخلاف بمثابة انتصار للموقف الذي تمسك به بن غوريون منذ ذلك الحين ؟

ثمة قرارات ثلاثة ، على الاقل ، جرى التصويت عليها واتخاذها في الجلسة الختامية للمؤتمر . فالقرار الاول يعتبر غرس الثقافة الصهيونية في نفوس النشء اليهودي من الواجبات الرئيسية التي تقع على عاتق كل فرد يهودي خارج اسرائيل . والقرار الثاني يؤكد ان الهجرة الى اسرائيل هي من واجب كل شخص صهيوني . أما القرار الثالث — وهو الذي ادى الى نشوب الخلاف بين المندوبين — فقد اشترط على كل مسؤول في الحركة الصهيونية عدم الاستمرار في تولي المهام الرسمية داخل الحركة طيلة ولايتين

متلاحقتين ، ما لم يبادر هذا المسؤول الى تدبير امر هجرته الى اسرائيل في تلك الاثناء . وفي حال اخفاق هذا المسؤول في اتخاذ الخطوة الحاسمة ، يتوجب عليه أن يستقيل من منصبه .

ان هذا القرار تقدم به تنظيم « الحارس الفتى » التابع للحركة الصهيونية العمالية ، وحظي بتأييد شديد من جانب المندوبين الاسرائيليين . ولقد جرت محاولة مماثلة خلال المؤتمر السابع والعشرين لتمرير مشروع قرار من هذا القبيل . لكن الخوف من احراج الفريق الصهيوني الاميركي حال دون المضي به حتى النهاية . بينما فاز القرار هذه المرة بأغلبية ضئيلة لا تتجاوز ستة اصوات (١٠٤ اصوات لصالحه و٩٨ صوتا ضده) . ولا ريب في ان فوز القرار يحقق امنية غالية لدى الزعماء الاسرائيليين ، وعلى رأسهم دافيد بن غوريون . فهو موجه بالدرجة الاولى ضد فريق « الصهيونيين المحترفين » الذين قد يرتضونه على الصعيد النظري فحسب ، لكنهم لن يتنازلوا عن مواقعهم خارج اسرائيل بقصد ترجمته الى تطبيق عملي .

وربما كان الخلاف الذي نشب حول القرار ، وادى الى انسحاب مندوبات الهداسا (النساء الصهيونيات) من قاعة المؤتمر ، هو النقاش العقائدي الملحوظ في هذا المؤتمر الصهيوني . فالاوساط القابعة وراء تقديمه وانجاحه رأت فيه ضربة موجهة الى « صهيونية الآباء » ، وذريعة لاحراجهم بقصد اخراجهم من مناصبهم التقليدية داخل الحركة . وهي أوساط يغلب فيها عنصر الشباب الصهيوني المتطرف وتدعمها الحكومة الاسرائيلية والجهات النافذة في حزب العمل . انها تدّعي رفض المساومات وتصر على استخلاص النتائج المنطقية من كون المرء عضوا في المنظمة الصهيونية خارج اسرائيل . و« الصهيونيون المحترفون » الذين يطالهم هذا القرار هم اولئك اليهود الذين ينطبق عليهم التعريف الشائع للشخص الصهيوني : « ذلك اليهودي الذي يتبرع بالمال الى يهودي ثان لكي يؤمن به انتقال يهودي ثالث الى اسرائيل » ! بيد انه من الصعب الاقتناع بأن مصلحة الحركة الصهيونية واسرائيل تقضي بالتخلص كليا ونهائيا من أمثال هؤلاء اليهود . فالمعروف انهم يشكلون الاكثرية الساحقة بين اليهود الذين يمدون اسرائيل بالاموال والمساعدات ويوفرون النجاح لحملات الجباية وجمع التبرعات . وهذا ما يفسر الى حد ما انسحاب مندوبات الهداسا البالغ عددهن ٥٣ من قاعة المؤتمر . لكن رئيسة فرع منظمة الهداسا بادرت الى التأكيد بأن اتخاذ مثل هذا القرار لن يصل بالمنظمة النسائية الى حد الانسحاب من الحركة الصهيونية ، رغم اعترافها في الوقت نفسه بأنه قد يتسبب في احداث انشقاق داخل الحركة .

ومما يدل على خطورة الموقف والنتائج التي قد يرتبها اغضاب الصهيونيين الاميركيين هو التراجع الذي اعقب انسحاب النساء الصهيونيات . فالقرار بنظر معارضيه يخالف دستور المنظمة الصهيونية العالمية ، اذ ينطوي على اجراءات تعسفية ويهدد بفرض العقوبات . والهداسا هي منظمة اختيارية ، لا تستطيع حمل اعضائها على التقيد بمضمون القرار وتنفيذه عمليا . كما تجدر الاشارة الى أن منظمة الهداسا في الولايات المتحدة تضم ما يزيد على ثلث اعضاء المنظمة الصهيونية العالمية (يبلغ عدد أعضائها في الولايات المتحدة ٣٥٠ الف عضو !) . وازاء هذه الوقائع والمحاذير لجأ الخائفون من عواقب الامر الى التخفيف من حدة القرار بجعله « توصية » بدلا من « قرار » ، على ان يسري مفعول هذه التوصية بعدما يفرغ الخبراء القانونيون من دراسة الموضوع واصدار حكمهم عما اذا كان يحق للمؤتمر الصهيوني اتخاذ قرار حاسم من هذا النوع .

فعلى المستوى الايديولوجي الصهيوني يبقى انجاز المؤتمر الثامن والعشرين رهنا بمصير « القرار » الذي تحول الى « توصية » ، بانتظار رأي الخبراء . والقرار الذي تقدم

باقتراحه مناحيم بيغن وحظي بموافقة الاكثرية ــ «لا مجال للتشكيك في الحقوق التاريخية للشعب اليهودي في أرض اسرائيل » ــ هو قرار لا ينطوي على شيء جديد بقدر ما يرضي غرور الذين تقدموا به . كما ان الاحزاب الدينية واليمينية لم تستطع انجاح مشروع قرارها الداعي الى الانطلاق من المفهوم الديني في تحديد « من هو اليهودي ؟ » .

وعلى الصعيد التنظيمي ، يمكن القول ان الانتقادات التي سبقت انعقاد المؤتمر لم تؤت ثمارها . فقد اوردت الصحف نبأ انتخاب آرييه بينكوس لرئاسة المنظمة الصهيونية العالمية ، بعد أن كان يشغل منصب رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ــ المنظمة الصهيونية . وبقي منصب الرئاسة شاغرا منذ استقالة ناحوم غولدمان (١٩٦٨) أو عزوفه عن الترشيح ازاء المعارضة الاسرائيليـــة . وربما كان انتخاب اسحق نافون لرئاسة « لجنة العمل الصهيونية » بمثابة بادرة لاسترضاء اليهود السفارديين(٣٠). مع العلم بأن « لجنة العمل » لا تعمل الا خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين ! كما تجدر الملاحظة الى كون نافون هو الممثل الوحيد عن اليهود الشرقيين الذي أتيح له ان يشغل هذا المنصب ، وللمرة الاولى في تاريخ الحركة الصهيونية . وعلاوة على انتخاب نافون اعطي المندوبون السفارديون (والبالغ عددهم ٨٠ مندوبا في المؤتمر) مقعدا واحدا في اللجنة التنفيذية الصهيونية التي تضم ٢٠ مقعدا . فأخذ المقعد اندريه ناربوني ، وهو محام يهودي كان يمارس المهنة في الجزائر سابقا .

لكن هذه البادرة تجاه السفارديين تهدف الى استرضائهم ، أكثر من كونها تشكل تغييرا جذريا على الصعيد التنظيمي . وقد علق أحد المراسلين اليهود ، وهو فرنسي ، على منجزات المؤتمر بالنسبة لتركيب المنظمة الصهيونية بقوله : « غير ان جميع الانتقادات لم تسفر عن احداث اي تغيير ملحوظ في الاجهزة والبنيات التي تقادم عهدها داخل المنظمة الصهيونية . فهي ما زالت على حالها ، بمثابة جهاز ضخم يسيطر عليه الزعماء والاعيان الذين تقوم بتعيينهم الاحزاب السياسية الاسرائيلية »(٣١).

وعلى الصعيد المالي ، يصعب التكهن حاليا بنتائج حملات الجبايـــة وجمع الامـــوال والتبرعات . لكن أجهزة الجباية الصهيونيـــة سوف تمضي في استغلال قضية اليهود السوفيات الى جانب الاساليب النفسية الاخرى ، بغية حمل اليهودي الاميركي على التبرع بسخاء . وليس بمستبعد أن تلجأ هذه الاجهزة الى استثارة الاريحية لدى المتبرع اليهودي الاميركي عن طريق « غسل دماغه » واقناعه بأن تبرعه ، فضلا عن كونه تأدية للواجب الاخوي ، مرهون بالتعبير عن كراهيته لدولة شيوعية .

وثمة تعديلات طرأت على تركيب الحركة الصهيونية ، لكنها تمت قبل انعقاد المؤتمر الثامن والعشرين ، وجاءت تنفيذا لمقررات اتخذها المؤتمر الاسبق (السابع والعشرون). فقد أصدرت اللجنة التنفيذية خلال دورة انعقادها (تموز ، ١٩٦٩) بالقدس قرارا يقضي بتوسيع هيكل الوكالة اليهودية ــ على غرار ما احدثه وايزمان عام ١٩٢٩ بالنسبة للوكالة اليهودية الموسعة . والغرض الظاهر لعملية التوسيع هو اتاحة المجال امام الجماعات والتنظيمات غير الصهيونية لكي تنضم الى صفوف الوكالة اليهودية ، بحيث يؤدي ذلك الى مضاعفة نسبة العضوية في الصيغة الجديدة لتنظيم الوكالة . اما اعتبار هذا التعديل بمثابة « الحدث التاريخي » الذي من شأنه توليد مضاعفات على الصعيد اليهودي العالمي ، فانه أقرب الى النواحي المالية منه الى التغييرات التنظيمية . وليست المشاركة التنظيمية في ادارة اعمال الوكالة ، عن طريق السماح بضم غير الصهيونيين الى تركيبها ، سوى تغطية لتأمين المزيد من اموال الجباية والتبرعات . ففي التصريح الذي ادلى به بينكوس ، رئيس المجلس التنفيذي للوكالة ، الى صحيفة هآرتـــس (٧١/١٠/١٨) نكتشف الغرض الحقيقي لعملية التوسيع ، حيث قال بصدد مشاركة

غير الصهيونيين في ادارة الوكالة انها اتاحت المجال لتشكيل لجنة عالمية تهتم بأمور الجباية في الخارج . واستطرد بينكوس قائلا : « كان هناك حتى الآن جباية خاصة بكل بلد . وسوف يتغير الان طقم العاملين في جمع الاموال ، من خلال المعرفة والخبرة ، لكي يصار الى استعمال اساليب جديدة . كما انه سيقام معهد خاص لتدريب الاشخاص المولجين بجباية التبرعات . . . »(٣٢) .

وتجدر الاشارة هنا الى تعديلات اخرى جرت على صعيد التنظيم داخل الحركة الصهيونية العالمية ، وتمشيا مع القرارات المتخذة في المؤتمر السابع والعشرين . فالتعديل الاول تميز بتشكيل « الفدرالية الصهيونية الاميركية » وانضمامها الى عضوية المنظمة العالمية . والمعروف ان هذه الفدرالية تتألف من المنظمات الصهيونية الرئيسية في الولايات المتحدة ، كما تبلغ عضويتها المجتمعة ما يزيد على نصف مليون شخص . اما التعديل الثاني ، فهو انشاء « المجلس الصهيوني لاسرائيل » ، حيث يخضع تركيب هذا المجلس لتوزيع القوى بالنسبة للاحزاب الاسرائيلية .

اما المؤتمر ككل ، وبالنسبة للمشكلات الكبرى التي ادرجها في جدول اعماله ، فانه خيّب الآمال الكثيرة ، بنظر المراقبين . فالشخص العادي في اسرائيل اظهر اللامبالاة حيال مناسبة صهيونية بمثل هذه الاهمية . والصحافة لم تتردد في توجيه النقد الشديد احيانا . بينما جاء الانذار ، الذي صدر عن عناصر الشباب الصهيوني العامل بوحي من الجهات النافذة في اسرائيل ، وخاطب قدماء الصهيونيين بلهجة قرار مؤداه : « تعالوا الى اسرائيل او تخلوا عن مناصبكم » ليضع الحركة الصهيونية على حافة الانشقاق . وفيما يتعلق بهجرة اليهود السوفيات ، ثمة دلائل تشير الى ان هذه الظاهرة تنطوي على نقمة ، جنبا الى جنب مع « النعمة » التي تتوسمها اسرائيل . فالحلم ، على حد قول احد المراقبين ، يحمل معه عناصر الكابوس المزعج !

ولقد أوجز احد المراسلين الالمان في اسرائيل حصيلة المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين لجهة التوقعات والمنجزات على النحو الآتي : « القرارات وحدها تكفي لكي يرى المرء ان المؤتمر لم يحقق الآمال التي علقها عليه المتفائلون : فقد تنبأ دعاة التفاؤل مسبقا بان المؤتمر سوف يولي اهتمامه على نطاق واسع جدا للمشكلات الاجتماعية بداخل اسرائيل . كما تنبأوا ايضا بان عنصر الشباب سوف يأخذ مبادرة الكلام واثبات الوجود في هذا المؤتمر اكثر من ذي قبل . لكن الامور سارت على غير ما اشتهته رياح التنبؤات »(٣٣) .

ان « صهيونية الآباء » لم تجد نهايتها على يد الابناء في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . ومهما هبطت أسهم « الصهيونيين المحترفين » لدى دعاة « الصهيونية المنسجمة مع نفسها » و« الهادفة لتحقيق الهجرة الذاتية الى اسرائيل » ، فان المنظمة الصهيونية العالمية لا تستطيع الاستغناء عن الآلاف من سفرائها في شتى انحاء العالم ، كما ان اسرائيل لن تكون اسرائيل بدونهم خارجها .

ملاحظة — جرى الاعتماد في اعداد هذه المقالة عن المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين على الصحف الاجنبية بالدرجة الأولى ، ولا سيما الصحف الصادرة باللغة الالمانية . كما تم الرجوع الى « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » ، منذ صدورها وحتى تاريخه ، لاستقاء المعلومات واقتباس التصريحات المتعلقة بشؤون الحركة الصهيونية والاطار الخلفي لمناسبة انعقاد المؤتمر الاخير . ومما يسترعي الانتباه ان معظم الصحف الاجنبية الكبرى قد اولت المؤتمر الصهيوني اهتمامها البالغ ، فنشرت التقارير والانباء المفصلة لمراسليها الذين تابعوا اعمال المؤتمر وافاضوا في الحديث عن المشكلات التي واجهها والازمة التي عصفت به ابان جلسته

النهائية للتصويت على القرارات .

١ ــ انظر : صحيفة « **فرانكفورتر الغمانيه** » ، العدد ٣٠١ ، بتاريخ ١٩٧١/١٢/٣٠ و « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، العدد ٣٠٩ ، ١٢/٢٧/ ١٩٧١ .

٢ ــ « **نوي تزوريخر تزايتونغ** » ، ١٩٧٢/١/١٩ (العدد ١٨) .

٣ ــ « **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** » (ن.م.د.ف) ، العدد ٥ ، السنة الاولى ، ١٩٧١/٦/١ ، ص ٧٦ (نقلا عن صحيفة « **معاريف** » ، ١٩٧١/٥/١٤).

٤ ــ المراسل الاسرائيلي ، موشيه تافور ، لصحيفة « **فرانكفورتر الغمانيه** » ، ٧٢/١/١٩ (العدد ١٥) .

٥ ــ نقلا عن صحيفة « **نوي تزوريخر تزايتونغ** »، ١٩٧٢/١/١٩ .

٦ ــ « **لوموند** » ، ١٩٧٢/١/٢١ .

٧ ــ راجع « **الجويش اوبزرفر** » ، ١٩٦٨/٢/٢٣ (العدد ٨) ، ص ٢٣ ــ ٢٤ .

٨ ــ « **الجيروزالم بوست** » ، الملحق الاسبوعي (رقم ٤٨٩) ، ١٩٧٠/٣/٩ .

٩ ــ **المصدر نفسه** .

١٠ ــ **المصدر نفسه** (العدد ٤٩٣ من الملحق الاسبوعي) ، ١٩٧٠/٤/٦ .

١١ ــ أورد موشيه تافور هذا الرقم في مقاله المشار اليه في الحاشية رقم ٤ .

١٢ ــ نقلته **ن.م.د.ف** (عدد ١٤) ، ٧١/١٠/١٦، ص ٢٥٢ .

١٣ ــ راجع المقالة التي نشرتها صحيفة « **نوي تزوريخر تزايتونغ** » ، الحاشية رقم ٢ .

١٤ ــ **المصدر نفسه** .

١٥ ــ **ن.م.د.ف.** (العدد ٣ من السنة الثانية)، ١٩٧٢/٢/١ ، ص ٧٦ .

١٦ ــ **المصدر نفسه** (العدد ٨ من السنة الاولى)، ١٩٧١/٧/١٦ (نقلا عن « **دافار** » ١٩٧٠/٨/٧).

١٧ ــ **المصدر نفسه** (العدد ١ ، السنة الاولى) ١٩٧١/٤/١ ، (نقلا عن (**معاريف**» ٧١/٣/٢١).

١٨ ــ « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، ١٩٧٢/١/١٩ (العدد رقم ١٤) .

١٩ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/١/٢٠ (عدد ١٥).

٢٠ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/١/١٢ (عدد ٨) .

٢١ ــ جاء في مقالة لمراسل صحيفة « **لوموند** » من القدس ان المندوبين السفارديين لدى المؤتمر الصهيوني بلغ مجموعهم ٨٠ مندوبا ، وانهم اظهروا تكتلا داخل قاعات المؤتمر وفي اثناء مناقشاته وجلساته (٣٠ ــ ١٩٧٢/١/٣١) .

٢٢ ــ راجع مقالة « **نوي تزوريخر تزايتونغ** » ، تحت الحاشية رقم ٢ .

٢٣ ــ « **الدايلي ستار** » ، ١٩٧٢/١/٢٨ . « **سود دويتشه تزايتونغ** » ١٩٧٢/١/٢٨ .

٢٤ ــ « **الدايلي ستار** » ١٩٧٢/١/٢٠ .

٢٥ ــ « **سود دويتشه تزايتونغ** » (١٩٧٢/١/٢٠).

٢٦ ــ **المصدر نفسه** ، ٢٩ــ١٩٧٢/١/٣٠ (العدد ٢٣) .

٢٧ ــ **ن.م.د.ف.** (العدد ٣ السنة الثانية) ، ١٩٧٢/٢/١ .

٢٨ ــ **المصدر نفسه** (عدد ١٤ السنة الاولى) ، ١٩٧١/١٠/١٦ ، ص ٢٥٢ .

٢٩ ــ **المصدر نفسه** (عدد ١٧ ، السنة الاولى)، ١٩٧١/١٢/١ ، ص ٣١٧ .

٣٠ ــ هناك تضارب في الانباء المتعلقة بشخصية نافون . بعض الوكالات نقلت عنه انه من مواليد القدس (١٩٢١) ، بينما يقول مراسل صحيفة «**لوموند**» (٣٠ــ١٩٧٢/١/٣١) ان نافون يتحدر من اصل مراكشي وقد شغل منصب مدير في وزارة بن غوريون سابقا .

٣١ ــ انظر « **لوموند** » بتاريخ ٣٠ــ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ ، ص ١٨ .

٣٢ ــ انظر **ن.م.د.ف.** (عدد ٧ ، سنة اولى) ١٩٧١/٧/١ و (عدد ١٤ ، سنة اولى) ، ١٩٧١/١٠/١٦ . وراجع « **الدايلي ستار** » ، ١٩٧١/٦/٢٣ .

٣٣ ــ راجع صحيفة « **سود دويتشه تزايتونغ** » ؛ ٣٠/٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ (العدد ٢٢) .

لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة

منير شفيق

موضوع اقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل ليس جديدا ، فقد نص عليه قرار التقسيم ١٩٤٧ ، ولكنه وضع على الرف نتيجة ثلاثة عوامل رئيسية : أ ــ رفض الجماهير الفلسطينية والعربية تقسيم فلسطين، والاصرار على عدم الاعتراف بالاغتصاب الصهيوني والدولة الصهيونية . ب ــ الخطة الامبريالية ــ الصهيونية الرامية الى اجتثاث الشعب الفلسطيني من ارضه ، واذابته في البلدان العربية . ج ــ ضم الضفة الغربية الى المملكة الاردنية الهاشمية ، وحكمها بالحديد والنار ضمن اهداف الخطة الامبريالية ــ الصهيونية المذكورة اعلاه ، وضمن تعزيز الكيان الاردني الهزيل الذي اصطنعه الاستعمار الانكليزي ليكون مخفرا في المنطقة ضد حركات التحرر العربي ، والوحدة العربية . ولكن ، رغم الاوضاع التي نشأت بعد نكبة ١٩٤٨/١٩٤٩ ، جرت محاولة لاقامة حكومة فلسطينية ــ « حكومة عموم فلسطين » ــ في المنفى برئاسة أحمد حلمي ولكنها لم تعمر طويلا ، وظلت حبرا على ورق . وهكذا نام المشروع أمدا طويلا ، الى أن وقعت حرب حزيران ١٩٦٧ ، لتبدأ اصوات بالارتفاع ، تحت الاحتلال ، تنادي باقامة دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد عبر عن هذه الاصوات ، كل من عزيز شحادة ، وحمدي التاجي الفاروقي . كما وجد هذا الاتجاه تجاوبا من بعض الزعماء الاسرائيليين ، مثلا ، مشروع « ريف كاتز » الذي طالب باقامة دولة فلسطينية ضمن شروط الاعتراف باسرائيل والتعايش معها ، ومشاريع افنيري وجولدمان ، بينما ظل الموقف الرسمي لحكومة اسرائيل برفض الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني والشخصية الفلسطينية ، وبالتالي رفض أي اقتراح باقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية والقطاع . وفي أحسن الحالات ، الموافقة على قيام نوع من الحكم الذاتي ، أو الكيان الذاتي ، في الضفة والقطاع ، تحت حماية الاحتلال الاسرائيلي ، واقامة دولة فلسطينية في الضفة الشرقية خارج مناطق الاحتلال الحالية ، وقد عبر ايجال آلون عن هذا الاتجاه الاخير .

كان لتصاعد الثورة الفلسطينية وانتصاراتها بعد معركة الكرامة ، دور بارز في استبعاد هذه المشاريع ، واخراس الاصوات « الفلسطينية » التي نادت بها ، بالاضافة الى احتواء الصراع المسلح على جبهة القناة ، ووضع قرار نوفمبر ١٩٦٧ على الرف . ولكن بروز مشروع روجرز ، وما صاحب ذلك من موافقة بعض الدول العربية عليه ، ثم ما تلا ذلك من عمليات ابادة للثورة الفلسطينية في الاردن ، أدى الى ان تعود تلك المشاريع فتحتل مكانا بارزا في الضفة الغربية ، والمحافل العربية والدولية ، جنبا الى جنب ، مع مشاريع التسوية الشاملة للوضع في المنطقة بأسرها ، كما أدى الى طرح مجموعة كبيرة من الخرائط لاعادة تقسيم المنطقة وترتيب أوضاعها .

ولكن كل أولئك الذين راحوا يخططون لاعادة تقسيم المنطقة ، ويتفننون في طرح مشاريع لتصفية القضية الفلسطينية ، وايجاد « سلم دائم » ، كانوا يحاربون طواحين هواء في واد ، بينما كان الهدف الذي طرح مشروع روجرز من أجله قد تحقق ، أي اجتثاث الثورة الفلسطينية من الاردن ، وأصبح المخطط الامبريالي الامريكي يعمل في واد آخر . انهم لم يدركوا انه لم يبق بعد ضرب الثورة الفلسطينية في الاردن مسوّغ لمشروع روجرز ، بدليل بسيط ، وهو ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية سرعان ما كشفت أوراقها ، وادارت ظهرها للتسوية ، فاتضح حتى للذين خدعوا ، انها كانت تناور ، ولم تكن تستهدف اجراء تسوية ، وانما ضرب الثورة الفلسطينية كمقدمة لبدء مرحلة جديدة في طريق تحقيق اهدافها الرامية الى السيطرة الكاملة على المنطقة . واتخذ ذلك أسلوب ممارسة ضغط شديد على مصر تحت شعار سحب الوجود ، أو النفوذ ، السوفياتي منها . أو بكلمات أخرى ، غير مقنعة ، تحقيق سيطرتها السياسية والاقتصادية على مصر ، ومن ثم على سوريا وليبيا والعراق وسائر البلدان العربية، وما يتطلبه ذلك من ضرب لحركات التحرر العربي ، وسلب المكتسبات الوطنية والتقدمية التي تحققت خلال العشرين سنة الماضية. لهذا فان المعركة الان ليست على طاولة المفاوضات ، او على مائدة نشرت فوقها الخرائط لاعادة تقسيم حدود الدول ، وانما هي معركة الامبريالية الامريكية للسيطرة الكاملة على مصر كثمن لاية تسوية ، واذا نجحت في هذه المعركة تفرش خريطة المنطقة ليعاد ترتيب الحدود والأوضاع ، وعندئذ يبحث مشروع اقامة دولة فلسطينية او عدم اقامتها .

ان ادراك هذه الحقيقة لا يعني التقليل من خطورة تطور الاوضاع باتجاه تصفية القضية الفلسطينية من خلال اقامة دولة فلسطينية صورية هزيلة . ولكنه يعني معرفة أين نوجه النار في المرحلة الراهنة ، والتحضير الجدي لمواجهة معارك المرحلة التالية . ولهذا لا بأس من مناقشة الذين قدموا مشاريع للدولة الفلسطينية ، ولكن مع التأكيد الجازم ان المعركة الان ، ليست معركة الدولة الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية ، وانما معركة تصفية حركة التحرر العربي ، كثمن مقدم لتنفيذ أجزاء من قرار نوفمبر ١٩٦٧ ومعه تصفية القضية الفلسطينية .

يمكن تقسيم المشاريع المقترحة لاقامة دولة فلسطينية الى قسمين رئيسيين :

اولا : المشاريع التي ينادي بها أولئك الذين رفضوا أصلا استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد لتحرير فلسطين كل فلسطين ، وساروا في طريق الاستسلام للامبريالية والصهيونية ، فراحوا يفتشون عن « حل » ضمن المخطط الامبريالي — الصهيوني للمنطقة ، وخارج الكفاح الثوري من اجل التحرير . وهنا لا بد من التنبيه الى ان هنالك قلة من بين المنادين بتلك المشاريع ، ليسوا من عملاء الامبريالية والصهيونية ولكنهم انهزاميون لا ثقة لهم بالثورة المسلحة والثورة العربية ، فانجرفوا في طريق المشاريع الاستسلامية وهؤلاء يجب التفريق بينهم وبين العملاء ، وذلك من أجل تحييدهم، او اقناعهم بضرورة التراجع عن الدرب الذي يؤدي الى العمالة وتصفية القضية الفلسطينية.

تتراوح تلك المشاريع بين : ا — قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، وقطاع غزة — واذا أمكن بعض الاراضي التي أقرها للعرب قرار التقسيم ١٩٤٧ — منفصلة عن الضفة الشرقية ، وتعترف بدولة اسرائيل ، وتقيم معها على اساس « التعاون » و« حسن الجوار » — وحتى اتحاد فيدرالي — (اتجاه حمدي التاجي الفاروقي وآخرين). ب — قيام دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأية أراض تتنازل عنها اسرائيل من تقسيم ١٩٤٧ ، تحت حماية هيئة الامم المتحدة والدول الكبرى ، تعترف باسرائيل و« تتعاون » معها الخ. (اتجاه يمثله عزيز شحادة وآخرون) . ج — وضع الضفة الغربية والقطاع والقدس العربية ، لمدة خمس سنوات ، تحت وصاية دولة

محايدة ، ويجري استفتاء ، بعد هذه الفترة ، حول مستقبل المناطق المحتلة يقوم به اهالي تلك المناطق (اتجاه محمد علي الجعبري وآخرين) . د ــ اقامة دولة فلسطينية مستقلة مع تغيير الدستور الاردني ، ومن ثم اقامة دولة اتحاد لا ضم مع الاردن (حمدي كنعان وآخرون) . هـ ــ هنالك مشاريع مشابهة يتحدث عنها ، أكثر الاحيان همسا ، نفر من الشباب الطامحين للحلول محل الزعامة التقليدية ، وستظهر أسماء الكثير منهم في انتخابات المجالس البلدية والمحلية .

رغم الاختلافات الشكلية بين هذه المشاريع وأشباهها ، الا أنها جميعا تلتقي ، موضوعيا، فيما يلي : ١ ــ كلها أسقطت من حسابها مسائل التحرر من الامبريالية وقضية تحرير فلسطين ، وراحت تدور في فلك الوصاية الاسرائيلية والامبريالية . ٢ ــ خلق كيان هزيل صوري مجرد من كل مقومات الدولة المستقلة. ٣ ــ تحويل الدويلة الفلسطينية المقترحة الى كيان يصفي القضية الفلسطينية ، ويعترف باسرائيل ويكون لها بمثابة جسر ، أو ممر ، اقتصادي وسياسي وثقافي الى العالم العربي ، لتحقق تحت مظلته اكثر مما تطمح في تحقيقه عن طريق الحرب والتوسع العسكري . ٤ ــ تصفية الثورة المسلحة ، والقيام بدور العازل عسكريا لمصلحة الكيان الصهيوني .

ان اكثر أصحاب هذه المشاريع لا يستحقون مناقشة الا بقدر ما « تناقش » به ثورة عملاء العدو ، لان الخلاف معهم هو الخلاف بين الثورة وبين الاستسلام والمهادنة ، او على الاصح خلاف على البدهيات الاولية. ولكن الشيء الذي يجب لفت النظر اليه هو «المنطق» الذي ينشر لترويج تلك المشاريع . . اي « المنطق » الذي يبشر بعدم جدوى النضال ضد اعداء اقوياء ، وبأن الطريق الوحيد هو المهادنة والقبول بأي شيء لئلا يضيع كل شيء .

ان الوقوف قليلا عند مثل هذا الطرح ضرورة لانه قد يخدع بعض الذين لا مصلحة لهم في الانجرار وراءه . ومن هنا علينا ان نلحظ عبارة « القبول بأي شيء » ، كم تحمل من المعاني ، اي القبول بأن نكون صوريين ، ان نكون واجهة في جزء من بلادنا مقابل أن يكرس العدو في الجزء الآخر ، ويتنفذ اقتصاديا وسياسيا في الجزء الذي نحن فيه ، ويتسلل منه الى بقية البلدان العربية . فهل هنالك افضل للعدو من أن تقوم دولة فلسطينية مرتبطة به ، وتأخذ عنه مهمة جلد الشعب الفلسطيني واضطهاد ثواره بينما نترك له أخذ كل شيء . ان الاستسلام لاعداء اقوياء لا ينفذ شيئا ، وانما يفقدنا كل شيء حتى الامل والكرامة ، لان جوهر الصراع بيننا وبين الامبريالية والصهيونية ينبع من الطبيعة العدوانية التوسعية الاستغلالية للامبريالية والصهيونية ، وليس من عنادنا ورفعنا راية المقاومة . ومن يقل عكس ذلك فسينتهي الى نتيجة مقلوبة تماما تفسر انشاء دولة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بسبب رفض الفلسطينيين للهجرة الصهيونية وانشاء الوطن القومي اليهودي. ولكن مثل هذا الكلام لا يجرؤ غلاة الصهيونيين على تبنيه.

والسؤال، هل اذا استسلمنا وقبلنا بالتخلي عن قضية التحرير تغير من طبيعة الصهيونية والامبريالية شيئا ، ام ان كل الذي نفعله هو ان نحقق للعدو ، برضانا واستسلامنا ، ما أراد ان يحققه بالقوة العسكرية ؟

ثمة نقطة اخرى تجب ملاحظتها هنا ، وهي ان اولئك الذين يجهدون عقولهم في اثبات عدم جدوى الكفاح المسلح يخوضه الشعب ضد عدو يمتلك امكانات عسكرية ضخمة ، لا يتحدثون شيئا عن امكانات العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية في مجال التوسع الاقتصادي والسيطرة السياسية في حالة ابرام اتفاقية التسوية . ام ان اختصاصهم يتركز في مسائل فن الحرب مع العلم انهم من رجال الاعمال واصحاب الممتلكات الكبيرة وذوي الارصدة في البنوك ؟؟ واذا رد عليهم انسان بسيط ، قائلا ، ثمة تجارب عديدة في التاريخ استطاع فيها شعب فقير كادح ان يهزم بأسلحته البسيطة في حرب الشعب جيشا

امبريالية قويا للغاية ، ولكن لا توجد تجارب مطلقا استطاع فيها شعب متخلف تحت ظل السيطرة الامبريالية ان يهزم التروستات والكارتيلات في التنافس الاقتصادي ، فكيف يردون ؟ أم ان هذه القضية ليست موضوع بحث . وكذلك قضية التحرير ، ما دامت هنالك فئة قليلة سوف تنتفع حين يوكل اليها لعب دور الوسيط التجاري للاحتكارات الصهيونية والامبريالية ، وأخرى سيتحقق حلمها في بيع أملاكها التي فقدتها عام ٤٨/٤٩ أمثال عزيز شحاده وحمدي التاجي الفاروقي ؟

على كل حال ، إن نظرية « لنقبل بأي شيء لئلا نفقد كل شيء » ليست جديدة ، فقد عرفت كل الشعوب التي واجهت محتلين اقوياء ، وهبت للمقاومة المسلحة ، أمثال هذه النظرية يروجها المستسلمون للعدو . ألم يحدث مثل هذا في فرنسا وبلجيكا وهولندا ونيروبج الخ أيام الاحتلال النازي ؟ ألم يحدث مثل هذا في بلادنا العربية أيام الاحتلال البريطاني والفرنسي ؟ الا يوجد الان مثل هؤلاء ، في فياتنام وكمبوديا ولاوس ؟

ثانيا : ثمة مشروع لقيام دولة فلسطينية ، أو كيان فلسطيني ، في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تحت شعار المرحلية في الثورة .

ان هذا المشروع لم يكتب عنه ، ولم يناقش علنا ، ولكن الثورة الفلسطينية ووجهت به في اثناء لقاءاتها مع بعض الاحزاب الشيوعية الاوروبية . وربما وجد له صدى ، في ظل الظروف الراهنة ، لدى بعض الافراد في المنطقة هنا . ولهذا لا بد من مناقشته لانه يستظل تحت تنظير ذي صباغ « ثوري » ، مما يتطلب تصفية الحساب معه لخطورته على الثورة من الداخل .

يلخص أصحاب هذا الاتجاه وجهة نظرهم كما يلي : الثورة ، أية ثورة تحقق أهدافها على مراحل ، فهي تضع اهدافا مرحلية قابلة للتحقيق الآني ، وحين تتحقق توقف الثورة الكفاح المسلح لترسيخ المكتسبات التي أحرزتها استعدادا للنضال من اجل المرحلة التالية . ثم يعزز هذا الرأي باستشهادات من الثورة الروسية (صلح برست ليتوفسك ١٩١٨) ، والثورة الفياتنامية (اتفاقيات جينيف ١٩٥٤) الخ .

هنا ، تواجهنا مغالطة خطيرة حين تطرح هذه الموضوعة تجريديا ثم تفرض قسرا على مسألة الدولة الفلسطينية المقترحة والتسوية السياسية موضوع البحث . وذلك :

ا ــ يجب أولا أن توضح السمات الاساسية للاهداف المرحلية وعلاقتها بالهدف النهائي ، اي ان يفهم أن الجوهر هنا يشترط أن تكون الاهداف المرحلية تشكل حلقات متماسكة توصل الى الهدف النهائي ، كما يجب ان تفهم السمة الاخرى للاهداف المرحلية ، وهي تقريرها على ضوء الظروف المعطاة ، في كل مرة ، بالارتباط العضوي بالهدف النهائي . اذ ليس كل ما يسمى بهدف مرحلي هو فعلا الهدف المرحلي الصحيح الذي تتطلبه ظروف التطور الثوري ، كما ان الاهداف المرحلية التي تضعها ثورة ما ليست الأهداف المرحلية التي تضعها ثورة أخرى . واخيرا أن السمة التي لا جدال حولها بالنسبة لموضوعة الاهداف المرحلية، هي ان من غير الممكن اطلاقا ان تسمى أهدافا مرحلية تلك التي تصفي الثورة وتصفي هدفها النهائي . وعند هذا الحد نقول ان المسألة اذن ، ليست نقاشا حول موضوعة وضع أهداف مرحلية في النضال ، وانما السؤال : ما هي الاهداف المرحلية الصحيحة لثورتنا في الظرف الراهن ؟ ولماذا لا يمكن اعتبار الكيان المقترح ــ الدولة ــ والتسوية السياسية المقصودة ، من الاهداف المرحلية لثورتنا ، بل على العكس ، هما من أهداف الامبريالية والصهيونية في تصفية ثورتنا وتصفية هدفها النهائي، وبالتالي فان احباطهما أحد الاهداف المرحلية لثورتنا .

واذا أردنا ان نتوسع اكثر في الرد على سؤال ، ما هي الاهداف المرحلية لثورتنا في الظرف الراهن ، نقول ان من بين تلك الاهداف : مثلا ، تأمين قواعد ارتكاز وانطلاق

آمنة للثورة الفلسطينية ، خاصة ، من خلال اسقاط الحكم الهاشمي وعودة الثورة الى الاردن ، تصعيد الكفاح المسلح في الارض المحتلة ، حماية المقاومة في قطاع غزة من التصفية ، احباط المؤامرة الامبريالية الامريكية لضرب الثورة العربية ، اعادة تنظيم الوحدة الوطنية في الثورة الفلسطينية ، السعي الحثيث لتشكيل جبهة عربية واسعة معادية للامبريالية والصهيونية ، وفوق هذا كله ، اعادة تنظيم القوى الذاتية للثورة وانهاض الجماهير الخ.

واذا اردنا ان نضرب امثلة عامة لاهداف مرحلية تواجهها الثورات المسلحة في اغلب الحالات نقول : تأمين قاعدة آمنة ، ايجاد مناطق محررة ، الدفاع عن المناطق المحررة ، احباط هجوم شامل يشنه العدو ، الانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى مرحلة التوازن الاستراتيجي .. الخ .. ام لا يفهم الذين يطرحون موضوعة الاهداف المرحلية في النضال من هذه الموضوعة الا الصلح ، والتسوية ، وتوقيف الكفاح المسلح ؟؟

ب ــ ان موضوعة الاهداف المرحلية في النضال تشترط، فيما تشترط، ترسيخ المكتسبات التي احرزتها الثورة وتوفير امكانية اجراء الاستعدادات من اجل مواصلة النضال في سبيل تحقيق اهداف المرحلة التالية .

عندما وافق لينين على معاهدة صلح برست ليتوفسك لم يفعل ذلك لانها تشكل مرحلة ضرورية من مراحل الثورة الروسية وضعت في برنامج الحزب البلشفي سلفا ، اذ ان مثل هذه المعاهدات والاتفاقيات لا علاقة لها بموضوعية المرحلية ، وانما تمليها عادة اعتبارات اخرى تقررها الثورة ضمن كل ظرف معطى . فمثلا كانت معاهدة صلح برست ليتوفسك تعني اطلاق يد الحكومة السوفياتية في المناطق الشاسعة التي حررتها الثورة، اي في كل الروسيا تقريبا ، وكانت كل الامكانات متوفرة لترسيخ المكتسبات وبناء قوة عسكرية جبارة .. الخ. فهل كان لينين سيقبل بمثل تلك المعاهدة اذا كانت تشترط تجريد روسيا من السلاح ، ووضع الدولة السوفياتية تحت الاشراف المباشر لهيئة دولية او لدولة امبريالية . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فان المشكلة التي واجهتها ثورة اكتوبر تختلف كيفيا عن المشكلة التي تواجهها الثورة الفلسطينية ، فالمسألة هناك كانت، مواجهة احتلال اجنبي ، اما المسألة هنا فهي مواجهة كيان استيطاني اجتث الشعب من ارضه واحل مكانه شعبا آخر . والمطلوب تكريسه شرعيا وقانونيا فلسطينيا وعربيا ودوليا مع فتح كل سبل توسعه اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، وايجاد الضمانات لتجريد الفلسطينيين من السلاح ، وخلق كل الشروط للقضاء على أية امكانية للتحرير مستقبلا . ويمكن أن يقال الشيء نفسه في حالة المقارنة مع اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ حول الهند الصينية.

والان ، لنضع جملة من الاعتبارات المبدئية والجوهرية التي تقضي برفض قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ، او اجراء التسوية المطروحة ، لنضعها جانبا من اجل الجدل فقط ، ولنلق نظرة الى الدولة المقترحة ، والتسوية المطروحة لاظهار الخطأ الفادح حين تسمى اهدافا مرحلية من وجهة نظر الشرطين القاضيين بترسيخ المكتسبات التي احرزتها الثورة ، وتوفير الامكانات لاجراء الاستعدادات من اجل مواصلة النضال لتحقيق الهدف النهائي : ا ــ ان قيام الدولة الفلسطينية ضمن التسوية المقترحة يشترط تجريدها من السلاح ووقف كل الاجراءات التي تعني العداوة ــ مثلا تصفية المقاومة المسلحة ــ وابقاء الكيان الصهيوني متفوقا عسكريا ، بصورة مطلقة . هذا فضلا عن الاعتراف به ، وافساح المجال لتوسعه الاقتصادي والسياسي والثقافي . ب ــ هل هنالك مقومات اقتصادية وعسكرية وسياسية لدولة فلسطينية تقوم في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟ ان عدم وجود مثل تلك المقومات لا يجادل بها اثنان . وهذا يعني ان تلك الدولة ستكون بحاجة الى « المعونات » العربية والاجنبية حتى لصرف رواتب موظفيها ، أي ان تلك الدولة لن تستطيع ان تكون مستقلة بسياستها واقتصادها وارادتها ، وبالتالي **لا مفر** من

ان تكون كيانا هزيلا تابعا يعيش تحت رحمة « الاجاويد » الى جانب العيش تحت رحمة تغلغل الامبريالية الامريكية وسيطرتها ، وتحت رحمة سيطرة النفوذ الاسرائيلي والجيش الاسرائيلي .

يتضح ، مما تقدم ، ان ما يسمى بالاهداف المرحلية في النضال ــ الدولة الفلسطينية والتسوية السياسية ــ لا علاقة لها هنا بموضوعة المرحلية في النضال ، فهي تصفية للثورة المسلحة ومكتسباتها ومعها تصفية هدفها النهائي وقضيتها العادلة .

ثمة حجة أخرى تقوم باتجاه « المرحلية » في النضال ، تقول : الكفاح المسلح أصبح في مأزق بعد مجازر أيلول وتموز وضرب الثورة الفلسطينية في الاردن . وبسبب الصعوبات والسلبيات الناجمة عن عدم وجود أرض يقف عليها الفلسطينيون ، مما يترك الثورة تحت رحمة بعض الانظمة العربية . ولهذا لا بد من ارض يمتلكها الفلسطينيون حتى يكون بالامكان تحرير ارادة الثورة وانقاذها من الضربات والضغوط التي تمارسها تلك الانظمة والاوضاع الاقليمية المعادية .

ان هذا الطرح يخلط بين أمور عديدة خلطا عشوائيا ليخلص من مواجهة الصعوبات على اختلافها ، عن طريق الهروب الى ما يسمى بالارض التي يقف الفلسطينيون عليها تكون لهم ، ولا يشاركهم فيها أحد .

القسم الاول من هذه الحجة يطمح لان يخرج الكفاح المسلح من مأزقه . ولكن كيف ؟ ببساطة ، التخلي عن الكفاح المسلح من اجل اخراجه من المأزق الذي أصبح فيه وذلك حين يتحول البحث في الخروج من المأزق عن طريق القبول بكيان او دولة تعطى مقابل شروط مذلة عديدة ، على رأسها ، التخلي عن الكفاح المسلح . والقسم الثاني من تلك الحجة يربط الخروج من المأزق الذي يحيط بالكفاح المسلح ، بضرورة وجود أرض يقف الفلسطينيون عليها ، ولكن ، مرة أخرى ، يجبهنا السؤال ما هي تلك الارض المقترحة وما هي شروط الوصول اليها ، والكيفية التي ستمنح فيها ؟ وهنا لا يتكلف المتحدثون بمثل هذا المنطق عناء تقديم اجابات عن تلك الاسئلة ، والاثبات فعلا ، ان تلك الصيغة هي الطريق « لتصعيد » الكفاح المسلح و« تحرير » ارادة الثورة والجماهير الفلسطينية. الحديث عن المأزق الذي أصبح فيه الكفاح المسلح ، يتطلب البحث عن الاسباب والنواقص الحقيقية التي ادت اليه ، وليس الحكم على ما آلت اليه حالة الكفاح المسلح من خلال ذكر سبب احادي الجانب ــ عدم وجود أرض تقف عليها الثورة وتكون لها ــ كان موجودا قبل وقوع الكفاح المسلح في مأزقه الراهن . ان هذا السبب كان موجودا يوم انفجرت الثورة المسلحة ، وشهد أعظم انتصاراتها ، ولم يمنع ، رغم انه يشكل عاملا سلبيا ، من تقدم الثورة الى مرحلة راقية دبت ذعرا شديدا في قلوب الامبرياليين والصهيونيين والعملاء . ولا يبالغ المرء حين يقول ان الاخطاء والنواقص كفيلة بانزال اقسى الضربات بالثورة المسلحة سواء كانت تعيش ظروفا كالذي تعيشه جماهيرنا وثورتنا الفلسطينية او كانت تعيش على ارض وطنها . ويكفي ان نتذكر ان ثمة ثورات عديدة ، وفي فلسطين بالذات قبل ١٩٤٨ ، واجهت نكسات وضربات ، ودخلت في مآزق، ربما اشد مما عرفته ثورتنا الراهنة ، رغم ان تلك الثورات كانت تقف على ارض وطنها. لهذا فان الحديث عن المأزق الذي أصبح فيه الكفاح المسلح ، يتطلب البحث عن النواقص والاسباب الحقيقية التي أدت اليه ، ثم العمل بأعلى درجات الهمة والنشاط والشجاعة ، من خلال خط صحيح في كل المجالات يتلافى الاخطاء والنواقص، ويوفر الشروط الضرورية لتحطيم ذلك المأزق ، لا الوقوع بمأزق آخر اشد هولا ينهي الكفاح المسلح من حيث أتى ، ولا يساعد على انهاض الثورة العربية الشرط الضروري لتحرير ارادة الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والعربية فوق الارض العربية .

قد يبدو من هذه المناقشة ان من غير الممكن وجـــود الثورة الفلسطينيـــة فوق أرض فلسطينية ، او ان هذه مسألة مرفوضة اصلا . هل هذا صحيح ؟ لا ، ان الشيء المرفوض هو الدولة الفلسطينية والتسوية المقترحة . بينما ثمة امكانية ، بل يجب أن تتحقق تلك الامكانية وتكون هدفا مرحليا ، لايجاد أرض محررة بقـــوة سلاح الثورة والجماهير ، ومن خلال المعارك والانتصارات ، تقف عليها الثورة الفلسطينية ، شريطة ان تكون قادرة على فرض ارادتها والاستمرار في الكفاح المسلح لتحرير كل فلسطين . أي أن نكون فوق تلك الارض ونحن فوق ارادة اسرائيل والامبريالية والقوى العربية المضادة للثورة ، وعندئذ تقام السلطة الثورية لا علـــى شكل صيغة لحـــل القضية الفلسطينية وانهاء الكفاح المسلح ، وانما على شكل تنظيم القواعد المحررة وتعبئتها . ولكن توفر هذا الوضع لا يمكن أن يتحقق الا اذا تحقق معه ، او قبله ، انتصار حقيقي للثورة العربية في احدى الاقطار المجاورة ، على الاقل ، فضلا عن تحرير الاردن ، حتى يكون بالامكان ايجاد قاعدة خلفية للمناطق المحررة ترفدها بكل اسباب الحماية والدعم والمشاركة ، وتؤمنها من الوقوع تحت وصاية احد بسبب ما يمكن ان تحتاجه تلك المناطق من مساعدات ودعم .

عندما يتحقق مثل هذا الوضع لا يعود من المهم الشكل الذي قد تتخذه السلطة الثورية ، لان ذلك يتقرر وفقا لمصلحة الثورة والظروف المعطاة ، اذ قد يأخذ شكل حكومة فلسطين الديمقراطية المؤقتة لكل فلسطين ، شريطة استمرار القتال ، او قد يأخذ شكل السلطة الثورة للوحدة الوطنية ، او الجبهة الوطنية . ولكن في كل الاحوال يجب ان تكون تلك السلطة ، او الحكومة ، الممثل الوحيد لكل فلسطين .

هنا ، لا بد من التأكيد على ان جوهر القضية في معالجة الصراع مع العدو الصهيوني — الامبريالي ، يتركز في نقطة حاسمة هي توفر القوة المسلحة الذاتية للثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية ، وللثورة العربية والجماهير العربية تلك القوة القادرة على حماية القضية الفلسطينية من التصفية ، والقادرة على مواجهة الامبريالية والصهيونية. وبدون ذلك فان اي خط سياسي سواء كان متخاذلا يستعطي قطعة ارض يقيم عليها كيانا، او كان رافضا لكل الحلول الاستسلامية ، وعلى رأسها مشاريع الدولة الفلسطينية المقترحة ، لا يمكن ان يغيرا من واقع سيطرة العدو على الارض الفلسطينية وتحقيق اطماعه في الوطن العربي ، سواء عن طريق العدوان والغزو ، او عن طريق التسويات والتغلغل السياسي والاقتصادي والثقافي ، رغم ان الموقف الثاني لا يحمل ما يحمله الاول من الاضرار على مستقبل القضية برمتها .

ولهذا فان النقطة الاساسية التي يجب ان ينصب عليها تفكيرنا ومشاريعنا وجهودنا ، هي بحث كيف يمكن بناء هذه القوة للثورة والجماهير ، وحشد أوسع الاوساط الشعبية فلسطينيا وعربيا في جبهة نضال حقيقي ، من اجل الخروج من المازق الذي حشر فيـــه الكفاح المسلح وانقاذ القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية والثورة العربية من هجمة امبريالية امريكية — صهيونية شرسة لا يمكن ان توقف الا بقوة السلاح .

واذا طرحنا القضية على شكل أشد وضوحا نقول : ان الصعوبات التي تواجه الثورة الفلسطينية والمخاطر التي تواجه الوطن العربي بأسره ، لا يمكن ان تواجه مـــن خلال المساومة والمناورة ما دمنا ممزقين ضعفاء ولا يمكن أن تواجه من خلال رفض سلبي يرفض ، في الوقت نفســـه ، تبني خط سياسي وتنظيمـــي وعسكـــري وجماهـــيري يستهدف بناء القوة المسلحة والجبهة العريضة ، والجماهير المنظمة المقاتلة .

لهذا يجب ان يصحب الرفض الاستمرار في القتال ، المواظبة على بناء القوة القادرة على حماية الثورة ، حماية القضية الفلسطينية ، وعلى مقارعة الامبريالية والصهيونية . تلكم

هي اللغة الوحيدة التي تعطي الحلول الصحيحة لكل مأزق ، وتعيد تقسيم الخريطة في انوطن العربي وفلسطين وفقا لاهداف الثورة العربية والثورة الفلسطينية .

ومن هنا ، لا بد لنا من ان ندرك القانون الذي يحكم الصراع في هذا العالم ، سواء الذي يتخذ شكل الصراع الطبقي ، او شكل الصراع الوطني والقومي . انه قانون القوة الذاتية لكل طرف من طرفي الصراع . ولكن هذا القانون يعمل بالتفاعل مع قوانين اخرى كما ان له سمة تقول انه اذا كانت النتيجة المباشرة لكل صراع تتوقف على مدى القوة التي يتمتع بها كل طرف في اللحظة الراهنة ، فان النتيجة النهائية لكل صراع لا تتوقف على مدى القوة التي يتمتع بها كل طرف في اللحظة الراهنة ، وانما على مدى القوة التي يمكن ان يوفرها التطور الموضوعي لكل طرف جنبا الى جنب مع مدى القوة التي يمكن ان يوفرها كل طرف ذاتيا خلال المسيرة الطويلة لعملية الصراع . اما مسالة توفر قوة كل جانب فتحكمها جملة من القوانين التي تختلف بالنسبة لكل جانب . فالقوانين التي تطبقها الامبريالية والصهيونية في بناء قوتها الذاتية تختلف عن القوانين التي تطبقها الشعوب الضعيفة المتخلفة في بناء قوتها الذاتية . ولهذا علينا ان نعرف القوانين العامة ونكتشف القوانين الخاصة بنا ، من اجل معرفة الطريق الذي نبني فيه قوتنا القادرة على النجاح في الصراع ضد الاعداء .

ان المجال هنا ضيق للتوسع حول هذه النقطة ولكن يمكن القول باختصار شديد ان هذه القوانين تشمل صحة الاستراتيجية والتكتيك السياسيين والعسكريين ، وصحة الخط التنظيمي واسلوب عمله وكذلك بالنسبة لبناء القوات المسلحة ، والتنظيم الجماهيري والجبهة المتحدة ، وتشمل المنهج وتقاليد النضال والعقلية التي تحكم مواجهة مختلف القضايا الخ.. ولكن لكي يتمكن شعب متخلف من تطبيق تلك القوانين لا بد له من التمركز حول عدالة قضيته لان عدالة القضية تشكل عاملا حاسما في صراع الشعوب المتخلفة ضد الامبريالية . انها لا تشكل عاملا حاسما في الصراع السياسي في المجال العالمي فحسب ، وانما ايضا ، في مجالات التعبئة الفكرية والسياسية والعمل التنظيمي والعسكري ، اي في مجالات تحقيق بناء قوة الثورة والجماهير .

حقا ان عدالة القضية لوحدها لا تكفي ، فهنالك الاستراتيجية والتكتيك وتنظيم الطليعة القائدة الخ ، ولكن التفريط في عدالة القضية والمساومة عليها يعنيان ضياع كل شيء ، تماما كما ان التمسك بعدالة القضية دون تحويل تلك العدالة الى قوة مادية من خلال وضع الاستراتيجية والتكتيك الصحيحين سياسيا وعسكريا ، ووضع خط تنظيمي صحيح للطليعة وللجبهة وللجماهير والقوات المسلحة ، مع التطبيق الصحيح ، لا يؤدي عمليا الى نتائج تختلف عن نتائج التفريط والمساومة الاستسلامية . لذا ، فنحن مطالبون بتكريس عدالة قضيتنا والتشديد عليها من جهة ، ومطالبون بالعمل ، بصورة صحيحة ، من أجل توفير شروط الصمود والاستمرار والانتصار لثورتنا وجماهيرنا .

ان مسالة التمسك بعدالة القضية الفلسطينية ، وبأهداف الثورة الفلسطينية مسالة لا تقبل نقاشا داخل الثورة الفلسطينية ، وكذلك مسالة الاستمرار في الكفاح المسلح حتى التحرير الكامل لفلسطين ، واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية على فلسطين بأسرها . وهذه قضية واضحة بالنسبة لكل المنظمات ، خاصة ، بالنسبة لحركة فتح — القوة الرئيسية من بين منظمات المقاومة .

لقد بدات حركة فتح الثورة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني (يناير ١٩٦٥ ، تحت عهد قطع للشعب وللثوار ، وسقط على اساسه الشهداء ، الا وهو عدم القاء السلاح حتى التحرير الكامل ، وعدم المساومة على عدالة القضية الفلسطينية ، وقد عبر عن هذا الوعد ايضا بشعار « ثورة حتى النصر » . ولهذا فان فتح منطقية جدا مع نفسها

واهدافها وامينة لشهدائها ومصيبة من الناحية الواقعية والثورية حين تكتب عن مشاريع الدولة الفلسطينية والتسويات السياسية : « ومثل هذه المشاريع هي مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ... ان مثل هذا المشروع الوهمي يقصد به خلق انشقاق بين صفوف الشعب الفلسطيني .. فهناك من يؤيده ، ومن يعارضه . كما يوهم الشعب الاردني بأن الفلسطينيين يريدون الانفصال واقامة دولة لهم ، وهذا ما يشجع دعاة الاقليمية في الضفة الشرقية .. كما ان مثل هذا المشروع ان نفذ فسوف يخلق كيانا هزيلا غير قادر على حماية نفسه .. كما يجعلنا نتنازل عن الارض المحتلة قديما ، ويكرس بشكل شرعي وجود اسرائيل وتكون سابقة خطيرة في قبول العرب لمنطق التجزئة ، وخلق مزيد من الكيانات الضعيفة في المنطقة العربية التي لا تمتلك مقومات الحياة والوجود»(١).

او حين تكتب : « ان شعار الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع هو شعار يقصد به تمييع القضية الفلسطينية وتشويه نضالنا التحرري ، ومحاولة سحب شعار الثورة الذي اعلنته عن اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية ... » ... « وان هدف الثورة هو ازالة اسرائيل بكيانها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي واقامة دولة فلسطين الديمقراطية ، على كافة الاراضي الفلسطينية ولكن الشعار المرفوع حول الضفة والقطاع يهدف الى بلقنة القضية الفلسطينية ، لخلق دولة على جزء من فلسطين ، وتمزيق وحدة الضفتين ، ووحدة شعبيهما وخلق دويلات صغيرة في المنطقة العربية ، وهذا مما يضرب النضال الثوري التحرري في المنطقة العربية ، ويصفي قضية فلسطين ، ويمزق الوحدة القومية للامة العربية ، ويجمد الفاعلية الثورية التحررية في المنطقة العربية . ان هذا الشعار تعبير عن مؤامرة صهيونية امريكية ، تهدف الى الحفاظ على وجود اسرائيل واقامة منطقة عازلة تستخدم ممرا لدولة الاحتلال الصهيوني ، كي تنفذ الى الاقطار العربية سياسيا واقتصاديا . ولن تغيب عن الثورة الفلسطينية مثل هذه المؤامرة ، وان كان هناك من ينادي بها في الداخل وهؤلاء هم دعاة السياسة الانهزامية في الضفة والقطاع »(٢).

وكانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، قد طرحت مسالة تقرير مصير فلسطين طرحا مبدئيا قاطعا ، لا يترك مجالا لأي تأويل او تلاعب **ايا كان مصدره** ، اذ كتبت تقول :

« ان الشعب العربي الفلسطيني يمتلك وحده الحق في تقرير مصير فلسطين على صورة واحدة فقط ، وهي ان يسلمها للاحفاد كما تسلمها من الاجداد ، اي بدون كيان صهيوني، بدون وجود صهيوني عليها ، او على جزء من اجزائها .

« اما السبب الذي لا يعطي حتى للشعب العربي الفلسطيني الحق بالاقرار بوجود صهيوني في وطنه ، فهو لان فلسطين هي ليست ملكية خاصة بجيل من اجيال الشعب العربي الفلسطيني ، او بجيل من اجيال الامة العربية . انها ملك كل الاجيال ، وكل جيل يرثها لفترة من الزمان ليسلمها للجيل الذي يخلفه غير مجزأة ولا رازحة تحت كيان استيطاني استعماري اجنبي .

« ومن هنا على جميع اخوتنا العرب ، وعلى الفلسطينيين كذلك ، ان يدركوا هذه الحقيقة ، وهي ان ما من احد يمتلك حق تقرير مصير فلسطين الا على صورة واحدة ، وهي ازالة كيان دولة اسرائيل، واعادة فلسطين حرة موحدة جزءا من الوطن العربي»(٣).

---

١ ــ **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** ــ مركز الابحاث ــ ص ٢١٥ .

٢ ــ **المصدر السابق** ، ص ٢٢٢ .

٣ ــ كراسة « قرار مجلس الامن ومشروع روجرز ــ خطة تآمرية على حقوق شعب فلسطين » ص ٦ ، ٧ .

كيف روت "اسرائيل" قصة الكرامة للعالم

جويس قاضي

ان الاقاصيص الشعبية التي يتناقلها اي جيل عن الجيل الذي سبقه غالبا ما تعبر عن الطريقة التي كان يفكر بها الناس ويتصرفون ويحسون خلال فترات سابقة من تطورهم الحضاري ، وهي باستمرار ترضي الحاجات المشتركة لهؤلاء الناس في التوق الى الامان والحب والاحساس بالقدرة على تسيير امورهم الذاتية . وتقاليد البلاد التي تنهل منها هذه الاقاصيص موضوعاتهـا الاساسية هي كذلك مـن الامور العامة . ومجموعة الاقاصيص الشعبية « الاسرائيلية » التي جلبها المهاجرون اليهود معهم من مواطنهم الاصلية الى فلسطين خالية بالطبع من أية سمات اسرائيلية قومية كتصوير الحياة في الريف والعادات والطقوس أو اي سرد لحوادث الماضي السحيق ، ولكن هذه الاقاصيص تحمل معها بعض الخصائص كالدهاء والمكر على الصعيدين الشخصي والتجاري والتقتير والحذر والابتعاد عن الآخرين الذين قد لا يشاطرونهم طرائقهم في الحياة .

وفي العام ١٩٦٨ جرت محاولة لنشر قصة انتصار اسرائيلي تقوم على اساس موضوع حقيقي حدث بالفعل . وهي تضم تقريبا كل خصائص القصة الشعبية : التركيز الظاهر على موضوع معين والمبالغة والشخصيات التقليدية الثابتة التي باتت مألوفة ـــ ابطال يمثلون الخير يقارعون آخرين يمثلون الشر ، وفي النهاية تكون الغلبة للخير ، بالطبع . وخلال الايام الثلاثة التي أعقبت غارة الجيش الاسرائيلـي على قرية الكرامة الاردنية العربية قامت صحيفة « جروسالم بوست » الاسرائيلية ومجلتا « جويش كرونيكل » و« جويش اوبزرفر » الصهيونيتان الصادرتان في لندن بتقديم عناصر هذه القصة الى الرأي العام في الغرب . وقد كان بالامكان ان تنال هذه القصة الشهرة ذاتها التي نالتها قصة اسرائيل « الضعيفة » و« المحاصرة » التي صمدت في ١٩٦٧ في وجه « الخطر العربي الداهم » ، ولكنها اخفقت في ذلك . وقبل أن نبحث في فشل هذه القصة في أن تصبح رائعة دعائية وقصة اسرائيلية شعبية مترسخة ، سنعالج القصة نفسها من زاوية ادبية بحتة .

الموضوع : الهجوم دفاعا عن النفس

لا يختلف موضوع قصة الكرامة عن المواضيع التي تقوم عليها غالبية الاقاصيص الشعبية المماثلة ، فهي تدور حول صراع ، في فترة زمنية معينة ، بين الخير والشر . وبشكل مختصر ، موضوع قصتنا هو ان على اسرائيل دفاعا عن نفسها أن تضع حدا لـ «ارهاب فتح الوحشي » بعملية حربية هجومية وذلك بعد أن « استنفدت كافة الطرق لحماية المدنيين الاسرائيليين » . وتأييدا لمزاعم الدفاع عن النفس تكهنت المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، التي تمثل هنا دور المنجم ، بأن فتح ستقوم بموجة جديدة مـن عمليات الارهاب . وهذا ما دفع المسؤولين الاسرائيليين الى وصف « عقوبة » تدمير القاعدة وقتل بعض الفدائيين واسر البعض الاخر بانها عبارة عن « ضربة ـــ ضرورية ـــ مدوية

على المفاصل » مقابل « عمليات القتل ــ الوحشية ــ التي يقوم بهـا المغيرون . » وعلى امل كسب الرأي العام العالمي حاول رواة قصة الكرامة جعـل شعـوب الدول الغربية تعتقد ان « اسرائيل ، في دفاعها عن نفسها ، لم تقم بما من شأنـه ان يعتبـر انتهاكا لشرعة الامم المتحدة » . وقد ساهم ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، بهـذه الحملة عندما قال: « ان على الدول المحبة للسلام ان لا تأسف لضربة وجهت الى عصابات من القتلة ينتهكون القانون الدولي وابسط قواعد السلوك الانساني في الوقت الـذي يعتمدون فيه الى اضعاف فرص السلام في الشرق الاوسط . » ولكن ايبان هنا نسي ، او تناسى كم مرة انتهكت فيها اسرائيل القانون الدولي منذ ١٩٤٨ . ولما كـان العامل الديني غالبا ما يجعل الاقاصيص الشعبية اكثر جذبا لانتباه هواة مثل هذه القصص فقد ادخل مثل هذا العامل في قصة الكرامة ، ذلك عندما أكد الحاخام الاكبر للجيش الاسرائيلي بأن الهجوم كان بمثابة عقوبة من السماء ، فقد « استشهد الحاخام الاكبر العميد شلومو جورين . . . باصحاح توراتي حول الدفاع عن النفس كوصية لها الاسبقية على غيرها . »

العقدة : انتصار عسكري خاطف

ومع أن « جروسالم بوست » نشرت في اليوم التالي لهذه الغارة التي جرت في ٢١ اذار ١٩٦٨ خمس مقالات حولها تبقى عقدة القصة الحيوية لذلك الانتصار المزعوم تفتقد جملة من الحقائق قامت الصحيفة نفسها فيما بعد بتغطيتها وكذلك فعل عدد مـن المراسلين الاجانب في « اسرائيل » والاردن . وهناك أيضا جملة من التناقضات البارزة التـي اضعفت من تماسك القصة . مثلا ، يركز الموضوع على الصراع بـين الاسرائيليـين والفدائيين ويعتبران تدخل الاردنيين كان فقط بسبب عدم قدرتهم على ضبط الفدائيين ، مع ان سرد أنباء العملية يؤكد بأن الصراع الذي هو العقدة اشتركت به القوات الاردنية مع الفدائيين ضد القوات الاسرائيلية . وسنحاول ان نكشف السبب المحتمل لذلك عنـد حديثنا عن « الشخصيات » . وكما في القصص الشعبية التقليدية ليس هناك تركيز كبير على المكان ــ وادي الاردن المحاذي للبحر الميت ، أما الزمان فكان بين السادسة صباحا والسادسة مساء . وفي هجوم كان بمثابة « سمة جديدة لاستراتيجية قوات الدفاع » عبرت المدرعات نهر الاردن في اتجاهات ثلاثة عند انبلاج الفجر . وكان على المجموعة التي دخلت الكرامة ان تدمر القاعدة وتقتل او تأسر اكبر عدد ممكن من الفدائيين . اما المجموعتان الاخريان ، واحدة في الشمال والثانية في الجنوب ، فقد كان لديهما اوامر بسد اي منفذ للهرب من منطقة الهجوم والحؤول دون وصول اية تعزيزات ممكنة . ومع ان عدد رجال المقاومة قدر ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ عنصر ، ذكر مصدر غربي واحد هـو وكالة « يونايتدبرس انترناشيونال ــ ي ب ا ــ » في « جروسالم بوست » أن عدد القوات التي دخلت الكرامة كان يبلغ ٢٥٠ جنديا وعدد القوات التي دخلت المناطق الجنوبية ١٧٠ جنديا . ولم يرد أيضا اي ذكر للعدد الحقيقي للدبابات والعربات المدرعة والطائرات التي اشتركت في الهجوم ، وكأن في ذلك محاولة لتجنب اعطاء الغارة حجمها الحقيقي .

وليس هناك أي وصف تفصيلي للهجوم على الكرامة سوى الذي وضعه ثلاثة مراسلين لمجلة « بمحنيه » العسكرية الاسرائيلية ولاذاعة القوات المسلحـة الاسرائيلية « جالي تساهل » . فقد ذكر هؤلاء بعد أن القت طائرات الهليكوبتر بالمنشورات التي تتضمن تعليمات حول الطريقة التي يجب ان يسلكها الاهالي قامت الدبابات والعربات نصـف المجنزرة بدخول الكرامة في السابعة صباحا ، كما قام الجنود بتفتيش البيوت بيتا بيتا وتبادلوا اطلاق النار مع عناصر فتح ، وجمعوا اولئك الذين استسلموا ، ثم عـادوا على اعقابهم بعد أن أتموا عملية « التكنيس » في التاسعة صباحا .

واقل ما قيل في وصف « نجاحهم » بأنه كان انتصارا وبأن ما قام به الجنود الاسرائيليون

كان مثالا للحركية والفعالية في حين وصف رجال المقاومة بأنهم في منتهى الضعف وعدم الفعالية والغباء مقابل الجنود الذين اتصفوا بالمهارة والانسانية وبـ « التقيد بأوامر مشددة لديهم بعدم المساس بالمدنيين » . ويقول تقرير آخر ان بعض الفدائيين المتمرسين اظهروا مقاومة صلبة « لم تنته الا بعد أن قتلوا او جرحوا » . ويضيف هذا التقرير ان الكرامة كانت « كخلية النحل ملأى بالاستحكامات وخنادق الاتصال كما انها كانت على أتم استعداد لمواجهة الاسرائيليين » . ولكن اسرائيل جاليلي ، الوزير الاسرائيلي لشؤون الاعلام ناقض ذلك في اليوم التالي عندما نفى وجود تعزيزات خاصة من جانب الفدائيين في الكرامة . في الوقت نفسه كانت القوات الاسرائيلية « تطهر » « أوكار المخربين » في القطاع الجنوبي من غور الصافي وغور فيفه ودحل حيث واجهتها بعض المقاومة وقتل ٢٥ جنديا اردنيا وعنصرا من القوات غير النظامية . وقد اشتركت الطائرات الاسرائيلية ايضا منذ السادسة والربع صباحا حيث بدأت بقصف الاهداف الارضية ومواقع فرقة المدفعية الاردنية المتمركزة في المنطقة . وعند الساعة ١٦ و٥٥ دقيقة بدأت رحلة العودة عندما « أتمت جميع الوحدات ضرب الاهداف المحددة لها . وانتهى الانسحاب التام عند الغسق . » والانتصار التقليدي الذي عادة ما تنتهي به عقدة الاقاصيص الشعبية كان على الشكل التالي : مقتل ١٥٠ فدائيا واسر عدد منهم لم يكشف النقاب عنه . اما الانباء الاولية عن الخسائر الاسرائيلية فذكرت ان ٢١ قتلوا و٧٠ جرحوا « اصابات معظمهم طفيفة » ، وخسر الاردن ٣٠ دبابة (ارتفع الرقم فيما بعد الى ٤٥) اثنتان منها وهما في حالة سليمة ، ولكن لم تعطب سوى ست عربات مدرعة لاسرائيل . وقد سارت العمليات « وفق خطة موضوعة ودام القتال طوال الفترة المحددة له . » وانهى الجنرالات هذا الفصل من انتصاراتهم بأن أعلنوا أن « قوة » فتح « اصيبت بضربة خطيرة » وان العملية كانت بمثابة « نكسة خطيرة » للحركة .

الشخصيات : أبيض واسود

ان افضل ما يمثل التناقض بين الخير والشر في قصة الكرامة هو شخصياتها . فقد كان المواطنون الاسرائيليون يعانون من قلق معين ، فهب الجيش الباسل لنجدتهم . ونفذت عملية خطط لها بكل دراية وقامت الاستخبارات بابلاغ الجنود كل « ما سيلاقونه بالضبط » . واعتبر ايضا انه لم يكن هناك اية نقطة ضعف في قوة الجيش العسكرية ، فكان الجنود يصيبون اهدافهم اصابات مباشرة ؛ ويستولون على القرى بكل بساطة ، ويمشطون البيوت بيتا بيتا ويتجنبون بكل ترفع اخلاقي الجنود الاردنيين « المحايدين » حتى جنى هؤلاء على انفسهم . وقد أطاع الجنود الاسرائيليون ايضا الاوامر التي لديهم بعدم المساس بالمدنيين ، فلم يقتل غير « المخربين » . وتطويقا لمشكلة التمييز بين المدنيين ورجال المقاومة اتبع الاسرائيليون قاعدة « موحدة » وهي ان الفدائيين عادة ما يرتدون زيا مموها وموحدا . وعندما كان الجنود الاشداء يعثرون على رجال في الخنادق المقامة في الساحات العامة بزي مدني كانوا يعتبرونهم فدائيين على زعم انهم العثور على حقائب في القاعدة « موضبة على عجل » وهي تحوي ازياء مموهة . ربما كانت الحاسة السادسة المدهشة للجيش هي التي كانت تجعلهم يعرفون اصحاب هذه الحقائب الذين ساعدوا الجيش بكل ترو بتقديمهم له مثل هذه البينات الملموسة عن انتمائهم للحركة . وقد انتهت صورة الجنود الاسرائيليين الممتلئين حيوية بنجاحهم الباهر في اتمام المهمة الموكولة اليهم في « الدفاع عن أمن الدولة بكل بسالة وفعالية وتفان » . وبمقدار ما كان فرسان اسرائيل رجالا طيبين كان رجال العدو ، المقاتلون الفلسطينيون ، اشرارا ، اذ غالبا ما تصور الدعاوة الاسرائيلية « العرب » كعدو يفوق اسرائيل عدة وعددا . ولكن لما كانت الاقاصيص الشعبية تقتصر على عدد قليل من العناصر اعتبرت هذه القصة العدو مجسدا

في الفدائيين الفلسطينيين دون سواهم من العرب ، ولكن بعد اسبوعين من الغارة على الكرامة أعاد مناحيم بيجن ، الوزير الاسرائيلي ، الغزاة الى اصولهم « العربية » عندما وصفهم كـ « عصابات مسلحة تجندهم وتدربهم الدول العربية العاجزة عن الهجوم » على اسرائيل .

ومع أن الدعاوة الاسرائيلية لم تحاول ابراز الهوية القومية لـ « المخربين » الفلسطينيين الا أنها تتحدث عنهم كمعتدين على الاطفال وعلى المزارعين . وتقيدا بالايجاز الضروري للقصص الشعبية لم يتحدث الاسرائيليون في حملتهم الدعائية بتاتا عن الخلفية التي يستند الفدائيون اليها في قيامهم بأعمال التخريب ، كذلك لم يرد اي ذكر في هذه الحملة للاعتداءات الاسرائيلية واحتلال الاراضي والقرى العربية وابعاد الفلسطينيين الذين يقاومون الاحتلال ، وأيضا طرد مليون فلسطيني عربي أمام المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين . والخلفية التاريخية الوحيدة التي اهتمت بها القصة هي أن هناك اناسا بريئين يقتلهم « المخربون » بوحشية ، ولكنها اغفلت عمدا ان الكيبوتزات التي يقطن فيها سائقو الجرارات والاطفال اقيمت على حدود المناطق المحتلة كمواقع عسكرية متقدمة وان عددا كبيرا من سكان الكيبوتزات هم جنود اسرائيليون مدربون تدريبا خاصا . ويتحدث الاسرائيليون ايضا عن « المخربين » كفوضويين يتحدون سلطة ملك البلاد التي ينطلقون منها في هجماتهم . ويعتبر الاسرائيليون ان انطلاق الفدائيين من الاردن يرجع الى عدم قدرتهم على كسب تأييد جماهير الضفة الغربية ، علما بأنهم يعملون من الاردن لحماية العائلات العربية في الاراضي المحتلة من سياسة الحكومة الاسرائيلية في العقاب الجماعي الشديد الذي لا يقره القانون الدولي . ويزعم الاسرائيليون ايضا بأن الفدائيين يبتزون المساعدات المالية ويقبضون الرشاوي ، ولكنهم لا يشيرون الى من يدفع الرشاوي .

ويظهر الفدائيون ايضا بأنهم يعانون من الفوضى التنظيمية داخل صفوفهم . فالاعضاء يجندون قسرا ، ومصير الذين كانوا يأبون الانضمام لفتح الاقامة في سجن الكرامة الذي كان يزدحم بأولئك الذين لا يدينون بالولاء لها . اما أعضاء فتح فيوصفون بأنهم حفنة من المرتزقة يلهثون « وراء المال » . وقال « خبير اسرائيلي موثوق » ، لم يذكر اسمه بالطبع، لجويش اوبزرفر ان « ٩٩ بالمئة من افراد فتح مرتزقة وانتهازيون ، يقبضون حسب نوعية ما ينجزونه في كل عملية يقومون بها بمعدل ١٠ الى ١٠٠ دينار كل عملية . » ويرحب المجرمون السابقون بهذه العمليات التي غالبا ما كانت تؤدي بهم الى السجون الاسرائيلية التي كانت « بالنسبة للسجون التي عانوا من قسوتها . » وقام اثنان زعم أنهما من عناصر فتح بالتحدث ببذاءة عن الحركة ، زاعمين ان قادة فتح اثروا من وراء الحركة ، وان ابا عمار وابا علي وغيرهما فروا قبل وصول القوات الاسرائيلية ، وانه بود الكثيرين ان يتركوا فتح لعدم ايمانهم بها ولكنهم يخشون أن ينفذ فيهم حكم الاعدام كالجواسيس .

ويظهر الفدائيون ايضا كمجموعة من العتاة حتى بالنسبة لشعبهم هم. وتورد القصة مثلا تفصيليا صارخا حول هذه الصفة . فقد عثر على فدائي جريح مختبىء مع « جبناء » اخرين في ملجأ ويداه ورجلاه مقيدة وفمه مكمم بالقماش لاخماد صوت انينه لكي لا يتسبب ذلك في كشف مواقع رفاقه . وقد قيدت يداه ورجلاه لمنعه من الهرب والاستسلام .

ويفتقد « واضعو الالغام » هؤلاء المهارة التي يتحلى بها المقاتلون . فقد قتل كل من حاول أن يحمي نفسه ضد هجمة الدفاع عن النفس التي قام بها الجيش الاسرائيلي «الباسل». وقد وجهت انتقادات عنيفة لعملياتهم ضد المستوطنات الاسرائيلية ، ووصفوا بضعف الخبرة الفنية والتدريب وبأنهم يلقون القنابل دون نزع مساميرها ، وبوضع القنابل الموقوتة في أطراف المستعمرات بدلا من المراكز الهامة ، وما الى ذلك .

ومن جهة اخرى، ليس هناك تركيز على صورة الجيش والنظام في الاردن . فقد أعلن الاسرائيليون ان الاردنيين « خرقوا تعهدات صريحة بكبح جماح الارهابيين » وفقا لاتفاقية وقف اطلاق النار بعد حرب ١٩٦٧ ، اي قبل تسعة أشهر من معركة الكرامة ، ومع هذا فانهم ما يزالون يزعمون انهم يحاولون تجنب اية مواجهة مع قوات حسين . وليس هناك مجال للتأكيد ما اذا كانت سياسة الحكومة الاسرائيلية نفسها غير واضحة او أنهم كانوا يحاولون استغلال السياستين ، ولكن الحكومة الاردنية ظهرت من الجهة الاولى ، وكأنها غير حاسمة وضعيفة ومتأرجحة ، ومن الجهة الاخرى ، انتهازية ماكرة ومخادعة . ويظهر ملك الاردن في أحد الروايات وكأنه يستخدم الفدائيين لكسب شخصي كزعيم البلد العربي الوحيد الذي بدا يستعيد كبرياءه بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . ففي حين يتستر هو باتفاقية وقف اطلاق النار سمح للفدائيين باقامة قاعدة لهم في بلاده وسمح لجنوده بتغطية الفدائيين أثناء قيامهم بعملياتهم . وتصوره رواية اخرى كحاكم لا حول له ولا قوة ولا سيطرة على بلده وانه ملك برضى الفدائيين فقط مما جعله غير قادر على الالتزام بوقف اطلاق النار .

ولم تخل القصة من تبريرات للخسائر في المعدات والارواح التي مني بها الاسرائيليون . وقد عزا الاسرائيليون ذلك للدور الذي لعبه الجيش الاردني وذلك في محاولة منهم لطمس قدرة الفدائيين على ايقاع ابسط الخسائر بهم . ومعظم الصور التي اعطيت عن الاردنيين كانت حسب اقوال المراسلين العسكريين الاسرائيليين كما يلي : « لم يبد الاردنيون اية مقاومة صلبة بل فضلوا التراجع بأسرع ما يمكن تاركين وراءهم عشرات الدبابات المعطوبة والمدافع المدمرة . وفي أكثر الاحيان كانوا يتركون هذه المعدات وهي في حالة سليمة . » اما المشاق القاسية التي واجهها الاسرائيليون في الجنوب فلم تكن بسبب مقاومة الفدائيين بل بسبب الارض الرملية والوديان العميقة .

الاسلوب : الجراد الغاضب

ان الاسلوب الذي عرضت به قصة الكرامة هو الخاصية الوحيدة التي لم تكن لتنسجم مع خصائص القصة الشعبية . فرغم المرونة التفسيرية التي بدأت تتميز بها الصحافة المعاصرة ، فان اسلوب القصة الشعبية الموزون والذي تكثر فيه المحادثات لا يصلح بعد كمادة صحفية ناجحة . ومع هذا فقد اعطيت القصة بريقا خاصا من خلال تعابير مثل « وانتزعت الكرامة من بين فكي كماشة الجيش الاردني » ، و« النفاثات الخاطفة كانت تئز في الجبهة الشرقية » ، وكانت طائرات الهليوكبتر تمر فوق نهر الاردن « اسرابا اسرابا كالجراد الغاضب » .

شيء من الحقيقة

لقد اخفقت هذه القصة بكل سحرها الشعبي في أن يتقبلها الرأي العام في الغرب لسببين رئيسيين : فقد اثار الهجوم الواسع النطاق رد فعل سلبي لدى الرأي العام ، كما ان الحوادث التي أعقبت الغارة اثبتت زيف الانتصار . واعربت دول اجنبية كثيرة عن امتعاضها لكون الغارة الاسرائيلية اكبر بكثير من الاسباب التي دعت لذلك ، كما أن الهجوم خلق رأيا عاما ضد اسرائيل ، وافضل تعبير عن ذلك شجب مجلس الامن الدولي للعملية بعد يومين من وقوعها ، حتى أن آرثر جولد برج ، المندوب الاميركي ، لم يستطع الا ان يصف العملية بأنها « غير متناسبة جدا » والا ان يعرب عن « اسفه الشديد لها » . وكل هذا الاستنكار جعل رواة القصة الاسرائيلية يقفون في قفص الاتهام . ولكن جروسالم بوست نشرت الى جانب تغطيتها لمناقشات مجلس الامن مقتطفات من الصحف العالمية ، كلها باستثناء واحدة ، تدين العرب اكثر من الاسرائيليين ، كما أن جميع المقتطفات من الصحف العبرية كانت تبرر العملية بل وتؤيدها .

وقد أدت المناقشات المضادة التي عرضها الاسرائيليون الى عمل دعائي مشوش وضبابي. وكان أول هجوم على مجلس الامن ، زعموا فيه أن خمسة من اعضائه « يصوتون دائما الى جانب العرب كرها باسرائيل » ، وكالتاجر اليهودي في العديد من القصص الشعبية، فان اسرائيل « تقف وحيدة ليس لديها سوى ذكائها » تجابه به الاخرين . وزعم الاسرائيليون أيضا ان ما قاموا به كان مشروعا ما دام الاردنيون كانوا البادئين بخرق وقف اطلاق النار . وقد ركزت الصحيفة ، رغم التناقض في كلامها ، على مسؤولية حسين في تطبيق وقف اطلاق النار لا فرق ان كان يؤيد الفدائيين او ان زمام سيطرته عليهم قد فلت من بين يديه . والاكثر احتمالا ان الجيش كان يعتقد بأن حسين فقد سيطرته على الفدائيين لان المزاعم كلها كانت تؤكد ان الغارة كانت تهدف فقط الى تدمير قاعدة الفدائيين، فهذا كان الاسلوب الوحيد المقبول به سياسيا . فلو اعترفت اسرائيل بأن هجومها كان موجها ضد القوات الاردنية في وقت اعلن فيه حسين عدم مسؤوليته عن اعمال الفدائيين ، سيدرك العالم مباشرة ان اسرائيل لم تهاجم الكرامة في اذار ١٩٦٨ فحسب، ولكنها ايضا هي التي بدأت بالعدوان في ١٩٦٧ . وباظهارهم لحسين كبطل فدائي يحاولون التقليل من الاحترام الذي يكنه له الغرب لانه اكثر الزعماء العرب ميلا الى الغرب .

وكان التناقض الذي تميز به الاسرائيليون في وصفهم للفدائيين الفلسطينيين هو العمل الدعاوي الوحيد الذي فاق ازدواجيتهم في تصوير حسين أمام الغرب. فغالبا ما يصورون الفدائيين وكأنهم عبارة عن عصابات عاجزة وغير محترفة ، ويأبون ان يعترفوا امام العالم بقدرة الفلسطينيين المشردين على تجميع انفسهم في حركة تحرير فعالة ومتفانية. ولكنهم لم يجدوا ما يبررون به حجم الغارة على الكرامة سوى بتصوير الفدائيين كخطر حقيقي عليهم . لذا ، فتصوير الفدائيين ايضا يتأرجح بين كونهم مجرد ازعاج بسيط وبين كونهم مجموعة من الرجال الاشداء الذين يهددون بتدمير اسرائيل ولن يحول دون ذلك سوى القيام بغارة كبيرة تستخدم فيها الدبابات وطائرات الهليوكبتر والقاذفات النفاثة . واذا لم يكن حسين والفدائيون قد نجحا في كشف هذه الازدواجية والتناقض في تبرير الغارة لجعل الرأي العام الغربي يرفض قبولها ، فان الحوادث التي أعقبت الغارة وحقيقة الاوضاع التي نجمت عن ذلك كان من شأنها ان تدفن «قصة الكرامة» في مقبرة الاقاصيص الشعبية ، فقد استأنف الفدائيون عملياتهم ضد اسرائيل بعد ثلاثة ايام من الغارة بقوة جعلت الاسرائيليين يكررون هجومهم على الاردن في الثامن من نيسان . وقد تسبب فشل محاولة في وقف عمليات الفدائيين ومقتل ٢٥ اسرائيليا وخسارة معدات حربية بما في ذلك ست عربات مدرعة وطائرة بالاضافة الى موجة الاستنكار العالمية ، في حدوث بلبلة في الداخل ، الامر الذي من الطبيعي ان يحدث في « بلد ديموقراطي كل شيء فيه معرض للانتقاد » كما زعم أبا ايبان عندما كان في امستردام في الاسبوع التالي . وكذلك فان مناقشات الكنيست التي جرت في ٢٥ اذار والتي ألمحت اليها « جروسالم بوست » في احدى مقالاتها وركزت فيها على اتفاق الرأي بين اعضاء الكنيست ، في حين نشرتها « جويش اوبزرفر » و« جويش كرونيكل » بشكل انتقادي اكثر ، تظهر ان عددا من اعضاء الكنيست اصيبوا بخيبة بالنسبة لتخطيط العملية وتنفيذها . وحتى ان بعض الاعضاء قالوا بأن اسرائيل كانت تحمي حسين سياسيا واقتصاديا . واعرب اخرون عن امتعاضهم بأن الانتصار النفسي الذي حققه العرب قد يكون له انعكاسات سيئة على اسرائيل ، كما اعربوا عن انزعاجهم بأن الجيش الاسرائيلي « الذي لا يقهر » تخلى هذه المرة عن ضرباته المفاجئة التي اشتهر به وذلك بانذاره المدنيين والجيش الاردني بأنه سيوجه لهم ضربة لا مفر منها ، وقالوا ان هذا الانذار قد تسبب في خسائر اسرائيلية لا لزوم لها ، وكان على اية حال عملا خاطئا بما ان الرأي العام قد انتقد العملية .

وافضل دليل على زيف « الانتصار » الاسرائيلي في الكرامة ، اي النقطة الحاسمة التي تخرب كل ما تقوم عليه القصة الشعبية ، هو الدافع للهجوم على حركة المقاومة . فما ان انتشرت قصة معركة الكرامة في العالم العربي حتى تسارع الفلسطينيون الى الانضواء تحت لواء حركة المقاومة ، وبدل أن تقصم الغارة ظهر فتح ، كما زعمت اسرائيل ، كان لها تأثير عكسي برفع معنويات حركة المقاومة ككل . وتعتبر الكرامة الان نقطة تحول بالنسبة للفدائيين لان اعتراف العرب والعالم بهم بدأ منذ ذلك الوقت يتخذ شكلا اكثر وضوحا من السابق . ومنذ ذلك الوقت أيضا اصبح العمل الفدائي يعتبر حركة وطنية شعبية تقاتل من أجل تحرير بلادها فلسطين .

صدر عن مركز الابحاث التابع لـــ م. ت. ف.

فلســـفة الدعاية الاسرائيلية

بـــقلم

الدكتور حامد عبدالله ربيع

أصبحت الدعاية فنا معقدا وعلما له نظرياته ومدارسه واختباراته والاعيبه ، وبرع الصهيونيون في الافادة من هذا الفن واستخدام هذا العلم . وقد جاء الكتاب ليكشف فلسفة الدعايـــة الصهيونية وعلاقتها بالسياسة الخارجية للعدو. وابعاد مخططاتها ومنطقها . يستخدم المؤلف ابحاثا ميدانية اجريت لهذا الغرض وجداول ورسوما بيانية ايضاحية تسهم في تفسير النظريات التي يقدمها الكتاب .

٢١٩ صفحة

٣ ل.ل.

ندوة العدد :
تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية

د. خليل احمد خليل : الحزب التقدمي الاشتراكي
غسان شرارة : المستقلون المساندون للعمل الفدائي
سهيل الطويلة : الحزب الشيوعي اللبناني
رغيد الصلح : حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق)
نزيه حمزة : حزب العمل الاشتراكي العربي

شؤون فلسطينية:* نريد في هذه الندوة أن نطرح قضية واحدة للبحث والنقاش ، وهي : تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية ، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ . والذي يدفعنا لاثارة الحوار حول هذه القضية ، هو التركيز الدائم على ان احدى نقاط الضعف الاساسية في استراتيجية حركة المقاومة الفلسطينية انما تنبع من عدم فهمها للارتباط النضالي الوثيق بين القضية الفلسطينية والقضية العربية ، او لعدم وضع هذا الفهم موضع التنفيذ العملي بالنسبة للذين استوعبوا هذه القضية في وقت مبكر .

ولكننا نعتقد ان طرح القضية بهذا الشكل ، هو جانب واحد من الموضوع فقط . الجانب الاخر ، هو ان الحركات الوطنية العربية نفسها ، لم تفهم الامكانات الثورية التي ينطوي عليها بروز العمل الفدائي ، ولم تحاول ان تستفيد من الظروف الموضوعية التي أوجدها، ومن المناخ الثوري الذي ولده باتجاه تعميق وتطوير نضال الحركة الشعبية ، أولا باتجاه خلق ظروف جديدة في كل بلد عربي تكون ردا على الهزيمة . وثانيا باتجاه خلق تيار شعبي منظم يلعب دورا فعالا في دعم وحماية حركة المقاومة حين تتعرض لاي عملية تصفية .

رضيت فصائل الحركة الوطنية العربية ان يقتصر دورها على تقديم الدعم المالي والدعاوى ، منسجمة في ذلك مع ما طلبته منها فصائل المقاومة ، ولم تضغط لفرض اي منهج آخر يعمق هذه الصلة . ومن هنا فانها تتحمل في رأينا مسؤولية اساسية تجاه الوضع الذي وصلت اليه حركة المقاومة الان . وهدفنا من هذا النقاش امران : ١ ــ ان يطرح كل فصيل تقييمه للعلاقات في المرحلة السابقة . ٢ ــ ان يقدم اقتراحاته حول نمط وافق العلاقات المطلوبة في المرحلة المقبلة .

---

* أدار الندوة مندوب عن اسرة تحرير « شؤون فلسطينية » واجريت في ١٩٧١/١١/٢٣ وقد غاب عن هذه الندوة ، لاسباب طارئة ، ممثل حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريا) اذ حالت ظروفه العملية دون حضوره ، وذلك بعد ان تم الاتفاق معه ورتب موضوع اشتراكه في الندوة .

سهيل الطويلة : يحظى هذا الموضوع بأهمية كبيرة في الوقت الراهن ، اذ بدأت تطرحه للبحث كل فصائل حركة التحرر العربية ، بما فيها فصائل المقاومة الفلسطينية . واذا كانت المقاومة الفلسطينية قد أعطت الكثير ، الا ان هناك نقاط ضعف واضحة تشوب بعض مواقفها ، وخاصة في اطار العلاقات مع فصائل حركة التحرر العربية ، وأي بحث في هذا الموضوع لا بد ان ينطلق من تحديد مكانة المقاومة الفلسطينية داخل حركة التحرر العربية .

منطلقات للتقييم

أعتقد انه من المسلم به ان المقاومة الفلسطينية تشكل احدى فصائل هذه الحركة ، وبالتالي فان العلاقة بينهما علاقة عضوية ، طابعها التعاون والدعم المتبادل . وهذا لا ينفي بالطبع ان تكون هناك تناقضات بين حركة المقاومة والفصائل الاخرى في حركة التحرر العربية ، لكن هذه التناقضات مهما كانت تبقى تناقضات ثانوية ، وأي محاولة لتضخيم هذه التناقضات الثانوية تكون مخالفة بالاساس لمصلحة حركة المقاومة ، وحركة التحرر العربية ككل .

ولا يكفي ونحن بصدد تقييم العلاقة التي يجب ان تربط بين حركة المقاومة وفصائل التحرر العربية ، ان ننطلق من كون حركة المقاومة فصيلا لا يتجزأ من هذه الفصائل ، بل يجب ان نحدد خصوصية حركة المقاومة . هذه الخصوصية التي تنطلق من كون القضية الفلسطينية قضية محورية لحركة التحرر العربية ، شكلت عامل تجمع قومي للشعوب العربية ، كما تنطلق من المكان الذي تحتله اسرائيل ، في تاريخ النضال التحرري العربي ، باعتبار ان اسرائيل طارئة ككيان صهيوني مصطنع ، وكجسم غريب أقامته الامبريالية العالمية ، بالتواطؤ مع الرجعية العربية ، بهدف فصل مشرق الوطن عن مغربه ، والحيلولة دون وحدة الشعوب العربية . كذلك باعتبار ان الدولة الصهيونية قامت على حساب حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وهناك ناحية أخرى بالنسبة للطابع الخاص الذي يرتديه النضال الوطني التحرري للشعب الفلسطيني ، هو كون هذا الشعب أصبح مضطرا لان ينطلق في نضاله الوطني التحرري ، ليس من الارض الفلسطينية ، انما أيضا من أراضي بلدان عربية أخرى ، وهذا يعطي ميزة خاصة للعلاقة بين حركة المقاومة ، وحركة التحرر العربية .

هذه المكانة الخاصة لحركة المقاومة ، لا تعني بالضرورة انها تشكل طليعة حركة التحرر العربية ، وذلك لان المعيار الاساسي لتحديد طليعية حركة ثورية ما ، ينطلق اساسا من الطبيعة الطبقية لهذه الحركة ومن المهمات التي تطرح امامها ، وحركة المقاومة الفلسطينية ، التي تضم في صفوفها عمالا ، وفئات بورجوازية صغيرة تشكل سوادها الاعظم ، وعناصر من البورجوازية الكبيرة ، هذا الواقع بتركيبه وبالمهمات التي تواجهه ، يجعل الطابع القومي هو الغالب في مهمات ونضال هذه الحركة ، وبالتالي لا يمكن لحركة المقاومة الفلسطينية ، ان تشكل طليعة لحركة التحرر العربية ، التي تجاوزت بعض فصائلها النضال القومي ، وأصبحت تواجه مهمات على صعيد التحرر الاجتماعي . ولا يكفي حسب منطلقات العلم الثوري اعتماد الكفاح المسلح كأسلوب في النضال لتحديد طليعية قوة ثورية معينة ، اذ يمكن لاي قوة ثورية ، طليعية كانت ام غير طليعية ، ان تلجأ لاسلوب الكفاح المسلح .

وهنا لا بد من الاشارة الى قضية خاطئة اخرى ، كانت باستمرار ، سببا في قيام علاقات غير صحيحة بين حركة المقاومة الفلسطينية ، والفصائل الاخرى في حركة التحرر العربية ، هذه القضية ، هي الانطلاق من التفريق بين الكفاح المسلح وبين العمل السياسي بشكل

عام ، لتقييم علاقة الفصائل العربية مع المقاومة ، وتقييم دعمها وأهمية هذا الدعم . وفي هذا النطاق تدخل قضية الموقف من قرار مجلس الامن .

أعتقد ان الحكم على مدى دعم فصيلة من فصائل حركة التحرر العربية للمقاومة الفلسطينية ، انطلاقا فقط من موقفها من قرار مجلس الامن ، ليس بالمنطلق الصحيح ، فبعض القوى الرجعية تتخذ موقف الرفض من قرار مجلس الامن . ثم لا بد من القول أنه اذا كان من حق المقاومة الفلسطينية عدم قبول قرار مجلس الامن ، لأنه لا يطرح المهمة الاستراتيجية التي تطرحها حركة المقاومة ، اي مهمة تحرير كامل الارض المحتلة ، فان ذلك لا يعطي الحق للمقاومة ، أو لاي فصيل من فصائل حركة التحرر العربية التي رفضت قرار مجلس الامن ، ان تدين مواقف الفصائل الاخرى التي وافقت عليه، ووافقت على تنفيذه ، كمهمة مرحلية ، انطلاقا من الظروف الراهنة التي وصلت اليها حركة التحرر العربية بعد نكسة حزيران ، ومن اطار ميزان القوى الراهن ، وانطلاقا مما نص عليه هذا القرار من ضرورة انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة .

أعتقد ان بحث هذه الامور يمهد السبيل أمام اقامة علاقات طبيعية وسليمة بين حركة المقاومة وفصائل الحركة العربية التحررية ، تنطلق من تحليل علمي دقيق ، لدور حركة المقاومة ، ودور الفصائل العربية ، وأيضا للمواقف والمهمات التي تواجهها كل من هذه الفصائل .

تقييم العلاقات السابقة

اذا استعرضنا بنظرة سريعة تاريخ الفترة السابقة للعلاقات ، فيمكن القول بأن حركة التحرر العربية بمجملها أعطت أشياء كثيرة لحركة المقاومة الفلسطينية ، على أكثر من صعيد ، مالي وعسكري وعالمي ، كما دعمت المقاومة في مواجهة هجمات الرجعية . واذا كانت الرجعية الاردنية ، استطاعت لاسباب كثيرة ان تنزل ضربات شديدة بالمقاومة الفلسطينية ، فلا بد ان نذكر بالمقابل انتفاضة نيسان في لبنان حيث استطاعت حركة التحرر العربية أن تحمي المقاومة من المؤامرات والمخططات الرجعية والاستعمارية .

ولكن لا بد من الاشارة الى ان بعض فصائل حركة التحرر العربية ، اذا كانت قد دعمت وساندت المقاومة في كثير من المواقف والميادين ، فهي أيضا قد أضرت بالمقاومة الفلسطينية في مواقف كثيرة ، حين نقلت سلبياتها الى داخل حركة المقاومة ، ممثلة بالصراعات والخلافات الجانبية ، التي كان حريا بحركة التحرر العربية ، والمقاومة الفلسطينية بخاصة ، ان تتخطاها . ولا بد كذلك من الاشارة الى مواقف بعض الفئات اليسارية المتطرفة التي شجعت طرح مهمات أمام المقاومة تتجاوز بكثير دور المقاومة وامكاناتها ، وبالغت بالتناقضات الثانوية القائمة ، مما أدى الى صراعات جانبية ، لم يستفد منها الا العدو الرئيسي . وليس بالاستطاعة هنا ، أن تعفى المقاومة الفلسطينية من المسؤولية التي تتحملها في هذه المواقف ، التي تركت تأثيرا سلبيا مريرا ، على مجمل أوضاع المقاومة ، وعلى صراعها مع الرجعية العربية ، وبشكل خاص في أيلول ١٩٧٠ .

تقييم مواقف الانظمة

واذا انتقلنا الى الحديث عن دور الانظمة التقدمية العربية ، فيمكن القول أنها مارست دورا مهما في دعم المقاومة . ولكن لا بد هنا من الاشارة الى أنها بدورها أخذت بمواقف أضرت بالمقاومة . فقد ترددت في اسداء الدعم الحازم لها في مواجهة الرجعية العربية ، وقامت بمحاولات لاحتوائها لم يكن لها ما يبررها . على أنه لا يجوز الانطلاق من هذه السلبيات للمساواة بين الانظمة التقدمية والانظمة الرجعية في موقفها من المقاومة ، باعتبار أنها جميعا مارست محاولات الاحتواء ، لان الموقف من الانظمة السياسية يجب ان ينطلق من التحليل العلمي لطبيعتها ودورها . وبالتالي فان موقف المقاومة من الانظمة

التقدمية ، يجب ان ينطلق من كون هذه الانظمة حليفا طبيعيا لها في مواجهة العدو المشترك ، الذي يضم الصهيونية والامبريالية ، كما يضم الرجعية أيضا .

دور الاحزاب الشيوعية

اما الحركة الشيوعية العربية ، بوصفها فصيلة أساسية من فصائل حركة التحرر العربية ، فقد ساهمت بدورها في دعم المقاومة الفلسطينية . ولكن ينبغي القول ان ما قدمته في هذا المجال يبقى دون ما كان بامكانها أن تقدمه ، وهذا ما اعترفت به الحركة الشيوعية العربية نفسها . وبالنسبة للحزب الشيوعي اللبناني ، فان مؤتمره الثاني ، الذي انتقد فيه مواقفه السابقة من القضية القومية ، ومن القضية الفلسطينية بشكل خاص ، أرسى أسس مواقفه المبدئية الجديدة المبنية على مبادىء الماركسية اللينينية . وانطلاقا من هذه السياسة اقام الحزب الشيوعي اللبناني علاقات متعددة ومفيدة مع فصائل المقاومة الفلسطينية ، كما ساهم مساهمة فعالة في دعم وحماية المقاومة في لبنان ، وفي الانتقاد البناء لسياسة منظمات المقاومة ومواقفها . كذلك ساهم حزبنا مساهمة مباشرة في النضال الفلسطيني المسلح ، سواء في صفوف منظمات المقاومة ، او في صفوف الحرس الشعبي ومنظمة قوات الانصار . ولا بد من التأكيد مجددا على أنه ما زال بامكان الحركة الشيوعية العربية ، أن تعطي الكثير من المساهمة في نضال الشعب العربي الفلسطيني ، ومجمل حركة التحرر العربية .

مسؤولية حركة المقاومة

وهكذا نرى بأن قضية الجوانب السلبية والخاطئة في علاقة حركة التحرر العربية بالمقاومة الفلسطينية ، لا تؤخذ من جانب واحد . فالمسؤولية مشتركة بينها وبين حركة المقاومة ، ولا تقل مسؤولية المقاومة عن مسؤولية الفصائل الاخرى، باعتبار ان القضية، هي قضيتها بالاساس . وما من شك في أن المقاومة ، رغم الدور الكبير الذي لعبته في اطار حركة التحرر العربية بعد نكسة حزيران، الا أنه كان بامكانها ان تمارس دورا أكبر، وما زال بامكانها أن تتخطى أزمتها لتمارس هذا الدور ، اذا امتلكت نظرة صحيحة لموقعها ومكانها في حركة التحرر العربية . واهم ما يواجهها في هذا المجال اقامة علاقات صحيحة بين فصائلها ، توحد صفوفها في جبهة واحدة ، حول برنامج سياسي وعسكري مشترك ، يحدد بوضوح علاقة المقاومة بفصائل حركة التحرر العربية في كل بلد ، ليس انطلاقا من المقاومة الفلسطينية فقط ، بل بالانطلاق أيضا من مصلحة الحركة الوطنية في البلد المعين نفسه ، لان المصلحتين هما في النهاية مصلحة واحدة ، مصلحة فصيلتين من حركة التحرر العربية .

رغيد الصلح : اعتقد ان حركة المقاومة مرت بصورة عامة ، بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى هي مرحلة التأسيس : في هذه المرحلة جوبهت حركة المقاومة من قبل معظم الحركات الثورية العربية بحملات تشكيك وصلت بخطورتها الى حد الاتهام بالعمالة ، والسعي لتوريط الانظمة في حرب خاسرة .

المرحلة الثانية هي مرحلة النهوض الثوري : دخلتها المقاومة بعد حرب حزيران ، وكسبت فيها تأييد الجماهير لمنهجها في الحرب الشعبية كطريق لتحقيق هدف التحرير . في هذه المرحلة ، كان الطابع العام لعلاقة الاحزاب الثورية العربية بحركة المقاومة ، هو طابع الاستفادة منها ، ومن الاجواء التي خلقتها ، بشكل أعتقد أنه طفيلي . والى جانب ذلك كانت هناك نزعة تميل الى التقليل من أهمية حركة المقاومة في الصراع مع العدو .

اما في المرحلة الثالثة التي نشهدها اليوم ، وهي مرحلة الانتكاس ، فنجد ان معظم

الاحزاب الثورية العربية تتجه الى التخلي عن المقاومة ، وعن النضالات اللازمة لحماية العمل الفدائي ، وتوفير ظروف الانطلاق والعمل له .

والقاسم المشترك لموقف الاحزاب من حركة المقاومة في كافة هذه المراحل ، هو في رايي ، اعتبار المقاومة ، شيئا آخر غير الحركات والاحزاب الثورية . وهذا الامر يتصل بنظرة هذه الاحزاب الى القضية الفلسطينية ، وبتحديد اهميتها بين القضايا العربية المعاصرة ، فهي تعتبر القضية الفلسطينية قضية قطر عربي او شعب عربي معين ، اى انها لم تحتل مكانها تماما كمحور اساسي لقضايا الثورة العربية المعاصرة .

وقد لعبت المقاومة دورا سلبيا ادى الى وقوع الحركات الثورية العربية في هذه النظرة الخاطئة ، بسبب سلبيتها تجاه الصراع الايديولوجي ، وافتقارها الى النظرية الثورية . كذلك فان قطرية حركة المقاومة ولدت قطريات مضادة، ادت الى تمسك الجماهير العربية بالمشاكل القطرية ، وهذا ادى بدوره الى نوع من الانحسار الجماهيري عن حركة المقاومة ، لم يلبث ان انعكس على مواقف الاحزاب والحركات الثورية . كما ان التشتت والتفتت داخل حركة المقاومة ، ادى الى ان تقف بعض الاحزاب منها موقفا سلبيا .

المطلوب للمستقبل

هذا بالنسبة للمراحل السابقة ، اما بالنسبة للمرحلة المقبلة ، فانني اعتقد ان هناك تحالفا ضمنيا بين فريقين من الناس : فريق موجود داخل حركة المقاومة ، لا ينظر بارتياح الى التفاعل الممكن أن يقوم بين حركة المقاومة والاحزاب الثورية العربية خشية التأثر بأفكارها ومبادئها اليسارية . وفريق آخر موجود داخل الاحزاب الثورية العربية، يخشى أسلوب الكفاح الشعبي المسلح، فيحاول وضع العراقيل امام المقاومة باستمرار. هذان الفريقان ، هما في نظري فريق واحد ، يعمل بتنسيق غير منظور ، لاضعاف التحالف المطلوب بين المقاومة والاحزاب الثورية ، لا بد وان يواجه بتحالف مضاد ، اطاره العام جبهة شعبية على المستويين القومي والقطري ، وهدفه الاساسي تحرير كامل الاراضي العربية المحتلة ، واسلوبه الكفاح الشعبي المسلح ، الذي لا ينتقص من دور الجيوش النظامية في المعركة .

وهنا من الضروري التشديد على الالتزام باستراتيجية قومية في المجابهة مع العدو ، تأخذ بعين الاعتبار التفاوت في التطور السياسي والاجتماعي بين الاقطار العربية .

بهذه الطريقة اعتقد اننا نستطيع ، ليس فقط اخراج حركة المقاومة من المأزق التاريخي الذي تواجهه ، وانما نستطيع ايضا تجديد الاحزاب والحركات الثورية العربية نفسها ، وتجديد صلتها بالجماهير .

د. خليل أحمد خليل : ردا على المسألة المطروحة ، كيف تعاملت القوى العربية التقدمية مع المقاومة ، سأوجز الاجابة في اربعة موضوعات اساسية .

في الموضوعة الاولى سأتناول مدلول وطبيعة العلاقة . وهي تعني من حيث التحديد ، المشاركة والتبادل . وهذه المشاركة ترتكز الى معطيات اساسية . منها اولا البنيان المؤاتي او غير المؤاتي لنمو العلاقة ، وثانيا العلاقة في التفاعل والتضاد بين الاطراف . ان العلاقة كمشاركة متبادلة ، او متعاكسة احيانا ، تفترض بطبيعتها وحدة العمل ووحدة النظر الى هذا العمل المطلوب ، ولذا فان مدلول العلاقة يرتكز على معطيات ملموسة ، هذه المعطيات الملموسة تستلزم اولا ، المعرفة المشتركة او المتبادلة بين الاطراف التي تريد أن تبني علاقة فيما بينها . ولكننا نجد ان هذه الاطراف كانت غالبا ما تجهل بعضها بعضا ، هذا الجهل المشترك كان لا يؤدي فحسب الى مواقف متناقضة

ومتعاكسة مسبقة، بل كان أيضا يرتكز الى كون هذه الاطراف ذات بنى مختلفة ومتعددة. وهذه البنى كان بعضها مؤاتيا ، وكان بعضها الآخر غير مؤات لنمو العلاقات بين أطراف المقاومة الفلسطينية من جهة ، وبين الاطراف الاخرى من جهة ثانية . اذا العلاقة بين المقاومة وبين القوى التقدمية العربية لا يمكن تحديدها بشكل صحيح الا اذا قبلناها من مواجهتين أساسيتين : الاولى مواجهة التفاعل ، والثانية مواجهة التضاد او الصراع .

الموضوعة الثانية : كيف تعاملت القوى العربية التقدمية مع المقاومة ؟ يجب ان نحدد أولا هذه الاطراف ، وأصنفها في ثلاثة : الانظمة العربية التقدمية وأحزابها الحاكمة ، الاحزاب السياسية اليسارية العربية ، المعرضة في نفس الوقت لخطر ترسيم نضالها ، والطرف الثالث الذي أشدد عليه واعتبره مهما جدا ، هو المنظمات الشعبية .

هذه الاطراف الثلاثة لها بنى مختلفة ومعقدة ، وأطراف المقاومة كذلك لها بنى مختلفة ، وآفاق متناقضة أحيانا . وهنا يصعب علينا أن نقارن مقارنة علمية صحيحة تخلص الى تحديد طبيعة هذه العلاقات بين الاطراف المعنية والمذكورة آنفا . الا اننا نرى بوجه عام ان القوى العربية التقدمية كانت ولا تزال تمر بظروف التخلف اليساري ، فهي لم تكن ناضجة من حيث نموها كحركات يسارية أساسية ، ولهذا فان ظروف تخلفها اليساري كان لا بد ان تنعكس على علاقتها مع المقاومة .

وهنا أسمح لنفسي ببعض التفصيل . نلاحظ أولا نشوء علاقات ثنائية بين بعض أطراف المقاومة وبين بعض الاحزاب . هذه العلاقة الثنائية قد تبدو تفاعلية، ولكنها على مستوى تعدد اطراف المقاومة اتخذت طابع القضاء والتعاكس ، ولهذا أخرج بأن طبيعة العلاقة بين القوى العربية التقدمية وحركة المقاومة كانت تحمل طابع الانعكاس السلبي .

والميزة الثانية لهذه العلاقة ، أنها أخذت طابع الفئوية او العلاقة التخريبية ، من خلال اهمال المنظمات لاقامة علاقات مع اطراف عربية عديدة ، سواء من أحزاب او من دول ، او من منظمات شعبية .

هذه العوامل التي أوجزتها كثيرا اتخذت طابع ازمة العلاقة المتبادلة بين المقاومة وبين القوى العربية التقدمية .

الموضوعة الثالثة : تتناول المستقبل ، من خلال التأكيد على وجوب التطوير الكامل للمقاومة وللقوى العربية التقدمية ، وهذا يستوجب الامور التالية :

أ ـــ التطوير الذاتي والموضوعي لكل الاطراف المعنية : اذ بدون هذا التطوير الذاتي والموضوعي لكل الأطراف المعنية ، لا يمكن ان تنجز عملها ، خاصـــة في ظروف التخلف اليساري التي تمر بها. وهذا يعني أن التطوير الذاتي والموضوعي سوف يسمح للاطراف الاكثر نضالية وثورية ، ان تبرز في الممارسة بوحدة قيادية ، حتى تتمكن من التعاون الايجابي الفعال مع المقاومة . وما يصح على القوى التقدمية يصح أيضا على المقاومة العربية الفلسطينية .

ب ـــ الممارسة المتكاملة عربيا واميا للعمل الثوري في البلاد العربية : وهي تشمل الاحزاب العربية التقدمية الحاكمة كلها . اما الاحزاب اليسارية غير الحاكمة ، فان ممارستها المتكاملة للعمل الثوري سوف تضمن لها الانتصار اذا كانت جادة في ذلك . اما اذا سقطت في الترسيم النضالي ، او فيما يسمى بالتبعية ، فهي محكوم عليهـــا بالسقوط . وكذلك فان الاحزاب العربية التقدمية والمقاومة لا تزال قاصرة في علاقاتها مع المنظمات العربية الشعبية ، وقاصرة بالتالي عن أخذ أبعادها الطبقية والاجتماعية ، الامر الذي يعرضها لمخاطر مصيرية . لذلك أقول ان الممارسة المتكاملة عربيا هي شرط

اساسي للعمل الثوري ، واقول ان الممارسة المتكاملة كذلك أمميا شرط اساسي للعمل الثوري ، اذ ان التناقض بين النضال القومي والنضال الاممي ، تناقض غير صحيح ، كما اثبتت ذلك كل تجارب الشعوب الثورية في العالم حتى الآن .

جـ ــ تثبيت المقاومة واليسار العربي كاتجاه ثوري لا يقهر ، باعتبار ان الكفاح العربي المسلح ، في المقاومة وفي كل الاطراف اليسارية الاخرى ، أداة أساسية للبديل الثوري الاشتراكي ، في اتجاه التقدم والتحرر والوحدة الديمقراطية العربية . وتثبيت المقاومة واليسار العربي كاتجاه ثوري لا يقهر يعني ان نحمي انفسنا بالنضال المشترك من ضمن الصراعات ، ويجب ان نقبل بالصراع ، لانه بدون صراع لا يكون هناك تفاعل .

د ــ وجوب تكوين جيش ثوري سري من المناضلين الفلسطينيين والعرب ، ومن المتطوعين الامميين : وهذه فكرة درجت عليها شعوب كثيرة منها الشعب الفيتنامي . وهذه الفكرة ضمانة للانطلاقة الجديدة ، ونعتبرها مؤسسة تسمح لكل القوى الوطنية، المحلية والقومية والعالمية ، ان تتفاعل وان تقوم بنضالات مشتركة .

اما الموضوعة الرابعة والاخيرة ، وهي امتداد للموضوعة الثالثة ، فتتناول دولية وعالمية الكفاح العربي التحرري الفلسطيني ، فما لم ترتفع قضيتنا الى مستوى عالمي فاننا بدون شك محكومون بعدم الانتصار لسنوات كثيرة ، اننا نريد ان نمتد دوليا ، ولكن فقط عبر اصوات الامم المتحدة . اما التعاون الفعلي مع المنظومة الاشتراكية ، ومع الصين الشعبية ، ومع بلدان كل الشعوب المكافحة في العالم ، فهذا نكتفي به رسميا في البلاد العربية ، عبر الاتصالات التي تقوم بها بعض السفارات ، في هذا البلد او ذاك ، من حين لآخر .

المقاومة والانظمة

نزيه حمزه : اثرت الانظمة العربية بشكل ملموس على علاقات حركة المقاومة ، سواء مع الانظمة نفسها ، او مع فصائل حركة التحرر العربية . فبعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، لم يبق في الميدان سوى حركة المقاومة بأسلوب عملها الشعبي، فاتجهت الانظمة لدعمها بالمال والسلاح ، كتغطية لهزيمتها . وقد تعمق هذا الدعم بحيث انتزع استقلالية فصائل حركة المقاومة ، واصبح معظمها تابعا وخاضعا للانظمة بشكل او بآخر .

في مرحلة الدعم هذه حققت حركة المقاومة نوعا من التطور السريع ، او من الانتفاخ السريع ، لان هذا التطور لم يكن يسير بشكل تدريجي موضوعي ، بل بشكل قفزات سريعة ، غير موضوعية وغير طبيعية ، حتى اصبحت حركة المقاومة تشعر وهي في أوج نموها بأنها المسير لحركة التحرر العربية ، وانها تشكل فعلا البديل لهذه الحركة .

اما في فترة القبول بقرار مجلس الامن ومشروع روجرز ، فقد تلخص موقف الانظمة بأن من حقها ان تقبل قرار مجلس الامن ، وان من حق المقاومة ان ترفضه . ولكن هذا الموقف غير الممكن ، أخذ يعمق تناقضا لصالح حركة المقاومة ، مما دفع الانظمة لان تبدأ بالخشية من نمو حركة المقاومة ، ومن الدعم الجماهيري الملتف حولها . فبدأت تظهر شعارات « الفدائيون الشرفاء » و« الفدائيون غير الشرفاء » . وفي الواقع لم يكن هناك فدائيون شرفاء وفدائيون غير شرفاء ، انما كان هناك ضمن حركة المقاومة وضع فكري وايديولوجي ، عكس نفسه على بعض الفصائل ، في حالة جدل وحوار باتجاه تقدمي وتطوري ، دون ان يصل في اي مرحلة من المراحل الى حد التصادم العسكري ، بينما كانت الانظمة تحاول تكريس انطباع بأن هناك انقساما ، وان هذا الانقسام سيؤدي الى عملية تصادم .

في هذه المرحلة بالذات طرحت قضية الوحدة الوطنية ضمن حركة المقاومة . ونظرا

لطبيعة نمو فصائل حركة المقاومة ، وبعض التناقضات الجزئية البسيطة بينها ، كان لا بد من الاتفاق على قضايا تمثل الحدود والشروط الرئيسية لموضوعة الوحدة الوطنية. ولكن اللغط في الكلام ، والاشاعات التي كانت تثار حول الوحدة الوطنية ، لم يكن المقصود منها أن تساهم فعلا في دفع حركة المقاومة لتحقيق الوحدة الوطنية ، بقدر ما كان القصد منه التخلص من بعض الفصائل او بعض القيادات في حركة المقاومة ، التي كانت تنظر الى حد ما ، بمنظار ايديولوجي بعيد المدى . وهذا الواقع دفع حركة المقاومة لارتكاب مجموعة كبيرة من الاخطاء ، التي ادت في النهاية الى تراجعات من جانبها . لقد كان دور الانظمة العربية ، دور محاولات الاحتواء لحركة المقاومة . وفي ظروف الحرب الشعبية تنمو الحاجة الى التحالفات ، لكن التحالفات التي تنشأ على صعيد حرب شعبية تقودها البورجوازية الصغيرة ، في تطلعاتها وافكارها وايديولوجيتها ، لا يمكن ان تكون تحالفات سليمة ، لان تذبذب البورجوازية الصغيرة ، وعدم رؤيتها للواقع بشكل صحيح ، يضعف حركة الكفاح المسلح ويؤخرها سنين الى الوراء . فموضوع علاقة حركة المقاومة مع الانظمة العربية ، لا يعني انه كان على حركة المقاومة ان تواجه هذه الانظمة باعتبارها انظمة تسعى لاحتوائها ، ولكن كان على حركة المقاومة ان تعي هذا الواقع ، وان تحدد علاقتها به بشكل استقلالي ، وطبيعي ان تبني استراتيجيتها وتكتيكها بعيدا عن اي تدخل من قبل الانظمة العربية .

المقاومة وحركة التحرر العربية

على صعيد علاقة حركة المقاومة مع حركة التحرر العربية ، نجد أن هذه العلاقة كان يصاحبها نوع من الاستعلاء. لقد كانت الاحزاب العربية في حالة ضعف وتخلف واضحين، عندما استطاعت الفصائل ، او القيادات البورجوازية الصغيرة ، ان تشن نوعا من الكفاح المسلح ضد اسرائيل والامبريالية ، فأخذت تنظر الى الاحزاب العربية من أعلى ، وهذا ما جعلها تتعثر في حالة التعاون معها .

بالمقابل كان موقف الحركات والاحزاب الشعبية العربية موقف اللاهث وراء حركة المقاومة ، باعتبار ان حركة المقاومة هي اسلوب من أعلى اساليب النضال ، اسلوب الكفاح المسلح . وشكلت حركة المقاومة بالفعل طليعة في الكفاح المسلح ، ولكنها لم تشكل طليعة في التوجه النظري ، وطليعة في الفهم الايديولوجي ، والالتزام بايديولوجية الطبقة العاملة .

وعندما رأت الاحزاب العربية ان الجماهير تمنح المقاومة كل عواطفها وتأييدها ، شعرت هذه الاحزاب انها متخلفة جدا ، مما دفعها ، للتدليل على وطنيتها واخلاصها ، لان تلحق نفسها بأي فصيل من فصائل حركة المقاومة ، او ان تتعامل مع حركة المقاومة ككل . وفي هذه المرحلة تكرست بالفعل ، نظرة استعلاء حركة المقاومة على حركة التحرر العربية .

لم يكن هناك تعاون او تفاعل حقيقي بين حركة المقاومة والاحزاب العربية ، اذ اقتصر دعمها على الدعم المالي والاعلامي . والحقيقة ان حركة المقاومة ، مع كل ما رافقها من اخطاء ، شكلت وما زالت تشكل طاقة ثورية مهمة في الوطن العربي . وعلى صعيد العالم فان جميع حركات التحرر تلتفت بأنظارها اليها ، وتضع آمال التحرر في نهج الكفاح المسلح الذي تقوم به . وهذه الظاهرة كانت حرية بأن تدفع الاحزاب العربية لتولي اهتماما اكبر لحركة المقاومة ، وأن تعطيها كل ما عندها ، ليغفر لها ذلك بعض اخطائها . ولكن الحقيقة ، ان معظم اخطاء حركة المقاومة تعود بشكل مباشر الى ضعف وهزال الاحزاب العربية .

مهمات الحركة الوطنية

ان حركة المقاومة تمر حاليا في مرحلة صعبة ، تحتم على الاحزاب العربية ان تساعد حركة المقاومة مساعدة فعالة ، وان لا تقف منها موقف الهادىء او الناقد اللامبالي ، بل موقف النقد العلمي الصحيح . اذ أن مرحلة الانحسار التي تعيشها المقاومة تطول بشكل او بآخر حركة التحرر العربية وجميع احزابها ، وضرب حركة المقاومة ، واي فشل يلحق بها ، سيؤثر بشكل اكيد على الاحزاب الثورية والوطنية في المنطقة العربية .

ان تصورنا للمرحلة الحالية والمستقبل ان تسير جميع فصائل حركة المقاومة لتأكيد الوحدة الوطنية على اسس سليمة ، كذلك بالنسبة للاحزاب العربية واللبنانية بشكل خاص . ان هناك حدا ادنى لالتقاء جميع الاحزاب اليسارية والثورية والوطنية في برنامج مرحلي ، لمواجهة جميع تطورات المستقبل . ان المرحلة الحالية مرحلة صعبة ، يجب ان تساهم الاحزاب وفصائل حركة المقاومة الى حد بعيد في بلورة جميع قضاياها النظرية والاستراتيجية والتكتيكية آخذين بعين الاعتبار ان ليس هناك ما يفصل بين حركة المقاومة بجميع فصائلها ، وبين الاحزاب اليسارية ، وان القضية واضحة .

حزبنا والجبهة الوطنية

اما نحن كحزب ، فاننا نسعى بكل ما لنا من امكانات — مع اننا ما زلنا في مراحلنا الاولى من عملية البناء والتأسيس الحزبي — في سبيل السير بشكل متوافق على طريق ايجاد الجبهة الوطنية . ولا نقول ان الجبهة الوطنية يمكن أن تتحقق في مدى زمني قريب ، ولكن يجب أن يكون هناك عمل متواصل لايجادها ، جبهة على أساس الواقع اللبناني ، وجبهة على اساس الواقع العربي ، لان التجمعات التي يمكن أن تشكل الجبهة الوطنية ، ليس باستطاعتها ان تقف منفردة في مواجهة القوى المعادية بسبب شراستها وقوتها ومخططاتها .

اننا نؤكد بالفعل على دور الاحزاب الثورية والوطنية ، ونؤكد على أن تبادر هي ، الى الاتصال بحركة المقاومة ، لا أن تنتظر من حركة المقاومة أن تنتقدها وأن تسألها الغفران عن أخطائها السابقة . وعندما تنبه الاحزاب اليسارية حركة المقاومة على أخطائها من موقع المشاركة الفعالة والثقة المتبادلة ، ستقبل هذا بكل رغبة وبكل سرور . ولكن اذا كانت قضية الاتصال بحركة المقاومة تتم بشكل فوقي ، فيجب على الاحزاب اليسارية أن تكف عن ذلك .

غسان شراره : قبل عام ١٩٦٥ ، العام الذي شهد ميلاد حركة التحرر الوطني الفلسطيني « فتح » ، وحركة المقاومة بشكل عام ، كان هناك ولا يزال تياران داخل حركة التحرر الوطني العربية . تيار يهمل الخصائص الوطنية المحلية والقطرية اهمالا كاملا ، ويرى في الحديث عن هذه الخصائص توجها معاديا للوحدة العربية ، هذا التيار هو الذي عرف بالتيار القومي العربي . اما التيار الآخر فهو التيار اليساري الذي لم يكن يرى في الثورة أي صلة عضوية بين ما هو خصائص محلية ، وما هو خصائص مشتركة ، تشكل نقطة مركزية لكل حركة النضال العربي الوحدوي . وقد حدث داخل هذين التيارين تطور هام ، فالاحزاب القومية اصبحت اكثر اقترابا من الفهم الموضوعي للخصائص المحلية والقطرية ، كما ان الاحزاب اليسارية حصل في داخلها نفس النوع من التطور باتجاه ادراك الخصائص العامة والمشتركة .

نشوء المقاومة الفلسطينية

ان حركة المقاومة الفلسطينية انعكاس لهذا الصراع بين هذين التيارين . فعندما تشكلت حركة فتح عام ١٩٦٥ ، كان وراء تشكيلها نقطتان مهمتان : الاولى : شعور فصيلة

فلسطينية ، ان المسيرة العربية باهتمامها بالخط القومي العريض ، قد اهملت القضية الاساسية ، وهي القضية الفلسطينية . والثانية : ان انخراط الشباب الفلسطيني في النضال العربي جعل الشباب الفلسطيني ، يتوزع على نضالات قطرية وقومية ، ليست بالتحديد هي المهمة التي يجب ان تكون موكولة اليه ، وهي مهمة الانكباب على تنظيم الشعب الفلسطيني . لقد نشأت احزاب تقدمية لبنانية وسورية وعراقية ، ولكن لم ينشأ حزب تقدمي فلسطيني ، فقاد ذلك الى ظهور تيار يقول بضرورة مغادرة المناضلين الفلسطينيين احزابهم العربية ، وتشكيل حركة تحرير وطني فلسطيني على غرار النموذج الجزائري ، او النموذج الفيتنامي ، وأن تصبح هذه الحركة ، الصوت الفلسطيني الموجه للامة العربية من أجل ان تعي خطر اسرائيل ، ومن اجل أن تعي أيضا أهمية فتح الملف الفلسطيني الذي أخذ الزمن يهدد بنسيانه ، وبتكريس الواقع الاسرائيلي .

لقد كان رد الفعل العربي الاول على هذه الحركة التي نمت بسرية ، ومن عناصر من مختلف الاحزاب والحركات العربية ، هو تكوين منظمة التحرير الفلسطينية . كان الهدف منها في ذلك التاريخ قطع الطريق على هذا الشعور النامي في الوسط الفلسطيني ، ولكن هذا التيار أصبح بالرغم من ذلك ، ومنذ أن انطلق ، جزءا هاما من حركة التحرر العربي، ولم يعد بالامكان التحدث عربيا عن فلسطين بمعزل عن الفلسطينيين ، ولم يعد تحرير فلسطين شعارا للعرب، ينتظر الفلسطينيون تحقيقه على أيدي العرب، وانما بمشاركتهم هم ، أو بلعب دور أساسي من قبلهم في هذا المجال .

الاخطاء متبادلة

مع الزمن ... أصبح للمقاومة الفلسطينية أخطاؤها . ولكن هناك بالمقابل أخطاء كبيرة للحركات العربية . فهي لم تلعب دور الطليعة بالنسبة للثورة الفلسطينية . واذا قلنا نحن أن الثورة الفلسطينية ليست هي الطليعة ، فهذه الاحزاب أيضا لم تلعب دور الطليعة . وبالعكس ، لعبت دور قاطع الطريق ، فهي مثلا ، اقامت منظمات فلسطينية باسم قومية المقاومة ، وكانت النتيجة أنها أورثت المقاومة التفتت والتشرذم ، دون أن تتمكن من جعل المقاومة الفلسطينية قومية .

اما الحركات العربية التي تحولت من المنطق القومي الى المنطق الماركسي اللينيني ، فقد وقعت في عقدة القيادة ، لمن تكون القيادة في الثورة الفلسطينية ؟ فلم تستطع ان تتبين ان مسألة لمن القيادة ، ليست قرارا تتخذه مجموعة وتقول : بما انني ماركسية لينينية ، وبما انني أمثل الطليعة النظرية ، فحكما وحتما ، يجب أن أكون الطليعة القائدة للمقاومة الفلسطينية . كان لهذا الموقف تأثير سلبي من ناحيتين : أولا : حرم حركة المقاومة الفلسطينية ، وفتح بالذات ، من دخول العناصر الثورية اليسارية اليها ، لتلعب هذا الدور داخل اطارها . ثانيا : طرح منافسة لفتح على القيادة بأسلوب غير ماركسي . وكان باستطاعة العناصر اليسارية لو سلكت هذا الطريق أن تطور داخل الثورة الفلسطينية أكثر مما فعلت من خلال مواقفها .

ان واقع حركة المقاومة أصبح يطرح بحد قضية الوحدة الوطنية ، ويدفع باتجاه شكل للجبهة الوطنية على الطريقة الفيتنامية ، ولكن بعد حل عقدة القيادة ، وهذه تقتضي مساهمة القوى اليسارية ، كما تقتضي تعزيز الروح الديمقراطية .

على الصعيد العربي المقابل ، لا يجوز ، ولا يمكن الحديث عن مساندة لثورة فلسطين دون بت مسألة أساسية هي مسألة الجبهة الوطنية في كل بلد عربي . وهنا يجب أن نلاحظ ان الاحزاب العربية التي شعرت بعد عام ١٩٦٧ انها فقدت دورها القيادي ، حاولت ان تجد في المقاومة الفلسطينية ، بابها للعودة الى الدور الذي كانت تلعبه في

السابق . تحركت مع المقاومة لدعمها الدعم الكامل والشامل ، ولكنها لم تستطع ان تستفيد من هذه الفرصة التي قدمتها المقاومة لتستعيد شعبيتها وثوريتها ، وهنا يبرز الدور السلبي للاحزاب العربية ، بمعنى انها لم تلعب الدور المطلوب منها .
هناك أيضا دور سلبي آخر ، تمثل في ضرب الانظمة للمقاومة ، كما حصل في الاردن ، وعدم وقوف معظم الحركات التحررية العربية ، الموقف الحاسم من هذه القضية .
ثم هناك القصة القديمة لموقف التقدميين العرب تجاه التقدميين في العالم من القضية الفلسطينية ، فحركة التقدم العربي لم تستطع حتى الان ان تنقل كامل الوعي للحق الفلسطيني الى المجتمع الدولي التقدمي ، فبقيت المواقف التقدمية على الصعيد الدولي ، تتراوح بين حركة تقدمية واخرى ، مستندة الى موقف تبريري ، يؤيد المقاومة وحقها في القتال من جهة ، ويغفل واقع القضية الفلسطينية ككل من جهة أخرى .
لقد أردت أن أعدد هذه السلبيات في حركة التحرر العربية ، لانني لم أسمع من الاخوان أي حديث عنها ، وربما كان وضعي كحزبي سابق يسمح لي ان اتحدث في هذه القضايا أكثر مما يتحدث بها الاخرون ، بدوافع الانضباط ، الذي أقدره .

الدعم لاستراتيجية المقاومة

الجانب الآخر من الموضوع المطروح : ما هي علاقة حركة التحرر العربي بالمقاومة الفلسطينية ؟ هل هي علاقة دعم مادي ومعنوي واعلامي ، ام انها دعم للخط الذي اتخذته الثورة الفلسطينية ، وهو خط الكفاح المسلح ؟ هل هو دعم من اجل انجاح استراتيجية الثورة الفلسطينية ، ام هو دعم من أجل تحويل استراتيجيتها الى استراتيجية أخرى ؟

هنا تبرز خصوصية القضية الفلسطينية كوطن احتل لتنتزع عروبته وليس احتلالا عاديا فقط . وهذه الخصوصية جعلت من القضية الفلسطينية اكبر محرك للنضال في البلاد العربية كلها ضد الامبريالية . واخشى ما اخشاه ان يكون هناك عدم تقدير من قبل الحركة الوطنية العربية ، لمدى القوة الثورية التي تنطوي عليها فكرة تحرير فلسطين ، في تحريك النضال العربي ضد الامبريالية والنفوذ الاستعماري . فما دامت القضية الفلسطينية ، محركا فاعلا للجماهير العربية ، فمن الممكن توجيه كل ذلك ، نحو الوجهة الصحيحة ، التي تدعو الجماهير للنضال ضد النفوذ الامبريالي والاستعماري ، من مدخل التعبئة اللازمة ، لمحاربة الصهيونية واسترداد فلسطين .
ولا ينطبق هذا على البلاد العربية فقط ، فنحن نرى مثلا أن الحركة الوطنية في ايران أصبحت تتعاطف مع الثورة الايرانية ، وقبل فترة قصيرة نشرت مجلة « الازمنة الحديثة » مرافعة لاحد المناضلين الايرانيين امام المحكمة، يقول فيها بوضوح، أن القضية الاساسية في المرحلة الحالية ، انه لا صراع ضد الامبريالية في المنطقة ككل دون الاشتراك في الصراع الفلسطيني والعربي ضد الوجود الاسرائيلي .
استنتج من ذلك كله أن الدعم الحقيقي للمقاومة الفلسطينية ، هو دعم استراتيجيتها . وأي دعم لغير استراتيجيتها هو محاولة لاحتوائها . وانني أستغرب كيف نسمح لانفسنا أن نقول بأن الثورة الفلسطينية جزء من حركة التحرر العربي ، ثم نطلب منها أن تتبع حركة التحرر العربي ، وهي في وضعها الراهن . بينما لا نقول بأن الثورة الفلسطينية ، وهي الجزء الملتهب ، والاكثر ثورية ، وانفتاحا على الجماهير ، هو الذي يجب ان يعكس نفسه على حركة التحرر العربي . ففي هذه المرحلة يجب ان يسير الكل على خطى الاكثر ثورية وليس العكس .
ان القول بأن الثورة الفلسطينية هي طليعة الثورة العربية ، لا يعني انها هي التي يجب

ان تحرر هذا البلد او ذاك، لان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تكون بديلا عن اي حركة وطنية عربية ، ولكنها تستطيع اذا توحدت وتابعت خطها الثوري الاساسي ان تنعكس كعنصر موحد ، كعنصر دافع للنضال وللوحدة الوطنية لكل بلد من البلاد العربية .

شؤون فلسطينية : نرجو ان تسمحوا لنا بالنيابة عن اسرة التحرير ان نتدخل في الحوار. ونرجو أن تسمحوا لنا ان نحاول دفع الامور الى منطقة اكثر تحديدا ، لان معظم الحديث الذي دار حتى الان انحصر ضمن المواقف المبدئية والعامة .

نريد اولا أن نعلق على ما قاله الاخ « سهيل الطويلة » ، اذ يستنتج من حديثه ان وضع حركة المقاومة وطبيعتها ، هي المسؤولة عن نمط العلاقات التي قامت بينها وبين فصائل حركة التحرر العربية ، وفي اعتقادنا ان السبب الحقيقي وراء ذلك يعود الى اسباب أخرى ، بالنسبة للحركة الشيوعية العربية ، يمكن ان نحددها بما يلي :

١ ــ ان الموقف المؤيد لقرار مجلس الامن ، والدعوة لاقامة دولة على جزء من الارض ، وتكميل النضال لتحرير الجزء الآخر على غرار النموذج الكوري والفيتنامي*، هو امتداد طبيعي لموقف الاحزاب الشيوعية العربية المعروف من القضية الفلسطينية .

٢ ــ تولد عن هذا الموقف العام ايضا رفض للعمل الفدائي في البداية ، واعتباره « مغامرة بورجوازية صغيرة » حسب تعبير السلفيتي الشهير . وتولد عنه أيضا « التاخر » في المساهمة في الكفاح المسلح من خلال منظمة الانصار . وموضوع التاخر هنا يحتاج الى تحديد ، فالموضوع ليس تأخرا يحمل معنى الخطأ التنظيمي فقط ، كما يوحي بذلك مشروع الموضوعات المقدمة الى المؤتمر الثالث للحزب ، بل انه تاخر يحمل معنى الخطأ السياسي .

لقد كانت الحركات الشيوعية على الصعيد العالمي ، سباقة دائما لحمل السلاح ، عندما يكون الوطن مهددا بالاحتلال ، بينما نجد في المنطقة العربية ، وبعد حزيران بشكل خاص، ان الاحزاب الشيوعية ترددت كثيرا ، قبل ان تقدم على موقف صحيح من خلال منظمة الانصار . ولو ان الاحزاب الشيوعية كانت مبادرة الى مثل هذا الموقف ، لاستطاعت ان تسهم في احداث نقلة واسعة في صورة النضال الفلسطيني ، وخاصة على الصعيد الدولي ، بما تستطيع أن تدخله من تغيير على موقف الحركة الشيوعية العالمية من القضية الفلسطينية ، بحكم العلاقات الوثيقة معها . وقد أثر هذا التردد بدون شك على موقف المقاومة من الحركة الشيوعية العربية .

هذه العوامل ، هي التي حددت في اعتقادنا نمط العلاقة التي قامت بين الاحزاب الشيوعية العربية وبين حركة المقاومة . دون ان يعني ذلك تجاهلا للنقاط التي تحدث عنها الاخ « سهيل » ، اشارته لمستوى النضج الايديولوجي ، الذي قال انه يلعب دورا رئيسيا في تحديد الجهة القائدة . ولكننا نطلب ان امكن جوابا على هذه النقاط .

سهيل الطويلة : ورد في كل الملاحظات ، ان كافة الاطراف ، من المقاومة الفلسطينية الى فصائل حركة التحرر العربية ، بما فيها الاحزاب الشيوعية ، تتحمل قدرا لا بأس به من المسؤولية ، وبالتالي لا نستطيع تحميل طرف لوحده كل المسؤولية في هذا الموضوع. لكن يبقى ان الطرف المباشر يتحمل المسؤولية عن مواقفه بالدرجة الأولى . ومن هنا اشرت الى المسؤولية الخاصة للمقاومة بالنسبة لمواقفها .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، لا أعتقد اطلاقا ان الموقف السلبي الذي وقفته بعض

---

* حسب ما ورد في كلمة للسيد جورج حاوي ، في مهرجان اقيم ببيروت في ذكرى استقلال كوريا الديموقراطية.

فئات المقاومة من الاحزاب الشيوعية العربية ، ناجم فقط عن المواقف السابقة لهذه الاحزاب من القضية الفلسطينية ، اذ لا بد من الاعتراف أيضا ، بأن الكثير من هذه المواقف السلبية ينطلق من نظرة عدائية في بعض الاحيان ، ومن نظرة غير صحيحة في أحيان أخرى . واذا ذهبنا في التحليل للنهاية ، نجد وراء هذه المواقف ايضا ، مواقع طبقية . وعندما أشرت الى طبيعة حركة المقاومة الفلسطينية ، وكونها حركة تحرر وطني فقط ، لم يكن هذا بمعنى تحميلها المسؤولية ، من هذا المنطلق ، لان هذا واقع موضوعي، لا تتحمل هي مسؤوليته ، اذ لا تستطيع ان تكون غير ذلك . انما كان التأكيد على طبيعة حركة المقاومة ، كحركة تحرر وطني ، وصولا الى فهم أوضح لمكانها داخل حركة التحرر العربية ، وبالتالي للمهمات المطروحة امامها ، حتى لا نعطيها مهمات اكبر مما تستطيع تحملها ، وتعود بالضرر عليها .

وفيما يتعلق بمواقف الاحزاب الشيوعية العربية من القضية الفلسطينية ، اسمحوا لي أن أتكلم عن الحزب الشيوعي اللبناني ، الذي أمثله هنا . لقد اعترف الحزب الشيوعي اللبناني بكل جرأة بمواقفه الخاطئة في مؤتمره الثاني (١٩٦٨) ، واثبت في مجمل عمله السياسي على مدى ما يزيد عن ثلاث سنوات ، ان اعادة النظر المبدئية هذه لم تكن مجرد عمل دعائي ، انما كانت موقفا اساسيا مبدئيا من مواقف الحزب وخطته السياسية . وقد تجلى موقف الحزب هذا ، بدعم المقاومة الفلسطينية ، بما في ذلك الكفاح المسلح . ومن الضروري الاشارة هنا الى نقطة اعتبرها هامة جدا ، وهي أن هناك بعض فئات تنظر الى مجمل مواقف الاحزاب الشيوعية العربية من القضايا القومية ، على انها كلها مواقف خاطئة ، وهذا غير صحيح .

اما الموقف من قرار مجلس الامن والقول بانه امتداد للموقف السابق من القضية الفلسطينية فهو قول خاطىء لعدة اسباب . أولا : هناك قوى كانت في الماضي تأخذ موقفا متناقضا مع موقفنا من القضية الفلسطينية ، وبالرغم من ذلك اخذت بعد حرب حزيران موقف تأييد قرار مجلس الامن . ثانيا : اتخذ الحزب الشيوعي اللبناني موقف تأييد قرار مجلس الامن في نفس الوقت الذي اعاد فيه النظر بموقفه من القضية الفلسطينية. ولذلك فان الموقف من قرار مجلس الامن ينطلق من تقدير للمرحلة الراهنة التي تجتازها حركة التحرر العربية ، ولا يعني اطلاقا التخلي عن النظرة الاساسية للقضية الفلسطينية ، وبالتالي النظرة للكيان الصهيوني القائم في اسرائيل ، وضرورة القضاء على هذا الكيان ، والعمل ليتمكن الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه على ارضه .

وهنا من الممكن أن أعطي مثلا للمقارنة : الاحزاب الشيوعية العربية لم تطرح قضية « اسرائيل » كمهمة آنية ، ولكن هذا لا يعني تخليا عن المهمة الاستراتيجية البعيدة ، تماما كما يطرح الحزب الشيوعي قضية الثورة الوطنية الديمقراطية ، في البلد الذي يواجه ثورة وطنية ديمقراطية ، دون ان يعني ذلك تخليه عن مطالب المراحل الابعد . لذلك فان الموقف من قضية محددة تتعلق بالنضال التحرري للشعب الفلسطيني ، المتصل بالقضية الفلسطينية الكثيرة التعقيد ، لا يصح أخذه منطلقا للحكم على مجمل موقف حزب او قوة ثورية من هذه القضية. مثلا كان مقياس الاخلاص في السابق للقضية الفلسطينية، هو القول برمي اليهود في البحر ، وهذا موقف ثبت خطأه .

غسان شراره (مقاطعا) : في الواقع ، ان العرب لم يأخذوا بهذا الموقف مطلقا . وعندما أقول العرب أقصد الحركة الوطنية ولا اقصد المسؤولين . ومنذ المؤتمر السوري الاول اتخذ قرار يدعو الى دولة فلسطينية مستقلة يتعايش فيها المحمديون والمسيحيون والموسويون . ولم يدع ابدا حتى في ذلك التاريخ الى رمي اليهود في البحر . وفي عام

١٩٤٧ كان الرد العربي على مشروع قرار التقسيم قريبا بنصه مما تطرحه فتح الان ، اي دولة ديمقراطية علمانية . حركة القوميين العرب والتي لم تكن تميز بين الصهيوني وبين اليهودي ، لم يرد في أي وثيقة من وثائقها انه يجب التخلص من اليهود .

هذا الموقف في حقيقته يعود للاعلام الصهيوني اكثر من غيره ، وخاصة عندما زعم ان الشقيري قال برميهم في البحر ، واي مراجعة ودراسة لهذه القضية تثبت ان الفكر الوطني والقومي العربي لم يقل برمي اليهود في البحر . الكتاب الوحيد الذي صدر ليثبت وجود هذا المعنى هو كتاب صادق جلال العظم « دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية» وحتى يثبت ان العرب لم يكونوا تقدميين رجع الى مؤلفات وابحاث، ربما لا يوجد مثقف عربي قرأها ، وجعل من اسماء اصحابها ممثلين للفكر القومي العربي ، بينما أهمل الحركات المسؤولة الاساسية : الناصرية ، الشيوعية ، البعث ، حركة القوميين العرب ، البرلمانات ، المؤتمرات الوطنية .

سهيل الطويلة : أوافق بالفعل على ان قضية رمي اليهود بالبحر لم تكن الطابع المميز لموقف حركة التحرر العربية . وكان قصدي من اثارة هذا الموضوع التنبيه لقضية معينة، لاننا اذا لم نأخذ موقفا نقديا جديا من هذه الاتجاهات نسيء بشدة للحركة الوطنية . الان اصبحنا ندين هذا الموقف تماما ، ولكن هذه الادانة ، وخاصة لجذور الموضوع الفكرية ، لم تكن واضحة بشكل كاف في السابق .

انتقل الى ما اثير حول موقف الاحزاب الشيوعية من العمل الفدائي . اعتقد انه من الظلم الكبير اتخاذ موقف « السلفيتي » على انه كان موقف الاحزاب الشيوعية العربية، والقول بالتالي ان الحركة الشيوعية العربية ظهرت وكأنها لم تدعم العمل الفدائي في البدء . نستطيع القول ان الاحزاب الشيوعية دعمت المقاومة الفلسطينية منذ البداية ، لكن اسباب الدعم لم تكن هي نفسها منذ البداية . فقد تطورت اسباب الدعم هذه ، كما تطورت بالطبع نظرة الاحزاب الشيوعية للمقاومة وعلاقتها بها . وبالرغم من ذلك فهذا لا يمكن ان يبرر بعض المواقف العامة والخاصة للمقاومة من الاحزاب الشيوعية ، وبالتحديد من قوات الانصار .

اما القضية الاخرى ، وهي موقف الاحزاب الشيوعية من الدولة الفلسطينية . فهنا ايضا ، لا اعتقد اطلاقا ، ان الاحزاب الشيوعية ، طرحت قضية الدولة الفلسطينية . الذي أعتقده ان الاحزاب الشيوعية ، خاصة الحزب الشيوعي اللبناني ، طرح موقفا مبدئيا ، هو دعم النضال التحرري للشعب العربي الفلسطيني في سبيل تقرير مصيره فوق أرض وطنه ، أما كيفية تحديد هذا الشكل من أشكال تقرير المصير ، فهي بالدرجة الاولى قضية الشعب العربي الفلسطيني نفسه .

شؤون فلسطينية : نريد ان نتوجه بملاحظات أخرى تتعلق بأحزاب الاردن القومية ذات الامتداد التنظيمي داخل حركة المقاومة ، وذات الصلات الوثيقة بفروع أخرى للحزب في موقع السلطة . فالحزب الحاكم في العراق مثلا ، شكل جبهة التحرير العربية كامتداد له . ولكن الجبهة لم تستطع ان تلعب دورا مبادرا في قيادة العمل الفلسطيني يتناسب مع تراثها وامكانياتها ، لا على صعيد الطرح الفكري الذي قدمته ، ولا على صعيد المبادرة الزمنية ، اذ تأخر تشكيل جبهة التحرير العربية حتى عام ١٩٦٩ .

رغيد الصلح : التقرير السياسي لحزب البعث عن استراتيجية الكفاح المسلح ، يبين ايمان الحزب بهذا الاسلوب في النضال لتحرير فلسطين منذ تأسيسه . ففي نهاية الخمسينات قامت محاولة داخل الحزب لانشاء تنظيم فدائي ، وبالفعل تشكلت نواة هذا التنظيم وقامت ببعض العمليات الاستطلاعية في الاراضي المحتلة . وأدى تسلم الحزب للحكم في

سوريا الى تسهيل انطلاق العمل الفدائي . وعندما انطلق العمل الفدائي في عام ١٩٦٥ قدم الحزب الدعم النضالي للمقاومة في مواقف متعددة ، منها مثلا عندما استشهد المناضل « جلال كعوش » في لبنان ، اذ تبنى الحزب القضية على جميع المستويات . ومع نمو ونهوض حركة المقاومة وجد الحزب اشكالا وأنماطا متعددة لدعمها ورفدها بالامكانات البشرية والنضالية والمادية ، بل حتى في المشاركة بالكفاح المسلح .

وتجدر الاشارة أنه عندما وجد الحزب صعوبة في ممارسة تأثيره داخل حركة المقاومة من خلال العمل داخل المنظمات الموجودة ، وعندما تعذر على بعض الرفاق الجمع بين ممارستهم للكفاح المسلح والحفاظ على صلتهم بالحزب ، عند ذلك قرر الحزب انشاء منظمة فدائية تتسع جبهويا لنضال الرفاق الحزبيين . ومنذ ذلك الوقت شارك في جميع الخطوات التي قامت بها الفصائل المسلحة . وكان المقصود من تشكيل جبهة التحرير العربية ، التأثير والتفاعل مع حركة المقاومة .

شؤون فلسطينية : هناك ملاحظات نود ابداءها حول حزب العمل الاشتراكي العربي . فهذا الحزب حسب تحليل الاوساط السياسية العربية ، هو « واقعيا » امتداد تنظيمي عربي ، لفصيل فدائي فلسطيني هو « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، هدفه أن يوجد دعما جماهيريا عربيا لحركة المقاومة . ان تشكيل الحزب بهذه الطريقة ، يعكس منهجا « تنظيميا » في فهم قضية تأسيس الحزب ، كما يعكس فهما فوقيا ومغلوطا في كيفية بناء علاقة التلاحم النضالي مع الحركة الوطنية العربية .

ان المطلوب لدعم النضال الفلسطيني ، نمو ثوري في الحركة الوطنية العربية ، وانسجام استراتيجي بينها وبين حركة المقاومة ، يمكن ان يتطور بالتدريج الى اشكال أرقى . أما اقدام فصيل فدائي على تشكيل حزب عربي جديد ، فان هذا سيفرض على الحزب عقلية المنافسة والسعي لتمييز نفسه باستمرار عن بقية الاحزاب العربية ، لتبرير وجوده ، فيساعد بذلك في انقسام الحركة الوطنية العربية ، بدل أن يساعد في توحيد جهودها . والانطباع السائد حتى الان ان الحزب لم يستطع أن يكون لنفسه شخصية مستقلة ، فبقيت الجبهة الشعبية المحور الاساسي في العمل ، ويلعب الحزب ازاءها دور التابع ، بينما العكس هو الصورة الطبيعية .

أما على صعيد مواقفه السياسية ، فلم يخرج الحزب حتى الان عن اطار دعم وتبني الجبهة الشعبية ، ولم يقم بنسج تحالفات تتعدى اطار الجبهة ، كما لم يقم بطرح أي تحليل مميز في الساحة العربية .

نزيه حمزه : في الواقع ان حزب العمل الاشتراكي العربي لم يكن بالحزب الفوقي كما ذكر ، فهو امتداد لحركة القوميين العرب التي كانت بورجوازية في منطلقاتها ، واصبحت تسير باتجاه التطور والالتزام بالفكر الماركسي اللينيني . ان فكرة الحزب ليست امتدادا للجبهة ، بل هي مستمدة من الحوار الذي بدأ داخل قواعد وقيادات الحركة في السابق ، وقادت نحو الالتزام بالفكر الماركسي اللينيني . وبروز الجبهة الشعبية يعود للظروف الموضوعية والذاتية التي رافقت الواقع العربي ، وحركة النضال العربية ، بعد عام ١٩٦٧ ، حيث تبلورت ضرورة النضال والكفاح المسلح ضد اسرائيل والامبريالية ، واقتضى ذلك تركيز الجهود حول نشاط الجبهة الشعبية ، وتركت فكرة الحزب الى وقت لاحق حتى تكون الظروف ملائمة اكثر لعملية التأسيس التي بدأت بشكل جدي عام ١٩٦٨ ، حين تولت بعض القيادات السابقة في الحركة عملية بناء الحزب .

وهنا أريد ان اوضح بأن الحزب لم يلجأ لتأسيس حزب آخر يضاف الى مجموعة الاحزاب العربية والاحزاب الشيوعية . ولكن يساهم في بناء وتأسيس عمل منظم ومهيأ على

اسس ماركسية لينينية ، للعمل على تكوين حزب شيوعي عربي مستقبلا ، وذلك بالتفاعل مع الاحزاب الشيوعية العربية . هذا يعني ان حزب العمل الاشتراكي العربي لا يعترف في المرحلة الحاضرة بأن الاحزاب القائمة تشكل فعلا احزاب الطبقة العاملة ، ولكن تصور حزب العمل ان هذه الاحزاب يجب ان تشكل بمجملها الحزب الشيوعي العربي الواحد .

اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فتعتبر فرعا من فروع حزب العمل الاشتراكي العربي وليس العكس ، ومواقف حزب العمل منسجمة في معظمها مع مواقف الجبهة الشعبية ، لان قيادة الجبهة ممثلة في القيادة المركزية لحزب العمل .

واريد ان اعلق على ما جاء في كلمة الاخ غسان شراره حول الجبهة الوطنية بالنسبة للمقاومة الفلسطينية . فالفصائل اليسارية لم يكن لديها عقدة قيادة حسب تعبيره ، ولكن هذه الفصائل طرحت برنامجا واضحا وبشروط واضحة ، وكان الاتصال مع بقية الفصائل يتم على اساسها وليس على اساس توزيع المناصب . ويجب ان نعترف ان هناك تناقضات وان كانت جزئية، حول التصور لمعسكر الخصم، حول ماهية المرحلة الحاضرة، حول طبيعة القتال في المرحلة الحالية ، حول طبيعة الرجعية العربية ، حول طبيعة التعامل مع الانظمة المجاورة لفلسطين . كل هذه الامور بالفعل كانت تشكل عقبة اساسية في وجه تحقيق الوحدة الوطنية . ولذلك لم نكن في يوم من الايام نعتبر ان الخلافات حول توزيع المناصب ، بل حول القضايا التي ذكرتها .

غسان شراره (مقاطعا) : انا لم استعمل تعبير « عقدة سياسية » للحديث عن موقع تنظيم محدد ، بل للاشارة الى قضية سياسية ، لمن تكون قيادة حركة المقاومة ؟ هل للطبقة العاملة وحزبها ام لا ؟ هل الوضع ناضج ليقبل قيادة الطبقة العاملة حاليا ام لا ؟ وفي اعتقادي ان الموضوع الذي طرحته الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية — قبل ان ينفصلا الى جناحين — كمبرر لقيام فصيل فدائي جديد ، هو طرح قضية قيادة حركة التحرر الوطني . لقد غيرت طبيعة الممارسة كثيرا، من نظرة الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية لهذا الموضوع ، واصبحت هذه النظرة الان اكثر نضجا . وفي الحركة الثورية الفلسطينية الآن ، يسارية واقعية ، وديمقراطية سياسية ، سوف تسهل حل مشكلة : لمن تكون قيادة هذه المرحلة ؟.

نزيه حمزه : لم يكن في ذهن الجبهة الشعبية ان الطبقة العاملة يجب ان تقود حركة المقاومة مباشرة ، لان هذا خطأ طبعا ، ولانها تعتبر انه من الممكن في المرحلة الحالية ان تلتزم الفصائل الاخرى ببرنامج محدد . وعن طريق النضال والالتزام بهذا البرنامج ، تصل الطبقة العاملة فيما بعد ، الى قيادة حركة المقاومة ، وقيادة الكفاح الشعبي المسلح .

مواقف النواب الاميركيين من مسألة تقديم المساعدات للفلسطينيين والاسلحة لاسرائيل

جانيس ج. تيري

(١) تقديم المساعدات للفلسطينيين

في صيف ١٩٤٨ وافقت الدول الاعضاء في الامم المتحدة على تقديم مساعدات فورية للاجئين الفلسطينيين الذين طردهم الصهيونيون من بيوتهم عندما قامت دولة اسرائيل والذين كانوا يعيشون في حالة من البؤس والشقاء في مخيمات اقيمت لهم في لبنان وسورية والاردن وقطاع غزة . وكاحدى الدول الاعضاء المؤسسة للامم المتحدة تبرعت الولايات المتحدة الاميركية بتقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين مع انها ، كغيرها من الدول الغربية الاخرى ، كانت تعتبر أن مثل هذه المساعدات ليست سوى اجراء مؤقت لتقديم عون فوري . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار رقم ١٩٤ (III) الذي يدعو الى التعويض على الفلسطينيين أو السماح لهم بالعودة الى بلادهم ، ولما لم ينفذ هذا القرار ، اضطرت الامم المتحدة الى الاستمرار في تقديم المساعدات ، ومنذ ذلك الحين والجمعية العامة تعيد التأكيد في دوراتها السنوية على القرار ١٩٤ الذي لم يعرف سبيله الى حيز التنفيذ بعد .

وبطلب من ف.د. روزفلت ، رئيسة الوفد الاميركي الى الامم المتحدة ، آنذاك ، تم انشاء وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين (انربر) لتتولى الاشراف على توزيع المساعدات المخصصة للفلسطينيين(١). وفي هذا الوقت ، طلب الرئيس ترومان الى الكونجرس الحادي والثمانين منحه صلاحية تقديم تبرع خاص لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين . وقد وافق الكونجرس في آذار (مارس) ١٩٤٩ ، رغم ما ساور اعضاءه من شعور بالريبة وعدم الثقة ، على تقديم مبلغ ١٦ مليون دولار لمساعدة الفلسطينيين . واثناء مناقشة هذا الموضوع ، كان توم كونالي ، السناتور الديمقراطي عن ولاية تكساس ، يشير الى اللاجئين بقوله : « الذين يسمون لاجئين فلسطينيين » ، وكان هذا يعكس الشعور السائد لدى اعضاء الكونجرس بالنسبة للفلسطينيين الذين كان معظم النواب الاميركيين يشيرون اليهم بتسميتهم : « اللاجئون العرب » . وفي وقت لاحق ، وافقت الجمعية العامة على مشروع قرار بتقديم مبلغ ٣٢ مليون دولار لمساعدة الفلسطينيين يغطى بشكل تبرعات تقدمها ٢٤ دولة ، لكن الامم المتحدة لم تتلق سوى مبلغ ٢٥ مليون دولار(٢). وبسبب رفض الغرب والصهيونيين الاعتراف بحقوق الفلسطينيين اضطرت الامم المتحدة الى مواصلة تقديم مساعداتها للاجئين على أساس سنوي . وفي ١٩٤٩ تأسست وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (انروا) للاشراف على توزيع الاموال التي كانت تشكل الحد الادنى لحاجات اللاجئين . وقد استمر التأييد الاميركي لهذا البرنامج رغم المحاولات التي كان يبذلها النواب

الاميركيون بين الفينة والاخرى لتخفيض كمية هذه المساعدات او لايجاد حلول بديلة لمسألة اللاجئين . وفي البداية كان عدد من النواب يعتقدون بأن تقديم المساعدات للاجئين ضروري لاسباب انسانية ولتأكيد عدم تحويل اللاجئين الى مؤيدين للاتحاد السوفياتي(٣).

وفي ١٩٥١ ناقش الكونجرس موضوع مساهمة الولايات المتحدة في برنامج مساعدات اللاجئين(٤). وفي هذا الوقت كانت الولايات المتحدة قد تبرعت بما يزيد على ٤٠ مليون دولار لضمان استمرار تنفيذ برنامج الانروا ، ولكن معظم هذه المساعدات والمساعدات التي قدمت فيما بعد ، كان بشكل مواد غذائية فائضة ، وليس نقدا . وقد اعتمد قانون المساعدات الخارجية للعام ١٩٥١ مبلغ ١٧٥ مليون دولار كمساعدات تقدم الى افريقية والشرق الاوسط ، على ان تخصص هذه الاموال للتنمية وان تغطي البرامج التي لا يشملها قانون المساعدات الصادر في ١٩٤٨ . وقد خصص للانروا من هذا المبلغ ٥٠ مليون دولار ، ولكن اضيفت مادة خاصة بتقديم مبلغ مماثل (٥٠ مليون دولار) لاسرائيل . وقد جرى نقاش طويل حول هذه الاعتمادات في مجلسي الشيوخ والنواب . واثناء النقاش اقترح جون كيندي ، الذي اصبح رئيسا للولايات المتحدة فيما بعد ، ان تخصص هذه الاموال لاعادة اسكان اللاجئين في « اسرائيل » ، لكن جاكوب جافيتس ، النائب الجمهوري عن ولاية نيويورك ، وابراهام ريبيكوف ، النائب الديمقراطي عن ولاية كونيكتيكت ، اعلنا معارضتهما لهذا الاقتراح . وبدلا من ذلك ، اعلن هذان النائبان ، اللذان اصبحا عضوين في مجلس الشيوخ فيما بعد ، تأييدهما القوي لاسرائيل على اعتبار انه من المستحيل ان تتحمل اسرائيل داخل حدودها هذا العدد الكبير من الاعداء المحتملين. ومن جهة اخرى ، اثارت كتلة النواب الديمقراطيين الجنوبيين بزعامة هارولد كولي (النائب الجمهوري ، من كارولينا الشمالية ، ١٩٣٤ — ١٩٦٦) ، قضية المساعدات الاميركية غير العادلة في الشرق الاوسط . فأشار كولي الى ان كلفة اعادة اللاجئين العرب قدرت بقيمة ٢٠٠ دولار للشخص الواحد ، مقابل ٢٨٠٠ دولار لاعادة اسكان كل لاجيء يهودي ، و ٦٠٠ دولار لاسكان كل شخص من عائلات المزارعين في الولايات المتحدة(٥). واضاف النائب فوريز من اوهايو ان معدل المساعدات الاميركية للعرب بلغت ١،٩٠ دولار للشخص الواحد مقابل ٥٢،٥٠ دولار لكل اسرائيلي . وقد رد ولتر جود ، النائب الجمهوري عن مينيسوتا والمعروف بتأييده لاسرائيل ، بأن على الولايات المتحدة ان تقدم مساعدات لاسرائيل توازن مساعداتها للعرب وذلك لان لاسرائيل جيشا ممتازا ، كما انها اظهرت صداقتها للغرب ، وللولايات المتحدة بشكل خاص . وكذلك صرح جوزيف ماكورماك ، النائب الديمقراطي من ماستشوستس الذي اصبح رئيسا لمجلس النواب ، ان على الكونجرس ان « يدرك ان اسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الادنى التي نستطيع الاعتماد عليها ، علما اننا لا نستطيع الاعتماد على غيرها »(٦). وقد رد النواب الجنوبيون بانه اذا بقيت مسألة اللاجئين دون حل ، فان ذلك يمهد السبيل لتغلغل الشيوعية في العالم العربي ، وخاصة بين اللاجئين الفلسطينيين . وعلى اي حال ، لم يكن لهذه المناقشة اهمية كبيرة ، اذ ان معظم النواب كانوا في الحقيقة يميلون الى الاعتقاد بأن اسرائيل هي الحليف الوحيد المستقر الذي يمكن الاعتماد عليه في الشرق الاوسط .

ان تأييد اسرائيل في الكونجرس ، لا فرق ان كان الدافع له الالتزام العاطفي بالصهيونية او الرغبة في المحافظة على اسرائيل كحليف عسكري يحمي المصالح الغربية في الشرق الاوسط ، غير مرتبط بأي ولاء حزبي . فاقوى مؤيدي اسرائيل والمخلصين لها هم من الساحل الشرقي ، وخاصة من نيويورك التي توجد فيها اكبر نسبة من الاصوات اليهودية ، وعلى اي حال ، فان لاسرائيل مؤيدين جمهوريين من أمثال ولتر جود وواين

مورس اللذين ينظران لاسرائيل كموقع متقدم للدفاع عن المصالح الاميركية في وجه « الخطر الشيوعي » ، وكذلك فقد ظهر خلال حملة الرئاسة في ١٩٥٢ أن السناتور الجمهوري روبرت تافت ، من اوهايو ، مؤيد قوي لاسرائيل . وجميع مرشحي الرئاسة الذين فازوا في الانتخابات بما في ذلك ايزنهاور ، عبروا في النهاية عن تأييدهم لاسرائيل وقد كان هذا هو المنوال نفسه الذي سار عليه مرشحو الرئاسة فيما بعد .

وفي ١٩٥٣ ، عندما طرح موضوع استمرار المساعدة الاميركية للاجئين للمناقشة من جديد ، وافق مجلس النواب على تشكيل لجنة فرعية برئاسة لورنس سميث من ويسكونسن وروينستن براوتي من فيرمونت ، للتحقق من احوال اللاجئين وللبحث عن امكانية ايجاد حل دائم لهذه المسألة(٧). ولقد أوصى التقرير الذي وضعته لجنة سميث ــ براوتي بأن لا تطالب الولايات المتحدة باعادة اللاجئين الى اسرائيل في الظروف الراهنة أو ضمن حدود اسرائيل للعام ١٩٤٨ . واكد التقرير بأن قضية اللاجئين مرتبطة جدا بقضية تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط يقضي بأن تعترف الدول العربية باسرائيل . وكذلك توصلت لجنة فرعية شكلها مجلس الشيوخ لدراسة قضية اللاجئين الى نتائج مماثلة . كما أن لجنة فرعية تابعة لمجلس النواب تسمى لجنة هايز ــ اوهارا ــ تشيرش ، شكلت في ١٩٥٨ ، اعادت تأكيد هذه التوصيات وحثت على توطين اللاجئين في الدول العربية . وعلى اي حال ، وافق الكونجرس في ١٩٥٣ على اعتماد أموال جديدة للانروا رغم الشكوك التي اثيرت حول طبيعة المساعدات الاميركية وعدم احتمال التوصل الى قرار بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط .

وقد ظهر بأن النواب الاميركيين يميلون الى ايجاد حلول تقضي بتوطين اللاجئين في الدول العربية دون أن يخطر ببالهم امكانية احداث تغيير في دولة اسرائيل . وحدث ان عددا قليلا من النواب طالبوا باعادة توطين اللاجئين في « اسرائيل » نفسها ، ولكن ضمن تسوية شاملة تقضي باعتراف الدول العربية باسرائيل . وفي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ عندما ازداد استقطاب الشرق الاوسط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، اصبح النواب الاميركيون اكثر تأييدا لاسرائيل التي صاروا يصورونها الحليف الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الشرق الاوسط . فكتبوا كثيرا من الافتتاحيات والمقالات المؤيدة لاسرائيل في **نيويورك تايمز وواشنطن بوست** ، كما يظهر من **سجلات الكونجرس**(٨). وكان ابراهام ملتر وامانويل سيللر(٩)، اللذان كانا عضوين في اكثر من منظمة صهيونية ، يقودان الحملة من أجل مواصلة التأييد الاميركي لاسرائيل . وكانا ينتقدان وزارة الخارجية الاميركية «لسياستها المؤيدة للعرب» في حين يحثان الكونجرس على ممارسة الضغط لتوطين اللاجئين في الدول العربية . ونال مشروع جونستون قسطا وافرا من الدعاية كبرنامج لتطوير الاراضي المروية حديثا والمنتجة زراعيا والتي يمكن توطين اللاجئين فيها . وقد اعرب النواب عن أملهم بأن الاراضي المروية حديثا في الدول العربية قد تدفع باللاجئين الى قبول التوطين خارج اسرائيل . وبشكل عام ، لم يأخذ النواب رغبات اللاجئين بعين الاعتبار ، وبدلا من ذلك أنحوا باللائمة على الدول العربية لرفضها توطين اللاجئين على اراضيها .

وبظهور زعامة عبد الناصر وتزايد الصداقة العربية السوفياتية في العالم العربي اصبح النواب الاميركيون يرون في اسرائيل أفضل حليف في المنطقة . واعربوا عن اعتقادهم ان اللاجئين كانوا بمثابة مخلب قط « لمطامع عبد الناصر السياسية والتوسعية » . وحث جافيتس الحكومة الاميركية على المطالبة بتوطين اللاجئين على اساس مشروع جونستون(١٠). واعلن هيوبرت همفري (المرشح الديمقراطي للرئاسة في ١٩٧٠) ونائب الرئيس جونسون ، تأييده لجافيتس ، وحذا حذوه عدد من النواب . وخلال

السنتين التاليتين واصل النواب دعوتهم لتوطين اللاجئين في العالم العربي ، ففي ١٩٥٩ اقترح جافيتس بأن تتخذ الولايات المتحدة المبادرة في تأمين ايجاد حل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي وذلك بارغام الدول العربية على تحمل مسؤولياتها بالنسبة للاجئين ، وان تحث اسرائيل على اعادة عدد معين . ويقضي هذا المشروع بزيادة المساعدات المقدمة للـدول العربية لاغراض التنمية ، ولكنـه في الوقت نفسه يقترح زيـادة المساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل بصفتها حليف يمكن الاعتماد عليه . وفي هذا الصدد لاحظ جافيتس بأنه « ... منذ حوادث لبنان (١٩٥٨) بدأنا ندرك أهميـة اسرائيل الدقيقة بالنسبة لنا كمرساة يمكن الاعتماد عليها من قبل العالم الحـر في الامور الاستراتيجية والعسكرية في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط(١١) ». وكان ملتر من نيويورك قد لاحظ في وقت سابق بأنه لا يمكن التفكـير باعادة توطين اللاجئين في اسرائيل(١٢). وبسبب الشكوك التي أظهرها النواب حول استمرار تقديم المساعدات للانروا ، ألحق قانون بمساعدة الثلاثة والعشرين مليون دولار في ١٩٦٠ـ١٩٦١ يقضي بأن لا تـزيد المساعدة الاميركية عن ٧٠ بالمئة من مجموع ما تقدمه جميع الدول الاخرى(١٣)، ولا تزال هذه المادة سارية المفعول .

وبعد فوز كيندي بالرئاسة أجرت الحكومة تقييما لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بقصد تحسين وضعها بالنسبة للانظمة القومية في العالم العربي ، وخاصة نظام عبدالناصر . ونتج عن ذلك تبادل الرسائل بين كيندي وعبدالناصر . وفي ١١ أيار (مايو) ١٩٦١ قدم كيندي بعض المقترحات المعتدلة التي تهدف الى تحسين سياسة الولايات المتحدة ، وفي تلك الرسالة اشار الى التعويض واعادة دمج اللاجئين دون أي ذكـر لتوطينهم في الدول العربية ، الامر الذي فتح عليه نيران النقد من داخل الكونجرس ، خاصة من النواب الموالين للصهيونية الذين باتوا يخشون من قيام ادارة كيندي باتخاذ خطوات من اجل الضغط لاعادة اللاجئين الى بلادهم . وقـال جافيتس ان اسرائيل تستطيع استيعاب ما يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ الف لاجيء ، ولكن اكثر من ذلك سيسبب خطرا على أمنها مما يتناقض مع المصالح الاميركية العليا(١٤). وكرر الاقتراح بتوطين اللاجئين في الدول العربية واضاف الى ذلك ، الاقتراح بتقديم التعويضات عما خسروه ، على أن ينهي العرب مقاطعتهم لاسرائيل . وانهى اقتراحه بقوله انها « لغلطة كبيرة »(١٥) ان نسمح للعرب بأن يفكروا يوما بأن الولايات المتحدة تؤيـد عودة اللاجئين الـى « اسرائيل » . واعرب السناتور كيتنج عن تأييده لاقتراح جافيتس واضاف بأن الاتفاقية يجب ان تشمل فتح قناة السويس في وجه الملاحة الاسرائيلية .

ونتيجة لتزايد النشاط الصهيوني والتغييرات التي طرأت على مواقف الرئاسة من الشرق الاوسط ، شهد الكونجرس مناقشة حامية لمشروع قانون المساعدات في ١٩٦١ . وقد أيد فيليب هارت ، النائب الديمقراطي من ميتشجن ، استمرار تقديم المساعدات للانروا واثنى عليها كذلك ، مع انها كانت عرضة للانتقاد من قبل بعض النواب الذين اتهموها بالتحيز لصالح الفلسطينيين والعرب(١٦). ولكن ما أن جاء العام ١٩٦٣ حتى بات هارت يدعو الى حل على اساس اعتراف العرب باسرائيل . ومن جديد مارس النواب ضغطا من أجل توطين اللاجئين ، واظهروا اهتمامهم بمسألة استمرار المساعدات التي لم تكن لتنتهي بشكل سريع ، وقد زادت خشيتهم بعدم امكانية ايجاد حل للنزاع . وقد اعرب النواب عن خشيتهم « من ان يستخدم الزعماء العرب ، وخاصة عبدالناصر ، الفلسطينيين لتحقيق مآربهم الشخصية » ، وكانوا يشعرون بأن ذلك من شأنه ان يعرقل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، لذلك فان الحل الوحيد هو توطين اللاجئين . واذا رفضت الدول العربية ذلك فما على الولايات المتحدة الا ان ترغمها على قبول هذا الاقتراح .

واعرب النواب ايضا عن اعتقادهم بأن افضل حل لقضية اللاجئين يكون ضمن اطار اتفاقية سلام عامة تقضي بالاعتراف بكيان اسرائيل(١٧).
وخلال هذه الفترة ، كان السناتور وليم فولبرايت ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، هو الصوت الوحيد الذي اتخذ موقفا منفصلا عن هذا الخط. فقد قام بجولة في الشرق الاوسط في ١٩٦٠ ، وعندما كان في فلسطين المحتلة اقترح ان تسمح اسرائيل باعادة قسم من اللاجئين ، كما طلب تشكيل لجنة محايدة من الخبراء لدرس اوضاع اللاجئين لتقديم حلول لمشكلتهم الدائمة(١٨). وكان عبدالناصر وسياسته عرضة للانتقاد مرارا لان معظم النواب كانوا ينظرون اليه كديكتاتور تسيره الشيوعية الدولية . وكان الراي السائد بأن مصر ، اذا كان يجب ان تحصل على مساعدات اميركية ، يجب ان تحصل على أدنى حد من المساعدات . وفي ١٩٦٥ اعرب النواب عن شعورهم بأن عبدالناصر يؤيد الفدائيين ويحرضهم على شن الهجمات على اسرائيل . حتى ان بعض النواب أعربوا عن اعتقادهم بأنه لو ابعد عبدالناصر لتوقفت هجمات الفدائيين ، فلم يتصوروا امكانية قيام عمل فلسطيني مستقل خارج نفوذ عبدالناصر . وكانوا يعتبرون احمد الشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، « العوبة بيد عبدالناصر » . وأكد جيمس روزفلت ، النائب الديمقراطي من كاليفورنيه ، بأن توطين اللاجئين كفيل بتخفيف التوتر المتصاعد باستمرار على طول الحدود . ومع انه اعترف بأن الدول العربية ستقاوم اية محاولة في هذا السبيل ، اقترح بأنه يجب ابلاغهم بأن عليهم أن يقبلوا بذلك . وفي هذا الصدد اشار الى ان مساعدات الولايات المتحدة للانروا تعادل ٧٠ بالمئة من ميزانية المنظمة الدولية(١٩). وعلى أي حال ، فانه لم يذكر بأن الدول العربية في ١٩٦٢ قدمت ما يعادل ٣٨ مليون دولار كمساعدة مباشرة(٢٠) أو ان تبرعات الولايات المتحدة لم تكن هامة اذا ما قورنت بالتبرعات المقدمة من الدول التي لها دخل اجمالي عام اقل وسكان اقل كذلك . وايد عدد آخر من النواب اقتراحات روزفلت بأن على الانروا ان تركز جهودها في مجالات الاسكان والتدريب المهني وتأمين اعمال للاجئين بدلا من الاغاثة . وقد تركزت وجهة النظر هذه على القول بما ان العرب في اسرائيل يعيشون حياة حسنة ، ليس هناك من سبب يدفع عبدالناصر واعوانه لاستخدام اللاجئين لمآربهم السياسية(٢١)، ولكن يجب ، بدلا عن ذلك ، ان يركز على دمجهم في الدول العربية . وكان النواب يصورون اللاجئين بأنهم سلاح سياسي آخر بيد الدول العربية لاستخدامه ضد اسرائيل ، متغاضين عن ان اللاجئين انفسهم رفضوا توطينهم خارج بلادهم .

واقترح ليونارد فاربشتين ، النائب الديمقراطي عن نيويورك ، ايجاد حل عن طريق تخفيف المساعدات الاميركية للانروا بشكل محدد ومستمر . وبعد جولة قام بها فاربشتين في الارض المحتلة ، وليس في الدول العربية ، أعرب عن اعتقاده بأن مثل هذا الحل ممكن تماما ، واقترح خطة لتلحق بمشروع قانون المساعدات للعام ١٩٦٦ تقضي بتخفيض المساعدات الاميركية للانروا بمعدل خمسة بالمئة لمدة عشرين سنة . وتعتمد وجهة نظر فاربشتين على المقولة التي تفترض ان الولايات المتحدة تستطيع تقريب حل مسألة اللاجئين بقطعها المساعدات عنهم(٢٢). ولم تتم الموافقة على اقتراح فاربشتين مع ان الكونجرس أقر تخفيض المساعدات بقيمة ١٠٠ الف دولار في ١٩٦٦ ، اذ اعتمد مبلغ ٢٢ مليون و ٢٠٠ الف دولار فقط(٢٣).

وقد طرح موضوع استمرار المساعدة الاميركية للفلسطينيين على بساط البحث من جديد في ١٩٦٧ عندما كشف بأن عددا من اللاجئين المسجلين في سجلات الانروا فدائيون . وقد أكد السناتور ادوارد كيندي هذه الانباء بعد جولة قام بها في المنطقة . وطالب النواب بعدم

تقديم أية مساعدات للاجئين الذين يصبحون فدائيين ، كما رفضوا طلب لورنس ميتشلمور ، المفوض العام للانروا ، بزيادة التبرعات الاميركية للانروا لتستخدم للسكن والمأوى(٢٤). وطالب فاربشتين الامم المتحدة بتجديد سجلاتها وباصدار بطاقات اعاشة جديدة للفلسطينيين . وفي وقت لاحق من ١٩٦٧ عندما بدأت الاحداث تتصاعد في المنطقة أثير موضوع مساعدات اللاجئين نظرا للنشاط الذي يقوم به جيش التحرير الفلسطيني . وقبل حرب ١٩٦٧ حث جافيتس وغيره الحكومة الاميركية تجنب خطر فيتنام ثانية في الشرق الاوسط بالتحقق من استخدام اموال الامم المتحدة من قبل الفدائيين . وقد لاقى هذا الموقف ، بالاضافة الى دعاة الصهيونية التقليديين ، تأييدا من السناتور بيرسي من الينوي ، والسناتور واين مورس من اوريجون ، والنائب هيكن لوبر من ايوا(٢٥).

لقد كانت وجهات النظر التي يطرحها النواب اثناء مناقشات الكونجرس قبل حرب ١٩٦٧ في معظمها مؤيدة لوجهة النظر الاسرائيلية . وكان العرب يوصمون بأنهم معتدون ، اما الاتحاد السوفياتي فكان يتهم بتأييد العدوان بشكل يلائم أهدافه . وقد لاحظ النواب ان تأييد اسرائيل أمر حيوي بالنسبة للمصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، واتهمت الانروا بأنها فشلت في تأدية مهمتها ، واعتبر النواب ان عدم اندماج اللاجئين في الدول العربية يعود الى كفاحهم المتواصل ضد اسرائيل(٢٦). وفي ١٥ يونيو ١٩٦٧ تم الاعلان عن النتائج التي كانت احدى لجان مجلس النواب الاميركي قد توصلت اليها خلال جولة قامت بها في الشرق الاوسط في نوفمبر ١٩٦٦ . وقد طالب التقرير بالامور التالية : (١) وقف اطلاق النار ، (٢) اعتراف الدول العربية باسرائيل بضمان من الدول الكبرى ، (٣) توطين اللاجئين مع الحد من شحن الاسلحة الى المنطقة ، (٤) القيام بمشاريع تنمية جديدة(٢٧). ومن جهة أخرى ، كان السناتور جور من تنيسي والذي هزم في انتخابات ١٩٧٠ ، قد قدم ، في معرض تأييده للفلسطينيين ، تفاصيل عن برامج الانروا ولفت النظر الى حالة اللاجئين البائسة (٢٨). واكد ان المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة للفلسطينيين تبلغ ١٧ دولارا في السنة للفرد اي ٤ سنتات كل يوم ، كما اكد التحليل العميق الذي عرضه بأن المشكلة أبعد كثيرا من أن تكون اقتصادية فحسب ، واعرب جور عن شعوره بأنه لا يكفي ان ترفض اسرائيل اعادة اللاجئين ما لم يحل النزاع بكامله ، ولفت النظر كذلك الى أن المشكلة ازدادت تعقيدا باللاجئين الجدد الذين نزحوا عن الضفة الغربية للاردن بسبب حرب ١٩٦٧ . وحث جور اسرائيل على ان تظهر نوعا من التسامح باعادة هؤلاء اللاجئين الجدد وبذلك تظهر عزمها على ايجاد حل وسط يمكن ان يؤدي الى تسوية دائمة للنزاع . وانتهى جور الى مناشدة الحكومة الاميركية زيادة مساعدتها للانروا . واعلن وليم فولبرايت الذي يرئس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ والتي كان جور عضوا فيها ، موافقته على ذلك . ومع ذلك ، فقد كان الكونجرس يتجاهل آراء هذين الرجلين بالنسبة لقضية اللاجئين . وبسبب مثل هذه المناقشات يمكن الملاحظة بأن المساعدات الاميركية للانروا بقيت ثابتة نسبيا خلال فترة السنوات العشرين . ولم تكن مثل هذه المبالغ تكفي لاكثر من التخفيف من التضخم او من تزايد عدد اللاجئين . وعلى سبيل المثال ، اعتمد الكونجرس في ١٩٦٩ مبلغ ٢٢ مليون و٢٠٠ الف دولار مقابل ٢٢ مليون و٥٥٠ الف دولار في ١٩٦٦(٢٩). وفي اوغسطس كان النواب لا يزالون يتذمرون من « استخدام الزعماء العرب للاجئين » . وطالب مايك مانسفيلد ، زعيم الاغلبية الديمقراطية ، بالحل القديم ، اي توطين الفلسطينيين في الدول العربية ، او كبديل لذلك، توطينهم في الولايات المتحدة او اي مكان آخر(٣٠). وهكذا ، استمر النواب ، باستثناء البعض منهم ، بتبني ما ظنوه العلاج الناجع للتسوية : لقد رفضوا الاعتراف بحقائق الوضع التي أظهرت بأن الفلسطينيين لا يمكن أن يقبلوا التوطين في الدول العربية، ولكن

يريدون حقوقهم في بلادهم . ولا يمكن تغيير هذه الآراء الى العكس مهما زاد الضغط الاميركي .

ومنذ حرب ١٩٦٧ استمر النقد الموجه الى المساعدة الاميركية للانروا وكان يتزعم ذلك جافيتس ، وسكوت من بنسلفانيا ، ووالتر موندال من مينيسوتا ، وريبيكوف ، ونواب نيويورك في مجلس النواب . وبالمقابل كان السناتور هاتفيلد ، الجمهوري من اوريجون ، وجورج آيكن ، الجمهوري من فيرمونت وعضو لجنة العلاقات الخارجية ، يوجهان الاسئلة ويبديان المعارضة أحيانا . وطالب هاتفيلد باتباع سياسة اميركية اكثر توازنا في الشرق الاوسط وبمزيد من العطف على اللاجئين . ولكن فولبرايت ظل من اشد المتحمسين لاحداث تغيير في السياسة الاميركية في الشرق الاوسط . وفي ٢٤ آب ١٩٧٠ القى خطابا مطولا أمام مجلس الشيوخ بعنوان « خرافات قديمة وحقائق جديدة : الشرق الاوسط » ، وبالنسبة لموضوع اللاجئين لاحظ « ان التزام الدول العربية بقبولهم والمساعدة في توطينهم — كما فعلوا ذلك جزئيا — يجب أن يكون مصحوبا بعون مالي اسرائيلي سخي للتعويض عن الخسائر التي مني بها هؤلاء اللاجئون ولتسهيل توطينهم ، ولن تجد اسرائيل صعوبة كبيرة في تأمين هذه المبالغ نظرا للمساعدات التي ستحصل عليها من الدول الصديقة ، او نتيجة للتخلص من اعباء التكاليف العسكرية التي ستصبح ممكنة اذا ما تحقق السلام ، وعلى أي حال يجب على اسرائيل أن تقبل بذلك كالتزام اخلاقي اساسي »(٣١). ومع أن موقف فولبرايت ، كان بكل تأكيد بعيدا عما يطلبه الفلسطينيون ، ولم يطالب باعادة اللاجئين الى بيوتهم ، الا انه كان عرضة للانتقاد من قبل النواب الاميركيين والصحف الاميركية التي اتهمته بالتحيز للعرب .

ونظرا لعدم انتهاء النزاع العربي — الاسرائيلي، ورفض اعادة او توطين اللاجئين، هناك حاجة واضحة لتنفيذ برامج الانروا . لذلك فان مناقشات الكونجرس للمحافظة على استمرار المساعدة او محاولتهم فرض حلول بديلة أمر يتكرر كل سنة . ومن مايو ١٩٥٠ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٧٠ بلغت قيمة المساعدات الاميركية للفلسطينيين ٤٧٧٩٤٣٠٦٩ دولارا ، اي اعلى نسبة من اية دولة اخرى ، تليها في ذلك بريطانيه التي بلغت تبرعاتها ١١٤٠٢٤٠٠٤ دولارات، وعلى اي حال ، لا تعتبر المساعدات الاميركية هامة جدا ، اذا ما نظر اليها على أساس الدخل الفردي . فهناك دول صغرى نسبيا من الناحية السكانية مثل كنده والسويد ساهمت بما يزيد عن ٢٥ و ١٣ مليون دولار لكل منهما(٣٢). ولا شك فان معارضة الكونجرس القوية لاستمرار المساعدة الاميركية للانروا مع ما يرافق ذلك من رغبة اعضاء الكونجرس الصهيونيين لاستثناء قضية اللاجئين من التسوية النهائية في الشرق الاوسط ساهم في كمية المساعدات الاميركية ونوعيتها . وخلال فترة النزاع ، كان هناك نفر من اعضاء الكونجرس يقومون بشكل منظم ومستمر ومنسق في توجيه الانتقادات لبرامج الانروا وحث الدول العربية على توطين اللاجئين . كما ان عددا آخر من الاعضاء اعربوا عن تأييدهم لاسرائيل ورفضها اعادة اللاجئين خوفا من التوسع السوفياتي . وطبعا اثبت هذا التأييد انه غير مثمر . فعدم منح الفلسطينيين حقوقهم ، ساهم ، في الحقيقة ، وبشكل مباشر في تزايد الوجود السوفياتي في الشرق الاوسط ، الامر نفسه الذي كان يريد اعضاء الكونجرس تجنبه من خلال تأييدهم لاسرائيل .

(٢) الاسلحة لاسرائيل

في حين كانت الولايات المتحدة تقدم لوكالة الاغاثة بعض المساعدات من ١٩٤٨ — ١٩٧٠ ، كانت في الوقت نفسه تعطي لاسرائيل كميات من المساعدات اكثر اهمية على شكل أسلحة يدفع ثمنها او تقدم كهبات ، لتستخدم ضد الفلسطينيين او الدول العربية او الاثنين معا . وهذا الامر ليس مثارا للدهشة اذا ما علمنا ان هناك

درجة عالية من الارتباط ما بين هؤلاء النواب الذين يدعون باستمرار الى تخفيض المساعدات للفلسطينيين او توطينهم خارج فلسطين واولئك الذين يدعون الى زيادة العون العسكري الاميركي لاسرائيل . وكذلك فان أولئك النواب الذين يحبذون سياسة اميركية أكثر اعتدالا في الشرق الاوسط ، في الوقت الذي يعبرون فيه عن تعاطفهم مع اللاجئين ، يميلون الى الشك ، او على الاقل ، الى الحذر ، فيما يتعلق بفعالية المزيد من المساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل .

في العام ١٩٤٧ ، ووفقا لقانون الحياد الاميركي للعام ١٩٣٩ وقانون التصدير للعام ١٩٤٠ ، فرضت الولايات المتحدة حظرا على بيع الاسلحة الى الشرق الاوسط ، وذلك لمنع تسابق في التسلح في الشرق الاوسط او لاضفاء مزيد من الثقة على الحياد الاميركي في المنطقة(٣٣) . ورغم ذلك فان تهريب الاسلحة الاميركية الى اسرائيل بعد الحرب العربية — الاسرائيلية كان نشطا كما كان الامر كذلك قبل تلك الحرب . فقد كان التعاطف الحكومي والشعبي الاميركي مع اسرائيل أمرا واضحا جدا في ذلك الوقت . وبعد قيام اسرائيل في ١٩٤٨ بدأت في البحث عن مصدر يمكن الاعتماد عليه في شؤون التسلح . فأجرى الزعماء الاسرائيليون اتصالات مع الولايات المتحدة لعقد صفقة اسلحة في العام ١٩٥٠ ، وفي الوقت نفسه اجروا اتصالات مماثلة مع بريطانيه وفرنسه . وكان موقف ادارة ترومان متذبذبا لان الحكومة الاميركية كانت تريد الاحتفاظ بصداقة الدول العربية وبمساندة اسرائيل في الوقت نفسه . اما النواب في هذا الوقت فكانوا يطالبون بوقف جميع المساعدات العسكرية للدول العربية وبتزويد اسرائيل بالاسلحة . فأدى ضغط النواب هؤلاء مع ما رافق ذلك من سياسة اميركية بتأييد وجود اسرائيل في الشرق الاوسط الى اصدار البيان الثلاثي في العام ١٩٥٠ ، من قبل الولايات المتحدة وبريطانيه وفرنسه، وكان هذا البيان يقوم على مبدأ المساواة بين طرفي النزاع في الشرق الاوسط ، اي ايجاد نوع من التوازن بين القوة العسكرية للدول العربية مجتمعة والقوة العسكرية الاسرائيلية . بالاضافة الى اعتراف هذه الدول وتأييدها لحق اسرائيل في البقاء . وعمليا كان ذلك يعني ان التوازن العسكري يجب ان يكون لصالح اسرائيل ، ففي الوقت الذي كان فيه هذا « التوازن » المزعوم مهددا ، تسارع احدى هذه الدول او اكثر من واحدة الى اعادته الى حالته الطبيعية. وهكذا فان المطلب الاسرائيلي الدائم هو ان تسلح الدول العربية ، خاصة بعد صعود عبدالناصر كأكبر خطر على اسرائيل ، كان دائما يقلب التوازن العسكري ، وهكذا فان اسرائيل بحاجة دائمة الى مزيد من الاسلحة المتطورة . وقد هلل النواب ، وخاصة الصهيونيون منهم ، للبيان الثلاثي ولكنهم طلبوا مزيدا من الاثبات للدعم الاميركي . وصوروا اسرائيل على انها موقع متقدم في وجه التوسع السوفياتي في الشرق الاوسط ، واثنى جافيتس على فعالية الجيش الاسرائيلي الذي بامكانه ان يصبح « جزءا من خط قوي للدفاع شرقي المتوسط »(٣٤) . وقد تكرر ذلك في السنوات اللاحقة ، على لسان جافيتس وسيللرز وغيرهما من النواب الصهيونيين .وكانت اندعوات لتسليح اسرائيل ترتكز على مقولة ان اسرائيل هي نقطة دفاع عن العالم الحر في الشرق الاوسط وان لها جيشا ممتازا يمكن الاعتماد عليه ، لذلك يجب تزويدها بالاسلحة وفقا لقانون الامن المشترك(٣٥) .

وبعد انتخابات ١٩٥٢ صرح جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركية الجديد آنذاك بأن على الولايات المتحدة ان تقدم الى دول الشرق الاوسط كميات محددة من المعونات العسكرية « للمساهمة في حفظ أمنها الداخلي وللمساعدة في تشجيع خطط السلام بين اسرائيل والدول العربية ولاقامة منظمة دفاعية اقليمية »(٣٦) . وكانت هذه السياسة التي تجسدت في حلف بغداد تفترض ان الاتحاد السوفياتي يشكل اكبر خطر على وجود الدول العربية ، وكان دالس يعتقد انه اذا ما اصبحت جميع دول

الشرق الاوسط ، بما في ذلك اسرائيل ، قوية ، تزول الشكوك فيما بينها وتصبح قادرة على التوصل الى اتفاقية سلام مرضية فيما بينها ، وتتجاهل وجهة النظر هذه السبب الرئيسي للنزاع العربي ــ الاسرائيلي المتمثل بفقدان الفلسطينيين لوطنهم ، كما انها أخطأت التقدير عما يعتبره العرب عدوهم الرئيسي : وهو اسرائيل وليس الاتحاد السوفياتي . ولكن حلف بغداد ، كحلف شمالي الاطلسي وحلف جنوب شرق آسيه ، كان يهدف الى تطويق الاتحاد السوفياتي بدول مؤيدة للغرب ، وعلى أية حال فان عددا من الحكومات العربية وخاصة الحكومات القومية الاصلاحية كنظام عبدالناصر رأت في حلف بغداد مظهرا من مظاهر الاستعمار الجديد . وهكذا فقد شطر حلف بغداد الدول العربية الى محورين : الحكومات المحافظة كحكومة العراق التي قبلت الحلف ، وتلك الحكومات القومية الاصلاحية التي رفضته . وفي الحقيقة ، فقد تسبب الحلف في حدوث قلاقل سياسية في الاردن حيث كان الملك قد وجد نفسه معلقا بين رغبته في الانضمام للحلف وبين معارضة الشعب له ، كما ادى الحلف اخيرا الى اسقاط الحكم في العراق .

وفي الولايات المتحدة اعرب عدد من النواب عن معارضتهم للحلف على اعتبار انه يشكل خطرا على اسرائيل ، وقد بعث النواب بعدد من الرسائل تؤكد ولاء اسرائيل للغرب(٣٧) . وكان مؤيدو اسرائيل يفضلون الاعتماد الكلي على اسرائيل لوقف التوسع السوفياتي في المنطقة ، ويشكون في فائدة تزويد أية دولة عربية بالاسلحة . وفي العام ١٩٥٥ طالب جافيتس بعقد معاهدة دفاع مشتركة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وقد تكرر هذا الطلب في مناسبات مختلفة خلال السنوات الخمس عشرة التالية(٣٨) . كما ان هيوبرت همفري أعلن تأييده لذلك وحتى انه طالب بتوقيف جميع المساعدات العسكرية للدول العربية حتى تسير نحو تسوية سلمية مع اسرائيل(٣٩) . وفي حزيران (يونيو) ١٩٥٥ كشف بأن اسرائيل كانت قد طالبت بمثل هذه الترتيبات الدفاعية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٤ . ولكن ادارة ايزنهاور التي شعرت بالمأزق نفسه الذي واجهته ادارة ترومان في الشرق الاوسط ، أجلت اتخاذ قرار في هذا الشأن ، وذلك بسبب عودة بن جوريون المتحمس الى الحكم والغارة الاسرائيلية التي وقعت على قطاع غزة في شباط (فبراير) ١٩٥٥ . ومن جهة أخرى ، فان الغارة على قطاع غزة التي كشفت بوضوح عن عدوانية اسرائيل ، كانت السبب وراء صفقة الاسلحة السوفياتية المشهورة الى مصر . وهذا ما زاد من خشية النواب واعطى وزنا اكبر لادعاء اسرائيل بأنها بحاجة لمزيد من الاسلحة لحفظ التوازن العسكري ضد الدول العربية .

واعلن السناتور كيفوفر ، أحد الطامحين لرئاسة الجمهورية ، تأييده الشديد هو وغيره من النواب لوجهة النظر الاسرائيلية ودعا علنا لتزويد اسرائيل بالاسلحة(٤٠)، وذلك بتأييد من السيدة ف. د. روزفلت ، وولتر روثر ، رئيس اتحاد العمال الاميركيين ومؤتمر منظمات الصناعة الاميركية ، والرئيس السابق ترومان(٤١) . وفي نوفمبر زار ابا ايبان الولايات المتحدة حاملا قائمة بالاسلحة التي تحتاجها اسرائيل ، بشروط دفع مخففة . وهكذا وجدت الادارة نفسها في مأزق ، فهي من ناحية تريد الاحتفاظ بتأييد الدول العربية كوسيلة لوقف التوسع السوفياتي ، ومن جهة أخرى ، تدرك ان لاسرائيل أقوى جيش يمكن الاعتماد عليه في الشرق الاوسط . وفي شتاء ١٩٥٦ ، الذي جاء مع السنة الانتخابية ، لم تكن ادارة ايزنهاور قد اتخذت بعد قرارا بشأن بيع الاسلحة لاسرائيل . وكان المرشحان الديمقراطيان للرئاسة ، كيفوفر وستيفنسون ، يؤيدان بيع الاسلحة لاسرائيل . وقام ابا ايبان في شباط (فبراير) بزيارة جديدة لدالس في محاولة للحصول منه على قرار . ثم ارسل ٨٦ نائبا ديمقراطيا رسالة الى الادارة يطالبون فيها ببيع الاسلحة لاسرائيل . ومن بين الموقعين على الرسالة : كيتنج من نيويورك ، وسكوت من بنسلفانيه ، وروزفلت من كاليفورنيه ، ومارتا جريفتس وشارلز ديجز من ميشيجان(٤٢) .

وخلال هذه الفترة اعلنت الادارة انها عقدت صفقة لبيع الدبابات للمملكة العربية السعودية . وقد اعرب النواب عن معارضتهم الشديدة لذلك ، وطالبوا بالتحقيق في الصفقة مع السعودية واتهموا وزارة الخارجية بالتحيز الى جانب العرب وطالبوا ببيع الاسلحة لاسرائيل(٤٣). وفعلا ، تم ايقاف شحن الدبابات وهي في الاحواض في شباط ١٩٥٦ نتيجة للضغط الصهيوني الى حد كبير . وساعدت صفقة الاسلحة هذه في تكثيف معارضة النواب لبيع الاسلحة للدول العربية واظهرت مدى التأييد الذي تتمتع به اسرائيل في الكونجرس . وعلى اي حال ، اصبح من المعروف الان ان الولايات المتحدة كانت تزود اسرائيل بالاسلحة عن طريق المانيه الغربية ، ولكن مع احتفاظ الولايات المتحدة بموقف حيادي علني وذلك لتجنب اية ردود فعل من جانب الحكومات العربية ضد الولايات المتحدة او المصالح الاميركية الخاصة في الشرق الاوسط . وقد كشفت انباء اتفاقية الاسلحة الالمانية الغربية مع اسرائيل في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٧(٤٤). فتتسبب ذلك في قطع عدد من الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع المانيه الغربية .

لقد خف التوتر بعد العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦ وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المصرية . وتميزت الفترة التي تلت العدوان بتجنب جميع الاطراف لاي نوع من انواع النزاع العسكري المكشوف . ولم تخف مطالبة النواب بارسال مزيد من الاسلحة لاسرائيل الا عندما تأكد هؤلاء من قدرات اسرائيل التي ظهرت في انتصاراتها في عدوان ١٩٥٦ . وفي السنة التي تلت العدوان قام السناتور الندر من لويزيانا بزيارة للشرق الاوسط وعاد بتحذير خطير للكونجرس ، فقد صرح بقوله : « تركت المنطقة وانا مقتنع بشيء واحد وهو انه من المستحيل ايجاد دولة اسرائيلية ذات اكتفاء ذاتي »(٤٥). واقترح ان تعود اسرائيل الى خطوط تقسيم ١٩٤٧ وتحويل المهاجرين اليهود الجدد الى الدول العربية ، ثم اعرب الندر عن شعوره بأنه من المستحيل ان تستمر الولايات المتحدة الى ما لا نهاية في تقديم الاسلحة الى الدول العربية واسرائيل اذ انهما يقفان على طرفي نقيض . والأسلحة لاسرائيل ستؤدي الى ابعاد العرب ولكن فرض حظر على الاسلحة سوف يكون مجالا للمعارضة من جميع الاطراف المعنية . وكان السناتور دوجلاس والسناتور همفري هما اللذان تزعما حملة المعارضة لآراء الندر .

ولقد أثير موضوع تزويد اسرائيل بالاسلحة في الكونجرس مباشرة بعد انتخاب كيندي رئيسا ، فقد كشف في ١٩٦٠ بأن اسرائيل كانت تتلقى ، ما سمي بكميات « متواضعة » من الاسلحة الاميركية . وقد اضطر المسؤولون في وزارتي الخارجية والدفاع الاعلان عن ذلك بعدما عرضت الحكومة الاسرائيلية معدات أميركية في العرض العسكري الذي اقيم في « يوم استقلال » اسرائيل(٤٦).

وفي ١٩٦٢ حدث ما يمكن تسميته تحول كبير في السياسة الاميركية ، وذلك عندما وافقت حكومة كيندي على تزويد اسرائيل بصواريخ هوك ارض ــ جو ، وجاء ذلك تتويجا للمحادثات التي أجرتها جولدا مئير ، وزيرة خارجية اسرائيل ، مع دين رسك . واعرب جافيتس عن ارتياحه للقرار اثناء جولة قام بها في اسرائيل حيث اشار الى ان صفقة الهوك ليست سوى البداية « لاعادة تقييم واشنطن لاحتياجات اسرائيل الدفاعية » . وقد جدد جافيتس دعوته لعقد معاهدة دفاع مشترك بين اسرائيل والولايات المتحدة وذلك بعد انتهاء زيارته لاسرائيل ، وطالب بالتقليل من جميع انواع المساعدات للجمهورية العربية المتحدة وفي الوقت نفسه زيادة بيع الاسلحة لاسرائيل على اساس ان « اسرائيل هي حليف فعال يمكن للعالم الحر ان يعتمد عليه في الشرق الاوسط ــ وهي احد الحلفاء القلائل هناك . وليس الامر كذلك بالنسبة لـ ج. ع. م. »(٤٧). واعاد كيتنج التأكيد على آراء جافيتس وذلك باعتباره اسرائيل مصلحة اميركية رئيسية كما هو الحال بالنسبة

لبرلين . وطالب الاثنان ، كيتنج وجافيتس ، الرئيس كيندي باعادة تأكيد الوعود الاميركية بتأييد اسرائيل . وقد أيدهم في ذلك اعضاء آخرون في مجلس الشيوخ مثل باستور ، من رود ايلند ، وكيس ، من نيوجيرسي ، وجروينج ، من الاسكا ، والذي زار الشرق الاوسط في ١٩٦٢ وهاجم عبدالناصر كثيرا . واشترك في النقاش ايضا اعضاء آخرون في مجلس الشيوخ من امثال سكوت وموريس وهمفري ، فقد اعربوا عن اهتمامهم بحشد الاسلحة في الشرق الاوسط ولكنهم حاولوا الدفاع عن سياسة الادارة في حفظ نوع من الحياد السطحي على الاقل . وطالب همفري الذي كان يعبر عن وجهة نظر الادارة بوقف بيع المزيد من الاسلحة الى المنطقة ، وحث على قيام تعاون بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، كما شجع الامم المتحدة على تقديم مبادرة سلمية مقبولة . ولاثبات ادعاءات الحكومة بعدم الانحياز وصف همفري عبدالناصر بأنه زعيم « متفان وكفؤ وذكي »(٤٨). وتميزت هذه الفترة بمحاولة ادارة كيندي تحسين علاقتها بعبدالناصر الذي ظهر كزعيم يقود العالم العربي ويبني حكما مستقرا . ورغم ذلك ، واصلت ادارة كيندي ، في الوقت نفسه ، تزويد اسرائيل بالاسلحة ولم تتوان على الاطلاق في تأييد حق اسرائيل في البقاء . ولكن رغم هذا الالتزام الرسمي الواضح في تأييد اسرائيل ، اعتبر بعض النواب الصهيونيين المتحمسين محاولة تحسين العلاقات مع عبدالناصر وغيره من الزعماء العرب تهديدا لاسرائيل . وهذا هو السبب الذي دفع جافيتس وغيره لانتقاد سياسة كيندي في الشرق الاوسط بشدة .

وبازدياد التوتر في الشرق الاوسط خلال العامين ١٩٦٥ و١٩٦٦ دعا الكونجرس من جديد الى تخفيض المساعدات للدول العربية وزيادة الاسلحة لاسرائيل ، واقر اعضاء الكونجرس بأنه يجب وضع شروط معينة لعبدالناصر قبل تسلمه أية مساعدة اميركية ، ومن هذه الشروط : (١) عدم وجود اسلحة نووية في مصر ، والسماح للولايات المتحدة بالتفتيش للتأكد من عدم حدوث اية انتهاكات لذلك . (٢) وقف انتاج الصواريخ والسماح للولايات المتحدة بالتفتيش . (٣) تجميد عدد الجيش المصري(٤٩). ومن الواضح ان هذه الشروط تعتبر انتقاصا من سيادة ج. ع. م. ، الامر الذي دفع عبدالناصر الى رفضها . والجدير بالملاحظة في هذا المجال هو انه في الوقت الذي طرحت فيه هذه الشروط كان الاسرائيليون يبنون مفاعلهم الذري في ديمونه ورفضوا الاشتراك في التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية . ولم يحدث ان طالب اي نائب بتطبيق مثل هذه الشروط او القيام بالاشراف على النشاطات الاسرائيلية في هذا الصدد . ففي مجلس النواب دعا روزفلت الى زيادة بيع الاسلحة لاسرائيل بأسعار مخفضة ، وأيده في ذلك فاربشتين وغيره.وفي ١٩٦٦ قامت الولايات المتحدة ببيع اسرائيل دبابات من طراز باتون ومقاتلات نفاثة بشروط بيع مخففة . وقد ادت هذه الصفقة الى زيادة التوتر في العلاقات المهتزة بين الولايات المتحدة و ج. ع. م. وكانت هذه الصفقة قد عقدت في فبراير ١٩٦٦ ، وقد قدم تقرير الى لجنتي التسلح والاعتمادات عن الصفقة ، ولكن ليس الى لجنة العلاقات الخارجية . وقد بررت وزارة الدفاع هذه الحيلة بأن الصفقة عقدت للكسب المادي لذلك لم تشمل اية مساعدات خارجية(٥٠). وعلى اي حال يظهر بأن هذا التكتيك قد اتبع لتجنب أية اسئلة محرجة يمكن ان يوجهها اعضاء لجنة الشؤون الخارجية ، وخاصة فولبرايت ، وبدرجة اقل، جور ، اللذين كانا ينتقدان التورط الاميركي في حشد الاسلحة المستمر في الشرق الاوسط ، وكذلك فان البحث في أية صفقة أسلحة يمكن ان يثير موضوع التورط الاميركي في فيتنام ، وهو موضوع كانت وزارة الدفاع تحاول دائما تجنب بحثه قدر الامكان . وبعد عقد صفقة الاسلحة الاميركية ــ الاسرائيلية في ١٩٦٦ ، طلبت اسرائيل مزيدا من الاسلحة بحجة اعادة توازن القوى الذي كان الزعماء الاسرائيليون يعتقدون انه مال لصالح مصر نتيجة لتزودها بالاسلحة السوفياتية.

والح هؤلاء الزعماء بهذا الطلب بعد تزويد الاردن بـ ٣٦ قاذفة قنابل اميركية من طراز (ف ـ ١٠٤)(٥١). واكدت هذه الصفقة بشكل خاص رغبة السلطات في المحافظة على تأييد الحكومات العربية الموالية للغرب والتي لن تستخدم هذه الاسلحة ضد اسرائيل ، ولكنها يمكن أن تخفف من التعاون مع الاتحاد السوفياتي المتزايد أو من تزايد انتشار الحكومات الاشتراكية الوطنية في العالم العربي نفسه .

وفي الاشهر التي سبقت حرب ١٩٦٧ اعرب معظم النواب عن تعاطفهم العلني مع اسرائيل وطالبوا بتأييد اميركي تام لها . وقد نددوا وثاروا لسحب الامم المتحدة قواتها من الشرق الاوسط ، ولكنهم أعربوا عن ارتياحهم لبيان الرئيس جونسون في ٢٢ أيار (مايو) حول السياسة الاميركية في المنطقة . وفي هذا البيان ، اعاد جونسون تأكيد التأييد الاميركي لاسرائيل ، وكذلك عدم اعتراف الولايات المتحدة بالعدوان أو بتغيير الحدود نتيجة لذلك ، وايضا تأييد اميركا جعل مضيق تيران ممرا مائيا دوليا . وترى الحكومة الاميركية ، وفقا لهذا البيان ، ان اغلاق المضيق يعتبر عملا عدائيا للسلام في المنطقة(٥٢). وجدير بالذكر ان الشيء الوحيد الذي كسبته اسرائيل نتيجة لحرب ١٩٥٦ كان السماح لسفنها بالعبور في مضيق تيران . وقد صرح زعماؤها بأن اي اغلاق للمضيق سيكون سببا كافيا للحرب . وعلى أي حال لم تعترف مصر والدول العربية الاخرى بأن المضيق ممر دولي اذ أن اسرائيل نجحت في استخدامه نتيجة للعدوان ، الامر الذي لم يقروه . لذلك يمكن اعتبار بيان جونسون اعترافا علنيا بالتزام اميركة بتأييد اسرائيل ، وان لفت النظر الى ان الولايات المتحدة لا تعترف أو تقبل بأية تغييرات في الوضع الحالي أو في الحدود القائمة نتيجة لاي نزاع مسلح يمكن أن يقع . وانه لامر يدعو للسخرية ، اذا ما علمنا انه يمكن استخدام بيان ٢٣ مايو المعارض للتوسع الاقليمي ضد اسرائيل في فترة ما بعد الحرب ، مع انه في الاساس وضع لحماية المصالح الاسرائيلية . وقد أصدر واحد واربعون من اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب بيانا مشتركا تأييدا لموقف جونسون ، ومن بين الموقعين على هذا البيان : موندال ، وموسكي المرشح لنيابة الرئاسة في انتخابات ١٩٦٨ ، وهارت ، وبروك من ماستشوستس ، وروبرت كيندي(٥٣). لذلك فان التأييد بالنسبة لهذا الموضوع لم يرتبط بالولاءات الحزبية ، وكان قويا جدا بين النواب الذين يمثلون الولايات الشرقية الصناعية الكثيفة بالسكان .

ومباشرة بعد الانتصار الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ طلبت اسرائيل مزيدا من الإسلحة الاميركية لتعوض ما خسرته في الحرب ولتعيد توازن التسلح الذي اعتقدت انه مال لصالح مصر نتيجة لتزودها بالاسلحة السوفياتية . وبسبب هذه الحرب فرضت الولايات المتحدة حظرا على ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط ، وزادت مسألة تأمين مزيد من الاسلحة لاسرائيل تعقيدا بسبب اعلان ديجول قبيل الحرب بأن فرنسة لن تبيع اسلحة للدول التي تكون البادئة في اشعال نار الحرب . ولما كانت اسرائيل هي البادئة في حرب ١٩٦٧ اعتبرها ديجول دولة معتدية ورفض ارسال مزيد من الاسلحة لها . وخلق ذلك مشكلة صعبة لاسرائيل نظرا لان فرنسه كانت المصدر الاساسي لتزويدها بالاسلحة والمعدات العسكرية ، خاصة الطائرات .

وفي الوقت نفسه ، واجه واضعو السياسة في اميركه اعادة تحالف بعض النواب بسبب المعارضة المتزايدة لحرب فيتنام . وبسبب الوضع في فيتنام بدأ المزيد من النواب يتساءلون عن فعالية استمرار بيع الاسلحة أو تقديم المعونات الى « مناطق الخطر » في العالم . وقد تردد النواب الذين يمكن تسميتهم « حمائم » في تأييد عقد مزيد من الصفقات العسكرية مع الدول المشتركة في نزاع دولي وذلك خوفا من أن تؤدي مثل هذه الصفقات

الى مزيد من التورط الاميركي كما هو حاصل في فيتنام . وعلى اي حال ، فان عددا من هؤلاء « الحمائم » من الصهيونيين المعروفين منذ زمن طويل ، واخصهم بالذكر جافيتس ، جوبهوا بمأزق ، فهم ، من جهة ، يطالبون بتخفيف التغلغل الاميركي في جنوب شرق آسيه ، ومن جهة اخرى ، يؤيدون زيادة التورط الاميركي في الشرق الاوسط تأييدا لاسرائيل . وحاولت ادارة جونسون عدم تجاهل هذه العواطف باعلانها ان الخفض في ميزانية التسلح سيؤثر على اسرائيل وعلى اعتمادات حرب فيتنام كذلك . وبهذه الطريقة ، حاولت الادارة الحفاظ على تأييد سياستها في فيتنام عن طريق التهديد بخفض المساعدات لاسرائيل . وقد واجه النواب هذه السياسة ــ ليس بالقول ان الولايات المتحدة لا تستطيع التورط عسكريا في الشرق الاوسط ــ ولكن بالتأكيد ان هناك اقنية بديلة يمكن من خلالها تزويد اسرائيل بالاسلحة الاميركية . فقد صرح ستيوارت سيمنجتون بأنه في الوقت الذي يؤيد فيه الغاء مبلغ الـ ٣٨٣ مليون دولار القابل للتجديد والذي خفضته وزارة الدفاع للاسلحة ، يرى ان مثل هذا الالغاء لا يشكل خطرا على بيع الاسلحة لاسرائيل نظرا لوجود عدد من البرامج البديلة التي يمكن بواسطتها تزويد اسرائيل بالاسلحة . وتشمل هذه البرامج قانون المساعدات الخارجية بشكل عام ، وبشكل خاص للبند ٥٠٧ الذي يسمح بصرف ما قيمته ٤٧٥ مليون دولار من مستودعات وزارة الدفاع . وباستطاعة الرئيس ايضا تقديم مبلغ يتراوح بين ٢٥٠ مليون دولار و ٣٠٠ مليون دولار لاية دولة تشترك في الدفاع عن المصالح الاستراتيجية الاميركية وفقا للبند ٥١٠ من قانون المساعدات الخارجية . ولما كانت اعتمادات اسرائيل جيدة فبامكانها الحصول على قروض طويلة الاجل وبفوائد منخفضة من المصرف الدولي او غيره من المنظمات(٥٤) .

وبعد نقاش طويل وافق مجلس الشيوخ على الغاء مبلغ وزارة الدفاع المدور ، وقد فسر هذا القرار بانه انتصار لـ « الحمائم » بالنسبة لفيتنام . والجدير بالملاحظة ان عددا من « الحمائم » بالنسبة لفيتنام كانوا « صقورا » بالنسبة للشرق الاوسط . وكانوا فقط يؤيدون تخفيض الاموال الاميركية لفيتنام بعد تأكدهم من ان الاسلحة الاميركية ستستمر في التدفق على اسرائيل من خلال اقنية اخرى . ومن خلال سير هذه المناقشات اصبح واضحا تماما ان عددا من النواب بداوا يتساءلون بجدية حول السياسة الاميركية بالنسبة للتسلح ، وكانت هذه التساؤلات موجهة بشكل محدد تجاه السياسة الاميركية في جنوب شرق آسية ، ولكنها كانت موجهة ايضا نحو السياسة المماثلة في الشرق الاوسط ، رغم ان ذلك كان بدرجة اقل . وقد حدد السناتور الجمهوري جون تاور المعنى الحقيقي لصفقات التسلح عندما تحدث عن صفقات الاسلحة الاميركية مع الدول المختلفة في العالم . لاحظ تاور : « ... ان سياسة التسلح هي اداة في يد السياسة الخارجية ، وان برامج بيع الاسلحة هي انعكاس دقيق للاتفاق الذي يتم على اعلى مستويات السلطة . ولا تستجيب وزارة الدفاع بشكل مستقل لطلبات شراء الاسلحة من دول الشرق الاوسط وآسية واميركة اللاتينية وافريقية وغيرها من الدول النامية . فهذه الطلبات تخضع لمراجعة ونقاش دقيقين داخل السلطة التنفيذية . وعادة ما تبذل جهود جدية لخفضها كما ونوعا ، كما يتم البحث عن مصادر بديلة غير اميركية لاسباب تتعلق بالسياسة الخارجية ، ويتم البيع فقط بعد التأكد ان الاعتبارات المتعلقة بميزان المدفوعات بالاضافة الى المصالح الاميركية لا يمكن ان تؤمن بطريقة اخرى»(٥٥) . وما يدعو للسخرية هو ان تاور كان يردد ما كان العرب يقولونه عندما تعقد اميركة صفقة اسلحة جديدة مع اسرائيل . وفي الحقيقة، لا يمكن التمييز ما بين السياسة الخارجية العامة وبيع او اهداء الاسلحة للدول الاخرى . فالواحدة هي مجرد انعكاس للاخرى .

يمكن الملاحظة بأن المساعدات العسكرية وصفقات التسلح الاميركية لاسرائيل في ازدياد بعد ١٩٦٧ ، فالولايات المتحدة هي المصدر الرئيسي للاسلحة الى اسرائيل ، ففي آب (اوغسطس) ١٩٦٧ طلبت اسرائيل ما تزيد قيمته عن ١٥٠ مليون دولار من الطائرات خاصة من طراز « فانتوم » التي تكلف الواحدة منها ما بين ٣—٤ مليون دولار ، و « سكاي هوك » التي تكلف الواحدة منها مليون دولار(٥٦). وقد رحب عدد من النواب بهذه الطلبات ، كما طالب هؤلاء بالافراج عن الاسلحة التي قد دفع ثمنها لكنها لم تسلم بسبب الحظر على الاسلحة . وزارت جولدا مئير الولايات المتحدة في أيلول (سبتمبر) على أمل الاسراع في رفع الحظر عن الاسلحة . وبموجب اتفاقية التسلح للعام ١٩٦٦ والتي وسعت في ١٩٦٨ وافقت الحكومة الاميركية على تزويد اسرائيل بطائرات سكاي هوك . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ اعلنت الادارة قرارها بتزويد اسرائيل بخمسين طائرة فانتوم التي تعتبر اكثر القاذفات المقاتلة الاميركية تطورا ، على ان تسلم أول ١٦ طائرة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ وبعد ذلك يتم تسليم ٤ طائرات كل شهر . وبشكل عام أيد الكونجرس هذا القرار ، فقط فولبرايت عبر عن شكوكه بالنسبة له . ومن ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ زودت الولايات المتحدة اسرائيل بما تتراوح قيمته بين ٢ و٣ مليار دولار من المعدات العسكرية(٥٧).

وبعد مباشرة حكومة نيكسون أعمالها تلقت طلبات من اسرائيل للحصول على مزيد من الاسلحة، رافقها رسائل من اعضاء الكونجرس تحث على قبول بيع الاسلحة لاسرائيل، وكان عدد من هؤلاء النواب يعتبرون « حمائم » بالنسبة لقضية فيتنام . وفي حزيران (يونيو) ١٩٧٠ وقع سبعة اعضاء في مجلس الشيوخ ، بينهم ماك جفرن ، أحد الديمقراطيين الطامحين الى الرئاسة ، وهيوز وجوديل وكرانستون وهارت وايجلتون ويونج ، على رسالة مفتوحة موجهة الى نيكسون تحثه على بيع الاسلحة لاسرائيل . والمحت الرسالة الى مواجهة في الشرق الاوسط كالتي حدثت اثناء أزمة الصواريخ الكوبية ، وذلك نتيجة للتواجد السوفياتي المتزايد في المنطقة(٥٨).

وفي ١٩٧١ عرض على الكونجرس مشروع قرار لتأكيد التأييد العسكري الاميركي لاسرائيل . وقد وافق مجلس النواب على تعديل جاكسون، الذي تقدمه هنري جاكسون من واشنطن ومنح الرئيس بموجبه صلاحية مفتوحة لتحويل معدات عسكرية لاسرائيل دون أي تحديد للتكاليف الاجمالية . وهذا ، اذا ، شبيه بقرار تونكين الذي ادى الى التورط العسكري الاميركي في فيتنام . وفي الحقيقة اعطي للرئيس « كارت بلانش » ليتصرف كما يرى مناسبا بالنسبة لاي نزاع محتمل في الشرق الاوسط(٥٩). وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ ناقش مجلس الشيوخ قرارات الرئيس المحددة في هذا الصدد . واقترح السناتور جون وليامز من ديلاوير ادخال تعديل على مشروع قانون الاعتمادات الدفاعية يقضي بتقييد صلاحية الرئيس في مسألة ارسال قوات اميركية الى اسرائيل ، كما حدث في كمبودية ، الا بعد موافقة الكونجرس . وقد ايد تشيرش ، عضو لجنة العلاقات الخارجية هذا التعديل ، كما ايده هاتفيلد ومانسفيلد وفولبرايت ، ولكنه هزم بنسبة ٦٠ الى ٢٠ صوتا في مجلس الشيوخ(٦٠).

وقد ظهر المزيد من الدعم الاميركي لاسرائيل من خلال طلب نيكسون تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية الى الدول المستقلة . وقد خصص اكبر مبلغ وهو ٥٠٠ مليون دولار الى اسرائيل(٦١). وقد اعرب عدد من « الحمائم » بالنسبة لقضية فيتنام مثل جافيتس وبيرسي عن تأييدهم لتقديم مزيد من الاسلحة لاسرائيل . ورفضوا أي تخفيض في التغلغل العسكري الاميركي المباشر في الشرق الاوسط . وهكذا فان الولايات المتحدة في اقل من عشرين سنة انتقلت من موقع الزعم بعدم التدخل العلني في النزاع العربي —

الاسرائيلي الى اكبر مصدر للاسلحة الى اسرائيل . وقد اعرب الكونجرس بشكل عام عن ارتياحه لهذا التحـــول في السياسة العامة ، رغم ان ذلك كان جزءا لا يتجـــزأ من مواقف الادارة والنواب منذ ١٩٤٨ ، كما رأى معظمهم ان هذا التحول يخدم المصالح الاميركية العليا .

خاتمـــة

يكشف البحث في مواقف اعضاء الكونجرس من قضايا الشرق الاوسط درجة عالية من الارتباط بين اولئك الذين ينتقدون برامج الانروا والمساعدات الاميركية لها ، والذين في الوقت نفسه تبنوا موقفا صهيونيا متشددا بالدعوة الى زيادة المساعـــدات العسكرية الاميركية لاسرائيل . وينطلق هـــذا الموقف من ادراك هؤلاء النواب ان بقـــاء الشعب الفلسطيني يعرقل ، بـــل يمنع كليا ، اي حل للنزاع العربي ــ الاسرائيلي قـــائم على الوجود الدائم لاسرائيل كدولة صهيونية بحتة. لذلك يريدون زوال الفلسطينيين كجماعة محددة قائمة بذاتهـــا . فما دام هناك مخيمـــات للاجئين الفلسطينيين يعيشون فيها في البؤس والشقاء فان قضية الفلسطينيين ستعرض كل سنة امام الجمعية العامة للامم المتحدة وامام الكونجرس كذلك . وهذا من شأنه ان يبقي موضوع الفلسطينيين ومـــا يجب القيام به تجاههم حيا في اذهان الجميع . ويعرب النواب الموالون للصهيونية بأنه اذا ما دمج الفلسطينيون في أي مجتمع آخر عندئذ لا يعود أمام اسرائيـــل ما تخشاه من عودتهم مع ما يرافق ذلك من اضطراب يخلقونه لدورة الحياة في اسرائيل . وكذلـــك يشعرون ان احتمال قبول الدول العربية بحقيقة وجود اسرائيل سيزداد باطراد . وفي الوقت نفسه ، يعرب هؤلاء النواب عن رغبتهم في بقاء اسرائيل قوية قـــدر الامكان من خلال المساعدات والدعم العسكري الاميركي . ونتج عن هـــذا الصراع الفلسطيني ــ الصهيوني قيام بعض النواب الموالين للصهيونية من أمثال جافيتس وريبيكوف وسيلفرز وهمفري وجود بالبحث عن افضل الوسائل لتقليص المساعدات الاميركية للانروا . فهم يريدون ازالة الفلسطينيين كعنصر اساسي في النزاع وفي الوقت نفسه زيادة الـــدعم العسكري الاميركي لاسرائيل . وكثيرا ما يؤكدون على قيمة عقد معاهدة عسكرية ما بين الولايات المتحدة واسرائيل لضمان بقاء هذه الاخيرة .

ويمكن للمراقب ان يشعر ان النواب الذين يدعون لهذه الآراء يتكلمون بصوت مسموع ويربطهم تنظيم متماسك . كما انهم يعرضون آراءهم لزملائهـــم النواب ، الذين ليس لمعظمهم معرفة أو مصلحة مباشرة في الشرق الاوسط ، بكل ذكـــاء وتحمس ، وبسبب النزر اليسير من المعرفة العامـــة بطبيعة الصراع الفلسطيني ــ الصهيوني أو العداوة العربية ــ الاسرائيلية وبنجاح الكتل النيابية الموالية للصهيونية بالاعلان عن ارائها ، كان موقف الكونجرس اكثر ما يميل الى تبني وجهة النظر الصهيونية . وبشكل عام تدعو هذه النظرة باستمرار الى توطين اللاجئين في الدول العربية . ويعتقد النواب انه يمكن بطريقة أو بأخرى ارغـــام اللاجئين على الاستيطان وذلـــك عن طريق تأمين أعمـــال أو أراض أو مستوى معيشة افضل لهم خارج المخيمات . ولما لم تنجح محاولات توطين الفلسطينيين اصبح النواب يضعون اللوم في ذلك على الزعماء العرب الذين يتهمونهم باستخدام الفلسطينيين لتحقيق مكاسب شخصية . ولا شك ان بعض الزعماء العرب فعلوا ذلك ، ولكن مشكلـــة الشعب الفلسطيني اعقد كثيرا مما يحلو لبعض النواب ان يتصورها . وعلى أي حال ، ليس لدى الكونجرس أية معلومات كافية حـــول طبيعة الصراع الحقيقية . وحتى ان اولئك النواب من امثال فولبرايت وجور الذين اعربوا عن تعاطفهم مع اللاجئين على اساس انساني لم يؤكدوا على المظالم التي يعيشها اللاجئون أو الاماني التي يريدون تحقيقها . كما ان الكونجرس لم يستفد كثيرا من المعلومات التي

كان يحصل عليها بين الحين والاخر . ومن جهة اخرى ، كانت وجهات النظر الاسرائيلية حول القضية الفلسطينية تعرض باستمرار وبشكل مطول امام الكونجرس الامر الذي جعل مناقشات الكونجرس ترتكز حول امكانيات توطين اللاجئين . وفي بعض الاحيان ، يحث النواب اسرائيل على قبول اعادة قسم من اللاجئين أو التعويض عليهم ، ولكن حتى هذه الآراء كانت عرضة للتنديد من قبل النواب الموالين للصهيونية ، والذين كانوا على استعداد لاخذ هذه الامكانيات بعين الاعتبار فقط ضمن تسوية سلمية شاملة .

وهكذا نرى ان اكثر من خطة قد وضعت ومولت واهمها مشروع جونستون الذي يستند الى الاعتقاد بأن زيادة الارض العربية المستثمرة ستفسح المجال امام توطين اللاجئين بسهولة . وما يبعث على السخرية هو أن اسرائيل كانت تعارض بعض هذه الخطط والمشاريع على اساس انها يمكن ان تحد من المساعدات المالية أو الثروات التي يمكن ان تتلقاها هي . وهذا هام لانه يتعلق بقضية توزيع المياه . ثم ان اسرائيل تخشى دائما ان تستفيد الدول العربية من بعض هذه المشاريع وتقوم بالتالي باستخدام ذلك ضد اسرائيل ، واقترح عدد اخر من النواب تعليم اللاجئين او تنفيذ غير ذلك من البرامج الاصلاحية وذلك لتنمية مهارات اللاجئين لكي يتمكنوا من العمل في الدول العربية ، ولما فشلت جميع هذه المشاريع في تحقيق التوطين المأمول ، اقترح السماح للاجئين ، بل وتشجيعهم ، على الاقامة خارج الشرق الاوسط . وقد تلقى النواب هذا الاقتراح بكل فتور خاصة عندما حددت الولايات المتحدة كالبلد الذي يمكن أن يستوطن فيه اللاجئون الفلسطينيون . وفي فترات معينة اقترح أن تحاول الولايات المتحدة فرض التوطين عن طريق التهديد بقطع جميع المساعدات المالية. وعلى اي حال ، ليس لمثل هذه المقترحات أية قيمة عملية اذا كانت الولايات المتحدة راغبة في المحافظة على علاقاتها بالدول العربية وخاصة الحكم الملكي الاردني الموالي للغرب والذي يشكل الفلسطينيون غالبية شعبه ، وكذلك تفتقد هذه المقترحات القيمة الانسانية المطلوبة .

ولهذه الاسباب مجتمعة استقر راي الكونجرس على ان الرد الضروري رغم انه غير مرغوب فيه هو استمرار المساعدة السنوية . وعلى اي حال ، حاولوا تخفيض هذا المبلغ قدر الامكان ، كما ارادوا دائما ان يتأكدوا بأن الفلسطينيين لا يتعاطون السياسة، فأية اشارة بأن الفلسطينيين ينضمون للمنظمات الفدائية أو الاحزاب السياسية كافية لاثارة الصيحات العالية المطالبة بوقف المساعدات أو بالتحقيق في جدوى الاموال التي تصرف للانروا .

وفي الكونجرس كتلة من النواب الموالين للصهيونية يشعرون بالتزام نحو اسرائيل من خلال روابط دينية أو ثقافية ، ومن الواضح انهم يعارضون اية سياسة اميركية يمكن ان لا تكون لصالح اسرائيل ، ويحاولون في أية مناسبة العمل لعقد تحالف اميركي—اسرائيلي . ويتخذ تأييدهم شكلا عاطفيا ، ولكن في حين يعبرون عن هذا التأييد بتعابير عاطفية ، يؤكدون ان مساندة اسرائيل تخدم المصالح الاميركية العليا . وكان النواب الموالون للصهيونية يدركون جيدا ان مجرد التأييد العاطفي لليهود ، خاصة في اعقاب المجازر التي حدثت في اوروبة تحت الحكم النازي ، ليس كافيا للمحافظة على التأييد النيابي أو الحكومي لاقامة دولة صهيونية في قلب الوطن العربي . وبدلا من ذلك ، كان التأييد الاميركي لاسرائيل يستند الى حقائق سياسية واقتصادية براجماتية . لذلك كانوا يؤكدون على ان اسرائيل قلعة يمكن الاعتماد عليها للمحافظة على المصالح الغربية والاميركية ، وعندما كانت الحرب الباردة في اوجها اثناء عهد ايزنهاور كان ينظر لاسرائيل باستمرار كرادع في وجه التوسع السوفياتي في الشرق الاوسط ، الامر الذي يوجب الاهتمام بالمحافظة على قوة جيشها وفعاليته .

وفي البدء كانت هنالك كتلة صغيرة من النواب الجنوبيين الذين كانوا يعتقدون بضرورة المحافظة على التحالفات الاميركية في العالم العربي ، كما كانوا يؤكدون بأن تأييد اسرائيل سيبعد العرب عن اميركة ويضطرهم الى التقرب من الاتحاد السوفياتي . ولما فشلت المحاولات ، كحلف بغداد ، لوضع الدول العربية في الفلك الغربي ولما اصبح ينظر للحياد كسياسة سلبية معادية للغرب ، اعاد هؤلاء النواب النظر في مواقفهم . واخيرا اصبحوا من دعاة تقوية اسرائيل وتجهيزها عسكريا ، فمثل هذه الدولة يمكن ان تدافع عن المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، وكان الكونجرس ايضا يعمل لمنع انتشار نفوذ الحكومات الاشتراكية العربية التي غالبا ما كانت تؤمم الشركات الاميركية أو تتبع سياسات تعتبر حجر عثرة في وجه المصالح الاقتصادية الاميركية .

وكانت مواقف النواب معادية جدا لعبد الناصر الذي كان يعتبر اكبر داعية ضد الامبريالية الاميركية ولايجاد انظمة عربية اشتراكية محايدة . وللوقوف في وجه اي توسع ناصري في العالم العربي زودت اسرائيل والحكومات العربية الموالية للغرب بمزيد من الاسلحة الاميركية . أي ، انه في حين كان ينظر الى القومية العربية ، كما كان يجسدها عبدالناصر بشكل خاص ، على انها تهديد للمصالح الاميركية ، كانت الصهيونية تعتبر وثيقة الصلة بالمصالح الغربية . وهكذا فان التأييد الاميركي لاسرائيل كان ، على الاقل ، مدفوعا بالرغبة في المحافظة على النفوذ الغربي في الشرق الاوسط وكذلك للوقوف في وجه انتشار الانظمة العربية المستقلة استقلالا حقيقيا .

وبشكل سريع ، يجدر ان نذكر ان عددا من اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الذين كانوا يغالون في عدائهم للعرب كانوا ينتخبون مرة تلو الاخرى . وهذه المدة الطويلة تسمح لهم بأن يصبحوا اعضاء في اللجان النيابية او تفسح الطريق امامهم لتسلم مناصب حكومية عالية . ومن ابرز النواب الموالين للصهيونية سيللرز وجافيتس وهمفري .

واخيرا ، يجدر ان نذكر ان ادارة جونسون ونيكسون بعده كانت تحاول اتباع سياسة ربط المصالح الاميركية في فيتنام بالمصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، وذلك في محاولة لتنفيس المعارضة البرلمانية لمزيد من التورط العسكري والمالي الاميركي في فييتنام بالاشارة الى ان مثل هذه المقترحات بتخفيض الاعتمادات المالية يمكن ان تؤثر كذلك على كمية المساعدات التي تتلقاها اسرائيل . وقد نجح هذا التكتيك الى حد ما . ولمواجهته ، حاول عدد من النواب ، حتى « الحمائم » بالنسبة لفيتنام ، ايجاد اقنية بديلة لمد اسرائيل بالمساعدات العسكرية الاميركية . وهذا في الحقيقة يعني انه في حين اصبح عدد من النواب مقتنعين بأن التورط الاميركي في فيتنام هو ضد المصالح الاميركية العليا ، اصبح هؤلاء كذلك مقتنعين بل وملتزمين بمقولة ان استمرار بقاء اسرائيل هو لخدمة المصالح الاميركية العليا . وهذا ما يفسر كون الولايات المتحدة بعد ١٩٦٧ اكبر مصدر للاسلحة الى اسرائيل . ولم يقدم اي مشروع قرار للحد من اي تدخل عسكري اميركي مباشر في المستقبل لصالح اسرائيل . وهكذا يبقى الباب مفتوحا — كما كان في جنوب شرق آسية — لتورط اميركي عسكري مباشر في الشرق الاوسط .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول نشاطات الامم المتحدة لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين ، انظر ، مايكل ي. جنسن ، **الولايات المتحدة والشعب الفلسطيني** ، (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٠) ، وكتاب جون هـ. ديفيز ، **السلام المراوغ** ، (لندن ، جون ميوراي ، ١٩٦٩) — وكتاب فريد ج. خوري ، **المأزق العربي — الاسرائيلي** ، (سيراكيوز ، مطبعة جامعة سيراكيوز ، ١٩٦٨) .

(٢) **الكتاب السنوي للامم المتحدة** ، ١٩٤٩ .

(٣) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس النواب ، فرانسيس بولتون (جمهوري

من ولاية اوهايو) ، ١٩ ايار (مايو) ١٩٥٣ ، مجلس النواب ١٧ آب (اوغسطس) ١٩٥١ ،

(٤) **المصدر نفسه** ، مجلس النواب ، ١٧ آب ١٩٥١ .

(٥) **المصدر نفسه** .

(٦) **المصدر نفسه** ، ١٠٢٦٩ .

(٧) **نيويورك تايمز** ، ١٤ شباط (فبراير) ١٩٥٤ .

(٨) لمزيد من التفاصيل الاحصائية حول تحيز هذه الصحف ، انظر مقالة ، جانيس تيري ، (النزاع العربي—الاسرائيلي : تحليل لمحتويات ثلاث صحف اميركية ، كل اربع سنوات ، ١٩٤٨—١٩٦٨ ،) من كتاب ، **العالم العربي : من القومية الى الثورة** (ايفانستون ، مطبعة جامعة مدينه الدولية ، ١٩٧١) .

(٩) يشغل سيللر الذي يبلغ ٨٣ سنة من العمر منصب رئيس اللجنة القضائية في مجلس النواب الاميركي . وقد عرف عن مؤسسته القضائية بأن تمارس القضاء من بابين ، وذلك لان لها بابين ، الاول مكتوب عليه اسم سيللر ، والاخر بدونه ، وذلك لجذب الزبائن الذين لهم قضايا فيدرالية ، **بارايد** ، ٧ اذار ١٩٧١ .

(١٠) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس الشيوخ ، ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، ولمزيد من التفاصيل حول مشروع جونستون الذي تبنته ادارة ايزنهاور والذي نتج عنه مشاريع مضادة قدمتها اسرائيل والاردن، انظر : جورجيانا ج. ستيفنز ، **تقسيم مياه نهر الاردن** (ستانفورد ، مؤسسة هوفر ، ١٩٦٥) .

(١١) **المصدر نفسه**، ٢٠ يوليو ١٩٦١ ، ١٣٠١١.

(١٢) **المصدر نفسه** ، مجلس النواب ، ١٠ مايو ١٩٥٩ .

(١٣) **الكتاب السنوي للامم المتحدة** ، ١٩٦٠ .

(١٤) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس الشيوخ ، ٢٠ يوليو ١٩٦١ ، ١٣٠١٧ .

(١٥) **المصدر نفسه** .

(١٦) **المصدر نفسه** ، ١٧ اغسطس ١٩٦١ ، ١٦١٨٥ .

(١٧) **المصدر نفسه** ، مجلس النواب ، ١٧ و ٢٢ اوغسطس ١٩٦١ ، و ٢٨ اذار ١٩٦٣ .

(١٨) **نيويورك تايمز** ، ١٨ مايو ١٩٦٠ .

(١٩) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس النواب ، ٢٤ آب ١٩٦٥ ، ٢١٦٢٠ .

(٢٠) **نيويورك تايمز** ، ١٩ آب ١٩٦٢ .

(٢١) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس النواب ، ٢٤ آب ١٩٦٥ ، ٢١٦٢٢ .

(٢٢) **المصدر نفسه** ، ٢٥ آب ١٩٦٥ ، ٢١٨٥٨ .

(٢٣) **الكتاب السنوي للامم المتحدة** ، ١٩٦٦ .

(٢٤) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، ٩ و ٢٠ شباط ١٩٦٧ .

(٢٦) **المصدر نفسه** ، مجلس النواب ، ٥ يونيو ١٩٦٧ .

(٢٧) **المصدر نفسه** ، مجلس النواب ، ١٥ يونيو ١٩٦٧ ، ١٦٠٩٧ .

(٢٨) **المصدر نفسه** ، مجلس الشيوخ ، ١٢ يوليو ١٩٦٧ ، ١٨٥٠١ .

(٢٩) انظر الكتب السنوية الصادرة عن الامم المتحدة خلال هذه السنوات .

(٣٠) الولايات المتحدة ، **سجلات الكونجرس** ، مجلس الشيوخ ، ١٠ اكتوبر ١٩٦٧ .

(٣١) **المصدر نفسه** ، ٢٤ آب ١٩٧٠ ، ١٤٠٥٣ . وكان ريبيكوف هو الذي تزعم حملة الاسئلة التي وجهت الى نولبرايت خلال القائه خطابه . وهناك عدد من الجمعيات مثل : اللجنة الاميركية من اجل العدالة في الشرق الاوسط ، في بولدر بكولورادو، تنشر بشكل دوري معلومات حول مواقف اعضاء الكونجرس بالنسبة للشرق الاوسط . وهذه المنشورات ذات فائدة خاصة لتجميع احدث المعلومات بالنسبة لبيانات النواب عن الشرق الاوسط .

(٣٢) **تقرير المفوض العام للانروا** ، تموز ١٩٦٩ — ٣١ يونيو ١٩٧٠ ، ملحق رقم ١٣ (A/8013/1) ، ص ص ٨٩—٩٢ .

(٣٣) احمد رفعت الكاشف ، **الولايات المتحدة والتسلح العربي الاسرائيلي** ، مركز الابحاث في م. ت. ف.، بيروت ١٩٦٩ ، ولمزيد من التفاصيل حول المساعدات العسكرية للشرق الاوسط بشكل عام ، انظر : ج. سي. هورنيتز ، **السياسة في الشرق الاوسط : البعد العسكري** ، (نيويورك ، برايجر ، ١٩٦٩) .

(٣٤) **نيويورك تايمز** تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٥١/٢٦ .

(٣٥) **المصدر نفسه** ، ١٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢.

(٣٦) **المصدر نفسه** ، ٦ أيار (مايو) ١٩٥٣ .

(٣٧) **المصدر نفسه** ، ٧ آذار (مارس) ١٩٥٤ .

(٣٨) **المصدر نفسه** ، ١٧ آيار (مايو) ١٩٥٥ .
(٣٩) **المصدر نفسه** ، ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٥.
(٤٠) الولايات المتحـدة ، **تقارير الكونجـرس** ، مجلس الشيوخ ، ١ شباط (فبراير) ١٩٥٦ .
(٤١) **نيويورك تايمز** ، ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٦ .
(٤٢) **المصدر نفسه** ، ٧ شباط (فبراير) ١٩٥٦ .
(٤٣) **المصدر نفسه** ، ٢٠ آيار (مايو) ١٩٥٦ .
(٤٤) **المصـدر نفسـه** ، ٢٥ ديسمبـر ١٩٥٧ ، وصحيفة **كريستيان سينس مونتور** ، ١٤ يوليـو ١٩٦٩ .
(٤٥) الولايات المتحدة ، **تقاريـر الكونجرس** ، مجلس الشيوخ ، ٧ فبراير ١٩٥٧ ، ١٧١٦ .
(٤٦) **نيويورك تايمز** ، ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢ .
(٤٧) الولايات المتحـدة ، **تقاريـر الكونجرس** ، مجلس الشيوخ ، ٣٠ ابريل ١٩٦٣ ، ٧٣٣٩ .
(٤٨) **المصدر نفسه** .
(٤٩) **المصدر نفسه** ، مجلـس النـواب ، ١٠ اغسطس ١٩٦٥ .
(٥٠) **نيويورك تايمز** ، ٢١ مايو ١٩٦٦ .
(٥١) **المصدر نفسه** ، ١٩ يوليو ١٩٦٧ .
(٥٢) **نيويورك تايمز** ، ٢٤ مايو ١٩٦٧ ، الولايات المتحدة ، **تقرير الكونجرس** ، ٢٤ مايو ١٩٦٧ .
(٥٣) الولايات المتحدة ، **تقرير الكونجرس** ، ٢٥ مايو ١٩٦٧ .
(٥٤) **المصدر نفسه** ، ٣١ يوليو ١٩٦٧ .
(٥٥) **المصدر نفسه** ، مجلس الشيوخ ، ٩ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ، ٢٢٠٩١ .
(٥٦) **نيويورك تايمـز** ، ٧ آب (اغسطس) ١٩٦٩ .
(٥٧) **كريستيان سينس مونتور** ، ٣١ يناير و ٧ فبراير ١٩٧٠ .
(٥٨) **نيويورك تايمز** ، ٢ يونيو ١٩٧٠ .
(٥٩) الولايات المتحـدة ، **تقارير الكونجرس** ، ٢٨ و ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ .
(٦٠) **المصدر نفسه** ، ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ ، **تايمز** (اللندنية) ، ٥ فبراير ١٩٧١ .
(٦١) الولايات المتحدة ، **تقرير الكونجرس** ، ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ .

صدرت الكتب التالية عن مركز الابحاث

حول الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية

	السعر ل.ل.
— **ثلاثة آراء اميركية اساسية حول فلسطين** ، بقلم مايكل جانسن ، (بالانجليزية ، ١٩٧١)	١
— **مقالات في الراي العام الاميركي والقضية الفلسطينية** ، بقلم ليلى تاضي ، (بالانجليزية ، ١٩٦٩)	٢
— **عرض للعلاقات الاميركية الاسرائيلية** ، بقلم ليلى تاضي (بالانجليزية ، ١٩٦٩)	٢
— **الجالية الاميركية في لبنان والمشكلة الفلسطينية** ، بقلم باسم سرحان (بالعربية وبالانجليزية ، ١٩٦٩)	١

الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى

نبيل بدران

شهدت الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تحولا اقتصاديا كبيرا مهد الطريق للتحولات السياسية المهمة التي حصلت قبل الحرب العالمية الاولى مباشرة . حدثت هذه التحولات الاقتصادية نتيجة تطبيق التنظيمات الادارية والمالية الجديدة وتحت ضغط القوى الاوروبية المستقوية على « الرجل المريض » . وكان تفاعل هذه العوامل قويا في جنوب سوريا « فلسطين » لوضعها الجغرافي ـ الاقتصادي والديني ـ السياسي . اتجهت الاطماع اليها لوضعها الاستراتيجي وللغلاف الديني القادر على احتواء هذه الاطماع . وسيقتصر البحث الحالي على تحليل المجتمع الفلاحي وتطوره تحت ضغط العوامل السالفة الذكر . وسنسعى الى مناقشة عدة نقاط : لماذا كانت فلسطين قليلة السكان نسبيا ؟ لماذا كان قسم كبير من سهول وسواحل فلسطين غير مستغل زراعيا ؟ هل كانت كفاءة الفلاح الفلسطيني بدائية كما تصورها المزاعم الصهيونية ؟ هل نمت الزراعة اليهودية ـ الصهيونية باستقلال تام عن الزراعة العربية غير محتاجة لتقنية الفلاح معتمدة فقط على العلم الزراعي الحديث ؟ ولن يطرح الجواب على هذه الاسئلة مستقلا عن تطور العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي الفلسطيني . بل سيكون الجواب دراسة مقتضبة ولكن شاملة لوضع وتطور العلاقات الاجتماعية في الريف الفلسطيني ووضع المجتمع الريفي عامة ، اذ نريد لهذه الدراسة المساهمة في تحليل الاسباب التاريخية لبعض جوانب مسلك الفرد العربي الفلسطيني .

جغرافية فلسطين : يقع القطر الفلسطيني على حافة الصحراء العربية ، فهو قسم من الشريط الزراعي السوري الضيق والخاضع لمناخ البحر الابيض المتوسط والممتد من غزة جنوبا حتى الاسكندرونه شمالا . وفي حال اضافة المناطق القاحلة العديمة او قليلة المياه الى الصحراء الاصلية نجد ان هذه تصل الى مشارف غزة والخليل وعمان واربد . بل وصلت الصحراء بمفهومها الحضاري وقبل الاستقرار السياسي الى مشارف نهر الاردن وتخطته في عدة اماكن . وتعتمد فلسطين في صمودها امام زحف الصحراء على السلسلة الجبلية الغربية لنهر الاردن والتي تحتوي اهم مدن فلسطين واقدمها صمودا . كما تعتمد وبشكل اقل على هضبات الجليل وقممه . ونتيجة لمناخ البحر الابيض المتوسط يشمل موسم الامطار اكثر من نصف مساحة فلسطين والذي يصل معدله في اعالي جبال نابلس والجليل نحو ٨٠٠ مم في السنة ، بينما يصل متوسط كمية المطر السنوية في جميع مناطق المطر حوالي ٥١٨ مم . تساهم الامطار الغزيرة مع المياه المتفجرة والجارية في ينابيع وانهر في ارواء سهول فلسطين الثلاثة ١) السهل الساحلي ويمتد من الناقورة شمالا حتى رفح جنوبا ، يضيق في اماكن ويتسع في اماكن اخرى ، يفصله الكرمل ورأس حيفا الى قسمين : القسم الجنوبي ويسمى الساحل الفلسطيني والقسم الشمالي ويسمى سهل عكا ، ٢) غور الاردن يبدأ في منخفض الحولة ليصل الى البحر الميت ، ٣) ويفصل سهل مرج بن عامر والسهول الصغيرة الاخرى مثل سهل البطوف جبال

الجليل عن جبال نابلس وتسهل هذه السهول حركة الاتصال بين الاغوار وشرق الاردن والساحل . ونتيجة للمنحدرات القوية ونتيجة لكثافة الامطار في بعض الاشهر ، تجري كميات هائلة من المياه في الوديان العديدة وتولد في حال اهمال الزراعة وتصريف المياه مستنقعات في السهول . وشهدت فلسطين في العصور الاخيرة حين تراجعت الزراعة نتيجة عدم استتباب الامن مستنقعات كبيرة شملت منطقة الحولة وبيسان وسهل عكا والسهل الفلسطيني خصوصا بين صرفند شمالا وعرسوف جنوبا . ويساهم الشريط الرملي الساحلي والمرتفع في كثير من الاحيان في حصر المياه الوافدة من الجبال وكذلك مياه الينابيع العديدة المتواجدة على الساحل وهكذا نشأت المستنقعات الشاسعة .

يلعب المناخ دورا اساسيا في توجيه الزراعة ، حيث يؤثر عليها ويفرض على الفلاح طريقة عمل خاصة . واهم عوامل المناخ هي المطر ودرجة الحرارة والرياح والتبخر وبشكل اقل رطوبة الجو . يبلغ متوسط الامطار السنوية في فلسطين حوالي ٥١٨ مم يهطل ٨٧ في المائة منها بين شهري كانون الاول ونيسان ، اي انه ضمن الشروط العادية تبلغ كمية الامطار الهاطلة خلال نمو القمح ٤٥١ مم(١) . ويميز الفلاحون ثلاث موجات من المطر : المطر الباكر في شهر تشرين الثاني ، المطر الشديد خلال اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط والمطر المتأخر في اواخر نيسان(٢) .

تقع فلسطين عموما في محيط مناخ البحر الابيض الذي يمتاز بالاعتدال ، لكن التضاريس الطبيعية القوية تخلق تفاوتا في الحرارة : يبدأ الحر باكرا في الاغوار ثم في السهول الثلاثة المذكورة اعلاه واخيرا في المناطق الجبلية وما تحتويه من سهول داخلية . ولا تعرف سوريا الساحلية عامة وفلسطين خاصة الا فصلين فبعد فصل الامطار يأتي مباشرة فصل الحر . فنتيجة لارتفاع درجة الحرارة وتحت تأثير انخفاض الرطوبة ومجيء الرياح الشرقية ترتفع نسبة تبخر الارض . وتحدث هذه الظاهرة على الاخص في اوائل الربيع ، وتزيد الرياح الخمسينية من سرعة التبخر . وبسبب ارتفاع نسبة الرياح الغربية خلال شهري حزيران وتموز ترتفع الرطوبة ، مما يساعد على هطول الندى وهذا يساعد في ري المزروعات الصيفية .

وقبل الانتهاء من هذا العرض السريع للجغرافية الطبيعية لفلسطين يستحسن ذكر الغابات وقد كانت حتى منتصف القرن الماضي تغطي مساحات شاسعة وبقي قسم وفير منها حتى الحرب العالمية الاولى . يظهر من خارطة صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) وجود مناطق شاسعة من الغابات في الجليل وفي المنطقة الممتدة بين جبل الكرمل وجبال نابلس وفي سهل طولكرم واشتهرت المنطقة بصنع الفحم وسميت قريتان نسبة الى هذه الصفة وهما « ام الفحم » و « فحمه » . وتقع القريتان في المنطقة الشعراوية الممتدة في كل من قضاءي طولكرم وجنين . وسميت هذه المنطقة « الشعراوية نسبة الى (الشعراء) وهي الارض او الروضة الكثيرة الشجر »(٣) . وفي الماضي كانت تمتد غابة كثيفة من عرسوف — سيدنا علي حتى عكا . وحتى عام ١٩٠٩ كان يوجد بقايا من غابة السنديان هذه ، وقضي على القسم الاكبر منها خلال الحرب العالمية الاولى(٤) . ولكن قبل النمو السريع للمدن كانت مساحة الغابات في المنطقة الممتدة من الجليل الاعلى حتى مستوى جنين ١٣٠٤ في المائة من مساحة المنطقة(٥) . استهلك نمو المدن بما اوجده من حركة بناء وتدفئة كميات كبيرة من الخشب والحطب والفحم واستهلك بناء سكة الحديد وتسييرها كميات اخرى .

الجغرافية الانسانية لفلسطين قبل التنظيمات الجديدة : عاشت سوريا قبل تحقيق التنظيمات الجديدة ، والتي صدرت في الحقبة ما بين ١٨٥٢ و١٨٧٦ ، مثل باقي اقطار السلطنة العثمانية في شبه حكم ذاتي ، مرجعه ضعف السلطنة المركزية ومقابل ذلك

سيطرة نفوذ الولاة . ودخل هؤلاء بدورهم في حروب محلية سعيا وراء توسيع منطقة نفوذ الواحد منهم على حساب الاخر . ولذا تميزت تلك الحقبة بصراع دائم بين الولاة تتخلله تحالفات فيما بينهم او مع العشائر القروية او القبائل البدوية ضد اطراف اخرى من ولاة او زعامات محلية او بدوية . وانعدم الامن اثر ذلك . وساهمت الدولة العثمانية بدورها في زرع الفوضى بضعفها وبامتناعها عن بناء شبكة مواصلات توفر الحركية لقوات الجند . وانعزلت المناطق عن بعضها ونشأت تجمعات سكانية منفصلة، تقف بينها الجبال الوعرة والمستنقعات الكثيفة . ويحدثنا الرحالة تومسون(٦) وقد زار فلسطين مرتين (عام ١٨٣٥ و١٨٥٩) عن خطورة التجول في كثير من ربوع فلسطين . اذ كان السفر بواسطة الدواب يأخذ وقتا طويلا . وكما ذكر سابقا اعتمد الولاة في خلافاتهم الدامية على العشائر القروية وخصوصا على القبائل البدوية المتعاظم شأنها لمرور طريق الحج في أراضيها وصعب على الدولة العثمانية اخضاعها والقيام بجردات ضدها لمحاذير فشلها . فقد ينتقم البدو من قافلة الحج فيهتز اثر ذلك كرسي الوالي بل عرش السلطان(٧). وكانت قبيلة الروالة وخصوصا بني صخر اخطر القبائل السورية . عمدت الدولة العثمانية الى دفع الخوة الى هذه القبائل مما شجعها على ابراز سطوتها، وحتى الى تقوية نفوذها من خلال ربط العشائر الصغيرة بها. وكان من جراء سطوتها هذه اكتساحها لسهول فلسطين وهضبات الجليل . فهرب الفلاحون الى الجبال حيث تتوفر الحماية الطبيعية والجماعية . ويتأكد لنا هذا الوضع من خلال القاء نظرة على خريطة بعثة صندوق استكشاف فلسطين التي وضعت بين ١٨٧٢ و ١٨٧٨ ، اذ نرى ان سهول فلسطين وخاصة المنطقة الممتدة بين يافا وغزة لا تحضن الا عددا قليلا جدا من القرى ، بينما تقع معظم القرى في أعالي او منحنيات الجبال والهضبات . ويؤكد ذلك احد اعضاء البعثة « تتواجد معظم قرى فلسطين في المنطقة الجبلية »(٨). ويصف غرانت نمط بناء القرى الجبلية لاضافة مزيد من المقدرة الدفاعية بقوله « شيدت البيوت في القرى الصغيرة بمحاذاة بعضها بعضا ، كأبنية المدينة وتبدو القرية هكذا وكأنها قسم مشطور عن المدينة »(٩). وفي كثير من الاحيان كان بيت شيخ القرية يعلو البيوت الاخرى ويستعمل كبرج للمراقبة ، لينذر الحارس الفلاحين العاملين في الحقول المجاورة في حال حدوث اي طارىء .

بعد استتباب الامن خلال الحقبة الاولى من عهد ابراهيم باشا نزح قسم من الفلاحين الى السهول واعادوا تشييد قراهم السابقة . ولكن بعد خروج ابراهيم باشا وانتشار الفوضى مجددا في سوريا والتي ساهمت في اشعال نارها الحروب القيسية اليمنية ترك هؤلاء الفلاحون قراهم في السهول وصعدوا الى المرتفعات . ويقدم الرحالة تومسون امثلة على ذلك . فقريتا العفولة والفولة في مرج بن عامر والتي شاهدهما مزدهرتين حوالي عام ١٨٣٥ اصبحتا عام ١٨٥٩ خرابا . وكذلك شاهد في حالة خراب كامل قرية المقيبلة وفي شبه خراب قرية حكمه وتقعان قرب جنين جهة المرج . وكانت مدينة بيسان قرية صغيرة تحتوي على حوالي الف نسمة(١٠). عانى الفلاحون الذين بقوا في السهول وضعا سيئا : وجب عليهم دفع الخوة الى البدو وتحمل في نفس الوقت غطرستهم التي وقفت حائلا دون تحذير احد منهم لعبثه بالمزروعات . فحتى عام ١٨٧٨ كانت طبريا تدفع خوة لاحد شيوخ بني صخر . وكانت قرية الجاعونة في الجليل الاعلى تدفع خوة الى الوحش شيخ عرب الزنغرية(١١). واما بدو الروالة فكانوا يجتاحون حوران ويضطهدون فلاحي قرية جب يوسف في الجليل الاعلى وبيت جن ويفنيل في الجليل الادنى(١٢)، بل كانت مدينة الناصرة نفسها معرضة لغزوات البدو . يذكر القنصل فين عن غزوة بدوية على الناصرة والقرى المجاورة ، ان مجمل ما خسرته من حيوانات وعلف ومتاع بلغ حوالي ٢٠٠ الف قرش(١٣).

عاشت فلسطين قرونا في هذا الوضع المتدهور . واثر اخلاء السهول من الفلاحين دخلت بعض القبائل واستوطنت هناك تستغلها كمراع مع توجه قليل شطر الزراعة . هكذا جاء عرب ابو كشك وقطنوا نهر العوجا واستولى عرب الحوارث وعرب النفعيات على المنطقة الممتدة بين القيصرية ونهر الغالق في السهل الساحلي الفلسطيني . واستوطنت عشائر اخرى في سهل مرج بن عامر وسهول الجليل الادنى . وكانت عشائر مرج بن عامر تقطع بدورها المرتفعات المنخفضة الفاصلة جبل الكرمل عن جبال نابلس للانتقال الى الساحل الفلسطيني الجنوبي وكان بعضها مثل عرب التركمان يصل حتى القيصرية(١٤). وشعرت هذه العشائر شبه البدوية في مناخ الفوضى بحرية الحركة ، باسطة سلطتها على المنطقة ، فارضة الخوة على المارة او معرضة اياهم للسلب ، بل للموت . وكان على قسم من هذه العشائر شبه البدوية بدورها دفع خوة لقبائل شرق الاردن خصوصا لبني صخر . بينما دخل قسم آخر في تحالف مع القبائل القوية وما يترتب عن ذلك من تضامن في الحروب والغزوات القبلية .

نتج عن الاضطهاد الدائم من قبل القبائل البدوية للفلاحين سكان المناطق المتاخمة للصحراء تحول قسم كبير من هؤلاء الى حياة البداوة ، اي انهم تركوا الزراعة ارتباطا بالرعي وما يتطلب ذلك من تنقل . ويساهم هذا الوضع في سرعة التنقل والهرب من وجه بدو الصحراء . تقلصت اثر ذلك الارض الزراعية لصالح الرعي(١٥). ولما كان الرعي وما يرافقه من عمل زراعي هامشي لا يستطيعان اعالة كثافة سكانية معينة ، تقلص عدد السكان حسب معادلة التوازن بين الانتاج والسكان في المجتمعات المعزولة . وتتحقق هذه المعادلة من خلال سوء التغذية وهبوط المستوى الصحي نتيجة هبوط مستوى الوضع السكني .

ان القاء اي نظرة الى جغرافية التوزع السكاني في ذلك الوقت كما نشاهده على خارطة صندوق استكشاف فلسطين يوحي بالصورتين الاساسيتين الاتيتين : الصورة الاولى التي ذكرت سابقا انتشار القرى الصغيرة والكبيرة على المرتفعات المشرفة على السهول او على منحدراتها المحصنة جغرافيا . اما الصورة الثانية فهي تجمع الاماكن المأهولة حول مدن كبيرة نسبيا ويتواجد القسم الجبلي منها مثل القدس ونابلس والخليل ضمن او على حافة سهول داخلية تمثل هذه المدن قطبا للقرى المحيطة بها . ويربط هذه المدن وكذلك المدن الساحلية طرق بدائية لا تكاد تصلح حتى للدواب والجمال، مملوءة بالحجارة لتساعد الحيوانات على تسلق الجبال . واحتوت المنطقة الجبلية الخصبة الممتدة من منطقة نابلس حتى بيت لحم على قسم كبير من القرى الفلسطينية . لكن صعوبة الاتصال بين المناطق الجبلية فرض العزلة على كثير من التجمعات القروية .

كان تعداد المدن الفلسطينية القطبية في اواسط القرن الماضي محدودا . وكان قسم منها مثل نابلس وخصوصا الخليل مدنا زراعية يملك سكانها اراضي زراعية . في عام ١٨٥١ كان تعداد سكان القدس اكبر المدن الفلسطينية ٢٣٥٠٠ شخص(١٦). لذا كانت امكانية تسويق المنتجات الزراعية محدودة جدا ، تنحصر في المنتجات غير المعرضة للتلف كبعض انواع الحبوب مثل القمح والشعير والسمسم ، والزيت والصابون والزبيب والبطيخ . ولم يكن يتوافر سوق واسع لتسويق المنتجات الطازجة مثل الخضار والفاكهة . ومع انه حصل تبادل اقتصادي مع بدو الصحراء لكنه كان هامشيا لا يؤثر على مجمل الوضع الاقتصادي . في اطار هذه الظروف اتسم طابع الاقتصاد بالاكتفاء الذاتي ، يتجسد في انتاج محدود يمليه الجو المناخي للمنطقة الذي لا يتطلب تجهيزا منزليا وانتاجيا عاليا ، عكس جو الصقيع والمطر الدائم الذي يحث على توسيع دائرة الانتاج وما ينتج عنه من شبه تقسيم للعمل .

المجتمع الريفي قبل التنظيمات الجديدة :

سبق لكاتب المقالة ان بحث في كتاب « التعليم والتحديث »(١٧) بتوسع عن الاقطاع التقليدي اي الذي كان شائعا حتى العقد الرابع من القرن الماضي . جمع هذا الاقطاع بين وظيفة جمع الضريبة من الفلاحين وواجب تزويد الدولة بفرق من المقاتلين المحليين . لم يشرف الوالي، مباشرة على ارجاء ولايته بل ترك الامر لزعماء المجموعات المحلية المشرف كل واحد منهم على عدة قرى . وتنبع زعامتهم من ترؤسهم لاقوى العائلات في المنطقة والتي ترتبط معها العائلات او « الحمائل » الاخرى في وحدة الدفاع الذاتي كما ذكر سابقا . ونشأت هذه الوحدة لكون أراضي القرية مشاعا تتطلب تفاهما عاليا بين حلقات المجتمع القروي الضيق . وكانت الزعامة وراثية ارتباطا بنفوذ الحمولة النافذة ، ولذا تطور الاقطاع الى تسلط من قبل هذه العائلات على انفلاحين ، وتخلى أفراد الحمولة المتزعمة عن العمل الزراعي المباشر ، تاركين على عاتق الفلاحين زراعة الارض وحمل وزر ضريبة العشر . ولما كان « الاقطاعجي » يحصل على نسبة معينة من العشر سعى الى ضبط عملية التحصيل مستعينا اولا بقوة حمولته ومستعينا ثانيا بشروط الحماية الذاتية الموجبة للتفاهم مع العائلة الحاكمة . فاعتمد على تحصيل العشر من القرية على شيخ القرية ، الذي اعتمد بدوره على « مجلس الاختيارية » لتحديد نسب دفع العشر ، ويتلاءم هذا الانتداب مع طريقة حكم القرية اذ ان مجلس الاختيارية برئاسة الشيخ يحكم جميع جوانب حياة القرية(١٨)، وذلك اعتمادا على الشريعة القروية التي هي خلاصة عدة شرائع منها الاسلامية والعشائرية والقروية القديمة(١٩). ويشرف مجلس الاختيارية على توزيع ارض المشاع وتوزيع اعباء الفدية وتحديد عدد المقاتلين في العمليات القتالية المحلية او الخاصة بالوالي وتوزيعهم ، ويحل المجلس المشاكل الداخلية ، ويحسم الشيخ بدوره المشاكل الفردية داخل القرية ، بل وصلت شهرة بعضهم الى حل مشاكل السكان في المناطق الاخرى . وهكذا نجد ان الحكم الذاتي لم يتحقق فقط في اطار الولاية والناحية بل تعداه الى القرية والعشيرة البدوية وشبه البدوية ، ولكن لا يعني هذا الحكم الذاتي استقلالا تاما بل كما اتضح لنا سابقا توجد ارتباطات ادارية وذاتية تدفع الى تمسك القرى ببعضها في اطار الناحية .

بسبب انعدام المواصلات كما ذكر سابقا وجو الفوضى الذي خيم قرونا على ربوع السلطنة العثمانية خصوصا في المناطق المتاخمة للبادية ، انعزلت التجمعات القروية عن بعضها ، وحكمت نفسها ذاتيا وعاشت على الاكتفاء الذاتي . وفي نفس الوقت تقلص عدد السكان نتيجة زحف الصحراء وغمرها لاقسام اضافية من المنطقة الحضرية ، فتحول سكان هذه المناطق الهامشية الى رعاة مع عدم التخلي تماما عن ممارسة الزراعة . وزحفت افخاذ من العشائر البدوية لتحتل السهول المنخفضة جاعلة منها مراعي لمواشيها . هرب الفلاحون الى الجبال حيث للانتاجية والانتاج حدود خصوصا في جو الارهاب العام . واستطاع آخرون التجمع في المنطقة الممتدة من غزة الى اللد حيث تتواجد عدة مدن قادرة مع تجمعهم القروي على توفير الحماية .

كانت دائرة زراعة القرية محدودة لضرورة العودة مساء الى القرية ووصولها بسرعة حال حدوث غزوة . وداخل هذه الدائرة زرع الفلاح ما يحتاج اليه من انواع الخضار والحبوب والاشجار المثمرة ولكن ضمن المعطيات المناخية والمائية ، واهمها انتساب فلسطين الى منطقة المناخ الجاف ــ البحر المتوسطية فلذا وجب على الزراعة التقليدية اخذ المعطيات البيومناخية بعين الاعتبار . زرع الفلاح جميع اصناف الخضار والاشجار المثمرة في الاراضي المروية ، فكانت بساتين القدس ونابلس والخليل ويافا واللد والرملة

وغزة وعكا مغناة للرحالة ، مثال ذلك وصف تومسون للمنطقة الشاملة للد والرملة معجبا بتعدد انواع الاشجار المثمرة وازدهار الارض(٢٠).

ولم تتوفر المياه في كل مكان ، ولذا وجب على الفلاح الاعتماد على أمطار الشتاء الموسمية . أحسن الفلاح استخدام معطيات المناخ والتربة احسن استخدام . فأدرك اهمية زراعة شجر الزيتون والعنب والتين وكذلك زراعة اصناف الحبوب حسب دورة معينة . ومما فاجأ الخبراء الاجانب الذين كتبوا عن زراعة الفلاح الفلسطيني والسوري عامة مقدرته على الزراعة في الصيف حيث يعم الجفاف(٢١). أدرك الفلاح من خلال خبرته وتراثه الفلاحي وجوب تنظيم نشاطه الزراعي بشكل يساعده على الاستفادة القصوى من المناخ (الامطار ، الرياح ، الندى ، حرارة الشمس ...) ، فجاءت حراثته للارض تحفظ الرطوبة الداخلية للتربة ليستطيع النبت النمو والصمود امام حدة الشمس ، وخصوصا حفاظ رطوبة التربة للزراعة الصيفية .

قابل الاوروبي محراث الفلاح الفلسطيني بالسخرية معتقدا بتخلف تقنية الفلاح ، ولكن بعد التدقيق والمراقبة ادرك ملاءمة حجم المحراث ومعطيات المناخ والارض(٢٢). وخشي الفلاح من حرارة الشمس التي قد تجفف الارض بعد سقوط المطر ، فسعى الى حفظ الرطوبة واستغلال هذه الحرارة في نفس الوقت لقتل النباتات الطفيلية والاستفادة منها كسماد طبيعي . ونشط الفلاح خلال فصل الشتاء في تكرار حراثة الارض كتمهيد لزراعة الاصناف الصيفية ، ويهدف هذا التكرار في الحراثة لادخال اكبر كمية من المياه في جوف الارض وذلك لرفع درجة رطوبة الارض ، لتستطيع ارواء النباتات حتى شهر أيلول اي حتى موعد حصاد السمسم ، آخر محاصيل الصيف . لقد كان الفلاح يدرك اهمية الحفاظ على دورة زراعية تحفظ للتربة خصوبتها وبل ترفع درجة الخصوبة نتيجة اختلاف المزروعات واختلاف استهلاكها للمواد الكيماوية ، ومن جهة اخرى تجعل العوامل المناخية سريعة التغير الفلاح متنبها للظروف الجديدة يستغلها دون تباطؤ لمصلحته ، كما يسعى بجد الى محاربة الحشائش المضرة النابتة مع المزروعات .

اذا القينا نظرة على نشاط الفلاح خلال السنة نجده حافلا بالاعمال المتعددة ، ونكتفي هنا بذكر جدول للاعمال الحقلية(٢٣):

الحراثة التمهيدية	تشرين الثاني ــ كانون الاول
حراثة وزرع البذار الشتوية	كانون الاول ــ كانون الثاني
الحراثة التمهيدية الاولى للبذار الصيفية	شباط
الحراثة التمهيدية الثانية للبذار الصيفية	آذار
زرع الحمص	آذار
اقتلاع الاعشاب المضرة ونكش الارض بين النباتات الشتوية	آذار ــ نيسان
زرع الذرة	نيسان
الحراثة التمهيدية الثالثة للسمسم	نيسان
زرع السمسم	أيار
قلع العشب ونكش الارض أمام البذور الصيفية	أيار
حصاد الشعير	حزيران
قلع الفول	حزيران
حصاد الحلبة	حزيران
حصاد القمح	حزيران ــ تموز
حصاد الحمص	حزيران ــ تموز
درس القمح والشعير والفول والحمص والحلبة	حزيران حتى أيلول

حصاد الذرة	آب
حصاد السمسم	أيلول
درس الذرة والسمسم	أيلول ــ تشرين الاول
تذرية وغربلة القمح	تموز حتى تشرين الاول

لا نستطيع تعميم هذا النشاط على جميع المناطق الزراعية ولكن يتضح من هذا الجدول العمل الدائم للفلاح وعائلته المصغرة والذي يشمل ايضا زراعة الخضراوات والاعتناء بالاشجار وقطف ثمارها والاعتناء بالمنزل وتحويل الانتاج الزراعي الى مواد غذائية . لا يستطيع الفلاح تحقيق هذه الاعباء فرديا ، بل تتطلب جهدا جماعيا لسرعة انجازها او انعكاسا لجماعية بعض ادوات الانتاج. وتلعب اليد العاملة النسائية والاولاد دورا رئيسيا في تحمل الاعباء التي لا تتطلب قوة بدنية ، ولكن يتطلب قسم منها خبرة وخصوصا مقدرة على الاحتمال والصبر .

ولان المحراث العربي ــ الفلسطيني لا يحتاج الى قوة ضاغطة قوية ، كانت الحيوانات التقليذية من عجل وثور وحمار وجمل وبغل تقوم بهذه الوظيفة وجميعها قانعة برواسب الحقول واعشاب الطبيعة كغذاء(٢٤)، فلا يحتاج الفلاح الى مخازن للعلف . ومن جهة اخرى تجري عمليات درس القمح وتخزينه في الصيف وفي العراء وفي وسط الحقول او بالقرب منها فلا يحتاج الى بناء مخازن او استعمال ادوات معقدة لاتمام هذه العمليات . كما لا تفسح المسالك الجبلية لسير العربات فتستعمل الدواب والجمال . وهكذا نجد ان تجهيزات الفلاح كما قلنا سابقا محدودة تحد بدورها من دائرة التبادل السلعي .

بالرغم من وطأة الاقطاع التقليدي وارتفاع الاعباء الضريبية احيانا نتيجة طمع الولاة وشيوخ النواحي واحتياجهم الدائم للمال لتمويل حروبهم الخاصة ، لم يشعر الفلاح بالغبن الكبير لكون العشر عينيا ، يقطع من انتاجه . لكن الغبن الاكبر كان يلحقه من الغزوات والسرقات ، التي كانت تسبب له فقدان الانتاج السنوي او فقدان حيواناته ، الركيزة الاساسية لانتاجه الحقلي .

ولا بد من الكلام عن تعلق القرويين بمزارات الانبياء والاولياء . كانت هذه المزارات شائعة بشكل قوي جدا . تكاد لا تخلو أية قرية او ناحية من مزار . اخذت بعض المزارات شكل اشجار سنديان قديمة يفترض جلوس او سكن الولي بقربها(٢٥). كما أخذ قسم آخر من هذه المزارات شكل احجار او ينابيع . ويخص قسم كبير من هذه المزارات الانبياء القدامى . بل كان الاحتفال بهؤلاء الانبياء من أهم الاعياد في المجتمعات الفلاحية الواسعة ومثال ذلك عيد النبي روبين وعيد النبي موسى . كان الفلاح يحتاج الى شفيع يساعده على تحمل مظالم الحياة واضطهاد الحكام وفي نفس الوقت ليساعده على تدارك الكوارث المناخية ونيل محصول وفير ، اذ تخضع الزراعة في المناطق شبه الجافة الى عدة عوامل . فانحسار المطر او قلته او غزارته في غير وقته تهدد جميعها المحصول ، كما تهدد الرياح.الخمسينية بدورها المحصول في حال مجيئها باكرا او في حال اطالة مدة بقائها ، وكذلك تسيء الى النباتات الرياح الشرقية الحارة(٢٦). ويعبر الفلاح عن شكره للموسم الجيد بالاحتفالات الطويلة قرب المزارات المهمة . وتمثل هذه الاحتفالات ترفيها له ومعظمها يأتي بعد حصاد المزروعات الشتوية اي في الصيف . كان تدين الفلاح بدائيا نسبيا ومرتبطا بالقدرية والخرافية .

وقبل الانتهاء من وصف حياة الفلاح قبل التطور الرأسمالي يجدر بالذكر هنا الحقيقة التالية : بالرغم من تمسك الفلاح بتقاليد انتاجية يرجع تاريخها الى العهود القديمة الا ان زراعته تطورت في كثير من الجوانب عن المستوى الزراعي الموجود في التوراة . واكبر

مثال على ذلك معرفة الفلاح بأنواع خضار لم تعرفها أرض فلسطين في العصور القديمة، ومن هذه الخضار(٢٧) البامية والباذنجان والبندورة والفليفلة والخيار والسبانخ والملوخية ، ولقد دخلت فلسطين والمشرق العربي مع الفتوحات الاسلامية .

التنظيمات الجديدة واثرها على العلاقات الاجتماعية : بدأ الاصلاح الاداري(٢٨) في الدولة العثمانية عام ١٨٣١ حين ألغي الاقطاع السياسي والمالي القديم وأعلنت في عام ١٨٣٩ الجندية الاجبارية تكملة لالغاء الاقطاع القديم الذي أنيط به سابقا تقديم الرجال المسلحين للوالي ، وكان قد سبق ذلك الغاء فرق الانكشارية عام ١٨٢٦ . فتح هذا التطور امام الدولة العثمانية امكانية بناء الجيش الحديث ، والذي كان بدوره مبعثا اساسيا لتطوير الوضع المالي والتعليمي انعكاسا للاحتياجات المالية والكفاءات العلمية. وتحققت الادارة المحلية عن طريق قوانين ١٨٥٢ ، ١٨٥٨ ، ١٨٦٤ ، حين طورت وحددت ادارة الولايات وانشئت النواحي والبلديات وانشىء تمثيل محلي وعام .. سعي قبل عام ١٨٥٦ الى تحقيق بعض الاصلاحات المالية ، فجاءت هامشية يضاف الى ذلك أن تطبيقها تعذر بسبب حرب القرم . بعد هذا التاريخ صدرت القوانين المالية الجديدة والتي جاءت اكثر جذرية بسبب ارتفاع الديون الخارجية نتيجة اعباء الحرب وضغط الدول الاوروبية وايضا بسبب الطموح لبناء الجيش الحديث ، وسعي الى تطبيق هذه القوانين بكل نشاط وحزم .

كانت الضرائب المباشرة(٢٩) كالتالي : أ) الويركو والمستفات (ضريبة على الملك) ، ب) الاعشار (ضريبة على الانتاج الزراعي ومنها الاشجار المثمرة) ، ج) الاغنام (ضريبة على الاغنام والجمال المعدة للنقل ، د) التمتع (ضريبة على الانتاج الحرفي وفي قطاع الخدمات) ، هـ) الكروسة او العمالة المكلفة (ضريبة بناء او صيانة الطرق او العمل ثلاثة ايام في السنة في هذا القطاع) ، و) المعارف (ضريبة تضاف على الويركو) . لم تأت التعديلات الضرائبية الجديدة ثورة حقيقية في المجال المالي لاعتماد ركائزها على الانماط الضرائبية السابقة مع بعض التعديلات . فعوضا عن جمع الضريبة خصوصا الاعشار عن طريق « الاقطاعجي » اصبح يجمع عن طريق الملتزم الرأسمالي . وتحولت الضريبة من اقتسام عيني للمحصول الى تقدير نقدي للمحصول ، ويجري تسديدها على هذا الاساس . ومع اقصاء الزعامة التقليدية كوسيط مع الدولة ، والتي وجب عليها جمع الضريبة العينية ، اصبح الان ضروريا تحديد ملكية الارض فرديا لمحاسبة المالك ضرائبيا . وهكذا ادخل امر فرز وتسجيل الملكية (الطابو) . واستفادت الدولة من طرق تلزيم الضريبة للحصول مسبقا على قيمة الضريبة من خلال مزاد علني يرسى على المتقدم بأعلى عرض .

دخلت العلاقات الاجتماعية نتيجة التنظيمات الادارية والمالية وما رافقها من خضوع لارادة الدول الاوروبية وارتفاع معدل الفساد الوظيفي ، في مرحلة جديدة ، مرحلة التطور الرأسمالي ــ التجاري . وشجعت الدولة العثمانية انتساب أولاد العائلات الوجيهة من مدينية وريفية الى المدارس الرشيدية (العسكرية) والى المعارف والمدارس العليا للانتظام بعد ذلك في السلك العسكري والاداري . واستفادت هذه الوجاهة من تسجيل الاراضي ، فسجلت أملاكا كبيرة باسمها بسبب جهل الفلاح وخوفه من الطابو كوسيلة لمعرفة عدد اولاده وطلب الذكور منهم الى الجندية . لقد كانت حرب القرم مجزرة فتكت بأبناء الفلاحين ، كما كانت الدولة ترسل المجندين الى البقاع البعيدة مثل اليمن فينقطع اتصالهم مع الاهل ويعيش هؤلاء في الشك من امكانية عودة اولادهم . لم يكن هذا الوضع فقط عبئا عاطفيا على الفلاح بل ايضا خسارة مادية لفقدانه مرحليا او دائما لقوى انتاجية .

اعتمد الملتزم في تحصيله للضريبة على قوة الجند ، الذيـــن كانوا يجدون في الحملات التأديبية وسيلة للانتفاع من الفلاح والقرية(٣٠). كانت العلاقة في كثير من الاحيان بين الملتزم وبين المسؤولين الاداريين اكثر من علاقة رسمية ، كانت ايضا علاقة مصلحية مستمدة من عنصر القرابة وعنصر الصداقة واهم من ذلك كله من عنصر النفع المشترك. سعى الملتزم بجميع الوسائل الى تحقيق الربح الوفير من خلال رفع قيمة التخمين وتحقيق هذا التخمين باكرا اذ قد يحرق الحر الشديد قسما من المحصول ، وتحميل الفلاحين تكاليف هذا التخمين وتكاليف الوكلاء المحليين . واستمال الملتزم اليه في كثير من الاحيان شيوخ القرى والحمائل وخصوصا المخاتير المعينين من قبل الـــدولة ، كي يصمتوا عن اعماله وينالوا حصتهم من الربح ومن الاراضي الاتية من تجريد الفلاح لملكيته اثر العجز الضريبي(٣١). كان الالتزام للرأسماليين وسيلة لتجريد الفلاح من ارضه باسم العجز عن دفع الضريبة . وسعيا وراء زيادة الربح تضامن رأسماليو المدن في تقديم عروض الالتزام المنخفضة مقاومين دخول الغرباء المزاد العلني . انخفض مع الوقت دخل الدولة بينما ارتفع دخل الرأسماليين (الافندية)(٣٢). وامام تراكم الضريبة وثقلها المالي وتحكم الملتزم بالفلاحين عن طريق الجند ، باع قسم من هؤلاء اراضيهم لتجار المدن مفضلين العمل بالمشاركة ويتعهد المالك الجديد بدفع الضريبة . ليس من السهل على الفلاح بيع ارضه ، اساس مركزه الاجتماعي ومأمنه الاقتصادي لكن لم يكن امامه الخيار اذ كان سيفقدها عبر ثقل الديون . لم يتدخل في البدء المالك المديني في شؤون الزراعة مستفيدا مـــن اقراضه للفلاحين ورفع حصته مع الوقت وكذلك من ارتفاع سعر المحاصيل بعد توسع المدن وفتح باب التصدير في أواخر القرن الماضي . وبدأ المالك يهتم بالزراعة مع زيادة الطلب الخارجي على انتاج الحمضيات وتطلب مثل هذه الزراعة استثمارات مرتفعة .

وكان هناك سبب آخر لبيع الاراضي للرأسماليين ، فحسب القانون لا تسجل الاراضي جماعيا بل يجب فرزها وتسجيلها فرديا . كانت عمليات الفرز والتسجيل تكلف مبلغا عاليا يفوق امكانيات قسم من الفلاحين . فكان الراسمالي يعـــرض استعداده لشراء الحيزة كلها او قسم منها وتحمل تكاليف الفرز والتسجيل(٣٣). وتمسك بعض الفلاحين بأراضيهم وسعوا الى دفع الضريبة بجميع الوسائل ومنها قطع الاشجار خصوصا شجر الزيتون وبيعه في المدن ، بعدما ارتفع الطلب عليه نتيجة الحركة العمرانية الكبيرة في المدن خصوصا في القدس ويافا وحيفا ونتيجة استعمالـــه المتزايد في صنع التذكارات الدينية وبذلك يكون الفلاح استهلك رأسماله للاحتفاظ بأرضه . وساهمت ضريبة العشر بدورها في قطع اشجار الزيتون والامتناع عن زرع المزيد منها ، فانخفضت اثر ذلك مساحة الاراضي المزروعة زيتونا(٣٤).

وخولت القوانين الجائرة الدولة سلب الارض من الفلاحين خصوصا من البدو . فكانت تبيع بالمزاد العلني ارض كل عشيرة تقاعست عن دفـــع الضريبة . واستحصل بهذه الطريقة عدد من رأسماليي صفد على مساحات مـــن الاراضي . هكذا خسر العـــرب السواعيد أرضهم قرب بحيرة الحولة(٣٥)، واجبروا على الرحيل . وقبل ذلك خسرت العشائر القاطنة في مرج بن عامر اراضيها . ذكر مرارا احصاء اوهاغن(٣٦) الموضح اتساع الاقطاع الرأسمالي في سوريا الشمالية ، ذاكرا ان ٢٠ الى ٣٠ في المائة فقط من أرض سوريا الشمالية بقيت حتى عام ١٩٠٧ بيد الفلاحين وتتفاوت هذه النسبة من مكان الى آخر . ففي شرق الاردن بقي ١٥ في المائة بيد الفلاحين بينما بقي في الجليل ٢٠ في المائة وفي المنطقة الجبلية (نابلس ــ القدس ــ الخليل) ٥٠ في المائة . يتضح لنا ان الاقطاع الحديث نما بشكل كبير في المناطق التي كانت مهددة مباشرة من قبل البدو او يقطنها اشباه البدو مثل شرق الاردن وحوران والجولان وسهول الجليـــل، والسهل

الساحلي الفلسطيني ، اي في المناطق التي سجلت الاراضي بأسماء زعماء العشائر او التي طردت منها كما ذكر سابقا . اضافة الى هذا الاقطاع الحديث استولى السلطان عبدالحميد على مساحات كبيرة من الاراضي بلغت جميعها حوالي مليون فدان موزعة بين وادي الاردن والحولة وفي الخليل وغزة(٣٧).

ولم ينج شراء الاراضي من قبل الراسماليين الفلاح من تراكم الديون ، بل لازمته تلك الديون بسبب انخفاض حصته ، اذ كان يحصل الفلاح مثلا لدى عائلة سرسق الاقطاعية على حوالي خمس الانتاج يضاف الى ذلك الضرائب غير الزراعية(٣٨)، فلا يبقى له الا النزر اليسير الذي لا يكاد يكفي لاعالته في سني الخيرات فكيف يمكن لهذا الدخل ان يعيله في سني الجفاف وان يواجه به تكاليف الاعباء الاجتماعية . ويتحدث كتاب «ولاية بيروت» عن ان اكثر اغنياء نابلس تقريبا «يقرضون اموالهم سنويا بفائض يتراوح بين (٦٠ و ٧٠ في المائة) »(٣٩). وظهرت نتيجة تراكم الديون والفقر المتزايد ظاهرة هجرة الفلاحين المعوزين الى المدن النامية(٤٠)، وفضل قسم آخر الهجرة الى امريكا . وسعى قسم من فلاحي الجبال الاستفادة من اختلاف مواعيد الحصاد للعمل في السهول ، كما ترك قسم آخر على عاتق اخوتهم في القرية الاعتناء بالاملاك العائلية وقصدوا هم شرق الاردن للعمل في اراضي شيوخ القبائل(٤١)، خصوصا في منطقة عمان لدى شيوخ بني صخر(٤٢). اضافة الى الاعباء الضريبية الشديدة الوطء كان على الفلاحين تحمل عبث موظفي الدولة ونهمهم الشديد . في ظل فقدان العدالة بسبب الرشوة وجدوا في الدولة وموظفيها عدوا لهم يحصل على الضريبة لتمويل عمليات سلب اضافية . وتهربا من مجابهة موظفي الدولة سعى الفلاحون الى اخفاء المشاكل والخلافات الداخلية وحلها بالطرق التقليدية ، فابقى المجتمع الفلاحي على المحاكم التقليدية الممثلة بالمجالس الاختيارية تحت شعار « حساب القرايا مش مثل حساب السراي » . نستخلص من هذا الوضع تمسك المجموعات الفلاحية بنظامها العشائري بالرغم من اضمحلال شطر من اساسه المادي ، يساعدها هذا النظام العشائري ــ القروي على تحقيق حد ادنى من الامن في محيطه كما يساهم في تحديد العلاقات مع التجمعات المجاورة . ومن الجدير ذكره هنا أن المشاع لم يضمحل تماما ، اذ بالرغم من تسجيل الارض باسم شيخ الحمولة او العشيرة بقيت الارض تستغل على طريقة المشاع التقليدي ولكن في نطاق اضيق من قبل . ففي السابق كان المشاع على نطاق القرية كلها واصبح حاليا في نطاق العائلات الرئيسية في القرية . كما بقي المشاع ردحا من الزمن في الاراضي المنتقلة الى وجهاء وراسماليي المدن . لكن اختفى المشاع في الاراضي التي سجلت باسم العائلات الصغيرة .

بدات العزلة الجغرافية تتلاشى تدريجيا توازيا مع بناء شبكة المواصلات الحديثة . افتتحت اول طريق عربات في فلسطين عام ١٨٦٦ وهي طريق يافا القدس(٤٣). وفي عام ١٨٧٩ جرى توسيعها وفي بعض المناطق اعادة تخطيطها . وبعد عام ١٨٨٦ اثر ترؤس مدحت باشا الحكومة في اسطنبول(٤٤) جرى نشاط واسع في انشاء الطرق ، فافتتحت في عامي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ الطرق الاتية: القدس ــ بيت لحم ــ الخليل ، والقدس ــ اريحا، والقدس ــ عين كارم وبعد ذلك انشئت طريق يافا ــ نابلس ويافا ــ غزة ، وكذلك طريق حيفا ــ طبريا وحيفا ــ الناصرة . وبدأ السير على الخط الحديدي يافا ــ القدس عام ١٨٩٢ وحيفا ــ درعا عام ١٩٠٨ والخط الاخير فرع من الخط الحجازي(٤٥). واخذ التعامل بين القرى والمدن القريبة والبعيدة يزداد وخصوصا ان الطلب على المنتجات الزراعية ارتفع اثر نمو المدن(٤٦) نتيجة نمو المؤسسات الرسمية والتبشيرية وارتفاع عدد السواح وازدياد عدد موظفي الدولة ومجيء المستوطنين الاجانب من الالمان واليهود ، وعموما نتيجة ارتفاع الدخل في المدن . وحث نمو المدن وازدياد الاعمال نتيجة

الارتفاع الكبير في حركة التجارة الخارجية ووجود المؤسسات التعليمية والطبية القرويين على الانتقال اليها للعمل . ومع نمو الاسواق الداخلية جرى توسع في زراعة الخضروات كما ازداد الطلب على المنتجات القروية من زراعية مصنعة او حرفية، كما تصاعد الطلب في القرى على المنتجات المدينية والمنتجات المستوردة . وجلب الوضع الاقتصادي الجديد تحسنا في وضع الفلاحين المالكين والقاطنين في جوار المدن النامية،لكن الاستفادة الكبرى جاءت لصالح الرأسمالية التي استغلت الفلاح وزاد ثراؤها من جراء ارتفاع اسعار الاراضي في المدن وفي فلسطين عامة ، فاحتكرت التراكم الرأسمالي على حساب فقر طبقة الفلاحين .

واظهرت الدول الاوروبية اهتماما بالانتاج الزراعي الفلسطيني ، فصدرت فلسطين القمح وخصوصا شعير غزة وبئر السبع لجودته في صناعة البيرة(٤٧). كما بدأ يظهر اهتمام بريطانيا الواسع بانتاج الحمضيات ، فتوسعت اثر ذلك هذه الزراعة لتشمل مساحات كبيرة من منطقة يافا . ولا بد من التنويه هنا ان هذه الزراعة قديمة في يافا : بلغ عدد البساتين في اواخر العقد الثامن من القرن الماضي حوالي ٤٠٠ بستان مساحتها ٣٦٨ هكتارا(٤٨). استهلك قسم من الانتاج محليا وصدر الباقي الى مصر وقدر تومسون الربح من زراعة الحمضيات في الستينات من القرن الماضي بحوالي عشرة في المائة من رأس المال(٤٩). ارتفع ثمن تصدير البرتقال من ميناء يافا من ٢٦،٥ الف جنيه استرليني عام ١٨٨٥ الى ٢٩٧،٧ الفا عام ١٩١٣ (٥٠)، وشجع نجاح تصدير بعض المنتجات الزراعية الملاك الكبار على ادخال الالات الحديثة ، مثل المضخات الالية العاملة على الكاز بدلا من المضخات الهوائية ، واصبح تعدادها بالالاف عام ١٩٠٧(٥١). كما استعمل الملاك الكبار المحراث الآلي لزراعة الاراضي البور وجرى استئجار قسم منها من المستعمرات الاوروبية . واكدت هذه الظاهرة مقدرة الرأسمالية العربية النامية على استعمال الآلة الحديثة ، وتحمل تكاليفها الباهظة . ولم يكن الفلاح محافظا لدرجة انكار ما تراه عيناه من فوائد الطرق الزراعية الحديثة ، غير ان افتقاره الى رأس المال وقف حجر عثرة امام طموحه .

دخل المجتمع الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى في مرحلة جديدة ، تتمثل في بزوغ عصر الرأسمالية وما تعنيه من تراكم لرأس المال وحركية استثماره . وجاء هذا التراكم اثر تطورات ادارية ومالية واقتصادية غيرت العلاقات المادية واعطت المجال لفئات عديدة اهمها الوجاهة التقليدية المتطورة وفئة التجار لاستحواذ هذا التراكم على حساب افقار الفلاحين والحرفيين التقليديين الذين فقدوا اسواقهم لمزاحمة السلع المستوردة لانتاجهم . بدأت الجماهير الفلاحية تنظر بنقمة الى طبقة « الافندية » ترى فيها السلطة المتحكمة بأرزاقهم وذلك من خلال سيطرتها على الادارة الرسمية بطريق مباشر وغير مباشر اي عن طريق الرشوة . وبدأت التجمعات الفلاحية تتخلى عن عزلتها وتتقبل السلع وادوات الانتاج الحديثة وكذلك وسائل النقل الحديثة . واتسع مجال ارتباطها القومي . واسهم تطور الملكية في تحررها من الاقليمية المحدودة ، لكن الارتباط العشائري ظل فاعلا يتمم واجبه في الحفاظ النسبي على الامن .

لم يحقق التطور الرأسمالي هذا تغييرا جذريا في البناء الاقتصادي ، أنجز فقط تصعيدا في التناقض الطبقي نتيجة تعديل نمط الملكية والتي جاءت لصالح اثرياء قطاع الخدمات . فشل الفلاح في ايجاد تنظيم جماعي جديد يحافظ على حقوق الافراد فظل مرتبطا بالنمط العائلي ـ السياسي القديم والمعرض في نفس الوقت للتفسخ بسبب نمو الملكية الفردية والمصلحة الخاصة . لكن هذا النمط التقليدي وجد مبررات لبقائه مثل المواظبة على وظيفته كوسيط بين الفرد والسلطة ، واستمد قسما من استمراريته من بقاء النمط

الانتاجي القروي التقليدي المبني على السلطة الابوية المطلقة ، فظلت في اطار هذا النشاط الاقتصادي ـ الاجتماعي القيم والضوابط التقليدية سارية المفعول . ولم يجد الفرد في تجديد مؤسسات الدولة العثمانية قيما جديدة تحثه على بلورة مفهوم جديد للعمل الجماعي وللمصلحة العامة الاساس السليم لتحقيق رفاهيته الشخصيته وتلمس فيها نفس العداء لحقوقه فأبقى على عدائه لها .

الفلاح العربي والاستيطان الاوروبي : يذكر سيمبسون في تقريره(٥٢) قول احد الخبراء : ان الحراثة العربية ليست اقل مستوى عن انماط اخرى من الحراثة بل تفوقها احيانا ، لكن مشكلتها تكمن في بطء سرعتها . ويؤكد سيمبسون بدوره ان الفلاح العربي ذكي ونشيط وكفؤ في عمله ، قادر في حال توفر راس المال وفي حال اطلاعه على الطرق الزراعية الحديثة على اعطاء احسن النتائج . وبالرغم من صدور هذه الشهادة عام ١٩٢٩ الا انها تتحدث عن الطريقة التقليدية للحراثة والتي حاولنا وصفها باقتضاب . ولم يكن من مصلحة الصهيونية الاعتراف بكفاءة الفلاح لانها بموقفها هذا قد تشجع حكومة الانتداب على تحسين حالته المادية ، وتحرره من الديون ، فلا يتخلى عن ارضه وقد استرجع قسما منها بشرائها من الاقطاعيين خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها مباشرة ، اذ ان الفلاح لا يبيع ارضه بكل سهولة خلافا للاقطاعي خصوصا التاجر الذي لا تربطه بالارض اي رابطة فينظر اليها بمنظار الصفقة . ادركت الصهيونية اكثر من غيرها كفاءة الفلاح وقد استعانت به لاعمار مستعمراتها . كما ان ازدهار المستعمرات الالمانية بني على تمازج الزراعة الفلاحية مع التربية الحديثة للحيوانات اضافة الى تحسين التجهيزات الاولية (الطرق ، الري ...) . سعى الالمان قبل اليهود الى ادخال المحراث الاوروبي لرفع انتاجية الارض لكنهم فشلوا لاختلاف المناخ والتربة(٥٣) .

اعتمد ازدهار القسم الاكبر من المستعمرات الصهيونية على سواعد الفلاحين العرب ، الذين عملوا في البيارات او ساهموا في زراعة الاراضي . أراد المستعمرون اليهود بعد فترة من بدء استيطانهم الزراعي التحرر من العامل العربي بزراعة العنب في المستعمرات التي مولها روتشيلد ، لكن التجربة فشلت لصعوبة التصريف في الخارج وارتفاع معدل الاعتماد على المنتجات الزراعية العربية . كان على الفلاح العربي تعليم المهاجر اليهودي طريقة زراعة الخضار والزراعات الشتوية والاعتناء بالبرتقال وزراعة البطيخ. كان اليهودي المهاجر يفتقر الى قوة الاحتمال نسبة للعمل الحقلي(٥٤)، اذ جاء معظم المستعمرين من المناطق المدينية ومارسوا مهنا غريبة عن الزراعة . واما القسم الاكبر من خريجي مدرستي الزراعة اليهوديتين في فلسطين فقد فضلوا العمل في المدن او الهجرة الى الخارج . لقد طلب رسميا من الفلاحين في كثير من الاحيان تعليم المهاجرين الجدد العمل الزراعي(٥٥). ولم يمارس الصهاينة الزراعة الصيفية لعدم وجود النساء والاولاد القادرين على جني المحصول بسرعة(٥٦). لقد كان تعداد العمال العرب في المستعمرات القديمة يفوق تعداد المستعمرين اليهود(٥٧). وبقي الصهاينة حتى الحرب العالمية الاولى يعتمدون على الخضار العربية .

وقد قبل الفلاحون العرب على مضض بيع الراسماليين للاراضي الى الجمعيات اليهودية ـ الاوروبية وذلك عن طريق يهود عثمانيين . وكان هؤلاء الراسماليون قد حصلوا على هذه الاراضي بالظلم والاستبداد وبنظر الفلاحين ، يعني كل بيع الى مجموعة اوروبية تقييدا او منعا لعملهم في الارض . لكن اعتماد المستعمرين على الفلاحين وزيادة دخل هؤلاء جعلهم يسكتون مؤقتا عن الوضع. على ان رفضهم وتذمرهم الشديدين ظهرا اكثر ضد الصندوق القومي اليهودي الذي نص نظامه الداخلي على رفض اليد العاملة العربية . بدأ الفلاح يدرك مطامع الصهيونية ويستوعب خطرها على مستقبله . وشمل

هذا التذمر قسما كبيرا من فلاحي فلسطين لاستعداد اعداد متزايدة منهم النزوح الى السهول لزراعة الارض هناك بعد استتباب الامن ، كما ازداد الطلب على الاراضي الزراعية اثر الزيادة السكانية الملموسة ، التي شهدتها فلسطين بعد عام ١٨٨٠ ، ولم تتوفر هذه الاراضي في المنطقة الجبلية بسبب استغلال جميع الاراضي الممكنة .

---

١ — W. Pinner, *Wheat Culture in Palestine*, Tel Aviv, 1930, p. 29.

٢ — G. Dalman, *Arbeit und Sitte in Palaestina*, 2nd. ed., Guterloh, 1964, 1/1, p. 175.

٣ — مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، الجزء الثالث ، القسم الثاني « في الديار النابلسية » (٢) ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٠ .

٤ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الاول ، القسم الاول ، ص ٧٥ .

٥ — Anderlind, *Zeitschrift des deutschen Palaestina*, (Z D P V) Vereins, 1885, p. 113.

٦ — W. M. Thomson, *The Land and the Book*, 2nd. ed., London, 1911.
طبعة جديدة ومراجعة من قبل Julian Grande

٧ — A. K. Rafeq, *The Province of Damascus, (1723-1783)*, Beirut, 1970, p. 258.

٨ — C. T. Wilson, *Peasant Life in the Holy Land*, London, 1906, p. 57.

٩ — E. Grant, *The People of Palestine*, 2nd. ed., Philadelphia, London, 1921, p. 43.

١٠ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥٢ — ٤٥٨ .

١١ — T. Ashkenazi, *Les Tribus Semi-Nomade de la Palestine du Nord*, Paris, 1938, p. 23-24.

١٢ — **نفس المصدر** ، ص ٦ — ٨ .

١٣ — J. Finn, *Stirring Times*, London, 1878, p. 22.

من كتاب : A. Bonne, *Palaestina Land und Wirtschaft*, Leipzig, 1932, p. 145.

١٤ — اشكنازي ، **المصدر السابق** ، ص ٩ .

١٥ — H. Auhagen, *Beitrage zur Kenntnis der Landesnatur und der Landwirtschaft* Syriens, Berlin, 1907, p. 46.

١٦ — L. Bauer, *Volksleben im Lande der Bibel*, Leipzig, 1903, p. 295.

١٧ — نبيل ايوب بدران : **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** ، الجزء الاول ، عهد الانتداب ، مركز الابحاث — سلسلة دراسات رقم ٦٣ — بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤ — ٣٣ .

١٨ — Mrs. E. A. Finn, *Palestine Peasantry : Notes on their Clans Warefare, Religion, and Laws*, 2nd. ed., London, 1923, p. 20.

١٩ — حسب فن ، **المصدر السابق** ، كان في منطقة الخليل شريعة خاصة اسمها « شريعة الخليل » ، مما يؤكد قدم علاقة السكان بمقام الخليل والعيش بجواره .

٢٠ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢٣ .

٢١ — اوهافن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٢٢ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثاني ، ص ١٨٠ .

٢٣ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثالث ، ص ٦ ، عن كتاب Elzari - Valconi, *The Fellach's Farm*, Tel-Aviv, 1930, p. 18 and 83.

بالرغم من تحدث الجدول عن العمل الفلاحي في احدى ترى مرج بن عامر وفي العقد الثالث من القرن الحالي ، الا انه يصور الزراعة التقليدية .

٢٤ — بينر ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

٢٥ — باور ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٩ . وكذلك كتاب T. Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, London, 1927.

٢٦ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الاول ، القسم الثاني ، ص ٣٢٥ .

٢٧ — **نفس المصدر** ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٩ .

٢٨ — A. Bonné, *State and Economics in the Middle East,* London, 1948.

٢٩ — عارف العارف : **تاريخ غزة** ، القدس ١٩٤٣ ، ص ١٩١ .

٣٠ — رفيق التميمي ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت** ، ١ — القسم الجنوبي ، بيروت ١٣٢٥ هـ — ١٩١٤ م ، ص ١٠٥ ، ويؤكد الكاتبان ان جشع وقسوة نفر الجندرمة ازدادا بعد الاصلاح الدستوري .

٣١ — ولسون ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٣ .

٣٢ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٣٣ — **نفس المصدر** ، ص ٣٤

٣٤ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٥ وتعليق غراندي في حاشية الصفحة .

٣٥ — اشكنازي ، **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

٣٦ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٣٧ — A. Ruppin, *Der Aufban des Landes Israel,* Berlin, 1919, p. 117.

٣٨ — A. A. Boddy, *Days in Galilee,* London, 1900, p. 31.

٣٩ — التميمي وبهجت : **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

٤٠ — ولسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥ .

٤١ — غرانت ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢١ ، وولسون ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

٤٢ — L. Oliphant, *The Land of Gilead,* Edingburgh, Blackwood, 1880, p. 270.

٤٣ — باور ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٦ و٣٠٢ .

٤٤ — G. Schumacher, *Population List of the Livâ of 'Akka, in Palestine,* Exploration Fund Quarterly (P.E.F.Q), 1887, p. 169.

٤٥ — H. Fischer, *Wirtschaftsgeographie von Syrien,* (ZDPR), 1919, p. 20.

٤٦ — A. Ruppin, *Syrien als Wirtschaftsgebiet,* Jaffa, Berlin, 1916, p. 186.

وبدران ، **المصدر السابق** ، ص ٤١ .

٤٧ — عارف العارف ، **المصدر السابق** ، ص ٢٨٨ ، وصل التصدير في احدى السنين الى ٦٠ الف طن .

٤٨ — Anderlind: (Z D P V) 1888, p. 88.

٤٩ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٧ .

٥٠ — S. Tolkowsky, *The Gateway of Palestine, A History of Jaffa,* London, 1924, p. 184.

٥١ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ . ويذكر تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٥ ، ان بعض الملاك العرب أراد منذ الستينات ادخال المضخات الالية ولكن فشلت التجربة لعدم توفر الكفاءة الفنية القادرة على صيانة الالات .

٥٢ — H. P. Simpson, *Report on Immigration, Land Settlement and Development,* London, 1930, p. 66.

٥٣ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثاني ، ص ١٨٦ .

٥٤ — A. Ruppin, *Der Aufbau des Landes Israel,* **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

٥٥ — K. Navratzki, *Die Judische Kolonisation Palaestinas,* Munchen, 1914, p. 150.

٥٦ — روبين ، **المصدر السابق** ، ص ٢١ .

٥٧ — **نفس المصدر** ، ص ٥١ .

المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة

الدكتور شاكر مصطفى

الذين لا يزالون يذكرون من قصص الطفولة مغامرات روبنسون كروزو يذكرون دون شك المفاجأة التي أصابت الرجل حين فتح عينيه في بعض مغامراته فاذا هو بين شعب من العمالقة يتفحصون هذا المخلوق الصغير الغريب . كل شجاعته وما عرف لنفسه من الطول والعرض انهار فجأة أمام القدم الضخمة التي تزحم قدما اخرى على طول جسده الممدد على الارض . رعب عينيه وهما تصعدان على الارجل القائمة من حوله كالاعمدة المنتصبة في ميدان مكتظ لم يكن يعد له سوى خفقة قلبه من العجز والشلل ... عاد فجأة صغيرا جدا . أصغر بكثير مما كان يخطر بباله ان يكون واضعف بكثير من ان يأتي برد فعل — اي رد فعل ! ان تذكرتم ، اذن فهذا حال الجماعة العربية في فلسطين التي نامت ليل ١٥ مايس ١٩٤٨ اكثرية وفي بلادها ولها المواطنة الكاملة . ثم صحت صباح ذلك الليل على المفاجأة الصاعقة فاذا ارضها التي دفنت فيها عشرين قرنا من الاجداد قد سحبت من تحتها واذا هي اقلية مشلولة مطوقة ثم اذا تسلط اجنبي صهيوني يتعملق حولها في كل الافاق ويتكاثر بسرعة لا تعرفها كل قوانين الديموغرافيا والجغرافية البشرية .

مأساة اللاجئين التي نعرف حول فلسطين ، لها وجهها الاخر ضمن فلسطين نفسها حتى الان . وهذا الوجه كثيرا ما ننساه . المأساة لم تكن على جانب واحد ولكن كانت على الجانبين خارج الحدود وداخل الحدود — ان الرواية لم تتم فصولا ! واذا عاش مليون من اللاجئين العذاب اللاانساني منذ ثلاث وعشرين سنة خارج وطنهم فان ربع مليون اخر منهم (أضحوا الان ٣٦٠ الفا) قد عانوا العذاب اللاانساني نفسه على اشكال اخرى تحت احتلال العدو .

بعض اشكال ذلك العذاب مصادرة الاراضي العربية وغصبها من أصحابها . فمجموع ما اغتصبته اسرائيل من الاراضي حتى نهاية ١٩٦٩ وعيون اهله تنظر : مليون وربع مليون دونم من ارض الزراعة . وبعض اشكال ذلك العذاب الحكم العسكري المباشر الذي طبق منذ سنة ١٩٤٨ في المناطق الثلاث التي يتجمع فيها العرب الجليل والمثلث والنقب وأقل حدود هذا الحكم المنع من مغادرة المنزل من غياب الشمس حتى الشروق ، ومنع مغادرة القرية الا بتصريح ، ومنع التجمع . ومع ان الحكم العسكري الغي قانونا سنة ١٩٦٦ الا انه لا يزال ساري المفعول ضد كل من تتوجس السلطات من حركته اي خيفة . انه يجمد فورا او ينفى ان لم يرافق ذلك نسف منزله. وبعض اشكال ذلك العذاب ايضا عملية الحريات ومن حقوق الانسان الاولى وتعمد التمييز الطائفي والعنصري والاهمال العمد في توفير الخدمات العامة وتفاوت الاجور والحقوق بين العمال العرب واليهود . هذا والجماعة العربية دون قيادة لان قياداتها هاجرت كلها دون برنامج للغد لانها كانت وما تزال الى الان — دون غد . وبعض اشكال ذلك العذاب ايضا عملية التعليم : معلموها وطلابها والمناهج والتخطيط التهويدي الكامن وراء كل ذلك .

ان البحث في امر المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة لا يمكن في الواقع ان يفهم الا في اطار هذه الخلفية من العذابات المختلفة وعلى ضوئها . ان سياسة اسرائيل الصهيونية مع اولئك العرب الذين تشبثوا بالارض والوطن لا يغادرونهما، هي خطة متكاملة الحلقات وان تكن مئوية الوجوه. ومن اي الدروب اتيتها وجدت أنها تنتهي في نقطتين : تهويد الارض المحتلة بمحو كل ما يشير

الى الوجود العربي فيها ، واحلال الوجود اليهودي بالمقابل محله . وسلب الانسان العربي في فلسطين — وخارج فلسطين ايضا — اي قدرة او تفكير في رفض الامر الواقع ، هو نوع من عملية الشلل المنظم بمختلف الوسائل . واذا كانت اسرائيل عن طريق ثلاث حروب سنة ٤٨ وسنة ٥٦ وسنة ٦٧ وعن طريق تأييد دولي لم يعرف العالم له شبيها من قبل قد استطاعت في الظاهر ، أن تفرض على الانظمة العربية المجاورة لها نوعا من الاعتراف الواقعي بوجودها في فلسطين فانها كانت بالطبع اقدر على فرض نفسها وسياستها على البقية الباقية من عرب فلسطين الذين وقعوا تحت احتلالها .

وقد حققت اسرائيل ذلك في الواقع ، عن طريق تلك الدوائر الخاصة التي انشئت منذ الايام الاولى في معظم وزاراتها وادارتها تحت اسم : « ادارة الشؤون العربية » . « هذه الادارات تطورت بسرعة مذهلة حتى أصبحت مع الزمن جهازا خاصا ذا مصالح بسياسية واقتصادية واجتماعية ... واضحى له ممثلون في جميع المؤسسات وخاصة في الصحافة . اما قوائم عملائه فهم عصبة من المحرضين المعروفين بأسم (خبراء الشؤون العربية) يعملون فيه مع بعض العرب مقابل الرفاه المادي والجاه وملء الجيوب . ويأتي في رأس القائمة مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية يمسك بيده معظم المفاتيح . أما المفاتيح الاخرى التي تدير هذا الجهاز المتخصص ، فشبكة من المنظمات المتعاونة يشترك فيها الجيش عن طريق الحكم العسكري وحزب المباي عن طريق اجهزته السياسية المختلفة والنواب العرب التابعين له ، كما تشترك دوائر المخابرات وخاصة منها دائرة « الشين بيت » دائرة الامن الداخلي ومقاومة التجسس ودائرة التحقق . وتشترك الى هذا وذاك الدائرة العربية في اتحاد العمال (الهستدروت) ». ان شئت فانظر تفصيل ذلك لدى الاستاذ صبري جريس في كتابه « العرب في اسرائيل ». (نشر مركز الابحاث في م. ت. ف.). هذا الجهاز هو الذي يسلب الارضين ويقف وراء الحكم العسكري وينظم لا القوائم الانتخابية للعرب او تصاريح العمل ولكن حتى مباريات كرة القدم عن طريق الهستدروت ونشر شعر الغزل عن طريق صحيفة المرصاد ، وهي تصدر عن المابام .

ويشكل التعليم احد الركائز الاساسية لنشاط هذا الجهاز وتطبيق عمليتي التهويد والشلل على العرب الذين فوجئوا في اللحظات الاولى لانشاء اسرائيل على حالة من الاستسلام المشلول فاستغل الجهاز « اياه » وضعهم هذا أوسع استغلال . ولعلنا نستطيع ان نعرض الموضوع في اربعة مظاهر على اساس الاقانيم الاربعة التي تتمثل بها العملية التعليمية — التربوية : المعلم والتلميذ والمدرسة ومناهج الدراسة . ثم نحاول في نقطة خامسة اخرى تقصي ملامح السياسة الصهيونية التعليمية من خلال كل اولئك .

ونسجل منذ البدء ملاحظتين اساسيتين : الاولى : ان هذه المحاولة تتناول بالدراسة عرب الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ فقط . الثانية : ان هؤلاء العرب كانوا اول ايام اسرائيل أقل قليلا من ٢٠٠ الف (وان سجلتهم الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ١٥٨ الفا). ثم تزايد الرقم الاحصائي الرسمي فبلغ ١٨٨،٨ الفا سنة ١٩٥٤ ثم ٢٠٩ آلاف سنة ١٩٥٧ ثم ٢٣٤ الفا سنة ١٩٦٠ ثم ٢٦٨،٤ سنة ١٩٦٣ ثم ٢٩٣ الفا سنة ١٩٦٥ ثم ٣٢٩ الفا سنة ١٩٦٧ ثم بلغ في نهاية سنة ١٩٧٠ حسب الارقام الاخيرة : ٣٥٨،٧ الفا .

المعلم

حرب مايس سنة ١٩٤٨ لم تغير المجتمع العربي في فلسطين ديمغرافيا فقط فتمسخه بغتة الى المسدس ولكنها غيرته اجتماعيا كذلك، فمعظم الذين هاجروا كانوا من سكان المدن بينما كان معظم الباقين من سكان الريف في الجليل والمثلث ومن البدو في النقب وهذا الوضع لم يحرم هؤلاء فقط من القيادات السياسية والفكرية ولكن حرمهم ايضا من القوى التعليمية التي كانت مراكزها الاساسية في المدن كما حرمهم الاتصال بهذه المدن التي تحولت فجاة الى مدن عدوة مغلقة بالاحتلال المفاجيء لها من قبل القوى والجموع الغريبة . وكانت المشكلة الاساسية التي واجهت هؤلاء العرب في نهاية صيف سنة ١٩٤٨ عند بدء العام الدراسي هو البحث عن معلم لمدرسة القرية . معظم المتعلمين ومنهم المربون كانوا قد هاجروا بينما وجدت القوى الصهيونية في هذه المجموعة الصيد السهل المستسلم .

ونقص القوى التعليمية « المؤهلة » « الاكاديمية »

الذي استهل به التعليم العربي في الارض المحتلة مسيرته سنة ١٩٤٨ ما يزال الى اليوم قائما . المعلم هو النقص الاساسي هناك : عددا من جهة وكفاية من جهة اخرى . وقد باتت هذه المشكلة مفضوحة للدرجة التي لم تجد حتى النشرات الاعلامية الاسرائيلية مناصا من الاعتراف بها(١) كما ان الباحثين الصهيونيين المتعصبين امثال بنتوتش لم يستطيعوا بدورهم تجاهلها(٢). ولعل الارقام الواردة في آخر المقال تكشف جانبا منها :

١) ان مجموع المعلمين في التعليم الابتدائي العربي في الارض المحتلة يتوزع كما في الجدول رقم (١). ٢) ويتوزع هؤلاء المعلمون من حيث الجنس كما في الجدول رقم (٢) . ٣) ويتوزع هؤلاء المعلمون من حيث العمر كما يتضح من الجدول رقم (٣) . ٤) ويتوزع هؤلاء المعلمون حسب الطوائف كما في الجدول رقم (٤) . ٥) ويتوزع هؤلاء حسب درجة الكفاية والخبرة في التدريس كما في الجدول رقم (٥) . ٦) والجدول رقم (٦) يكشف بعض الارقام والنسب في عدد المعلمين العرب واليهود .

ونستطيع ان نسجل من خلال هذه الارقام الاحصائية عددا من الملاحظات الهامة :

الاولى : ان عدد المعلمين العرب (وفيهم بعض اليهود المهاجرين من البلاد العربية) يبلغ ١٨٣٠ معلما فقط لـ ٣١٢،٥٠٠ مواطن سنة ١٩٦٦ — ٦٧ وكان الرقم قبل سنتين فقط ينقص عن ذلك مائتي معلم بينما عدد المعلمين اليهود في الفترة نفسها هو (٣٤٠٢٥) معلما ثم (٣٩١٤٨) معلما لمليوني ساكن . وهذا يعني ان ثمة خمسة معلمين لكل الف من السكان العرب مقابل ٢٠ معلما تقريبا لكل الف مستوطن يهودي . ومع ان العرب يشكلون ١١،٥٪ من مجموع السكان في الارض المحتلة فان نسبة المعلمين منهم الى مجموع المعلمين قد هبطت الى ٤،٥ ٪ .

الثانية : ان نسبة غير المؤهلين من معلمي العرب ظل بعد عشرين سنة من قيام اسرائيل يبلغ نصف المعلمين عامة وقد كان الرقم قبل ذلك بسنتين يبلغ ٥٥،٢ ٪ ذلك ان السلطات الاسرائيلية ما اهتمت منذ الايام الاولى بسد صفوف المدارس العربية بالمؤهلين وتهيئة المزيد منهم ، لم تستخدم من الجامعيين (الذين تحسبهم على الجامعة المؤهلة) سوى عدد محدود جدا ١٥ او ٢٦ من اصل ١٦٢١ و١٨٣٠ معلما على التوالي .

الثالثة : ان المعلمين العرب السابقين لقيام الدولة الاسرائيلية يمكن ان تعرف اعدادهم من خلال الجدولين ٣ و٥ .

وهذا يعني بصورة عامة انه لم يبق من الجهاز التعليمي العربي في فلسطين سنة النكبة سوى حوالي ٢٥٠ — ٢٧٥ معلما فقط ولم يكن هؤلاء بالطبع يكفون حاجة المدارس العربية الموجودة ولا حاجة التوسع الذي توسعته تلك المدارس سنة بعد سنة . وقد عمدت السلطات الاسرائيلية الى سد هذا النقص باعداد من خريجي المدارس الثانوية وطلابها ومن المتعلمين غير المؤهلين الذين لا ينتخبون على اساس الكفاية والتفوق بل على اسس مستنكرة وعجيبة كاقرار الحكم العسكري ووزارة الدفاع تعيينهم او محسوبيتهم على بعض العناصر المتعاونة المعروفة او قرابتهم العائلية . واستمر الوضع على هذا الشكل ثماني سنوات دون اي محاولة جدية لحل المشكلة الى ان فتحت السلطات الاسرائيلية في سنة ١٩٥٦ دار المعلمين العرب في يافا . وهي دار اعدت لتدريب المعلمين والمعلمات ومعلمات رياض الاطفال في المدارس الابتدائية العربية خلال ثلاث سنوات بعد الثانوية لكن هذه الدار ظلت سنوات لا تستوعب اكثر من ٥٠ الى ٦٠ طالبا . والجدول رقم (٨) يعطي فكرة عن اعداد الطلاب في هذه الدار مقارنة بما يقابلها لاعداد المعلمين اليهود .

ونلاحظ في الجدول رقم (٨)(٣): **اولا** : ان رقم الطلاب العرب ارتفع ما بين السنة الدراسية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وبين السنة التالية لها من ٢٠٨ طلاب الى ٣١٦ بزيادة ٥٢٪ وما ذلك الا لان المخطط الصهيوني رأى ان يهيىء سلفا زيادة من المعلمين العرب يستخدمهم في المناطق التي احتلها مجددا سنة ١٩٦٧ . **ثانيا** : ان رقم الطلاب اليهود تراجع ما بين ١٩٦٧ — ٦٨ وسنة ٦٩ والسبب في ذلك توجه الشباب للحرب ضد العرب والسبب نفسه هو الذي جعل رقم الطالبات يبلغ ٥٢٢٨ من اصل ٥٩٩٤ اي ٧٦،٨٪ . **ثالثا** : ان السلطات الاسرائيلية تهيىء لكل الف من المواطنين العرب في احسن الاحوال وحسب ارقام سنة ٦٧ وسنة ٦٨

معلما واحدا بينما تهيىء للسكان اليهود ٣،٢٥ معلمين لكل الف منهم .

وقد يبدو ان فتح دار المعلمين العربية في يافا كان عملا ايجابيا من السلطات الصهيونية ولكن الواقع العملي يكشف ان هذه الخطوة انما كانت في اطار التخطيط الصهيوني العام وهدفها : ـ ١) انتاج من يخدم الخطط الصهيونية في ميدان التربية والتعليم من العرب انفسهم ليكون تقبلها اسهل واسرع على المجموعة العربية . ٢) قطع الطريق على اي شكوى قد تصدر من العرب بانهم اهملوا والحيلولة دون اعطاء المبررات لاي تمرد بينهم وابقائهم مربوطين بعجلة السلطات الاسرائيلية باقامة جسور من المتعلمين العرب بينهم وبين تلك السلطات . ٣ ـ التحكم في توجيه المجموعة العربية تحسبا من الانفجار الديمغرافي الذي تدل عليه مؤشرات الزيادة في السكان والغاء اي دور يمكن ان تلعبه تلك الزيادة في المستقبل لتهديد كيان اسرائيل . فمدرسة المعلمين ليست في الواقع سوى مدرسة « تانيس » و« تطبيع » للشباب العربي تمسح نتوءاته وتخدر مقاومته وعوامل « التسطيح » التي تمارسها الصهيونية لسحق الانسان العربي في الارض المحتلة هي في دار المعلمين عملية منهجية منظمة غرضها الاساسي الوصول الى آلات تعليمية طيعة فان لم تنجح هذه السياسة كمرحلة اولى فان المرحلة الثانية بعد التخرج جاهزة بما فيها من سياسة الاذلال والتجويع ثم التهجير الاضطراري والدليل الاساسي على ذلك كله تحكيه الارقام نفسها .

ان عدد المتخرجين من هذه الدار قد بلغ في مدى عشر سنوات منذ سنة ٦٠/٥٩ حتى ٦٩/٦٨ قرابة ١١٠٠ معلم مؤهل فاذا اضفنا اليهم المعلمين المؤهلين قبل النكبة وهم حوالي ٢٥٠ ـ ٢٧٥ كان مجموع من يجب توفرهم في التعليم الابتدائي العربي من المؤهلين هو بين ١٣٥٠ ـ ١٣٧٥ معلما ولكن الاحصاء يعطينا رقما آخر في الجدول رقم (١) هو ٨٨٩ معلما مؤهلا فقط وهذا يعني هنا ان حوالي ٤٦٠ ـ ٤٨٥ معلما مؤهلا قد ضاعوا بين فترة التخرج والخدمة التعليمية الفعلية بمعدل ٤٦ الى ٤٨ معلما كل سنة . ولا حاجة لان نفتش عن مصير هؤلاء الذين يشكلون ٤٣٪ من متخرجي الدار و٥٢٪ من المؤهلين العاملين . لقد ابعدوا عن التعليم في عملية ما بعد التخرج التي تبدأ بالاذلال وتنتهي بالتهجير الاضطراري ، او احيانا بالنفي .

وخريج دار المعلمين عاجز مبدئيا عن العمل خارج نطاق التعليم . فاذا اجتاز المصاعب التي توضع في وجهه للفوز بالتعيين والتي يشترك في تفحصه فيها الحاكم العسكري وعميل المخابرات وأنصار حزب الماباي وحصل على اذن الهستدروت ، دخل عند ذلك دوامة الرعب والارهاب التي تمارسها ضده اجهزة وزارة التربية والتعليم وتسهم فيها كذلك الادارة العربية لنقابة المعلمين اليهود. سيف الحرمان من الرزق والعيش هو اول الاسلحة المسلطة قبل التعيين وبعده ثم يتدرج الضغط الى التحقيق من قبل السلطات عند كل ريبة واثبات الوجود في مخفر الشرطة كل يوم والاقامة والاستغناء عن الخدمات تعسفيا والاقامة الجبرية في المنزل منذ مغيب الشمس حتى الشروق . ثم السجن الاحتياطي او النفي الى بلد آخر في فلسطين او خارج فلسطين والشعار الاساسي في كل تلك المراحل « لا تفكر في غير خدمتنا » يغتفر للغامل في التعليم كل شيء حتى العجز المسلكي ما دام يرضي السلطات ويخدمها أما التفكر السياسي خارج الاطار الصهيوني فهو الجريمة الكبرى .

واذا كان هذا حال المعلمين المختصين الذين تعدهم السلطات في دار المعلمين بعد مراحل من التدقيق فما حال المعلمين غير المختصين ؟ وما حال حملة الشهادة الثانوية او ما دونها ممن يصنفون كغير مؤهلين درجة II ودرجة أ ودرجة ب ؟

من الصعب الحصول على ارقام الذين سرحوا منهم او استبدل بهم غيرهم ثم استبدل بهؤلاء آخرون . ولكن خضوعهم للشروط نفسها وعدم تمرسهم السابق بعملية التطويع القسري في دار المعلمين تجعل اعداد المسرحين منهم على مر السنوات عدة آلاف وتجعل نسبة المغضوب عليهم سنويا كبيرة تصل حتى ٥٥ ـ ٦٠ ٪ من المجموع ومن يبقى منهم في التعليم رغم ذلك كله يبقى حيث كان دون امل في تغيير وضعه لان من خطوط السياسة الصهيونية عدم تمكين هؤلاء بدورهم من الحصول على شهادات تعليمية اختصاصية او الظفر بأي تحسين في الوضع المعيشي . ويمكن ان نلاحظ التخطيط الصهيوني المتعمد لابقاء المدارس العربية في مستوى منخفض دون معلمين مختصين من مراقبة

عدد المتخرجين من دور المعلمين العربية واليهودية.

فقد تخرج من المعلمين اليهود خلال عشر سنوات ١٩٥٩ — ١٩٦٨ ما ينيف على ١٧٣٠٠ منهم ١٦٠٠ (٦٣ — ٦٤) و٢٠٠٠ (٦٤ — ٦٥) و٢٣٠٠ (٦٥ — ٦٦) و٢٠٠٠ (٦٦ — ٦٧) و٢٥٠٠ (٦٧ — ٦٨) و٢٤٠٠ (٦٨ — ١٩٦٩) . اي بمعدل ٨،٦ معلم لكل الف نسمة بينما تخرج من العرب واستخدم في الفترة نفسها (١١٠٠ متخرج — ٤٦٠ مسرحا) = ٦٤٠ معلما مؤهلا اي بمعدل ٢،١ معلم لكل الف من السكان في المتوسط .

ويضاف الى هذا الوضع العام امور اخرى تشكل الاطار الرهيب للوضع المعيشي بالنسبة لاي مثقف عربي .

١) ان شروط العمل التي تحكم العمال العرب تحكم بدورها المعلمين منهم من تسجيل وتصاريح عمل ورضى سلطات ، وفي النهاية اجور متدنية عن اجور اليهود . ان المعلمين هناك معتبرون من العمال . وجوابا على سؤال اثير في الكنيست بتاريخ ١٩٥٢/١/٢٨ اعترف وزير التربية والتعليم بأن المعلم اليهودي العازب ، حامل شهادة الدراسة الثانوية وشهادة دار المعلمين يقبض ٦٩ ليرة اسرائيلية في الشهر (كانت الليرة تعادل الجنيه الاسترليني) في حين ان المعلم العربي الذي يحمل الكفايات نفسها مع الخبرة يتقاضى فقط ٤١ ليرة في الشهر اي بنقص يعادل ٤٢،٨٪ عن زميله ويتقاضى المعلم اليهودي العازب حامل شهادة الصف الثامن الثانوي ٥٩ ليرة في الشهر في حين يتقاضى مثيله العربي ٣٦،٥٠ ليرة . وما يزال هذا التمييز العنصري الفاضح قائما بالنسبة نفسها الى اليوم رغم محاولة الهستدروت احتواء العمال العرب واستغلال اصواتهم الانتخابية وكثرتهم العددية. ولنلاحظ ان عدد العمال العرب في الخدمات الصحية والتربوية والاجتماعية والدينية والقضائية لا يشكل الا نسبة ضئيلة جدا من مجموعهم فقد تركت السلطات اليهودية لهم الاعمال الصعبة من قطع حجار وبناء طرق وزراعة وتحريج ويمكن ان ناخذ فكرة عن هذا الوضع في الاحصاء التالي : في سنة ١٩٥٤ كانت نسبة العاملين في التربية والصحة وغيرها من العرب ٤،١ ٪ ثم ارتفعت سنة ١٩٥٨ الى ٥،٩ ٪ ثم عادت فانخفضت سنة ١٩٦٢ الى ٣،٥ ٪ ثم ارتفعت سنة ١٩٦٥ الى ٤،٢ ٪ . بينما نسبة العمال العرب المستخدمين في الزراعة والتحريج وصيد السمك في هذه السنوات نفسها كانت بالترتيب : ٥٩،٩٪ ، ٤١،٩ ٪ ، ٥٣،١ ٪ ، ٥٨،٣ ٪ . ونجد بالمقابل ان نسبة العمال اليهود في الخدمات التربوية والصحية وغيرها تبلغ في الفترات ذاتها ما يلي : — بالترتيب ١٠،٣ ٪ ، ١٤،٥ ٪ ، ١٥ ٪ ، ١٨،٣ ٪ اما نسبتهم في الاعمال الزراعية والتحريج والصيد فهي : ١٤،٧ ٪ ، ١٥،٧ ٪ ، ١٢،٤ ٪ ، ١١،٢ ٪ .

٢) يتبع هذا ان فرص العمل ، في الوظائف العامة او الخاصة للعربي محدودة جدا وهم عمليا محرومون من دخول القطاع الوظيفي وهو موقف سلبي انما تتعمده السلطات بالطبع ضد المثقفين العرب ، ضمن مخطط الاذلال والتجويع وتوفير اليد العاملة غير الخبيرة للصناعة اليهودية . ولو اخذنا احصاء وسطا لموظفي الدولة فيما بين فترة انشائها سنة ٤٨ وسنة ١٩٧١ لوجدنا ان من بين ٤٨،٧٩٢ موظفا حكوميا في سنة ١٩٦١ كان الموظفون العرب لا يزيدون عن ٥٠٠ فقط ، وفي المناطق العربية بالذات ، اي انهم لا يشكلون سوى ١ ٪ تقريبا من مجموع الموظفين في حين ان السكان العرب يبلغون ١١ ٪ من مجموع سكان الدولة حسب كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل سنة ١٩٦٣(٤) وهكذا فلا سبيل لان يجد المتعلم العربي، في غير مجال التعليم فرصة للعمل .

٣) ويتصل بهذا ايضا سلسلة اخرى من المحرمات والقيود فالمناطق غير العربية مغلقة على المعلمين العرب وعلى تلاميذهم فهم محرمون من رؤية وطنهم او الحركة فيه الا بتصاريح رسمية محرمون من اي نشاط حتى الرياضي منه او الاجتماعي او الفكري الا ان نظمت ملعب الكرة الادارة العربية في الهستدروت او رعت المهرجان الشعري نقابة المعلمين اليهود او نظمت لجان الغاء المهور حلقات حزب المباي ، او نشرت الشكوى صحيفة (المرصاد) او (اليوم) او كتبت نص المحاضرة احيانا دوائر لجنة الدعاية المركزية في الهستدروت. والمعلم العربي الى هذا وذاك معزول عن ثقافة أمته العربية عزلة قاسية فهو محروم ان يفهم تاريخه العربي ويدرسه كما شاء كعماد قومي، محروم ان يفهم دينه (الاسلامي او المسيحي)

ويدرس نصوصه كما يجب لها من الدراسة كركن روحي ، محروم من ممارسة ادبه ولغته . حتى اللغة فان التلاميذ العرب يتخرجون الان وهم لا يجيدون اقامة جملة سليمة فيها بينما يعتبرون من العيب ان يسقط احدهم باللغة العبرية . وحتى الشعر المقاوم فان له حدوده التي يجب ان تظل في اطار الرمز واللغة العربية لا يجاوزهما : ذات مرة سنة ١٩٦٠ قام الادبـاء العرب في الارض المحتلة بمحاولة لها معناها : فقد انتهزوا فرصة وجود الكاتب اليهودي بنيامين تموز معهم في احدى المناسبات الادبية ، وهو الذي يقدم نفسه صديقا للعرب فعقدوا معه حلفا شفويا يجعل مـن بيته منتدى لالقاء الشعر يدعون اليه من يشاؤون . وكانت التجربة محزنة . فقد ابدى اعجابه بقصيدة القاها معلم عربي شاعر يصف تدمير الصهيونيين لقرية سنة ١٩٤٨ فترجم القصيدة للعبرية ونشرها. وقدم المعلم العربي على الفـور للمحاكمة بتهمة العداء للدولة . واقيل طبعا من عمله التعليمي . ولم ينبر اي كاتب يهودي للدفاع عنه حتى ولا « تموز »(٥).

التلاميـذ

الارقام البكماء ليس اكثر منها بلاغة وصدق تعبير . ولعله من الضروري ان نقـدم بعض الاحصاءات الاساسية قبل ان نسجل اي ملاحظة حول تربية النشء العربي في الارض المحتلة .

(١) عدد من كانوا في سن ٥ — ١٤ مـن العرب واليهود في الفترة المتوسطة بين سنتي ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٩ مقارنا بعدد من كانوا فعلا في رياض الاطفال والدراسة الابتدائية(٦).

من خلال الجداول الاحصائية (من رقـم ٩ — ١٤)(٨) نستطيع ان نكشف استراتيجية التجهيل « المتعمد » في المخطط الصهيوني ونكتفي في هذا السبيل ببعض الملاحظات :

١) بالرغم من وجود قانون التعليم الالزامي للصغار فان السلطات الاسرائيليـة لا تهتم اي اهتمـام بتطبيقه في المناطق العربية . وقد نجم عن ذلك ان ما يتراوح بين ربع وثلث الاطفال في سن المدرسة لا يرونها ، وهذه النسبة التي استمرت واضحة بين سنتي ١٩٦٠/١٩٥٠ تقلصت نتيجة الشكوى المتزايدة والضغط السياسي من الكتلة العربية لا سيما في فترات الانتخابات وتحول الرقم بالتدريج الى ما بين الربع والخمس . والرقم الاخر المسجل لاحصاء ٦٧/٦٦ يسجل مع ذلك بقاء حوالي ١٦٪ من الاطفال دون فرصة التعليم ولعلنا ننبه هنا الى ملاحظتين : — **الاولى** مساهمة المدارس الخاصة غير الحكومية في امتصاص اكثر من ١٥٪ مـن الاطفال في اعمار المدرسة من الشارع (١٣٠٨ الفا من اصل ٨٩ الفا) . **الثانية** ما قد يكون في الرقم الحكومي (٨٥ ٪) من جانب دعائي يقصد الى قطع دابر الشكوى العربية بعد أن افتضحت خطة الاهمال والتجهيل .

٢) ان الجدول رقم (١٤) الذي يعطي هذه النسب يعطي هو نفسه نسبة اخرى اكثر تعبيرا هي ان من يدخل الدراسة الثانوية مـن الفتيان العرب لا يجاوز في اعلى الارقام الاخيرة لسنة ١٩٦٧/٦٦ حوالي ٢٢٧٠٨ في الالف . اي اكثر قليلا من الخمس اما الاخماس الاربعـة الاخرى فتعود عمالا في الحقول والمصانع . وكانت النسبة من قبل (وحسب الجدول نفسه سنة ١٩٦١ — ١٩٦٢) لا تزيد عن ١٧ ٪ ويبقى ٨٣ ٪ من التلاميذ طعاما لحاجات المحراث والالة .

٣) ونجد في الجدول رقم (٩) تعبيرا آخر عن عملية التجهيل مقارنة بما يوفره اليهود لابنائهم من علم فالارقام في ذلك الجدول اخذت في الفترة المتوسطة من حياة اسرائيل بين سنتـي ٥٥ — ١٩٥٦ ، ٦٣ — ١٩٦٤ من جهة وفي الفترة المتوسطة من حياة الطلاب بين الدراستين الابتدائية والثانوية ومقارنة النسب في الجدول كافية لتكشف أنه : بينما كان ٦٠ ٪ من فتيان العرب خارج المدرسة في سنة ٥٦/٥٥ لم يكن امثالهم من اليهود في اعمارهم يجاوزون ٨٠٦ ٪ وبالرغم من ان النسبة تحسنت بعد سنوات فاننا نجـد خارج اسـوار المدرسة في سنة ٦١/٦٠ ما يعادل ٤٣٠٥ ٪ مـن الشباب العرب يقابلهم ٢٠٥ ٪ فقط من اليهود وفي سنة ٦٤/٦٣ يزداد الشباب اليهود قليلا الى ٦٠١ ٪ ولكن العرب يظلون ٤٠ ٪ .

٤) ونستطيع من خلال الجدول رقم (١٠) مع بعض الارقام الاضافية ان نتبين عملية « طرد » العربي من المدرسة من خلال مراقبة المسيرة لدفعة واحدة من التلاميذ خلال الدراسة الابتدائية والثانوية خاصة . ففي سنة ١٩٤٩/٤٨ دخل الصف الاول الابتدائي ٢٠١٢ تلميذا وقد وصل هؤلاء الدراسة

الثانوية فلم يدخلها منهم سنة ٥٦ــ٥٧ سوى ٣٠٥ طلاب فقط . وقد نجح من هؤلاء في الشهادة الثانوية ٥٣ طالبا فقط في سنة ١٩٥٩ ــ ٦٠ ثم كان في الجامعة كلها تلك السنة ١١٥ طالبا عربيا وفي دار المعلمين ١١٧ طالبا . وفي سنة ٥٢/٥١ دخل الابتدائي ٥٦٩٢ فلم يدخل منهم سنة ٦٠/٥٩ الى الثانوي سوى ٤٥٧ ونجح منهم في الثانوية ٧٦ فقط سنة ٦٣/٦٢ وكان في الجامعة فقط ١٥٢ طالبا وفي دار المعلمين قريب من ذلك . وفي سنة ٥٧/٥٦ دخل الابتدائي ٤٣٢٦ تلميذا فلم يدخل منهم سنة ٦٥/٦٤ في الصف التاسع الثانوي سوى ٧٣٢ فقط ونجح في الثانوية في سنة ٦٨/٦٧ ما عدده ٨٢ فقط . ومجموع من كانوا في الجامعات حوالي ٢٤٠ طالبا فقط واما من دار المعلمين فكان المجموع ٣١٦ طالبا.

ولعله من الضروري ان نلح على هذه النقطة بعض الالحاح ايضا ونراقب عملية « الطرد » للطالب العربي في شكلها الاحصائي الموضوعي . وانا لنستطيع ذلك من خلال الجداول رقم (١٥ــ١٩) المستخلصة من بحث علمي نشره الاستاذ صالح عبدالله سرية في مجلة الجامعة المستنصرية ١٩٧٠ معتمدا على المجموعات الاحصائية السنوية لاسرائيل ما بين سنتي ١٩٥٨ و١٩٦٨ . فلو راقبنا تحرك الدفعات المتتالية للطلبة العرب دفعة دفعة خلال مرحلة الدراسة الابتدائية يتبين لنا الفرق بين اعدادهم سنة الدخول للمدرسة الابتدائية واعدادهم في السنة الثامنة سنة الدخول للثانوي كما في الجدول رقم (١٥) الذي جرى تنظيمه على اساس النسبة المئوية لعدد كل من الطلبة العرب واليهود سنة دخول المدرسة(٩). (مع ملاحظة ان الزيادة الموجودة لدى اليهود فوق النسبة المئوية ناجمة عن اولاد المهاجرين الجدد) .

اما في المدارس الثانوية فان عملية « الطرد » تنكشف بشكل اكثر وضوحا وقسوة لا سيما حين نقارن عدد الطلبة العرب واليهود فيها والجدول رقم (١٦) **اولا** يكشف نسبة عدد الطلاب العرب الى اليهود في الدراسة الثانوية خلال عشر سنوات . والجدول رقم (١٧) **ثانيا** يكشف النسبة !لمقارنة بين عدد الطلاب من العرب واليهود في انتقالهم من مرحلة التعليم الابتدائي الى الثانوي .

فنسبة عدد الطلاب في الصف التاسع (الثانوي) الى عدد الطلاب الموجودين في السنة السابقة في الصف الثامن الابتدائي، هي كما في الجدول رقم(١٧). والجدول رقم (١٨) **ثالثا** يكشف النسبة المئوية بين عدد من دخل الصف التاسع الثانوي وبين من وصل الصف الثاني عشر بعد ثلاث سنوات

وقد تبدو النسبة اليهودية منخفضة في هذا الجدول ولكنا يجب أن نلاحظ مع زيادتها الواضحة والدائمة على النسبة العربية انها تظهر منخفضة بسبب تحول ثلث الطلاب اليهود الى المدارس المهنية المختلفة في هذه المرحلة التعليمية وهي مدارس وانواع من التعليم غير متاحة للطالب العربي . وهذا يعني أن الفرق في النسبة بين الطلاب العرب واليهود الذين يتمون الدراسة الثانوية هي أكبر بكثير مما يكشفه الجدول وتزيد بصورة عامة حوالي ٢٥٪ .

ويكفي بعد هذا كله أن تكشف الجداول المتتالية أن ثلثي الطلاب العرب الذين ينهون الدراسة الابتدائية محرومون من الدراسة الثانوية .

٥) فاذا انتقلنا الى التعليم الجامعي كانت الارقام اكثر فضيحة ورهبة : الجامعة الاساسية التي ينتسب اليها الطلبة العرب في اسرائيل هي الجامعة العبرية في القدس ولا يكاد يوجد عربي في غيرها من مثل جامعة تل أبيب أو معهد وايزمن في روحوبوت او التخنيون في حيفا وجامعة بارايلان والمعهد الصحراوي في بئر السبع . وعدد هؤلاء الطلاب العرب في الجامعة العبرية كان كما في الجدول رقم (١٩) .

فاذا غضضنا النظر عن رفض قبول الطلاب العرب في الكليات العلمية واجبارهم على توجيه دراستهم الجامعية الى النواحي النظرية والادبية والدراسات الشرقية فان فضيحة الارقام تكفي : لا يصل التعليم العالي من ٣٥٠ الف انسان سوى ٢٥٠ فردا فقط اي أقل من ثلثي الواحد في المائة . وتتضح معالم الصورة خاصة في الجدول التالي الذي يتصل بالتعليم العالي والتمييز العنصري الفاضح فيه : ففي سنة ٦٧/٦٦ كان طلاب الجامعات اليهود ٢١٧٥٦ طالبا منهم ٣٧٩١ في الهندسة و ٣٦٣٤ في العلوم . وفي سنة ٦٨/٦٧ كان طلاب الجامعات اليهود ٢٥٥٤١ طالبا منهم ٤٢٧٢ في الهندسة و٤٢٠٩ في العلوم والرياضيات . وفي سنة ٦٩/٦٨ كان طلاب الجامعات اليهود ٢٩٢٠٥ طلاب منهم ٤٦٢٦ في الهندسة و٤٦١١ في

العلوم والرياضيات . اما الطلاب الجامعيون العرب في هذه الفترات نفسها فكانوا بالترتيب ٢٥٠، ٢٧١، ٢٨٣ طالبا فقط كثرتهم الكبرى في العلوم الانسانية والادبية والحقوقية مع العلم بأن العرب يشكلون الان ١٢٪ من سكان فلسطين المحتلة . وفي سنة ٧٠/٧١ قبل في الجامعات اليهودية ٢٩٥٠٠ طالب وارتفع رقم الطلاب العرب مقابلهم كثيرا جدا اذ قبل منهم ٤٠٠ .

المدرسة

كما كانت القوى الاكاديمية والمؤهلة تنقص المجموعة العربية في ميدان التعليم يوم النكبةكذلك كانت تنقصها الوسائل المادية : المدارس والتجهيزات اللازمة فيها . ذلك ان الجهاز التعليمي كان قد اصيب باضرار جسيمة خلال اضطرابات ٤٧/٤٨ ولما كان معظم العرب الباقين في فلسطين قرويين فان مدارسهم ، كانت في الاصل مباني قروية سيئة البناء وقد استمر التعليم فيها بعد ذلك سنوات بعد سنوات . وفي سنة ١٩٦٣ كتب الاستاذ صبري جريس في كتابه (العرب في اسرائيل) يقول « .. وحالة المدرسة العربية محزنة للغاية والقسم الاكبر من مبانيها لا يصلح لرسالة المدرسة فانها ابنية قديمة متصدعة تحوي غرفا ضيقة ومظلمة وتنقصها المنافع الصحية والساحات والملاعب المدرسية. واثاثها هزيل وضئيل »(١٠). وبناء المدرسة العربية هو مشكلة التعليم العربي ذلك ان القانون يعفي وزارة التربية والتعليم من توفير الابنية والملاعب والاثاث للمدارس فتلك المهمة منوطة في المستعمرات اليهودية كلها بادارة المستعمرة وانما توفرها لهم معالابنية الاخرى الوكالة اليهودية نفسها ويشرف على تأمين الحاجات التالية بعد ذلك المجلس المحلي مجلس البلدية للمستعمرة او البلدة الذي هو صلة الوصل مع السلطات الحكومية فيما يتعلق بجميع الخدمات التربوية والصحية والاجتماعية .

وقد استغلت الدوائر الصهيونية التعليمية هذه الناحية لابقاء القرى العربية في وضعها البدائي التعليمي دون مدارس او خدمات تعليمية اخرى وبالرغم من أن القانون يفرض على الدولة تقديم المساعدة العضوية لتوفير حاجات التعليم الا ان الادارة العربية في وزارة التربية والتعليم تختبىء وراء نص قانوني اخر لا يسمح بتقديم هذه المساعدة الا للقرى التي تتوفر فيها المجالس المحلية او البلديات ، ولما كان تشكيل هذه المجالس منوطا بدوره بوزارة الداخلية وكانت سياسة هذه الوزارة مرتبطة الارتباط الصميمي بالمخططات الصهيونية فقد كان على القرى العربية اذن أن تنتظر . وهكذا لم يطبق حتى سنة ٦٣ نظام المجالس المحلية والبلديات الا في ٤٣٪ من القرى العربية التي يعيش فيها ٦١٪ من المواطنين العرب . شكلت فقط ١١ سلطة محلية ما بين سنتي ١٩٥٠ — ١٩٥٣ ثم تسعة مجالس محلية ما بين سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٩ ثم عشرة مجالس محلية اخرى ما بين سنة ١٩٥٩—١٩٦٢ وظل الحرمان الاضطراري من كافة الخدمات (التربوية والاجتماعية والصحية والعمرانية) نصيب ٥٧٪ من القرى العربية التي يأهلها ٣٨٪ من المجموعة العربية . ويبين مدى الظلم في هذه النقطة اذا عرفنا أن ٢،٥٪ فقط من المستعمرات اليهودية تنقصها المجالس المحلية ولا يسكن هذهالمستعمرات سوى ٤٣٪ من السكان . كما يتبين الظلموالاهمال في ذلك ان عرفنا أن اول قرية عربية وصلها الكهرباء في عهد اسرائيل هي قرية الطيبة وكان ذلك سنة ١٩٥٥ ثم وصل الكهرباء سنة ١٩٦١ الى خمس قرى ثم لم يصل حتى سنة ١٩٦٥ الا الى سبع قرى اخرى . وقد اعترف الكتيب الدعائي الذي نشرته وزارة الخارجية الاسرائيلية عن العرب في اسرائيل بنقص الابنية المدرسية وانه كان من الاسباب المعوقة لتطور التعليم بين العرب(١١).

ويمكن أن نقول الان أن المدارس الابتدائية قد فتحت في جميع القرى العربية حتى البعيد منها بحيث انه في السنة الدراسية ٦١/٦٢ وجدت في ١٣٥ قرية عربية ومختلطة ١٦٧ مدرسة عربية وروضة اطفال وبالرغم من أن هذه المدارس هي في الواقع مراكز للتحرير من الامية بالنسبة للاطفال وليس اكثر فان الفضل في هذا التقدم لا يعود الى سلطات اسرائيل وحدها ولكن يعود ايضا الى شبكة اخرى متشعبة من المؤسسات التبشيرية والطائفية المسيحية خاصة، ومع ان هذه المدارس تتلقى المساعدة المادية القليلة من وزارة التربية والتعليم الا انها تقوم بمهمتها مستندة الى قوى مادية مستقلة ومعظمها خارج اسرائيل. وكثيرا ما كانت المعارك الانتخابية والخلافات

البرلمانية التي تستهدف اجتذاب الاصوات العربية في الانتخابات سببا في اثارة موضوع المدارس وغيرها من نواقص التربية والتعليم عند العرب وكانت السبب في تخصيص بعض المخصصات المالية في ميزانية الوزارة لهذا الغرض . وهكذا خصصت مثلا منذ سنة ١٩٥٩ ولمدة خمس سنوات متوالية ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية تقريبا لتطوير المدارس العربية « ... ولسنا ندري مقدار ما استغل من هذا المبلغ ويجدر بنا أن نذكر ان هذا المبلغ يشكل قسما ضئيلا جدا من ميزانية وزارة التربية والتعليم التي ترقى الى عشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية ... » وقد لجأت الحكومة بدل بناء المدارس الى استئجار غرف في أماكن متفرقة متباعدة ومعظمها غير صالح للتدريس وكدست التلاميذ في الكثير منها تكديسا(١٢).

على أن التوسع في المدارس الابتدائية لم يقابله توسع مماثل في المدارس الثانوية . وقد كان في اسرائيل سنة ٦٣/١٩٦٢ عشر مدارس ثانوية عربية يتعلم فيها جميعا ١٤٢٥ طالبا عربيا مقابل ١٣٢ مدرسة يهودية تضم ٤١٤٢٥ طالبا يهوديا . وانظر ان شئت الاحصاء في الجدول رقم (٢٠) .

وانظر كذلك الجدول رقم(٢١) حول عدد المدارس للعرب واليهود في السنوات ذاتها (من ثانوية وابتدائية).

على ان يبقى في البال ان خمس عدد المدارس العربية هو من مدارس التعليم الخاص الاهلي(١٣).

وينضح مما يلي(١٤) عدد الصفوف الابتدائية والثانوية وكثافتها بالمقارنة ما بين العرب واليهود في سنة ١٩٦٩/٦٨ : عدد صفوف المدارس العربية ٢٠٣٢ منها ١٢٧٨ صفا يتراوح طلابها بين ٣٠–٤٥ طالبا . عدد صفوف المدارس اليهودية ٢١٦١١ منها ٩٧٣٢ صفا يتراوح طلابها بين ٣٠–٤٥ طالبا . عدد الصفوف العربية الابتدائية ١٨٨٨ والثانوية ١٤٤ . عدد الصفوف اليهودية الابتدائية ١٣٥٨٢ والثانوية ٤٤٢٩+ ١٨٨٢ .

اما مجموع المدارس الابتدائية العربية فيبلغ في السنة نفسها ٢٣٦ مدرسة بينما لا تزيد المدارس الثانوية وما بعد الابتدائية عن ٣٦ وهذا يعني أن لكل ١٦٠٠ ساكن عربي مدرسة ابتدائية واحدة . ولكل ١٠ الاف عربي مدرسة واحدة بعد المرحلة الابتدائية بينما لكل ٤٠٠ يهودي مدرسة ولكل ١٢ الف عربي مكان واحد في الجامعة بينما لكل ٨٣ يهوديا فقط مكان .

ولو انتقلنا الى مجالات التعليم الاخرى لوجدنا الصورة نفسها تتكرر « ففي سنة ٦٤/٦٣ كان لدى العرب مدرستان لاولاد العمال يتعلم فيهما ١٠٥ طلاب مقابل ١٤٠ مدرسة كهذه لدى اليهود تعلم فيها ٥١٣٨ طالبا واربع مدارس مهنية عربية فيها ١٦٦ طالبا مقابل ١٣٨ مدرسة مهنية يهودية فيها ٢١١١١ طالبا يهوديا . ومدرسة زراعية واحدة فيها ٥١ طالبا عربيا مقابل ٤١ مدرسة زراعية يهودية فيها ٧٣٠٩ طلاب يهود » . ودار واحدة للمعلمين فيها ١٠٤ طلاب مقابل ٤٢ دارا لليهود فيها ٧٥٧٥ طالبا(١٥).

ويمكن أن نلحق بمشكلة المدرسة مشاكل الادوات والاثاث ووسائل الايضاح والكتب المدرسية والمختبرات والخرائط . والكتاب الاعلاميون الصهيونيون يعترفون بها اعترافا كاملا . ويقر (بنتويتش) الباحث التربوي الصهيوني ان كثيرا من مدارس القرى العربية لا تحوي سوى بعض المقاعد القديمة دون اي معدات تعليمية(١٦) واليهودي الامريكي راندولف براهام يذكر بدوره أن بعض مدارس العرب لا يزال على اثاثها ومعداتها التي كانت عليها أيام الانتداب البريطاني(١٧). على اننا يمكن ان نرى صورة حية عن هذا النقص في كلمة مواطن عربي عاش تلك المشكلة في أرضها وكتب عنها بالعبرية أيضا قبل أن يكتب بالعربية . قال في صدد الكتب المدرسية « ... ان المدارس العربية تعاني نقصا ملموسا في كتب التدريس بحيث أن المعلمين والطلبة يضطرون الى استعمال الكتب القديمة أو نسخ مادة التعليم من كتب يصعب الحصول عليها . ورغم أن تحسينا طرأ على هذا الوضع في المدارس الرئيسية الا أن حالة النقص في الكتب في المدارس الثانوية لا تزال قائمة . والمكتبة العربية في الدولة فقيرة جدا ليس في الكتب الدراسية فحسب بل في كتب المطالعة والثقافة العامة . وحتى نيسان سنة ١٩٦٤ ظهر في اسرائيل ٢٧٠ كتابا باللغة العربية منها ٦٤ كتابا الفه كتاب مقيمون في اسرائيل عرب ويهود و٢٠٦ كتب نشرت اولا في الدول العربية واعيد طبعها في اسرائيل . وثمة نقص

اخر ذريع في الخرائط وفي وسائل الايضاح في المختبرات ...»(١٨). ويضيف الكاتب في مكان اخر قوله « ان الحكومة (الاسرائيلية) هي المسؤولة عن النقص الذريع في كتب التدريس في المدارس العربية لاطول فترة مستمرة وليس في اسرائيل نقص في القرى اللازمة لتاليف كتب تدريس باللغة العربية سواء كان المؤلفون من بين العرب المقيمين في اسرائيل ام من بين اليهود الذين هاجروا اليها من البلاد العربية . ولو أن هذه القوة كانت منعدمة لامكن ترجمة بعض الكتب المقررة في المدارس اليهودية أو ترجمة كتب غيرها من اللغات الاجنبية او اعادة طبع كتب تدريس عربية صادرة عن البلاد العربية المجاورة بدون اذن كما فعلت المستدروت حين طبعت القصص العربية . وقد اشارت لجنة التربية والتعليم والثقافة التابعة للكنيست الى حالة النقص في كتب التدريس في المدارس العربية في تقريرها (المجلد ٣٣ من وقائع الكنيست صفحة ١٠٥٨ بتاريخ ١٩٦٢/١/٢٤) وطالبت وزارة التربية والتعليم ببذل اقصى الجهد للتغلب على هذا النقص . والى حالة النقص في الكتب المدرسية عزت اللجنة تأخر التعليم بين العرب المقيمين في اسرائيل»(١٩). لكن السلطات الصهيونية كانت وما تزال واقعة من هذه المشكلة في حيص بيص فهي ترفض كتب عهد الانتداب كما ترفض بالطبع الكتب المدرسية التي تدرس في البلاد العربية المجاورة ويقول قائلها ، وهو مدير التعليم العربي (اليهودي) « يجب أن ننتج نحن كتبنا »(٢٠) ولكنها حتى الان لم تبذل اي جهد لانتاج الكتب المدرسية العربية التي تلائم الصهيونية!

مناهج الدراسة

ليس من غرضنا ولا في امكاننا هنا دراسة المناهج الدراسية المطبقة على عرب فلسطين ولكنا نورد الملاحظات الاساسية حول هذه المناهج وطرق تطبيقها لكشف الاستراتيجية الصهيونية في التعليم العربي من ورائها . واذا انتخبنا من المناهج مواد اللغة العربية والدين والتاريخ باعتبارها المواد القومية ـ الروحية فماذا نجد ؟

اللغة العربية : هي في النصوص القانونية لغة رسمية ولكنها في الواقع ليست كذلك الا في بعض الاوراق الرسمية ولا يراها المواطن العربي الا حين يصله انذار الجابي بدفع الضريبة .

« واذا كانت نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس العربية الابتدائية يقرأون ويكتبون العربية بصعوبة رغم انهم رضعوا لبان العروبة » فان معنى ذلك وسببه واضحان في منهج التعليم نفسه الذي يرمي الى تهويد الفكر العربي الناشيء . وتتجلى هذه النية المبيتة في برنامج تعليم اللغتين العربية والعبرية ففي الوقت الذي يتضمن منهاج تعليم اللغة العربية فقرة واحدة فقط بالنسبة لاهداف تعليم اللغة العربية نجد أن منهاج اللغة العبرية يتضمن ثلاث فقرات عن اهدافه ويتضمن في الفقرة الاخيرة (ان اللغة العبرية تدرس وفقا لمنهاج ثابت متصل في المدارس العربية من الفصل الرابع الابتدائي) وتتجه النية الى التوصية بتعليمها ابتداء من الصف الاول الابتدائي واحيانا من رياض الاطفال . وذلك عن طريق الاناشيد والالعاب والاعياد وقد اجاز واضع البرنامج امكانية تعليم العبرية في ظروف معينة بحيث تحل محل اللغة العربية ». وبينما تستوى ساعات اللغتين في المرحلة بعد الابتدائية يجد الطالب العربي نفسه تحت التوجيه المركز وأمام ضغط الحاجة العملية أو الثقافية مضطرا للعناية بالعبرية بل وبالانكليزية اكثر بكثير من عنايته بالعربية التي لا يبدو انه قد يفيد منها كثيرا في المستقبل وينقطع بهذا الشكل سبب اساسي من اسباب ارتباطه بقوميته واهله.

« وقد حذفت من البرامج التعليمية في المدارس العربية مجموعة كبيرة من القصائد العربية الشهيرة والانتاج العربي الذي كان لقاح عقول الشعراء والكتاب العرب المشهورين في التاريخ وحل محلها قطع ادبية مبتذلة ضعيفة لكتاب مغمورين .. » مما يزيد في سعة الهوة بين المثقف الناشيء والتراث الثقافي القومي(٢١).

حتى اللغات الاخرى في المدرسة العربية يتلقى الطالب العربي فيها دروسا دون المستوى المطلوب مما يؤدي بالكثيرين الى السقوط في امتحانات الشهادة الثانوية او الى العجز عن متابعة الدراسة الجامعية .

الدين : ليس من هدف اليهود بالطبع تحويل المسلم أو المسيحي الى يهودي ولو حاولوا ذلك لما استطاعوه لاسباب كثيرة ولكنهم في الوقت الذي يحاولون فيه تثبيت مفاهيم اليهودية في نفوس

العرب يحاولون ايضا الغاء كل ما يمكن ان تحمله الديانتان الاسلامية والمسيحية من ادانة لليهود : وهكذا نجد مثلا أن تعليم التوراة الزامي في المدارس الثانوية العربية . في حين ان الديانتين الاسلامية والمسيحية لا تدرسان مطلقا ولا تدرس كذلك بعض السور من القرآن الكريم في المدارس الابتدائية العربية . وكذلك حرمت وزارة التربية والتعليم تدريس سورة (الممتحنة) من القرآن الكريم في مدارس اليهود لان الآيتين الثامنة والتاسعة منها حوتا الحث على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين في دينهم واخرجوهم من ديارهم او ساعدوا على اخراجهم . « ويلاحظ أن الايات القرآنية والاحاديث المختارة للتربية الدينية تتركز في الجانب الاخلاقي والتهذيبي وتتجاوز الايات المتعلقة بنظم الحكم والمجتمع أو تتعلق بالجهاد او بواجب المسلمين ضد الاخطار»(٢٢). والغرض من كل ذلك محو كل مستند روحي قد ترتكز اليه فكرة ثورية بالمقاومة .

التاريخ : وفي هذه المادة ينكشف بوضوح الموقف الصهيوني الذي « يستهدف بلبلة الاجيال العربية الناشئة في اسرائيل عن طريق تزييف تاريخ الشعوب العربية وتمثيله وكأنه سلسلة من الانقلابات وعمليات القتل والخصومات والسلب والنهب بشكل رمى الى انقاص المكاسب والانتصارات العربية خلال الاجيال مقابل تعظيم التاريخ اليهودي وتوسيعه وصبغه بألوان كأنها قطع الورد ... » ونظرة عابرة الى برامج التعليم الرسمية التي وضعتها وزارة التربية والتعليم والثقافة ترينا هذه الاهداف، فقد خصصت عشر ساعات لدروس تاريخ العبرانيين في الصف الخامس الابتدائي مقابل خمس ساعات لدراسة شبه الجزيرة العربية وخصص للتاريخ الاسلامي في الصف السادس ٣٦ حصة من بين ٦٤ حصة للتاريخ العربي كله من أوله حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، مع الاشارة الى الطبيب اليهودي موسى بن سيمون الذي عاش في عصر صلاح الدين وابن جبيروت الشاعر اليهودي الاندلسي . ولا يدرس التاريخ العربي في الصف السابع الابتدائي مطلقا في حين ان سدس السنة الدراسية مكرس للعلاقات القائمة بين الجاليات اليهودية في الخارج وارض اسرائيل . وان عشر حصص قد خصصت للصف الثامن والاخير في المدارس الابتدائية العربية لدراسة التاريخ العربي ابتداء من القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا مقابل ثلاثين حصة لدراسة تاريخ اسرائيل . ويلاحظ اذن ان الطالب العربي لا يعرف شيئا عن تاريخ العروبة من اوائل القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر . ومن برامج التعليم في الصف الثامن تأزم العلاقات الطائفية في سوريا ولبنان والخصومة بين الدروز والموارنة (والمسلمين) في سنة ١٨٦٠ . وليس الوضع بالنسبة لتعليم التاريخ العربي في الصفوف الثانوية العربية بأحسن حالة منه في الصفوف الابتدائية . فخلال السنوات الثانوية الاربع في هذه المدارس خصصت للتاريخ العربي ٣٢ حصة فقط وحذف منه تاريخ الفتح العربي للاندلس والمدنية العربية التي اضاءت تلك البلاد خلال الحكم العربي الذي امتد الى ٨٠٠ سنة فيها ومقابل ذلك شملت دراسة التاريخ اليهودي هنا ٣٨٤ حصة وادهى من ذلك كله الاسئلة المقدمة للتلاميذ في امتحان الدراسة الثانوية العامة . فبينما تبدو الاسئلة المتعلقة باليهود فراضة واسعة، متناهية في الجدية ومن ورائها الخط السياسي الرسمي لحكومة اسرائيل ، تكون الاسئلة المتعلقة بالتاريخ العربي مجرد فوازير تبرز فيها الحركات المبتذلة والخصومات على انواعها في العالم العربي . وتعير اهتماما كبيرا لدور الانحطاط في التاريخ العربي . وتتعامى عن جميع الزعماء الذين ابرزوا شخصية الامة العربية خلال الاجيال ضمن ذلك ان لا يسأل الطالب في هذه الامتحانات عن النبي محمد (ص) ابدا ولا عن الخليفة هارون الرشيد ولا عن الخليفة معاوية ولا عن صلاح الدين وهم من اعظم الرجال في تاريخ الشعوب العربية(٢٣).

ويتركز التزييف التاريخي الجغرافي خاصة في كل ما يتعلق بفلسطين من الارض وما حولها . فكل الخطوط في المناهج والتدريس موضوعة لايهام الطالب العربي أن فلسطين ارض يهودية منذ القدم وذلك باستبدال كافة اسماء الاماكن والانهار واعطائها اسماء عبرية وباظهار العلاقة التاريخية بين الاماكن في فلسطين وبين اليهود والمقابل اظهار العرب في فلسطين وكأنهم احدى فصائل الغزاة الكثيرين الذين مروا على فلسطين ابتداء من الرومان ومرورا بالاتراك حتى الانجليز وهم لا

يهيئون بذلك الجو النفسي للطالب العربي كي يقبل الاحتلال ولكنهم يهدفون الى ايهامه — كالطالب اليهودي بأن الاقسام الاخرى من اسرائيل الكبرى لا تزال بيد العرب « المغتصبين الغزاة » وفي معرض الرد على غولدمان قال احد الصهاينة : « ماذا يريد العرب منا بعد ؟ أيريدون اكثر من ان يرقص الشعب اليهودي طربا في الشوارع عندما قسمت الامم المتحدة بلاده عام ١٩٤٧ واعطت قسما منها للفلسطينيين العرب ؟ »(٢٤). ولعل المشكلة الاساسية التي تعاني منها المناهج في المدرسة العربية بالارض المحتلة هي عدم الاستقرار والتغيير المستمر فيها ولعل هذا نتيجة مشتركة لثلاثة عوامل : الاهمال من جهة وتوخي التجريبية فيها ورصد النتائج من جهة اخرى بجانب الرغبة في زرع القلق المستمر وعدم التكامل في شخصية الناشىء العربي والمعلم العربي على السواء .

والواقع انه لم توضع حتى الان ورغم مرور ٢٣ سنة على الاحتلال مناهج مدرسية كاملة للمدرسة العربية ولا مناهج ثابتة ويتكرر التغير بين حين وآخر في برامج التدريس الثانوي خاصة ويظهر زيادة في البلبلة قبيل امتحانات الشهادة الثانوية والتعديلات المتكررة لهذه المناهج تهدف دوما الى زيادة تلاؤمها وخدمتها لاهداف الدولة الصهيونية ومحو ما قد يعارض ذلك .

اسس واهداف السياسة التعليمية الصهيونية

فاذا وصلنا اخيرا الى هذه الاسس والاهداف فماذا نجد ؟ ان (اوري لوبراني) مستشار رئاسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية وهو المفتاح الاول لكل ما يتعلق بالعرب في الارض المحتلة قد كفانا مؤونة البحث عن النوايا الصهيونية والتخمين بشأنها حين قال «... لو لم يكن ثمة عرب (في الارض المحتلة) لكان الوضع خيرا وأبقى . ولو ان العرب بقوا حمالي حطب (وسقائين) فربما كان أسهل لنا أن نتحكم فيهم . لكن ثمة امورا لا تخضع للرغائب . (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) ولا مناص من ذلك وعملنا انما يتطلب منا كتابة نص المشورة واحاطة المسؤولين علما بطريقة معالجة القضايا »(٢٥). والكلمة لا تحتاج الى تعليق و« القضايا » المطلوب « معالجتها » انما تعني كما هو واضح المشاكل الناجمة عن وجود كائنات حية غير يهودية تتنفس على ارض فلسطين ومعالجتها تعني بيان الطرق والوسائل لتسطيح هذه الكائنات وكف ما قد تحمل من خطر على الكيان اليهودي .

وتستند النظرة الصهيونية الى عرب الارض المحتلة الى خلفيتين فكريتين اساسيتين كلاهما سلبي ويضرب جذورا عميقة من الحقد والهجومية : — **اولاهما** : نظرة الاحتقار للعرب وللاسلام من ورائه للمسيحية والسيد المسيح ايضا والافكار السائدة تربط بين الاسلام والقومية العربية في مفهوم واحد . فاذا كان العرب من « الغوييم » « الاميين » المحتقرين (ولعلهم أسوأ الغوييم بسبب رفضهم اليهود) فان الاسلام ، كما قال اسرائيل كارلباخ رئيس التحرير السابق لجريدة معاريف في هذه الجريدة « الاسلام عدو كل تفكير مثمر وكل زمام مبادرة طيب القلب وكل فكرة منتجة . انه ما قدم قط اي صنيع (حسن) في الماضي ولن يقدم اي جميل في المستقبل . انه الظلام . انه الرجعية انه السجن لخمسمائة مليون انسان ... »(٢٦). **ثانيتهما** : نظرة الصهيونية للاقلية العربية لديها على انها تمثل المجموعة الضخمة من العرب في العالم وتحمل اوزارها وعلى أنها الاقلية — الاكثرية بما يشد ازرها من مائة مليون عربي مجاورين مقابل الاكثرية — الاقلية الذين هم اليهود المطوقين بهذه الملايين المائة . ان جانبا كبيرا من تكثيف القوى وحشدها في اسرائيل انما بسببه التخوف الدائم من هذه الاكثرية العددية ذات العمق الاستراتيجي البعيد وينعكس هذا التخوف بنتائجه على تلك الاقلية وفي مناقشة في الكنيست للاحكام العسكرية المفروضة على العرب سنة ١٩٦٣ صرح بن غوريون بأن « الكثيرين من افراد الاقلية العربية المقيمة في اسرائيل لا يرون أنفسهم اقلية بل انهم يرون اليهود كأقلية . وامكار هؤلاء العرب ترتكز الى اساس ان الاكثرية اليهودية هي بالفعل اقلية تحيط بها من وراء الحدود عشرات الملايين من ابناء الشعوب التي تنتمي اليها الاقلية العربية في اسرائيل ... » ان هذه المعادلة الحرجية بين الفزع ونزعة التهويد بفلسطين هي التي تحكم العملية الاسرائيلية كلها وتحكم بين ما تحكم عملية التعليم سواء بجانبها السلبي للعرب او بجانبها الايجابي لليهود . ولنلاحظ ان النظرة الرسمية لهذه الاقلية

لا تعتبرها مواطنين ولكن « غرباء » . وحين اجاب مردخاي شابيرا وزير الداخلية عن بعض الاسئلة في مناقشة قانون الجنسية في الكنيست ذكر « الحقوق المهمة التي تكرمت بها على عرب الارض المحتلة حين فتحت دولة اسرائيل رعويتها الاسرائيلية التلقائية لـ ٦٣ الفا من الغرباء الذين سجلوا في سجلاتها بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ ... » وما هؤلاء «الغرباء» سوى بقية عرب فلسطين الذين ولدوا وولد آباؤهم والاجداد عشرين قرنا او تزيد في فلسطين قبل قيام اسرائيل وقد سجلوا انفسهم — وأحكام الحرب سنة ١٩٤٨ ما تزال قائمة — فوق أرضهم القومية(٢٧). وعلى ضوء هاتين الخلفيتين فان الاهداف التي تضعها الصهيونية الاسرائيلية لتعليم العرب قد تكون واضحة ويمكن ان نتبين فيها ثلاثة خطوط رئيسية :

١) ابقاء العرب في الارض المحتلة قاصرين اجتماعيا وممزقين سياسيا ودينيا وعاجزين اقتصاديا وجعلهم افرادا او مجموعات سلبية لا كتلة ايجابية واحدة امام المجتمع اليهودي النامي المسيطر وفي خدمة أموره الدنيا . وتكوين خلفية فكرية لديهم من التسليم بالواقع وبحق اليهود وتفوقهم وظفرهم النهائي ان لم يكن الالهي .

٢) السيطرة على القوى النامية في المجموعة العربية وما قد ينشأ فيها من قيادات وقطع العلاقات القومية كلها بالتاريخ العربي واللغة والدين (ان أمكن) والارض والقوم وربط الولاء بالمقابل باسرائيل لتبقى القيادات — ان ظهرت — دون جذور او بيئة فكرية او اجتماعية مواتية .

٣) الاحتياط لمخاطر التفجر السكاني الذي تتميز به هذه المجموعة التي زادت الى الضعف زيادة طبيعية منذ قيام اسرائيل ، وهذا التفجر السكاني قد تكون له مخاطره ان التقى داخليا مع افكار قومية عربية او قوة اقتصادية او التقى خارجيا مع قوى العالم العربي . واذا كانت المجموعة العربية الان غير هامة ديمغرافيا (عشر السكان) فان صلتها القومية قد تجعلها في المستقبل هامة جدا وهنا يكمن الخطر ويجب حفظ التوازن ما بين عوامل التفتح الفكري والقوة المادية والديمغرافية المتزايدة في هذه المجموعة . وما بين اهداف اسرائيل في الاستقرار النهائي في المنطقة واقامة الدولة اليهودية الخالصة وتشييد الحضارة العبرية التي « تعيد الشعب اليهودي من جديد شعبا مختارا منيرا الطريق أمام العالم كله »(٢٨). اما الخطط والطرائق الى تحقيق تلك الاهداف فتقوم على استراتيجية ذات ثلاث شعب متعاونة فيما بينها :

الاولى : عملية التجهيل المنظم للجماعة العربية الواسعة ذات المؤشر الديمغرافي الخطر وذلك بالحفاظ على مستواها الاجتماعي القائم وزيادة التمزق السياسي والضياع القومي وهذه العملية تبدأ بسجن العرب الاضطراري في اطار الريف وجعل المدن — وهي يهودية كلها — محرمة وعدوة وتنتهي بالمقاطعة الثقافية والقسرية لما وراء الحدود . وتستند بين هذا وذاك الى تحييد الكتلة العربية فلا تكون بؤرة للثوريين والى تشجيع الانقطاع المدرسي الواسع واقلال المدارس وتصعيب الدراسة والى الالحاح في طرح القضية الفلسطينية والنزاع مع العرب لا على انها قضية ارض حقوق وانسان ولكن على انها نزاع ديني وتعصب اسلامي . ولما كان اليهود لا يرغبون في تهويد المسلم والمسيحي فعداء العرب لهم اذن لا مبرر له سوى الحقد الاعمى .

الثانية : عملية الافقار الاقتصادي ومنع العلم من ان يكون وسيلة للتطور في مستوى المعيشة والفكر فاذا تحولت الكتلة العربية عمالا (زراعيين او صناعيين) حلت حاجة المصانع اليهودية للايدي العاملة وتفرغ اليهود للامور العليا وسهل اقتناص ما بقي من الارض الفلسطينية بيد العرب . وسهلت في الوقت نفسه السيطرة على المجموعة العربية . ولعل من الامور ذات المغزى الا يكون في ثلث مليون عربي بعد ربع قرن من الحكم الصهيوني سوى ٣٥ محاميا و٤٠ طبيبا و٢٥ مهندسا .

الثالثة : عملية « الحصار الثقافي » للطلائع العربيه الناشئة فان المتحولتين الخطرتين اللتين تمثلهما عوامل التفتح الاجبارية من جهة والزيادة الديمغرافية من جهة اخرى يجب ان تقابلهما لالغاء دورهما الايجابي الخطر عملية « تعقيم » مزدوجة الخطة فيها القطيعة مع العروبة من جهة ، وفيها وجهها الاخر المتمم وهو الولاء الخالص لاسرائيل . وتلعب المدرسة العربية في هذا النطاق الدور الاول في مرحلة النشأة بينما تحل موارد الرزق محلها في المراحل التالية والانسان العربي في

الحالين تحت رحمة مقص التشذيب والتعليم .

وبالرغم من ان هذه العملية اشبه بتنقية الصبير من الشوك او بقتل الافعوان ذي الرؤوس السبعة فان اسرائيل تتابعها بدأب عجيب منظم ومن حدودها الواضحة فك الشباب العربي عن كل ارتباط قومي، واضعافهم لا في لغتهم الام فقط ولكن في اللغات الاجنبية كلها الا العبرية فلهم ان يغرفوا منها ما شاءوا والتحكم في الاقنية القائمة بينهم وبين وسائل النشر سواء في وصولهم اليها او وصولها اليهم. ولما كانت هذه الاستراتيجية المتعددة الاسس مشتبكة الحدود ايضا فيما بينها فان الوسائل والمداخل التطبيقية والخطط التكتيكية في اطارها هي كذلك ، مشتبكة الحدود متداخلة بقدر ما هي متعاونة وغالبا ما تخدم الوسيلة الواحدة اكثر من خطة ضاربة عدة عصافير لا عصفورين فقط بحجر . وهذه الوسائل والمداخل التطبيقية تكشف الكثير من جوانبها والحدود خلال الصفحات الماضية ولعلنا نستطيع في النقاط التالية أن نحمل بعض ملامحها ومن الممكن دوما ان يضاف الى هذه الملامح الكثير :

١) التحكم في ادارة التعليم العربي ووضعها بيد قوى متعددة مسيطرة . فالحاكم العسكري له فيها بقدر ما للادارة العربية للمستدروت، والمخابرات العسكرية تأمر فيها بقدر ما تأمر الادارة العربية في وزارة التربية ومستشار رئيس الحكومة ينظم بقدر ما تنظم اجهزة الاحزاب وبجانب هذه القوى الست تأتي القوى الصغيرة الاخرى من محلية وعائلية لتدس انفها . وليس من شأن تعدد القوى ان يضع هذا التعليم ضمن اطار كامل من الرقابة الدقيقة فقط ولكن من شأنه ايضا ان يؤدي الى الاضطراب وتعطيل التطور في الجهاز التعليمي وهذا بدوره ايضا هدف مطلوب .

وتلتقي جميع هذه القوى في تأثيراتها حول مركز واحد هو آلة التعليم نفسها : المعلم ، فهي تسيطر عليه السيطرة الكاملة تعليما في دار المعلمين او تعيينا بعد التخرج (او دون تخرج) او توجيها خلال العمل او استمرار رزق على توالي السنين فانجح المعلمين عندئذ هو من وصل نقطة السلبية المطلقة واللامبالاة وانسحاق الشخصية وانجح منه من اثبت بالتعاون مع السلطات انه تجاوز نفسيا وعمليا حاجز الوازع القومي الى الطرف الاخر العدو.

٢) تمزيق الجماعة العربية الى طوائف وخلق الاحقاد والفرق والحساسيات بينها والتمييز بينها في المعاملة التربوية او على الاصح التمييز في معاملتها بما لا يتعارض مع الاهداف الصهيونية العامة . ليس هناك من « عرب » في فلسطين . هناك في عرف اليهود مسلمون (ويقصد بهم السنيون خاصة) ومسيحيون ودروز وآخرون وعلى هذا الاساس يجري التعامل مع الجماعة العربية (انظر مثلا الجدولين رقم ٤ و١٢) وما التمييز التربوي التعليمي سوى جزء من السياسة الاسرائيلية العامة لتفكيك المجموعة العربية .

واذا كان عدد من العوامل قد جعل التدخل الاسرائيلي في شؤون الطائفة المسيحية اقل ما يمكن بسبب المراكز الروحية والسياسية التي تحميها وتغذيها خارج اسرائيل ، فان الطائفة الاسلامية بالعكس هي التي تتوجه اليها أقسى النقمة . ومع انها تشكل الاكثرية في المجموعة العربية الا ان « ... هذه الطائفة تقاسي اكثر من اي طائفة اخرى في اسرائيل »(٢٩) وتنهب أوقافها وتتدخل السلطات اليهودية في تسيير امورها الشرعية وتعيين قضاتها وتحديد مناهج التربية الدينية والتاريخية في مدارسها ... وتنتقم بها من كل العرب الموجودين خارج الحدود .

ويقابل هذا الموقف موقف التمييز الذي تقفه السلطات الاسرائيلية من الطائفة الدرزية(٣٠) ومع ان الدروز عرب خلص ويشكلون احدى الفرق الاسلامية المعروفة فان تلك السلطات تصر على ان تجعل منهم مجموعة قومية مميزة. فالناطقون الرسميون باسم الحكومة والصحافة العبرية والموجهون السياسيون والناس يتحدثون هناك عن « القرى العربية والقرى الدرزية كمجموعتين منفصلتين وتقوم حملة دعاية في اسرائيل وخارجها لتمثل الدروز كشعب غريب منفصل له لغة مشتركة مع اليهود ومصالح مشتركة وتعايش مشترك في منطقتين متجاورتين ووحدة مصير » وقد اعترفت اسرائيل بهم كطائفة دينية مستقلة عن الاديان الاخرى(٣١). وحين سئل وزير الداخلية في الكنيست عن تسجيل القومية الدرزية على بطاقات الهوية الخاصة بأبناء هذه الطائفة أجاب بأنه أقر هذا الامر تجاوبا مع طلب رؤساء الدروز في اسرائيل(٣٢).

على أن هذا النفاق الصهيوني للدروز الذي لم يحم

ارضهم من أن تنهبها السلطات الاسرائيلية كغيرها من الاراضي العربية سواء بسواء لم يعد عليهم ، الا بأقل المنافع من الناحية التعليمية والتمييز انما استخدم وعلى نطاق واسع لبلبلة المدرسة العربية وتزييف التعليم العربي كله . حتى لقد ظهرت مثلا كراسة اعدت لتكون « كتاب قراءة خاص بالطلبة الدروز في الصفوف العليا من المدارس الابتدائية». وحين افتتحت في حيفا مدرسة ثانوية مهنية للعرب في سبتمبر سنة ١٩٧٠ قيل انها للشباب العمالي العربي والدرزي ... ولكنها لا تعلم سوى يوم واحد في الاسبوع(٣٣). وتقدم بعض المنح الدراسية الجامعية ولكن للطلاب الدروز(٣٤) . ويكتب كاتب يهودي مقالا يفخر فيه بتقدم التعليم بين ابناء الطائفة الدرزية(٣٥) وارتفاع رقم الطلاب ما بين سنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وسنة ٦٨/٦٧ من ٩٨١ طالبا الى ٨٠١٩ وارتفاع نسبة الفتيات في هذا الرقم من ١٠،٢٪ الى ٤٦٪ وارتفاع عدد المعلمين الدروز من ٦ الى ١٦٠ وعدد المديرين من ٢ الى ١٣ الا ان هذا لم يمنع كاتبا آخر من ان يعترف بالواقع فقانون التعليم الالزامي غير مطبق والمستوى المنخفض في المدارس الابتدائية الدرزية يشكل عقبة خطرة أمام الشباب الدرزي في الدراسة الثانوية ونسبة خريجي الثانوي من الدروز هي اكثر نسبة منخفضة في الدولة وليس هناك من مراكز كافية للتعليم الثانوي(٣٦)..الخ.

وواضح من هذا انه لا الطائفة المغضوب عليها ولا المرضي عنها قد حظيتا بأي عناية تعليمية وان المقصود من التمزيق الطائفي هو زيادة السيطرة الحكومية واضعاف الجماعة العربية امام تلك السيطرة واذا كانت الطائفة المسيحية على المستوى نفسه من الاهمال الحكومي فانها تعنى بشؤونها التعليمية الخاصة عن طريق الارساليات الاجنبية ويكشف الاحصاء (الجدول رقم ١٢) ان ثلاثة ارباع التعليم الخاص غير الرسمي هو في القطاع المسيحي للمسيحيين اما في الحكومي فيمشي بجانب التعليم الدرزي وعلى المستوى نفسه .

٣) عدم توفير الوسيلة التعليمية اللازمة ابتداء من المعلم المؤهل وانتهاء بوسيلة الايضاح مروراً ببناء المدرسة والكتاب المدرسي العربي . ولا يعود الامر الى الاهمال ولكن الى تخطيط مدروس المقدمات والنتائج .

وتستطيع الشكوى في اسرائيل ان تصل مع الامواج الانتخابية وزحام المزايدة في السوق الى الكنيست وقد وصلت الشكاوى العربية بالفعل حتى لجنة التربية والتعليم في الكنيست أكثر من مرة وكتبت هذه اللجنة في تقريرها أكثر من مرة ايضا مثل هذه الجملة « من واجب وزارة التربية والتعليم ان تبذل الجهد الخاص والعميق فتقدم المساعدة لرفع مستوى التعليم العربي والدرزي الى درجة مقبولة »(٣٧) بعد أن شهدت هبوط ذلك المستوى الهبوط الفاضح ولكن التوصية شيء والمسكين بمفاتيح السياسة والتنفيذ شيء آخر والانقطاع المتعمد بين الطرفين لا سبيل لاجتيازه لانه مرتبط بمصالح « الدولة » العليا .

٤) عملية التصفية المنظمة للتلاميذ قبل المدرسة واثناءها وبعدها في سلسلة متصلة من التطويق والتشذيب: فربع الاطفال الذين يبلغون سن المدرسة محكومون ان يبقوا أميين (كانت النسبة من قبل الثلث) والذين يتاح لهم دخولها تفتح لهم كل سبل الهرب منها . فاذا الخط البياني لتناقصهم هابط بشكل عمودي فلا ينتهي الصف الثامن ابتدائي الا وقد وصله ما بين عشر الى سدس من دخل الصف الاول ثم لا يدخل المرحلة الثانوية الا ثلث المتخرجين من الابتدائي فاذا انهوها لم ينل الشهادة الثانوية منهم الا ١٥ ٪ فقط وقد هبطت النسبة احيانا الى ٦ ٪ فقط وان ارتفعت اخيرا الى حوالي ٢٠ ٪ ثم لا يدخل الجامعة من هؤلاء الا حوالي الربع . عملية تصفية متصلة قوامها عدم تطبيق قانون التعليم الالزامي وتشجيع الهرب المدرسي ، مقابل التشدد القاسي في الامتحانات وفي تضييق أماكن وشروط القبول لحلقات الدراسة بعد الابتدائية .

وقد دلت الاحصاءات على ان معدل الراسبين من الطلبة العرب في امتحان الشهادة الثانوية العامة يبلغ عبر عدد من السنين اكثر من ٨٥ ٪ وقد اعترف وزير التربية والتعليم مرة امام الكنيست بتاريخ ٦٣/٣/٢٧ بالنسبة المئوية التالية لنجاح الطلبة العرب : في سنة ٥٨/٥٧ كانت النسبة المئوية ٨،٦ ٪ . وفي سنة ٥٩/٥٨ كانت النسبة المئوية ٦،٧ ٪ . في سنة ٦٠/٥٩ كانت النسبة المئوية ٩،٥ ٪ . في سنة ٦١/٦٠ كانت النسبة المئوية ١٣،١ ٪ . في سنة ٦٢/٦١ كانت النسبة المئوية ١٠،٣ ٪(٣٨).

وتظهر هذه النتيجة بشكلها الفاجع عند مقارنة النسبة المئوية للخريجين العرب من المدارس الثانوية منسوبة الى مجموع الخريجين . والجدول رقم (٢٢) يبين هذه النسبة خلال عشر سنوات(٣٩). وبدلا من ان تعمد السلطات الى تلافي هذه النسبة جذريا بزيادة العناية بالتعليم العربي عمدت بالعكس الى منع القبول للامتحان الا للمتفوقين من الطلبة العرب(٤٠). ولكي يتكشف اثر هذه الخطط يكفي القاء نظرة على الجدول رقم (٢٣) لحاملي شهادة الدراسة الثانوية من العرب واليهود(٤١). ونجد النتائج نفسها في التعليمين المهني والزراعي فان نسبة الطلاب العرب فيهما الى اليهود اعتبارا من سنة ١٩٦٢ السنة التي وجد فيها هذان النوعان من التعليم بالنسبة للعرب هي كما في الجدول رقم (٢٤) . واما هذه النتائج بالارقام فهي كما في الجدول رقم (٢٥) .

اما النسبة المئوية للطلاب العرب في الجامعات فهي النسبة المخجلة . انهم دوما اقل من ١ ٪ من عدد الطلاب اليهود : في سنة ١٩٦٠ ــ ٦١ كانوا ٠،٧١ بالمائة وفي سنة ٩٦٥ ــ ٦٦ كانوا ٠،٩٦ بالمائة وفي سنة ٩٦٦ ــ ٦٧ كانوا ٠،٩٨ بالمائة .

وليس لمثل هذه النتائج سوى تفسير واحد هو انها سياسة مخططة لتحطيم الطالب العربي وحرمانه بالوسائل المختلفة من الطموح الى تجاوز واقعه عن طريق العلم . وحتى الذين ينجحون اخيرا في سباق قفز الحواجز هذا مضطرون آخر الامر للتسليم بالامر الواقع حين يصطدمون بشروط تحرم عليهم الالتحاق بدراسات معينة علمية او هندسية وتبقيهم في اطار الدراسات الشرقية والنظرية ، تلك خاتمة المطاف الطويل ! فان تخرج الطالب بعد ذلك كله وما يزال به رمق من عنفوان قومي او حاول ان يتمرد على كل تلك القوالب التي صيغ من خلالها يكون الحكم العسكري كفيلا به وبأن يحمله على الجادة بما يملك من وسائل الترغيب والترهيب والا فالطريق السوي ممدود امامه من الاقامة الجبرية الى السجن الى المنفى الداخلي ثم الى النفي خارج البلاد ، ان لم يسبق هو نفسه هذا الطريق الجهنمي الطويل فيتعجل الرحيل عن اسرائيل !

٥) تفتيت المواطن العربي من الداخل وتسطيح كل النتوءات الجارحة التي يحملها من بيئته الخاصة باستخدام المادة العلمية نفسها وسيلة للتشويه الفكري والضياع القومي والاسقاط العملي في الحياة . واكثر ما تستخدم في هذا السبيل المواد القومية ، اسس القومية العربية ذاتها من لغة ودين وتاريخ مشوه هي التي تستخدم كمواد سلبية ضد الشعور القومي العربي وتوضع بالمقابل المواد القومية الصهيونية اقطاب جاذبة ايجابية . وتلعب الهزائم العربية الحالية دورها الكبير بين هاتين المتحولتين لينتهي الشاب العربي الى اليأس ان لم يصل الى العمالة .

وقد استطاعت السلطات الصهيونية ان تسوق هذه السياسة بألف خيط وألف طريق الى نتيجتها الطبيعية : الحفاظ لدى عرب فلسطين على مستوى من التعليم هو اكثر المستويات انخفاضا ليس بالنسبة الى التعليم اليهودي في اسرائيل فحسب ولكن بالنسبة للتعليم في جميع دول الشرق الاوسط الان وبالنسبة للتعليم في فلسطين ابان الانتداب ...(٤٢).

والدعوى الاعلامية التي تسوقها اسرائيل مدللة بأرقام التزايد التربوي لدى العرب في الارض المحتلة على تحسن احوالهم التعليمية تحسنا لم يكونوا ليعرفوه لولا الرعاية الاسرائيلية ، هذه الدعوى يكفي لكشف زيفها مقارنة الاوضاع التعليمية لبقايا النكبة في اسرائيل بأرقام الثورة التعليمية الواضحة في الدول العربية المجاورة في المنطقة كلها وخاصة الارقام في الكويت وسوريا ومصر ثم لبنان والعراق والاردن والسعودية . بعض هذه الارقام كأرقام الناجحين بالشهادة الثانوية في الكويت وسوريا ومصر تزيد مع حفظ جميع النسب ، عشر مرات عن أرقام المنكوبين بالاحتلال الصهيوني، وعدد طلاب الجامعات في سوريا ومصر ، مع الاحتفاظ دوما بالنسب يبلغ ١٢ ضعفا عن اعداد الجامعيين العرب في اسرائيل . جامعة الكويت ، بنت الامس والتي تستند الى اساس سكاني يقارب العدد السكاني العربي في الارض المحتلة تحوي الان ستة أضعاف الجامعيين في تلك الارض.

ان قوى التغيير والتطور في الارض المحتلة كانت اقل جدا من القوى التي تعمل ضدها ولهذا لا يؤدي التعليم العربي هناك ثماره المرجوة كغذاء للثورة والتمرد والتشبث بالارض .

على ان اجراسنا هناك ليست كلها مختنقة .

الرفض هناك ليست مجرد كلمة ولكنه الخبز اليومي للكثيرين . والكفاح ضد عوامل « التسطح » يطلع بين ما يطلع الازهار الوحشية المتمردة التي اصبحنا نعرفها باسم ادب المقاومة . ان الانتماء هناك ليس وجهة نظر والالتزام بالقضية القومية ليس رايا للمناقشة ولكنه واقع تاريخي معاش ، هو السجن والجوع والقتل واذا كان اطفالنا هناك هم ضحايا العنصرية الشوفينية الصهيونية والعسكرية الحاقدة فالمعلمون هم الاوتاد الغارقة في الارض تمسك الارض ان تزول او تتغير معالمها الى الابد .

هم القابضون على العروبة — أرأيت كيف يكون القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر؟

ومصير الطفل العربي هناك هو النموذج المصغر لمصير كل طفل عربي مع هذا الغزو الصهيوني بكل مكان . واذا كان القتال قدرهم المقدور هناك فهو كذلك قدرنا المقدور هنا ايضا ولو كرهنا « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » وفي معركة المصير التي تدور الان لا غالب هناك ومغلوب ولكن هناك فقط موجود وفان .

الجدول رقم (١)

١٩٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
حاملو شهادات جامعية ١٥	٢٦
حاملو أهلية تعليم ٧١١	٨٨٩
غير مؤهلين مرحلة أ ا ٣٠	٦٦
غير مؤهلين مرحلة أ ٤٥١	٤٥٩
غير مؤهلين مرحلة ب ٤١٣	٣٧٦
غير معروف الكفاية ١	١٤
المجموع ١٦٢١	١٨٣٠
نسبة غير المؤهلين الى المجموع ٥٥،٢٪	٤٩،٦٪

الجدول رقم (٢)

٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
المعلمون الرجال ١١٠٦	١٢٧٣
المعلمات ٥١٥	٥٥٧

الجدول رقم (٣)

٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
من عمر ١٨ حتى عمر ٢٩ ٩٨٧	١٠٢٢
من عمر ٣٠ حتى ٣٩ ٤٠٤	٥٥٠
من عمر ٤٠ حتى ٤٩ ١٤٣	١٦٥
من عمر ٥٠ حتى ٥٩ ٦٤	٧٠
من ٦٠ فما فوق مع غير المحددي الاعمار ٢٣	٢٣
معدل الاعمار ٢٨،٢	٢٨،٩

الجدول رقم (٤)

مسلمون (يقصد بهم سنيون) ٨١٩	٩٣٢
مسيحيون ٦١٢	٦٨٧
دروز ١٠٦	١٢٨
يهود ٥٦	٥٩
آخرون ٢٨	٢٤

الجدول رقم (٥)

ذوو الخبرة حتى اربع سنوات ٥٥٢	٥٨٤
ذوو الخبرة ما بين ٥ الى ٩ سنوات ٤٣٣	٥٠٥
ذوو الخبرة ما بين ١٠ الى ١٤ سنة ٣٣٩	٣٤٣
ذوو الخبرة ما بين ١٥ الى ١٩ سنة ٢٢٢	٢٨٢
ذوو الخبرة اكثر من ٢٠ سنة ٧٥	١٢٥
غير معروفي الخبرة —	١١
معدل سنوات التدريس للمعلم ٨،٠	٨،٢

الجدول رقم (٦)

	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
مجموع عدد المعلمين في اسرائيل	٢٢٨٩٢	٢٤٨٢٦	٢٦١٧٢	٢٧٩٧٢	٣٠٢٦٥	٣١٧٤٢	٣٣١٤٦	٣٥٦٥٥	٣٨٣٨١	٤٠٩٧٨
المعلمون العرب منهم	١٢٠١	١٣٨٨	١٤٤٩	١٨٤١	١٦٩٨	١٧٧٦	١٨٤١	١٦٣٠	؟	١٨٣٠
النسبة المئوية	٥،٢٪	٥،٦٪	٥،٥٪	٥،٨٪	٥،٦٪	٥،٦٪	٥،٦٪	٤،٩٪	—	٤،٥٪

الجدول رقم (٧)

	١٩٦٥–٦٤	١٩٦٧–٦٦
مجموع من يتجاوز عمره ٤٠ سنة من المعلمين يبلغ	٢٣٠	٢٥٨
ومجموع من تتراوح خبرته بين ١٥ الى ١٩ سنة يبلغ	٢٢٢	٢٨٢
ومن تزيد خبرته على ٢٠ سنة يبلغ	٧٥	١٢٥

الجدول رقم (٨)

	٥٧/٥٦	٦٢/٦١	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨	بنات
مجموع طلاب دار المعلمين العرب	٤٢	١١٧	٢٠٨	٣١٦	٣٦٨	منهم ١٩٥
مجموع طلاب دار المعلمين اليهودية	٢٦٠٠	٢٨٥٣	٧٤٦٦	٧٥٠٢	٥٩٩٤	منهم ٥٢٢٨

الجدول رقم (٩)

السنة المدرسية	عدد الفتيان في سن ٥–١٤		عدد الطلبة في المدارس الابتدائية ورياض الاطفال		النسبة المئوية	
	يهود	عرب	يهود	عرب	يهود	عرب
١٩٥٥ — ٥٦	٣١٦٠٠٩	٥٣٥٠٤	٢٨٨٨٧٦	٢٣٥٧٥	٩١٫٤	٤٤٫١
١٩٥٦ — ٥٧	٣٥١٥٧٨	٥٥٦٧٠	٣٢٥٩٤١	٢٦٥٣٨	٩٢٫٧	٤٧٫٦
١٩٥٧ — ٥٨	٣٩٠٠٨٤	٥٧٦٠٠	٣٥٩١٤٤	٢٨٢٦٩	٩٢٫١	٤٩٫١
١٩٥٨ — ٥٩	٤١٢٠٩٢	٥٩٠٠٠	٣٩٤٨٣٠	٣٠٣٩٣	٩٠٫٨	٥١٫٥
١٩٥٩ — ٦٠	٤٣٠٣٠٩	٦١٥٨٣	٤١٦١٩١	٣٢٦٦٤	٩٦٫٥	٥٣٫٠
١٩٦٠ — ٦١	٤٤٤٣٨٣	٦٣٢١٦	٤٣٣٣٤٣	٣٥٧٥٥	٩٧٫٥	٥٦٫٥
١٩٦١ — ٦٢	٤٥٥٤٢٠	٦٤٨٧١	٤٣٦٦٠٢	٣٩٢٧٥	٩٥٫٧	٦٠٫٥
١٩٦٢ — ٦٣	٤٧٤٦٣٤	٧٠٦٩٦	٤٤٥٦٩٩	٤٢٤٧٣	٩٣٫٩	٦٠٫١
١٩٦٣ — ٦٤	٤٨٩٢١٨	٧٥٧١٦	٤٥٩٨٠٤	٤٦٠٦٨	٩٣٫٩	٦٠٫٨

الجدول رقم (١٠) : عدد الطلاب العرب في السنوات المختلفة للدراسة وفي عدد من السنوات المختارة التالية :

الصفوف	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	١٩٦٩/١٩٦٨
الاول	٢٠١٢	٥٦٩٢	٤٣٢٦	٦٤٩٦	٩٣٣٩	٩٧٩٤	١١٤٠٩٨
الثاني	١٣٤٦	٥٢٥٥	٣١٨١	٦١٤٣	٨٩٠٤	٩٢٦٩	٩٦٨٠
الثالث	١١٧٩	٤٢٣٦	٣٣٩٥	٥٣٤٠	٧٧٩٦	٨٧٥١	٩٠٩٧
الرابع	٩٥٩	٢٣٤٠	٣٧١٥	٤٩٥٧	٧٠٨٢	٧٦٣١	٨٥٠٢
الخامس	٦٠٨	١٨٨٧	٣٤٢٩	٣٦٧٨	٦٣٢٤	٦٨٨١	٧٤٤٥
السادس	٣٧٥	١٤٢٩	٣١٦٧	٢٦٣٦	٥٦١٤	٥٩٧٠	٦٥٣٥
السابع	٢٣١	٩٣٩	٢٠٣٨	٢٤٦٥	٤٤٩١	٥٠٩٧	٥٤١٤
الثامن	٥٦	٦٠٠	١٤٨٨	٢١١٣	٣٤٥٩	٣٨٢٤	٤٣٢٢
التاسع	١٤	٢٥٦	٣٠٥	٥٦٢	٩٧٣	١٢٦٣	١٦٥٥
العاشر	—	١٥٤	٢٢٠	٣٥٢	٦٦٦	٨٠٢	١٠١١
الحادي عشر	—	١٨	١٧٢	١٩٠	٣٩٨	٢٥٩	٦٢٨
الثاني عشر	—	—	١٥٦	١٧٣	٢٤٣	٣١٥	٤٢٩
المجموع :	٦٧٨٠	٢٢٩٠٦	٢٥٦٣٤	٣٥٢٢٢	٥٥٥٨٩	٦٠٤٦٢	٦٦٢٤٢ (٧)

الجدول رقم (١١) : توزيع الطلاب بين التعليم الحكومي والتعليم الخاص غير الرسمي (ومعظمه ديني)

	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
في التعليم الخاص	٣٧١٢	٧٢٧٩	٩٤٣٨	١١٠٤٧	١٣٦٥٨	١٣٢٠٤	١٣٨٢٣
في التعليم الحكومي	٧٥٠١	٢٧١٤١	٢٩٢٤٤	٤٠٧٦٨	٦٣٨٦٢	٦٩٧٠٥	٧٥٧٨٠
المجموع	١١٢١٣	٣٤٤٢٠	٣٨٦٨٢	٥١٨١٥	٧٧٥٢٠	٨٢٩٠٩	٨٩٦٠٣

الجدول رقم (١٢) : توزيع التلاميذ العرب حسب الدين والطائفة في التعليمين الحكومي والخاص

	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
في التعليم الخاص							
مسلمون	—	٧١٢	١٢٥٨	١٨٩٠	٣٣٧١	٣٢٢١	٣٦٩٤
مسيحيون	—	٥٣٢٦	٦٦٤٢	٧٦٩٥	٩٤٥٢	٩٤٠٧	٩٥٧١
دروز	—	٦٠	١٦٩	٢١٢	١٣٧	١١٢	٨٥
آخرون	—	١١٨١	١٣٦٩	١٢٥٠	٦٩٨	٤٦٤	٤٧٣
في التعليم الحكومي							
مسلمون	٣٧٥٤	٢٠٠٥٨	٢٠٧٥١	٣٠٠٣٠	٤٩٠٢٢	٥٣٨٧٨	٥٨٩٩٥
مسيحيون	٢٧٥٣	٤٣٥٤	٤٩٨٥	٦٠١٤	٧٣٥٥	٧٨٠٧	٨٢١٨
دروز	٩٨١	٢٧٢٢	٣٥٠٦	٣٧١١	٧٤٦٤	٨٠١٩	٨٥٦٥
آخرون	١٣	٧	٢	١٣	٢١	١	٢

الجدول رقم (١٣) : عدد التلاميذ العرب في مراحل التعليم المختلفة سنة ١٩٦٩/٦٨

	في التعليم الخاص	في التعليم الحكومي	المجموع
في رياض الاطفال	٢٦٩٥	٩٥٣٨	١٢٢٣٣
في التعليم الابتدائي	٨٦٦٣	٦٢١٥١	٧٠٨١٤
في التعليم الثانوي	٢٤٦٥	٣٧٢٣	٦١٨٨
في دار المعلمين	—	٣٦٨	٣٦٨

الجدول رقم (١٤) : نسبة التلاميذ العرب الى عدد الاطفال العرب (بالالف) :

اولا : من ٦ الى ١٣ سنة

في ١٩٦٢/١٩٦١	٨٠٤٠١	لكل ألف	من أولاد	السكان غير اليهود
في ١٩٦٤/١٩٦٣	٨٠٣٠١	»	»	»
في ١٩٦٧/١٩٦٦	٨٤٤٠١	»	»	»

ثانيا : من ١٤ الى ١٧ سنة

الباقون في المرحلة الابتدائية في ٦٢/٦١	٧١٠٦	»	»	»
٦٤/٦٣	٧٥٠٤	»	»	»
٦٧/٦٦	٧٥٠٩	»	»	»

الذين انتقلوا الى المرحلة				
الثانوية	في ٦٢/٦١	١٠١٫٨	«	«
	في ٦٤/٦٣	١١٣٫٦	«	«
	في ٦٧/٦٦	١٥١٫٩	لكل ألف من أولاد السكان غير اليهود	
	في ٦٨/٦٧	١٦٥٫٣	«	«
	في ٦٩/٦٨	١٩٤٫٨	«	«
المجموع من هذا العمر	في ٦٢/٦١		١٧٣٫٤ لكل الف من الاولاد غير اليهود	
	في ٦٤/٦٣		١٨٩٫٠ «	«
	في ٦٧/٦٦		٢٢٧٫٨ «	«

الجدول رقم (١٥)

دفعة	٥١—٥٨	٥٢—٥٩	٥٣—٦٠	٥٤—٦١	٥٥—٦٢	٥٦—٦٣	٥٧—٦٤	٥٨—٦٥	٥٩—٦٨
بقي من العرب	٪٣٢٫١	٣٩٫٦	٤٩٫٩	٥٦٫٦	٥٩٫٥	٥٤٫٨	٤٢٫٣	٥٦٫١	٥٥٫٦
بقي من اليهود	٪٧٧٫٥	٨٥٫٩	٩١٫٤	١٠١٫٦	١٠٢٫٥	٩٧٫٩	٩٨٫٥	١٠١	١٠٥٫٤

الجدول رقم (١٦)

٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	١٩٦٦
٪٥٫٣	٪٤٫٥	٪٣٫٧	٪٣٫٥	٪٣٫٢	٪٣٫٤	٪٣٫١	٪٢٫٩	٪٣	٪٣٫٣

الجدول رقم (١٧)

	٥٦—٥٧	٥٧—٥٨	٥٨—٥٩	٥٩—٦٠	٦٠—٦١	٦١—٦٢	٦٢—٦٣	٦٣—٦٤	٦٤—٦٥	٦٥—٦٦
من العرب	٪٢٨٫٩	٢١٫٦	٢٧	٢٩٫٧	٣١٫٧	٤٠٫٧	٣٠٫٥	٣٠٫٩	٢٩٫٤	٣٢٫٤
من اليهود	٪٧٤٫١	٧٠٫٢	٧٤٫٨	٧٤٫٢	٧٤٫٩	٧٣٫١	٧٤٫٨	٧٥٫٩	٧٧٫٦	٨٢٫٢

الجدول رقم (١٨)

	٥٥—٥٨	٥٦—٥٩	٥٧—٦٠	٥٨—٦١	٥٩—٦٢	٦٠—٦٣	٦١—٦٤	٦٢—٦٥	٦٣—١٩٦٦
من العرب	٤٣٫٩	٤٠	٤٠٫١	٤٠٫٥	٤١	٣٩٫٥	٣٨٫٤	٣٠٫٦	٤٢٫٢
من اليهود	٥٦٫٦	٥٢٫٨	٤٨٫٩	٥٠٫١	٤٥٫٨	٤٤٫٢	٤٧٫٨	٥٠٫٤	٥١٫٤

الجدول رقم (١٩)

٥١—٥٢	٥٣—٥٤	٥٤—٥٨	٥٨—٥٩	٥٩—٦٠	٦٠—٦١	٦١—٦٢	٦٢—٦٣	٦٣—٦٤	٦٤—٦٥	٦٥—٦٦	٦٦—١٩٦٧
١٠	١٧	٢٣	٥٧	٧٥	٧٧	١٣٥	٢١٠	٢٠٨	٢٥٠		

الجدول رقم (٢٠)

في المرحلة الثانوية :	٩٥٧	٩٥٨	٩٥٩	٩٦٠	٩٦١	٩٦٢	٩٦٣	٩٦٤	٩٦٥	٩٦٦
عدد الطلاب اليهود	١٦٧٢٨	٢٠٣٥٠	٢٤٥٦٥	٣٠٠١٥	٣٦٥٣٨	٤٠٤٢٥	٤٢٢٩٦	٤٦٦٦١	٤٩٦٢٨	٥٣٥٧٧
عدد الطلاب العرب	٩٤٥	٨٨٤	٩٦٨	١٠٨٦	١٢٤١	١٤٢٥	١٣٤٠	١٤٠٥	١٥٥٨	١٨٤٦

الجدول رقم (٢١)

مدارس اليهود	٣٨٧٢	٣٩٨١	٤١٥٩	٤٢٢٨	٤٣٤٥	٤٤٧٢	٤٦٣٢	٤٧٧٠	٤٩٨٠	٥١٨١
مدارس العرب	٢٣٥	٢٥٤	٢٦٧	٢٩٦	٣١٧	٣٢٧	٣٣٠	٣٣٠	٣٥٣	٣٦٢

الجدول رقم (٢٢)

١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
٪٢٠٢	٪١٠٢	٪١٠٩	٪٢٠٦	٪١٠٧	٪١٠٣	٪١٠١	٪١٠٣	٪١٠٧	٪١٠٣	٪١٠٢

الجدول رقم (٢٣)

	السكان		الناجحون بالشهادة الثانوية	
السنة الدراسية	عدد اليهود	عدد العرب	من اليهود	من العرب
١٩٥٥/٥٤	١٢٥٢٦٠٩	١٩١٨٠٠	٢٥٢٠	٣٨
١٩٥٦/٥٥	١٥٩٠٥٠٠	١٩٨٥٥٦	٢٧٢٣	٩٦
١٩٥٧/٥٦	١٦٦٧٤٤٥	٢٠٤٩٣٥	٢٩٠٤	٧٧
١٩٥٨/٥٧	١٧٦٢٧٤١	٢١٣٢١٣	٢٦٩٨	٦٠
١٩٥٩/٥٨	١٨١٠١٤٨	٢٢١٥٢٤	٢٢٦٤	٢٨
١٩٦٠/٥٩	١٨٥٨٨٤١	٢٢٩٨٤٤	٢٦٧٥	٥٣
١٩٦١/٦٠	١٩١١١٨٩	٢٣٩١٦٩	٢٤٦٤	٩٤
١٩٦٢/٦١	١٩٣٢٣٥٧	٢٤٧١٣٤	٤٣٥٦	٧٥
١٩٦٣/٦٢	٢٠٦٨٨٨٣	٢٦٢٩١٩	٥٧٠٢	٧٦
١٩٦٤/٦٣	٢١٥٥٦٠٠	٢٧٤٥٠٠	٧١٧٣	٨٢
١٩٦٥/٦٤	٢٢٣٩٢٠٠	٢٨٦٤٠٠	٨٤١٨	١١٧
١٩٦٦/٦٥	٢٢٩٩١٠٠	٢٩٩٣٠٠	٨٠٤٣	١٣٩
١٩٦٧/٦٦	٢٣٤٤٩٠٠	٣١٢٥٠٠	١٠٥٨٨	١٤٤

الجدول رقم (٢٤)

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
٪ ٠٠٩	٪ ٠٠٧	٪ ٠٠٨	٪ ٠٠٨	٪ ١	٪ ٠٠٩

الجدول رقم (٢٥)

عدد الطلاب العرب	٢٤٠	٢٢٠	٢٨٠	٣١٠	٤٣٤	٤٦٦
عدد الطلاب اليهود	٢٥٦١٥	٢٨١٩٨	٣٢٣٧٠	٣٧٨٠٣	٤٢٢٩٦	٤٧٣٥٢

١ — Ministry of Foreign Affairs (Israel), *The Arabs in Israel*, Jerusalem, 1958, p. 74.

٢ — J. S. Bentwich, *Education in Israel*, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, p. 174.

٣ — الاحصاءات في هذا القسم من البحث مأخوذة من كتاب الاحصاء الاسرائيلي :

Statistical Abstract of Israel, No. 20, 1969. Central Bureau of Statistics, Jerusalem, 1969, p. 555-557.

ومن بحث للدكتور صالح عبدالله سرية بعنوان « التمييز في مجال التعليم بين العرب واليهود في اسرائيل » ، في مجلة **الجامعة المستنصرية** (بغداد) ١٩٧٠ ، العدد الاول .

٤ — كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** للسنة ١٩٦٣ ، ص ٥٤٠ و٦٢٩ .

٥ — غسان كنفاني ، **ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ — ١٩٦٦** (دار الاداب) بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦ .

٦ — صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** (مركز الابحاث في م. ت. ف.) بيروت ، ١٩٦٧ ، الجزء الثاني ، ص ١١٦ .

٧ — نلفت النظر الى الفارق الكبير بين هذا الرقم وبين الرقم الاخر الموجود في الجدول رقم (١٢). والرقمان من الاحصاءات الرسمية .

٨ — جميع هذه الاحصاءات من كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** ، آنف الذكر ، للسنة ١٩٦٩ ، ص ٥٥٧ — ٥٦٣ .

٩ — ان الجدول رقم(١٥) والجداول الثلاثة التالية له تقدم على اساس حساب النسب المئوية ، وصفيت بالاستناد الى الارقام الاحصائية المنشورة في كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٨ .

١٠ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١١٨.

١١ — انظر المرجع المذكور في الحاشية رقم ١ .

١٢ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١١٩ ، وحبيب تهوجي ، **مذكرة مقدمة الى الندوة العالمية الثانية لفلسطين في الكويت** (شباط ١٩٧١) .

١٣ — هذه الاحصاءات مأخوذة من كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** للسنة ١٩٦٣ ، ص ٦٢٧ — ٦٣٤ . وللسنوات ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٧ .

١٤ — **المصدر السابق** ، السنة ١٩٦٩ .

١٥ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١٢٢.

١٦ — بنتوتش ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ — ١٧٧ .

١٧ — Randolf L. Braham, *Israel: A Modern Education System*, Washington, 1966, p. 91.

١٨ — صبري جريس، **المصدر السابق**،ص ١١٨ .

١٩ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٣ — ١٢٦ .

٢٠ — بنتوتش ، **المصدر السابق** ، ص ١١٧ .

٢١ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ — ١٢٨ .

٢٢ — حبيب تهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٢.

٢٣ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ — ١٢٧ .

٢٤ — حبيب تهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١١.

٢٥ — **هآرتس** ، ١٩٦١/٤/٤ .

٢٦ — **معاريف** ، ١٩٥٥/١٠/٧ .

٢٧ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

٢٨ — هذا ما يكرره بن جوريون في مناسبات عديدة وبصيغ متشابهة تقريبا .

٢٩ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص١٠٧ .

٣٠ — كان عدد الدروز في العام ١٩٤٩ : ١٤٥٠٠ وبلغ عددهم في ١٩٦٨ : ٣٣٢٥٠ .

٣١ — **مجموعة قوانين الكنيست** ، مجلد ٩٥ في ١٩٥٧/٩/٢١ ، ص ١٢٨٠ .

٣٢ — **محاضر الكنيست** ، مجلد ٣٥ في ١٩٦٢/١٢/١٩ ، ص ٥٢٧ .

٣٣ — **دافار** ١٩٧٠/٩/٧٠ .

٣٤ — **دافار** ، ١٩٧٠/١/٩ .

٣٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/٨/١٤ .

٣٦ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/٩/٤ .

٣٧ — صبري جريس ، **المصدر السابق**، ص١٢٠.

٣٨ — **محاضر الكنيست** ، مجلد ٢٦ سنة ١٩٦٣ ، ص ١٩٦٨ .

٣٩ — الجدول رقم (٢٢) بالنسب المئوية محسوب من واقع الارقام الاحصائية المنشورة في كتب **الاحصاء الاسرائيلي** ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٨ .

٤٠ — حبيب تهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠.

٤١ — كتب **الاحصاء الاسرائيلي** ، ص ١٩٥٦ الى ١٩٦٤ .

٤٢ — **المصدر نفسه** ، ما بين ١٩٦٣ و١٩٦٨ .

٤٣ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١١٥.

مراجعات

Khalid Kishtainy, **Palestine in Perspective**
(Beirut: P.L.O., Research Center, 1971).

ان كتاب خالد القشطيني من الكتب التي كان من الضرورة أن تكتب ، ليس الان فقط ، بل ومنذ عشرين سنة ، خاصة وانه مزود بايضاحات عن الخلفية الجغرافية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية لفلسطين التي بدأت تؤول الى الزوال بشكل سريع . وقبل البدء في استعراض الكتاب لا بد من الاشارة الى ان قسما كبيرا من المواد التي جمعها قشطيني في هذا الكتاب متوافرة في كتب اخرى ، ولكن بشكل نتف في تلك الكتب التي هي موضع اهتمام الباحثين والاخصائيين . وكذلك لا بد من الاعتراف ان مجرد جمع هذه المادة ورسم صورة متوازنة منها لتاريخ فلسطين وتطورها عمل يستحق الثناء والتقدير ، علما بأن هناك جهودا ، في المقابل ، تبذل عن سابق تصميم لتشويه ، ان لم يكن محو ، صورة فلسطين الحقيقية . من هنا ارى انه ، رغم البحث والتدقيق والعناء الذي بذله المؤلف في وضع الكتاب ، من المؤسف حقا وجود اخطاء في تقديم المادة يمكن ان تستخدم كحجة يتمسك بها جميع اولئك الذين لا يعجبهم الكتاب . ففي طبع كتاب من هذا النوع ، حيث الدقة هي أهم ما يرمي اليه المؤلف الذي يهدف الى تصحيح اخطاء الاخرين ، من المؤسف وجود مثل هذا الاهمال في تصحيح الطباعة وفي الهفوات الصغيرة التي تصرف القارىء عن الاهتمام بتتبع تسلسل الاراء المطروحة . ولو ظهر مثل هذا الكتاب ، الذي يعرض مثل هذه الصورة غير المتعارف عليها لتسلسل الاحداث في فلسطين ، قبل سنة او سنتين لكانت مثل هذه الضعفات قاضية . وما اقصد به هو ان هذه الصورة غير مألوفة للقراء العاديين الذين كانوا غارقين تحت وابل من المعلومات الخاطئة ، التي كان بعضها مضللا عن غير قصد في حين كان البعض الاخر يخدم اهدافا دعائية .

ولكن ، ولحسن الحظ ، تغير الوضع الان . فالقارىء الذي يبغي في الحقيقة معرفة صورة فلسطين ما قبل ١٩٤٨ ، وما هو التبرير الذي قدمه الصهيونيون لتعاملهم معها كمنطقة للاستعمار ، وما هي الحيل والذرائع التي استخدمت للتغلب على تردد أولئك (اليهود والاميين) الذين كانوا يعارضون هذه المبادرة ، وما هي العوامل التي مكنت الصهيونيين من مثل هذا النجاح الباهر ، يجد أمامه فيضا من الكتابات الجديدة . ففي كل شهر تظهر كتب جديدة لمؤلفين نجحوا في الحصول على معلومات جديدة — او على معلومات كانت مخفية او متغافل عنها — لها تأثير كبير على موضوعات هامة حديثة . وهنا تجدر الاشارة الى ان بين أولئك الذين يعملون على اعادة التمحيص في خلفية المسألة الفلسطينية عدد من الكتاب الاسرائيليين الذين من المتوقع ان تساعد تحليلاتهم لدوافع واطماع الصهيونيين الاوائل على اضعاف هيمنة اسرائيل على الفكر الغربي. ومن ابرز هؤلاء عاموس الون مؤلف كتاب « الاسرائيليون : مؤسسون وابناء » الذي يعالج بموضوعية نادرة المعضلة التي تواجه اسرائيل التي اقيمت على حساب عرب فلسطين . وهذا الكتاب يكمل في كثير من المواضع كتاب خالد قشطيني ، اذ ان المؤلف، كاسرائيلي ، يشير اعتمادا على بينات من الداخل الى عدد من المغالطات في الفكر الصهيوني يكشفها قشطيني من الخارج .

ان كتاب « عمران فلسطين » الذي نحن بصدد مراجعته هو محاولة لخرق جدار الميثولوجيا التي غلفت القضية الفلسطينية منذ زمن طويل ، وللوصول الى حقيقة شعب فلسطين وتاريخها الذي كان له اعظم الاثر في تطور التاريخ الانساني . ولتحقيق ذلك ، يصف المؤلف الحضارة التي وجدها

العبرانيون الاكثر تخلفا عندما تسللوا الى بلاد كنعان حوالي نهاية الالف الثاني ق. م. وبعد ذلك يتحدث عن قيام الممالك اليهودية وسقوطها وكذلك حكم الاغريق والرومان حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي . وهنا يلاحظ المؤلف نقطة هامة وهي انه بعد قيام الحكم العربي « لمدة تقارب الخمسمئة سنة ظلت القدس بعيدة تماما عن اي نوع من الكوارث السياسية او العسكرية ، كما لم تتعرض لاي تدمير او حريق او نهب كالذي تعرضت له في الفترات السابقة خاصة في ظل الحكم اليهودي . » ويضيف بأن فترة الهدوء هذه لم تنته الا في زمن الفتوحات الصليبية في العام ١٠٩٩ عندما احتفل الغزاة الجدد ، لمناسبة استيلائهم على القدس، بذبح قسم كبير من سكانها. وهذه الحقائق التي غالبا ما تكون موضع تحريف على يد المؤرخين اليهود والمسيحيين الغربيين ، تشكل النقطة المركزية لوجهة نظر المؤلف ، وهي انه اذا لم تعد فلسطين في بداية القرن العشرين الارض الاسطورية للبن والعسل ، فان مسؤولية ذلك لا تقع على عرب فلسطين ، بل على الغزاة الاجانب الذين تعاقبوا على حكم البلاد واساءوا استخدام مقدراتها او دمروها . اضف الى ذلك ، يقول المؤلف وبشكل مقنع ، انه في حين كانت معظم ثروات البلاد مشتتة ، فان الاسطورة الصهيونية التي تقول بأن الصهيونيين الاوائل وجدوا فلسطين بلادا قاحلة هي كذلك وجهة نظر خاوية . ومن الطريف ان افضل المراجع التي يستخدمها لتدعيم هذا الرأي هو كتاب السير موسس مونتيفيوري الذي قام في العام ١٨٣٩ بجولة في فلسطين بقصد الحصول على اراض للتنمية الزراعية على يد المستوطنين اليهود . ويقول السير موسس عن الجليل الشرقي : « يوجد كروم زيتون يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة على ما اعتقد ، وكروم عنب ، ومراع وآبار ومياه وافرة وصحية ، وكذلك شجر التين والجوز واللوز والتوت ، الخ ، وحقول غنية بالقمح والشعير والعدس . » ويضيف السير موسس انه وجماعته « بين صفد وطبريه عبروا في منطقة جميلة يتخللها منحدر طويل يلتوي بين التلال المغطاة بأشجار التين والزيتون والرمان » ، كما انهم رأوا ان المنطقة المحيطة بالجاعونه « رائعة حقا وفي افضل مستوى زراعي . » وقد اثنى على مهارة المزارعين ، ولاحظ كثرة قطعانهم ودواجنهم وخلص الى القول : « انني لم ار اي بلد غنية وجميلة كهذه » . اعتقد ان هذا يكفي بالنسبة لخرافة الصحراء التي جعلها الصهيونيون تزهر .

ومن الجدير بالملاحظة ان نرى عددا من الاسرائيليين في الوقت الحاضر يعبرون بصراحة عن آراء مماثلة تناقض الاسطورة التي نجح الصهيونيون في غرسها في العالم الخارجي . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، هناك عاموس الون الذي يقول في كتابه المشار اليه آنفا : « هناك شعور مزعج بالذنب ، ولو بشكل محدود ، بين بعض الاسرائيليين بأن افضل الاراضي التي يقيمون عليها كانت ملكا للعرب الذين ارغموا بطريقة او بأخرى على النزوح عنها . » وقد حدثت في المجال الثقافي عملية مماثلة لهذه نوعا ما . واعتقد ان كثيرا من الاسرائيليين يشاطرون خالد قشطيني ملاحظته بأن « المهاجرين اقتبسوا كثيرا من الفنون الشعبية العربية ، بما في ذلك الرقص والزخرفة ... لخلق ما يسمونه في هذه الايام الفن الاسرائيلي . » اما في مجال العمران فالامر مختلف، ولسوء الحظ ، اذ ان القدس الجديدة التي باشر الاسرائيليون في بنائها هي ، بكل بشاعتها ، من خلقهم .

وبالنسبة للسؤال الاخير الذي يطرحه الاستاذ القشطيني حول ما اذا كان من الممكن ان تتعرض فلسطين للدمار والخراب كالذي رافق الغزوة الاسرائيلية الاولى ، اعتقد ان الوقت لم يحن بعد للاجابة عليه . ولكن المرء ، في هذا المجال ، سرعان ما يتذكر قول آحاد هاعام ، المفكر اليهودي المشهور بأن « الخطأ الذي ينجح يبقى خطأ . »

مايكل ادامز

A. C. Forrest, **The Unholy Land**
(Toronto: McClelland and Stewart Ltd., 1971)
Frank H. Epp, **Whose Land is Palestine ?**
(Michigan: William B. Eerdmans Publishing Co., 1970)

من المفيد دراسة ومقارنة مثل هذين الكتابين لسببين . فهما يمثلان اولا الاتجاهات الجديدة التي بدأت تظهر في مواقف الكنائس البروتستانتية من قضية فلسطين . ويعبران ثانيا عن بوادر تفسخ جدار الجهل الذي اقامته وسائل الدعاية الصهيونية واحاطت به الرأي العام في المجتمعات الغربية . ولقد ارتأينا اجراء هذه المقارنة للكتابين استنادا الى اربعة مفاهيم تتناول طريقة البحث ، والغرض من الكتابين ، وميزات الكتاب ، واخيرا تعريف الكاتبين لقضية فلسطين والحل الذي يرتئيانه لها.

١) طريقة البحث : يعتمد كل من الكاتبين طريقة مختلفة في تجميع المواد واسلوب التحليل. فالدكتور أب يلجأ الى اسلوب التحليل التاريخي ولهذا فهو يكثر من الاعتماد على المراجع ويحاول جاهدا ان يضفي على كتابته طابع دقة التحليل التاريخي . بينما يعتمد الدكتور فورست المقابلات والتجربة الشخصية اساسا لتجميع مادة الكتاب حتى وانه يغفل في كثير من الاحيان عن ذكر مصادر الجمل التي يستعين بها بين الحين والاخر . ويصح القول ان هذا الاختلاف في طريقة البحث قد جعل كلا من الكتابين يصلح لجمهور مختلف من القراء . فكتاب **الارض غير المقدسة** يستميل القارىء العادي المفتقر الى الكثير من المعلومات عن الوضع في الشرق الاوسط والذي يفضل ان يستخلص له الكاتب بعد سرد لبعض المواقف والحوادث الاتجاهات والنتائج الناجمة عن الوضع القائم . واما كتاب **لمن ارض فلسطين ؟** فيغلب عليه الطابع الاكاديمي الجاف واهتمام الكاتب بسرد الوقائع اكثر من اهتمامه بالتحليل .

٢) الغرض من الكتاب : يعرف أب غرضه من كتابة **لمن ارض فلسطين ؟** بانه محاولة تنوير مسيحيي شمال اميركه الذين يعانون في فهمهم لقضية الشرق الاوسط من خطأين : اولهما عدم وضوح البعد التاريخي للقضية وثانيهما النظرة الدينية الضيقة . ولهذا نرى أب يحاول أن يستعرض تاريخ فلسطين منذ بدء الحضارة فيها ، اي انه يستعرض حقبة الخمسة آلاف سنة الاخيرة من تاريخ فلسطين . وهو يسعى في مجال استعراضه لاحداث هذه الحقبة التاريخية ان يتفهم المكانة التي خصّت بها الديانات الثلاث — اليهودية والمسيحية والاسلام — فلسطين ، ويهدف أب من ذلك الى تحرير قرائه من المفاهيم الخاطئة العالقة باذهانهم بسبب تفسيرهم الحرفي للكتب المقدسة وجهلهم بالحضارات الاخرى التي ازدهرت على ارض فلسطين .

ويوضح فورست في مقدمة **الارض غير المقدسة** هدفه بانه المساهمة في عملية فهم القضايا المعقدة المتعلقة بالنزاع العربي — الاسرائيلي . وذلك من اجل الوصول الى خطوات ايجابية تؤمن اولا عدم وقوع حرب اخرى وتضع ثانيا حدا لمآسي اللاجئين الفلسطينيين وتطمئن ثالثا الشعب اليهودي على مستقبله . ولقد ضمن فورست كتابه خلاصة ما رآه وسمعه خلال زياراته المتعددة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ الى منطقة الشرق الاوسط . واعتبر الكاتب مهمة ايصال وتعريف الرأي العام بالمعلومات التي حصل عليها واجبا يحتمه عليه ضميره الانساني . فوسائل الاعلام الغربية برأيه ومن ضمنها الجرائد الدينية قد خانت جمهورها وجعلت منه ضحية لدعاية ماهرة . ويضيف ان رجال الدين خاصة قد شاركوا في لعبة التغطية هذه اما برضوخهم للتهديدات الصهيونية او بسماحهم للصهيونيين بالتلاعب بهم واغرائهم ، كما يحدث حين قبولهم للرحلات المجانية لاسرائيل . وهذا ما يفسر اندفاع البعض منهم ومغالاتهم في تأييد اسرائيل . ويعطي فورست مثالا على ذلك ما قاله الدكتور روي اكهاردت ، استاذ الدين ومن اتباع الكنيسة المثودية ، أن مصانع الاسلحة الاسرائيلية هي اصح مكان اليوم لاعطاء الشهادة المسيحية .

٣) ميزات الكتاب : يتميز كتاب أب بالرغم عن عدم ورود معلومات جديدة او غير معروفة فيه بانه محاولة جدية لاعطاء تفسير ديني لقضية فلسطين وبقالب جديد . فهو باظهاره العامل الديني لا يقتصر في معالجته على مجرد عرض رجهة نظر

ديانة واحدة . بل يتعداه الى وجهات الاديان الثلاثة التي مرت على أرض فلسطين . وهذا ما افتقرت اليه سابقا الكتب التي عالجت الموضوع من هذه الزاوية . والميزة الثانية للكتاب تظهر في الفصل الاخير حيث ينتقل أب من مرحلة السرد الى مرحلة التحليل ويقدم بعض الاراء الجديدة والجريئة . فهو يبحث مثلا في امكانية مساهمة مسيحيي الغرب بايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط فيعدد المزايا والعقبات التي تقف اما لتشجيع مثل هذه المساهمة او الحؤول دونها . ويعدد بالاضافة المفاهيم التي يجب على مسيحيي الغرب أن يتخلصوا منها والمفاهيم التي عليهم أن يكتسبوها حتى يمكن لهم القيام بدور الوسيط . ولقد نجح اب عند ابدائه هذه الاراء في التخلص من عقد التكبر والاستعلاء والتهرب التي كثيرا ما كانت تشوب كتابات الغربيين الذين حاولوا معالجة مواقف مجتمعاتهم من قضية فلسطين .

اما كتاب فورست فيمتاز على كتاب أب بأسلوبه المبسط وايلائه الوضع الحالي اهتماما اكبر . والكاتب جريء في معالجته للمواضيع التي يتناولها ولا يتوانى في اصدار حكم قاطع على اللاانسانية التي تتصف بها سياسة اسرائيل في الاراضي المحتلة وفي معاملتها للاقلية العربية في اسرائيل . ويمكن اعتبار الكتاب سجلا فاضحا لشاهد عيان يفند فيه مزاعم اسرائيل الاعلامية ويفضح عدوانيتها وعنصريتها .

٤) تعريف القضية الفلسطينية والحل الذي يتبناه كل من المؤلفين : يعرف فورست قضية فلسطين على انها نتاج محاولة حل المشكلة اليهودية من خلال اقامة دولة يهودية واقتراح تقسيم فلسطين . ويضيف فورست ان هذه المحاولة بخلقها عن عمد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين واقامة دولة عنصرية وعدوانية جعلت اية امكانية لحل القضية رهنا ، في الامد القريب ، على تطبيق قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفي الامد البعيد ، على تخلي اسرائيل عن صهيونيتها . ويرى فورست ان الطغمة الحاكمة في اسرائيل لن تقدم على هذه الخطوات . كما ويعتقد انه من المحتمل ان يساهم الشباب الاسرائيلي ، الذي أصبح اكثر اقتناعا بعدالة قضية الفلسطينيين ، مع الشباب العربي في حمل دولة اسرائيل على القبول بحل عادل للقضية .

ويختلف أب في تعريفه لقضية فلسطين عن فورست فيعتبر انها نتاج صراع ما بين شعبين، الفلسطينيون العرب واليهود ، على أرض جغرافية واحدة . وان شعوب الغرب في محاولتها التعويض عن اضطهادها لهم ، عادت فعبرت عن شعورها المعادي للسامية باضطهادها العرب وتسهيل خلق دولة يهودية . ويرى أب أن الحل الوحيد للقضية يكمن في اعطاء الفلسطينيين حق العودة الى ديارهم وتوفير ضمانات كافية لليهود القاطنين فلسطين حاليا وجعل الدول الكبرى تكف عن التدخل في شؤون الشرق الاوسط .

ان كتابي **الارض غير المقدسة** و **لمن ارض فلسطين** يمثلان بوادر الرفض التي بدأت تظهر بين رجال الدين في امريكة الشمالية لنظرة مجتمعاتهم التقليدية حيال الوضع في الشرق الاوسط . وليس من المستغرب أن يثير الكتابان وخاصة كتاب الدكتور فورست ضجة كبيرة حين صدورهما في كندا وذلك للمكانة الخاصة التي ما زال يتمتع بها رجال الدين في المجتمع . ولقد عملت الدوائر الصهيونية على التخفيف من تاثير كتاب فورست بأن وجهت ضغوطا الى اكبر شركة كندية للتوزيع ونجحت في سحب الكتاب من الكثير من المكتبات في ارجاء البلاد . بيد ان هذه الحملة باءت بالفشل حين تنبهت لها مجموعة من شباب الجالية العربية في لندن انتاريو وعملت بمساندة الاتحاد الكندي العربي على اثارة الموضوع علانية وتوجيه الاحتجاج الى الدوائر الرسمية والهيئات الشعبية والتظاهر ضد هذا التحيز السافر . ونجحت هذه المجموعة في كسب الرأي العام الكندي الذي سارع بدوره الى المكتبات يطلب منها نسخا من الكتاب . وبقي كتاب **الارض غير المقدسة** ولعدة اشهر على قائمة احسن المبيعات .

هاني احمد فارس

J L. Talmon, **Israel Among the Nations,**
(London: Weidenfeld and Nicholson, 1970).

ان الكتاب الذي نستعرضه الان ليس الا عبارة عن مجموعة من ٣ مقالات مطولة ، كان المؤلف — وهو استاذ للتاريخ الحديث في الجامعة العبرية بالقدس — قد كتبها في اوقات متفاوتة ، ثم جمعت ونشرت على شكل كتاب واحد . واكن على الرغم من ذلك فمجموعة المقالات هذه تعبر عن راي المؤلف ونظرته الاساسية الى ثلاثة من المواضيع الرئيسية الهامة : اليهودية والصهيونية واسرائيل .

وقبل ان نتطرق الى معالجة كل من تلك المقالات على حدة ، لا بد لنا ان نشير الى ان الانطباع الذي يخرج المرء به بعد قراءة هذه المادة هو ان المؤلف لا يختلف كثيرا عن تلك المدرسة من المؤرخين التي خلقتها الجامعة العبرية بالقدس وان نظرة المؤلف الى التاريخ اليهودي خاصة لا تختلف كثيرا عن نظرة المنتمين الى تلك المدرسة . وهي المدرسة التي توجه اللوم الى كل من الاشتراكية والراسمالية واحيانا اليهود انفسهم ، على حد سواء . معتبرة كلا منهم مسؤولا عن المصاعب التي حدثت لليهود خلال القرنين الماضيين . هذا في نفس الوقت الذي تصل به الى نتيجة مفادها ان ظهور الصهيونية كان ضرورة حتمية ، لتعود وتهمس بصوت خافت ان الحركة الصهيونية ارتكبت بعض الاخطاء — وخاصة بحق العرب — اثناء مسيرتها ولتعلن في نفس الوقت عن تشاؤمها وامتعاضها من عدم قدرة العرب على « تفهم » الحركة الصهيونية . بينما كل هذا مرفق بمحاولات لاعادة النظر في تاريخ اليهود ، بصورة تكاد تصل احيانا الى محاولات اعادة كتابته من جديد .

ففي المقالة الاولى التي يحتوي عليها الكتاب ، وتحت عنوان « الثورة والثورة المضادة » يردد المؤلف القول ان العناصر اليمينية كانت تعتبر اليهود من المؤيدين لليسار الاشتراكي مبدئيا كرهها لهم ، بينما العناصر اليسارية تعتبرهم في صف الطرف المضاد وتبدي هي الاخرى بغضا لهم . ومن هنا ينتقل المؤلف الى القول ان اليهود اشتركوا بأعداد كبيرة نسبيا في ثورات ١٨٤٨ في اوروبا ، وان هذه الواقعة سببت ارتكاب المجازر بحقهم فيما بعد . كذلك يرى المؤلف ان نشاط اللاساميين في اوروبا ، الذين اصبحوا يعتبرون اليهودي رمزا للخبث ، زاد من سوء وضع اليهود في اوروبا يومها (راجع الصفحات ١٣ و ٢١ و ٢٨ و ٤٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٤) .

وبعد تلك المقدمة ينتقل المؤلف ليحدثنا عن الحركة الصهيونية وعرضها على شكل « نماذج من الوعي الذاتي اليهودي » بصورة توحي — كما ذكرنا — ان ظهور تلك الحركة كان حتميا ولكن الغريب في الامر ان المؤلف ، لسبب ما ، وبعد ان يحدثنا قليلا عن هرتسل ، دون ان يأتي بجديد ، يركز اهتمامه كليا على موشي هس وبصورة يشعر بها القارىء ان الرجل هو مثاله الاعلى . والغريب في الامر ان المؤلف يكاد لا يتعرض لاي من آباء الصهيونية ومفكريها عدا الشخصين المذكورين — لا اولائك الذين عاصروهم والذين لا يقلون اهمية عنهم في كثير من الاحوال ولا اولائك الذين ظهروا بعدهم ، رغم اهميتهم .

اما في مقالته الثالثة والاخيرة — وهي زمنيا احدث مقالة في الكتاب — فيعالج المؤلف وضع اسرائيل وموقفها من العرب بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وفي هذه المقالة بالذات تبرز روح تلك المدرسة من المؤرخين التي تحدثنا عنها ، واذا كان المرء — مثلا — لا يستطيع الا ان يوافق المؤلف عندما يقارن الموقف الصهيوني المرن من تطورات القضية الفلسطينية على اختلاف مراحلها وقدرته ، نسبيا ، على التصدي للازمات مقابل الموقف العربي المتزمت ، الذي لم يكن في اغلب الاحوال على مستوى الاحداث ، فانه في نفس الوقت لا يستطيع الا ان يخالف المؤلف في حديثه عن الحركة الصهيونية ، الديمقراطية التحررية ، التي « اضطرت » للتعاون مع الاستعمار في سبيل تحقيق اهدافها (راجع ص ١٣٢ ، ١٤٧) . ومرة اخرى ورغم تحليل واقعي لحالة اليهود في دول شرق اوروبا وفي روسيا القيصرية (ص ١٣٧ ، ١٣٨) وللمراحل والتطورات التي سبقت اقامة اسرائيل (ص ١٥٤) وعلاقة كل ذلك بالمجتمع

الاسرائيلي (ص ١٦١) فيما بعد ، لا يستطيع المرء الا ان يستغرب عرض المؤلف لقضية اللاجئين الفلسطينيين وكأنها شر لا بد منه ، وان التاريخ عرف في الماضي حالات اشد قسوة من هذه الحالة (ص ١٥٧) .

وبالاضافة الى ما ذكرناه تبقى هناك ملاحظتان حول بعض اراء المؤلف التي تظهر غريبة عندما تصدر من شخص مثله . واولى هذه الملاحظات هي مقارنة جابوتينسكي بنهرو وتشبيهه له (ص ١٣٣) ، بصورة يحار معها المرء ويكاد يعتقد انه غير قادر على فهم حقيقة ما يريد المؤلف قوله . فالقارىء يكاد لا يجد اي شبه بين نهرو ، كما عرفناه ، وبين الاب الروحي لليمين الصهيوني، الذي وان كان يظهر احيانا انه يتمتع « بنبل » الارستقراطيين « وعطفهم » ، فانه يبقى ذلك الشخص الذي تبنى حركات صهيونية كانت ولا تزال قريبة جدا من الفاشية ، بل انه زودها بكثير من تراثها الفكري . اما الملاحظة الثانية فهي آراء المؤلف حول تلك الطباع التي تكونت على حد تعبيره بين اليهود والاسرائيليين ضد العرب وحب قتل الغير (ص ١٥٩) ، والمرء لا يستطيع الا ان يستغرب ذلك ، خصوصا وان المؤلف ولا شك مطلع على تلك الروح العسكرية المسيطرة على الكيان الاسرائيلي وعلى وجود فرق خاصة في الجيش الاسرائيلي تحولت مع مرور الزمن الى جماعة من القتلة مهمتها الفتك بالعرب وعلى الاخص عرب الدول المجاورة . كذلك لا بد ان يكون المؤلف على اطلاع حسن على تلك الروح التي كانت تشن بها العمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد الدول العربية ، وعلى اوصاف ونفسيات الجنود والضباط الذين كانوا يشتركون بها .

ان قراء الانكليزية ، من خلال الكتب المذكور ، يستطيعون الاطلاع على عدة نواح من تفكير تلك المدرسة من المؤرخين التي تحدثنا عنها ، والتي لا يزال معظم انتاجها حتى الان بالعبرية .

صبري جريس

Jon Kimche, **Can Israel Contain the Palestine Revolution ?** Conflict Studies No. 13. (London: The Institute for Conflict Studies, June, 1971)

صدرت مؤخرا دراسة للكاتب الصهيوني جون كمشي ، الذي يحاول الظهور بمظهر المستقل عن الحركة الصهيونية منذ اقالته من رئاسة تحرير مجلة « الجويش اوبزرفر » واصداره مجلة « ذي نيو ميدل ايست » بعنوان « هل تستطيع اسرائيل احتواء الثورة الفلسطينية ؟ » وهذه الدراسة هي واحدة من سلسلة من الدراسات التي تصدر عن معهد انشىء حديثا في لندن بادارة بريان كروزييه باسم « معهد دراسات الصراع » . وتأتي اهمية هذه الدراسة في هذا الوقت بالذات لانها تتفق مع الخط العام الذي بدأ الاعلام المعادي للثورة الفلسطينية انتهاجه منذ احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن والذي يحاول ان يبين للرأي العام بأن الثورة الفلسطينية قد انتهت . تأتي هذه الدراسة لتضيف على هذه الحملات المضادة للثورة القول بأن الثورة فشلت في عملها العسكري ضد اسرائيل ايضا . من هنا تنبع اهمية التصدي للحجج الواردة في هذه الدراسة .

تستند دراسة كمشي على فرضيتين اساسيتين ، الاولى ان الثورة الفلسطينية قد اثبتت فشلها في نشاطها العسكري ضد اسرائيل حتى الان وانها « لن تمثل في المستقبل تهديدا حاسما ضد امن اسرائيل رغم انها ستستطيع في كل الاوقات ان تحدث قدرا معينا من الاذى والتخريب » . اما الفرضية الثانية فتكمل الاولى وتقول ان الثورة الفلسطينية قد فشلت سياسيا لان نظرتها الى مستقبل الدولة الفلسطينية تقترب من وجهة النظر الاسرائيلية اكثر مما تقترب من وجهة نظر اغلبية السكان العرب في الضفة الغربية لان « الفدائيين واسرائيل معا يصرون على ان لا مكان « لدولة ثالثة » بين المتوسط والحدود العراقية » .

بعد وضع القارىء أمام هذا الطريق المسدود الذي رسمه لواقع الثورة الفلسطينية ومستقبلها ، يصل كمشي الى المرحلة الاخرى من مراحل الاعلام المضاد فيقول ان المخرج الوحيد هو حين «يقرر الفلسطينيون سياسة اخرى واقعية لا تقوم على ضرورة التدمير المسبق للدولة الاسرائيلية وحين يقرر الاسرائيليون ما اذا كانوا يحبذون قيام دولة او « وجود » فلسطيني في جزء من فلسطين » . هذا ما يريد ان يقوله كمشي ومن ينطق باسمهم ويدعو الى مخططاتهم : ان الثورة الفلسطينية قد فشلت عسكريا وسياسيا وان الحل يكمن في وجود دولة عميلة على جزء من فلسطين او بالواقع في اعتراف اسرائيل « بوجود » فلسطيني فقط هو بالطبع ، حسب التسلسل المنطقي للبدائل التي وضعها كمشي امام الاسرائيليين ، اقل حتى من دولة عميلة في جزء من فلسطين .

لنناقش الان الشواهد والحجج التي جعلت كمشي يصل الى هذه الفرضيات وجعلته يقول « ان كل الشواهد هي ضد قدرة الفدائيين على احراز نصر عسكري او على التأثير في الوصول الى تسوية سلمية انطلاقا من وضعهم العسكري » .

يتحدث كمشي اولا عن عدد الخسائر التي اوقعها الفدائيون بالاسرائيليين من ١٢ حزيران ١٩٦٧ حتى ١ آذار ١٩٧١ فيقول انها بلغت ٣٠٣ قتلى (١٨٣ عسكريا و١٢٠ مدنيا) و١٥٧٤ جرحى (٨٥٨ عسكريا و٧١٦ مدنيا) وقال انه استقصى هذه المعلومات من ملف اسرائيلي رسمي خاص اعدته سلطات الجيش والاحتلال لوزير الدفاع . ويحاول كمشي ان يخرج من هذه الارقام بنتيجة تثبت عدم فعالية العمل الفدائي عسكريا . لكن تقريرا آخر نشرته مجلة **مع**راخوت في عددها رقم ٢٠٤ الصادر بتاريخ كانون الثاني ١٩٧٠ من اعداد الجنرال رافيف السكرتير العسكري لوزير الدفاع الاسرائيلي، يقول ان الخسائر الاسرائيلية نتيجة العمل الفدائي حتى اوائل عام ١٩٧٠ (اي اقل بخمسة عشر شهرا من الفترة التي اشار اليها كمشي) فقط بلغت ٣٠٢ قتلى (٢٨٨ عسكريا و١٤ مدنيا) و٨٦١ جرحى (٨٣٣ عسكريا و٢٨ مدنيا) . اذا كان كلام جون كمشي صحيحا فهذا يعني ان الاسرائيليين خسروا قتيلا واحدا فقط طيلة خمسة عشر شهرا (من اوائل عام ١٩٧٠ وحتى آذار ١٩٧١ .) سأكتفي بهذا القدر لاثبات سخف الارقام التي اعتمدها كمشي مع التأكيد على ان ارقام رافيف بدورها غير صحيحة ولا تقارب الحقيقة ابدا . لكن ما قصدت اليه هو اظهار التناقض بين مرجعين يقولان انهما استقيا معلوماتهما من المصدر ذاته اي مكتب وزير الدفاع الاسرائيلي . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فان ارقام الخسائر ، على اهميتها ، ليست كل شيء وليست المقياس الوحيد للفعالية القتالية للثورة الفلسطينية فهناك الاثر المعنوي والاثر الاقتصادي والاثر السياسي للعمل المسلح . بالاضافة الى ذلك ، فان الثورة الفلسطينية لم تضع في تصورها انها ستقضي على الجيش الاسرائيلي خلال فترة قصيرة من الزمن لانها تؤمن بأن هدفها هو تحطيم قوة هذا الجيش وتقويض المؤسسات السياسية والاقتصادية التي تسنده وتدعمه عبر كفاح شعبي مسلح طويل الامد .

اما الدليل الثاني الذي يطرحه كمشي لاثبات فشل الثورة الفلسطينية ، فهو ان الثورة فشلت في جعل السكان العرب في المناطق المحتلة يؤيدونها ويعملون معها وان هناك « عدم رغبة متزايدة بين الفلسطينيين لمساعدة الفدائيين بملء ارادتهم » بل واكثر من ذلك « ان هناك نقمة عميقة في اوساط المثقفين الشباب بسبب رفض قيادة حركة المقاومة اقامة دولة فلسطينية عربية في الضفة » وان هناك بالتالي « شعورا عاما بفقدان الامل يعبر عن نفسه بصراحة بأن سياسة الفدائيين لن تؤدي ابدا الى هزيمة اسرائيل . » افضل رد على المغالطة الاولى المتعلقة بموقف السكان العرب من المقاومة هو موقف جماهير غزة من الثورة ومن

الاحتلال الاسرائيلي . لقد كانت اجراءات اسرائيل الارهابية في القطاع والتي توجت بعمليات التفريغ افضل دليل على التفاف الجماهير العربية الفلسطينية من حول الثورة ودليل على جماهيرية الثورة واصالتها . فقد فشلت كل الاجراءات الاسرائيلية القمعية وكذلك كل محاولات الترغيب في عزل المقاومة عن الجماهير فلم تجد سلطات الاحتلال من سبيل غير تشتيت الجماهير نفسها علها بذلك تستطيع فك اللحمة الثورية فيما بينها واضعاف مقاومتها وتجريدها من سلاحها . ان هذا الوضع وفي قطاع غزة بالذات ، والذي قال عنه بعض العرب ممن اعتبروا انفسهم مفكرين استراتيجيين انه ساقط استراتيجيا ، ان هذا الوضع الثوري في قطاع محاط بالصحراء والبحر والمستعمرات الاسرائيلية ومحصور في شريط ساحلي ضيق ، ان استمرار هذا الوضع رغم النكسات التي اصابت الثورة في الاردن في ايلول وما بعد ايلول ، لاكبر دليل على ان الثورة لم تنهزم وان جذوتها لم تنطفىء ، وان قدرتها على الحاق الاذى وانهاك العدو الاسرائيلي لم تضعف بل انها تزداد . ومن ناحية ثانية ، فان تزايد العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ، تزايدها بعد ايلول بالذات لدليل آخر على قوة الثورة واستمراريتها . لا نريد بذلك القول بأن الثورة هي في احلى ايامها بل نقول ان الثورة، رغم ما اصابها من ضربات قاتلة في كثير من الاحيان، لم تفشل..ولم تتوقف . المغالطة الثانية في كلام كمشي والتي تقول بأن الشباب المثقف يؤيد قيام الدولة الفلسطينية العميلة ، تدحضها الوقائع . لم يورد كمشي اي اثبات ليدلل على صحة هذا الكلام ولم يقل كيف وصل الى هذا الاستنتاج . ان من تحرك ولا يزال يتحرك في الضفة الغربية من اجل قيام هذه الدويلة العميلة ، كان الطاقم السياسي التقليدي الذي ارتبط تاريخيا بسلطات الانتداب البريطاني ثم بالنظام الاردني ، ثم تعاون مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي . وقد ثبت بأن هذا الطاقم لم يستطع ان يستقطب الجماهير الفلسطينية وان كل تحركاته تتم تحت حراب سلطات الاحتلال وفي حمايتها وبتنسيق كامل معها. ومن ناحية اخرى فقد ثبت من خلال آلاف المعتقلين من ابناء الشعب الفلسطيني ومن خلال مئات بل آلاف الشهداء ، ان الشباب الفلسطيني المثقف داخل الارض المحتلة وخارجها يقف مع الثورة ويلتف حولها وحول اهدافها وبرامجها . اما القول بأن هناك شعورا عاما بأن المقاومة لن تؤدي ابدا الى هزيمة اسرائيل اذا استمرت ، اي المقاومة ، في سياستها الحالية ، فقول لا نعرف كذلك كيف وصل اليه جون كمشي الكاتب الشهير . ان هذا القول ينطلق من المعزوفة الاسرائيلية التي ما برحت تتردد منذ حزيران ١٩٦٧ وتقول بأن اسرائيل لا تقهر . والجواب على ذلك هو ان الشعوب التي تناضل من اجل قضاياها العادلة هي التي لا تقهر وهي التي ستتغلب على القوى المعادية لامانيها وحقها في تقرير مصيرها طال الزمن او قصر ومثال فيتنام ماثل امامنا .

ويصل جون كمشي في نهاية دراسته الى ما يريد في الاصل قوله والتبشير به الا وهو الدعوة الى « وجود فلسطيني » ما بموافقة اسرائيل ومساعدتها وبالتالي بحمايتها ولهذا نراه يقول بأن الحل الوحيد الدائم للنزاع بين اسرائيل والثورة الفلسطينية يجب ان ينطلق من «الادراك بأن النجاح العسكري الذي حققه الاسرائيليون حتى الان يعطيهم فرصة نادرة للتقدم باتجاه هذا الهدف» الذي يقوم على التعايش المستقل لكن المقبول من الطرفين والذي يأمل كمشي ان يأخذ شكل « دولة فلسطينية مرتبطة فدراليا مع اسرائيل وليس مع الاردن » . وهكذا يتضح القصد الحقيقي من وراء كل الحجج التي أوردها كمشي : انها حجج طرحت للوصول بالقارىء الى القبول بفكرة « فلسطينستان » في الضفة الغربية . وهي فكرة رفضتها الثورة الفلسطينية ولا تزال ولا علاقة حاسمة بين رفض الفكرة ومستوى قوة او فاعلية الثورة اي ان الثورة حتى لو وصلت الى ادنى درجات الضعف ، فان ذلك لا يعني بأنها ستقبل بدولة عميلة وتتنازل عن تحرير الارض الفلسطينية بكاملها . كان كمشي وغيره من الكتاب الصهيونيين يرفضون في البدء الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ولما بدا الشعب الفلسطيني ثورته المسلحة ، بدا كمشي وبعض الكتاب الصهيونيين الذين يحاولون الظهور بمظهر موضوعي يعترفون بهذا الشعب وبحقه في « الوجود » ولكنهم ارادوا في الواقع من وراء هذا الاعتراف اجهاض ثورته والسيطرة عليه من طريق اقامة كيان ذليل تابع لاسرائيل .

ابراهيم العابد

Nasser Aruri, **The Palestinian Resistance to Israeli Occupation** (Wilmette, Ill: The Medina University Press International, 1970).

ان كتاب الاستاذ عروري كتاب متماسك حسن البناء وهو عبارة عن مجموعة مقالات تغطي مواضيع متعددة كلها تتناول بالبحث احدى أصعب المشاكل السياسية في العالم اليوم — مشكلة فلسطين . والمقالات من وضع علماء عرب ليبراليين تشربوا علوم السياسة الاميركية واعتنقوا نظمها وتمثلوا افكارها . وقد تضمن هذا الكتاب كذلك مقالات لاصدقاء القضية الفلسطينية (غير العرب) مثل آنيا فرانكوس الصحفية الفرنسية الثورية اليهودية المولد .

ان الدكتور عروري نفسه هو احد الراديكاليين العرب المقيمين وهو رئيس جمعية خريجي الجامعات الاميركية العرب . ويتحدث الاستاذ عروري في مقدمة كتابه عن العلاقة بين الصهيونية والاستعمار والرجعية العربية . ويوضح بشكل جلي سيطرة الامبريالية على الوضع في الشرق الاوسط ولكنه يتجنب استعمال كلمة الامبريالية بشكل صريح . وهو يوضح كذلك دور اسرائيل كمركز توزيع للبضائع الراسمالية في العالم الثالث ويؤيد الثورة الفلسطينية . ولكن الدكتور عروري يعاني من مصيبة التعجرف الاكاديمي عندما يصر على ان « تحالف كل القوى الوطنية » يجب ان « يقاد من قبل الحرفيين والمتعلمين الذين ليس لهم مصالح مكتسبة من الوضع الراهن » . ويجدر القول بأن هؤلاء «الحرفيين والمتعلمين» هم ابناء الارستقراطيين الفلسطينيين ، اي موظفي حكومة الانتداب الفلسطينيين « المتأنكلزين » ، وسلالة المبشرين — وهؤلاء جميعا طبقة خانت الجماهير الفلسطينية ولكنها الان — عندما ثار المضطهدون — تحاول الاستيلاء على قيادة حركة المقاومة لكي تستخدمها كأداة لاسترجاع امتيازاتها المفقودة . ويخشى بعض الكتاب ان هؤلاء « الحرفيين والمتعلمين » قد استحكموا في حركة المقاومة بشكل يصعب معه ازاحتهم عنها ، ان البرهان على ذلك غير قطعي ولكنني أورد هنا مشهدين : الاول انني لم أجد ضمن المقاتلين الذين قابلتهم في جبال عجلون في كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٠ أحدا من نسل هذه الطبقة ، والثاني أنني رأيت أولئك الطفيليين في مكاتب المنظمات يتزاحمون في كل مكان كذكور النحل ويتباهون بسيارات المرسيدس وأجواء حياتها .

ولعل ما يلفت النظر في مقدمة كتاب عروري أنه يتجاهل فيها اشارة فرانكوس الى « التحالف التكتيكي» الذي تشكل في المؤتمر الوطني الفلسطيني (ايلول ١٩٦٩) « بين اليمينيين في المقاومة وبعض المستقلين الذين يمثلون البرجوازية الوطنية » (ص ٤٧) . أي ان عروري وشركاه يقبلون ضمنيا خرافة « الوحدة الوطنية » ولا يناهضون اسسها باعتبار وجود صراع طبقي من جهة والحاجة لتنظيم حزب طليعي من جهة اخرى .

ومن نفس نقطة الانطلاق السابقة (اي الوحدة الوطنية) ، فان الاستاذ الطيباوي يثبت « التآمر الانكليزي — الصهيوني » ضد الفلسطينيين . ويظهر للعيان المخطط الذي قدمه هربرت صموئيل في عام ١٩١٥ الى الوزارة البريطانية والذي أوصى فيه تحويل فلسطين الى محمية بريطانية تستوعب الاستيطان اليهودي. وكذلك ان المبعوث البريطاني، السير اريك دروموند قد استخدم للاتصال مع براندايس قاضي المحكمة العليا الاميركية الصهيوني بغية اقناع الرئيس الاميركي ويلسون على الموافقة على المخطط البريطاني — الصهيوني لاعتراض تدويل فلسطين في فترة ما بعد الحرب . ويبين الطيباوي كذلك كيف خدع وايزمان الوجهاء العرب — وكان حينذاك رئيس البعثة الصهيونية — بانكار اي رغبة بأن « يسيطر الصهاينة على المراكز العليا السياسية والتنظيمية » (ص ١٤٠) وكيف سمحت الحكومة البريطانية للصهاينة بانتداب ممثلين لهم في مؤتمر السلام ومنعت نفس الامتياز عن الفلسطينيين الذين شكلوا ٩٠٪ من السكان . وفي نفس السياق التاريخي يري الاستاذ وينز من جامعة ماكيل كيف نفرت الجماهير العربية من طبقة « الافندية » الحكام ، أولئك الحكام الذين « انكمشوا رعبا خوف العنف من الجماهير » وطالبوا بانهاء الاضراب العام عام ١٩٣٦ «خشية» جرفهم في تيار العنف الكاسح الى ما لا تعرف عقباه (ص ٣١) .

وفي القسم التالي من المقالات ، تبين برباره الاسود في نظريـــة « الفلاحين المتوسطين » ان هؤلاء هم المادة الثورية في البلدان المتخلفة وتقرر ان هذه النظرية تطبق على سكان المخيمات وعلى العرب الاسرائيليين ، اذ ان لهم « جذورا في الارض » وتماسا مع المراكز السكنية وقطع أرض صغيرة وحياة بسيطة للغاية. اما بالنسبة لسكان المخيمات « اللاجئين » فانها تقول ان من أتى منهم من مناطق ريفية كان متحـــررا من تحكم طبقـــة « الذوات الدخيلين » وان « نمطهم المعيشي » زودهم بقابلية الحركة اللازمة وكذلك الثقافة وقيادتهم الخاصة بهـــم .

وتقتفي فرانكوس خطى برباره وتؤكد حقيقة اسرائيل الاستعمارية وتقارن الطبقة الحاكمة في اسرائيل مع حكام افريقيا الجنوبية ولكن بدون قاعدة اوروبية او اميركية (أي الاستعمار الاسرائيلي والافريقي) ولكن بسيطرة وطنية مفرطة علـــى الاسرائيليين وباعتقادهم بخرافة « المستوطنين الابطال » الذين لهم تعال عرقي وانهم يحاولون اعـــادة تجميع السكان الاصليين في جيوب معزولة (ص ٣٤) . وبسبب هذه السياسة القمعية والمنفرة وكذلك ظهور حركة العالم الثالث وآمالها من جهة والتوسع الصهيوني من جهة أخرى ، فان لثورة « الفلاحين المتوسطين » فعلا راديكاليا على الشرق الاوسط وتعبئة جماهيره . اضف الى ذلك ان الثورة ، تبعا لعنبتاوي هي منتوج جانبي «للازاحة الجماعية» ولانكار حقوق الفلسطينيين في « كيان سياسي منظم » له أماني سياسية . فان نجحت الثورة فعليهـــا — حسب رأي الاستاذ اسماعيل — ان تطور من استراتيجيتها الثورية وان تتضمن مخططا عسكريا وقاعدة آمنة وان تهيىء الشعب لنضال طويل وما ينتج عنه من تحمل مسؤولية السلطة . ولكن تحليل اسماعيل يعيبه موقفه الفكري حين يصرح بأن « ايجاد استراتيجية موضوعية هو اهم من ايجاد كادر من الافراد المدربين لترجمة هذه الاستراتيجية الى عمل قابل للتنفيذ علـــى المستوى التكتيكي والفردي » . وهو كذلك يؤكد أهمية « الرأي العام العالمي » من وجهة نظر المقاومـــة ان « تدمت المقاومة هدفها للعالم بطريقة مقبولة » (ص ٨٧). ان الاختلاف الوحيد الظاهري بين كاتبي المقالات هو عندما يحاجج عنبتاوي ان سلسلة التصريحات من قبل البريطانيين وعصبة الامم وهيئة الامم تنكر على الفلسطينيين كيانهم . بينما يرى ماليسون ان « بنود الوقاية » في وعد بلفور وفي النقطة الثانية عشرة للرئيس ويلسون وكذلك في الفقرة الثانية والعشرين من اتفاقية عصبة الامم والفقرة الثانية من مرسوم الانتداب والفقرة ٨٠ من لائحة الامم المتحدة وفي تصريح منح الاستقلال للشعوب والبلدان المستعمرة، كلها تعترف بوضوح بحق الفلسطينيين بتقريـــر المصير . وبكلمات أخرى فان الصهيونية وممارسيها وحدهم ، حسب رأي ماليسون ، مسؤولون عن عدم الاعتراف بالفلسطينيين كشعب ذو وطن .

لذا فان حقهم بالثورة يجب ان يعتبر مشروعا . ويؤكد ماليسون انـــه يجب اعتبار الفدائيـــين «الغوريلاز» كمحاربين شرعيين تحميهم اتفاقيـــة أسرى الحرب واتفاقية المدنيين . اذ ان لهم كحركة مقاومة قادة معروفين وعلامات مميزة ويحملـــون السلاح علنا ويتبعون « قواعد وعادات الحرب » (ص ٦٩) .

وهنالك ثلاثة مقالات أخرى كتبها الشوفاني وجبارة والملاخ . فالشوفاني يركز على اهمية نمور المتعلمين العرب وكيف كفوا عن الاعتقاد بامكانيه التعايش بين العرب واليهود (ص ٧٧) . أما جبـــارة فقد تتبع باعتناء تبدل وجه المنظمات الصهيونية البارزة في امريكا وكيف ينجنبون بمناورات قانونية بارعة دفع الضرائب على البلايين من الدولارات التي يجمعونها ويرسلونها الى اسرائيل . ويقدر الملاخ تكاليف حرب حزيران (يونية) ونتائجهـــا ويؤكد ان امريكا تمارس « خداع النفس » بخصوص مصالحها القومية « عندما تدعم الموقف الاسرائيلي » (ص ١٦١) .

ان اكثر المقالات انعاشا واثارة هي مقالة بلاطة التي تبحث في الفن العربي الثوري ومقالة نخلـــة التي تدرس الشعر السياسي الذي كتبه العرب في اسرائيل . ويوضح كـــل من بلاطة ونخلة ان الفن والشعر قد ركزا على التفرقة ضد الاقلية العربية في اسرائيل . ويرد نخلة ازدهار شعر المقاومة الى ثلاثـــة اسباب : غياب المتعلمـــين التقليديين ؛ والحكم العسكري الاسرائيلي للمناطق العربية ، وتدمير العديد من القرى العربية من قبل الجيش الاسرائيلي وارغام سكانها على الهجرة الى قرى اخرى ضمن اسرائيل .

الدكتور جورج حجار

Larry Collins and Dominique Lapierre, O Jérusalem (Paris: Robert Laffont, 1971).

« ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني » بهذه العبارة من المزمور ١٣٧: (نشيد ابناء اسرائيل المسبيين) ينتتح المؤلفان كتابهما الاخير الذي يدور موضوعه حول « صراع عام ١٩٤٨ من اجل مدينة القدس » . والمؤلفان : صحفيان فرنسي واميركي سبق ان حازا على شهرة واسعة بعد ظهور كتابهما « هل تحترق باريس ؟ » حول تحرير باريس عام ١٩٤٤ ، الذي حمل الى الشاشة السينمائية، مما يجعل نفس المصير محتملا بالنسبة للكتاب الجديد . والكتاب : هو عبارة عن ٦٠٠ صفحة هي خلاصة — على حد تعبير المؤلفين « ٢٥٠،٠٠٠ كيلومتر من المسافات المقطوعة في الشرق الاوسط ، واوروبا واميركا + ٢٠٠٠ مقابلة + ٦٠٠٠ صفحة من الوثائق + جهود ٢٠ بحاثة + ٥٠٠ كيلوغرام من الوثائق السرية » . وهذا الحجم لم يمنع الكتاب من ان يحتل رأس قائمة الكتب الاكثر مبيعا في فرنسا خلال اكثر من ١٥ اسبوعا ، وما زال كذلك حتى كتابة هذه الاسطر . والاسلوب: قصصي لا يأخذ بعين الاعتبار قطعا الدقة التاريخية ، بقدر تركيزه على بعض الجوانب (الهامة منها والثانوية) التي تشوق القارىء الاوروبي العادي وتثير عواطفه .

الموضوع كما يلخصه المؤلفان هو « قصة مدينة اصبحت رمز صراع بين اخوة . هي قصة القائد العربي عبدالقادر (الحسيني) ، قدوة فدائيي الحاضر ، الذي نزل من الجبال لمحاصرة المدينة المقدسة . هي قصة ١٠٠ الف يهودي محاصرين في المدينة ومهددين بالموت جوعا وعطشا تحت وابل القنابل العربية ... هي قصة مئات الهاربين من معسكرات النازية الذين ضحوا بحياتهم من اجل الحصول على حق الدخول الى ارض الميعاد . هي قصة البدو النبلاء في الجيش العربي آتين لانقاذ المسجد الاقصى ... هي قصة الجنود البريطانيين الذين أتوا لاحلال السلام فتبنوا عواطف الطرفين وانضموا لاحدهما او للاخر ... هي قصة جولدا مئير متخفية بلباس امرأة عربية لتقابل سرا الملك عبدالله في محاولة اخيرة لانقاذ السلام الخ..» (السلام) .

الكلمات نفسها في هذه التقدمة كافية للايحاء بمخطط الكتاب : محاولة ذكية من المؤلفين لتفادي الطرح الاحادي الجانب ، وذلك برواية الاحداث في معسكر كل طرف ، والايحاء بالتالي « بموضوعية» العرض . وفي الوقت نفسه ، لم يتمكنا من اخفاء عطفهما على الجانب الصهيوني وتفهمهما لمنطلقاته واعماله ، رغم تفادي التعرض مباشرة للجانب العربي ، اللهم الا من خلال طريقة العرض والتركيز على جانب معين (كوحشية بعض العمليات مثلا) .

الكتاب اذا ليس من نوع الكتب الصهيونية التقليدية التي تتغافل وجهة النظر الفلسطينية ، وتصور الغزو الصهيوني في اجمل الاثواب . (هناك مثلا وصف مطول لمجزرة دير ياسين [ص ٢٨٥ — ٢٩٦] وادانة واضحة لها من خلال حديث ممثل الصليب الاحمر جاك دو رينييه) . وهو ليس بالطبع تسجيلا مجردا للاحداث (فموقف ومشاعر المؤلفين تجاه « التجربة الصهيونية » واضحة في كل سطر منه) . وانما هو مجهود منهما للتعرض لجوانب مختلفة من الحقبة التي تلت قرار التقسيم ، مجهود تتحكم فيه بالطبع الحدود الايديولوجية التي يدوران فيها ، والتي لا تسمح لهما بتقييم تلك الاحداث بشكل موضوعي علمي . ولكنه مجهود يحتاج الى اهتمام اكثر من ادانة عابرة ، والقول بأنهما صهيونيان وكفى الله المؤمنين شر التحليل .

الصورة العامة التي تفرضها قراءة الكتاب على القارىء العادي بالامكان تلخيصها كالتالي : في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صوتت اغلبية الجمعية العمومية للامم المتحدة الى جانب قرار التقسيم ، وذلك بفعل الضغوط الاميركية على دول العالم الثالث (ص ٢٦) . ورغم ذلك ، فالقرار اكثر المشاريع حكمة (ص ١٠٤) واقربها الى حل التناقض القائم على ارض فلسطين بين شعبين ، اليهود* والعرب، لكل منهما الحق في العيش عليها

---

* مفهوم الكاتبين اليميني يجعلهما يستعملان لفظ اليهود حيث يتحتم علميا استعمال لفظ الصهيونيين في معظم الاحوال . سنحافظ على تعابيرهما في التلخيص ، وعلى القارىء ان يقدر متى تصح اللفظة ومتى يجب استبدالها .

(ص ٩) . فاليهود عاشوا منذ القدم في فلسطين ولم تنقطع صلتهم بها او وجودهم فيها على مر القرون رغم تناوب الشعوب الاخرى في احتلالها من الاشوريين الى الفرس والرومان والعرب والاتراك واليوم البريطانيين (ص ٩) . رفض العرب قرار التقسيم لتعصب قادتهم من امين الحسيني الى عبدالقادر وفوزي القطب الذين كانت لهم صلات وثيقة ورحلات عدة الى المانيا النازية (ص ٥٩ + ١٠٧ + ٣٤٧) بالاضافة الى لاسامية الحكام العرب وعدم فهمهم لاهداف وقيم الحركة الصهيونية (ص ٣٠٨) . وعلى ضوء هذا الرفض قام الفلسطينيون بمقاومتهم وقتالهم ضد اليهود بمحاصرة احياء القدس اليهودية وقطع طرق التموين عليها وبعمليات هجوم وسطو على القوافل والمستعمرات. كانت شجاعتهم فائقة وبالذات كان عبدالقادر مثال المناضل الشجاع والذكي (ص ٢٧٤) الذي توفرت لديه امكانيات القيادة والتنسيق في جو كانت تتحكم فيه الفوضى واللامركزية وعدم التخطيط وانعدام العلم العسكري (ص ١٤٧ والكثير غيرها) . دافع اليهود عن انفسهم بذكاء وتخطيط ، ورغم تضحياتهم وصعوبة الحياة في القدس آنذاك ، نجحوا في ذلك ، وتوجت عملياتهم الدفاعية بمقتل عبدالقادر في معركة القسطل في مطلع نيسان ١٩٤٨، الذي ادى الى انحلال المعسكر الفلسطيني وفقدان القيادة المركزية وانتهاء مرحلة المقاومة الداخلية عمليا (ص ٢٧٦) .

كل ذلك ادى الى التدخل العربي الرسمي الذي تبلور بعد مغادرة البريطانيين لفلسطين باعلان الحرب . كانت التناقضات تنخر المعسكر العربي والمواقف العلنية الحماسية تناقض المواقف الحقيقية المساومة والمثل على ذلك موقف الملك عبدالله ورياض الصلح (٣٠٩ وما يليها) . كان الجيش الاردني هو القوة الرئيسية التي تواجه اليهود ، الا ان جون جلوب كان قد حدد له دورا في اطار مشروع التقسيم ، وذلك بتحديد رقعة عمله في القسم العربي من خارطة التقسيم وعدم تعدي القسم اليهودي اطلاقا (ص ٣٢٩) وذلك بهدف ضم هذا القسم الى المملكة الاردنية ومنع ظهور دولة يسيطر عليها المفتي (١٠٠ + ٢٠٧ + ٣٦٠ + ٤٥٤) . ورغم ذلك فقد اضطرت بعض قطاعات الجيش الاردني التدخل في القدس ومنع سقوط المدينة القديمة في أيدي الهاغانا (نهاية الكتاب) .

ويروي الكتاب بالتفصيل العمليات العسكرية والمذابح والنهب التي رافقتها من قبل كل من الطرفين . فوحشية الارغون في دير ياسين (٢٨٨ وما يليها) يقابلها « وحشية العرب » في عملية الشيخ جراح ضد قافلة هداسا (٢٩٧ — ٣٠٦) والهجوم على قوافل التموين في باب الواد (٢٣٤) والنبي دانيال (٢٤٢ — ٢٥٠) وغيرها . ونهب القطمون بعد احتلالها من قبل الصهاينة (٣٢٦) يقابله « السطو المستمر للقرويين العرب » على المستعمرات كاحتلال كفار عتسيون (٣٨٤) . الوحشية كانت اذا ، بنظر المؤلفين ، من الجانبين رغم ان هناك تحديدا في الوحشية الصهيونية بالارغون والشتيرن اكثر من الهاغانا, والبالماخ (١١٨) ، وتعميما في الوحشية العربية وخاصة لغياب القيادة التي بامكانها الحد من ردود الفعل.

خلال كل هذه الفترة كان البريطانيون يقفون سياسيا الى جانب العرب (١٥٤ + ٢١٠) وضد التقسيم ، الا ان قادتهم المحليين كانوا منقسمين بين محايدين ومناصرين لمعسكر او لاخر ، وجنودهم في الغالب كان الامر لا يعنيهم فهم يبيعون السلاح للطرفين ويخونون كلا منهما ، ولا يسعون الا الى تفادي التضحية بارواحهم في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ولكن الوقائع تظهر ان العديد من المواقع الاستراتيجية سلمت للصهاينة تسليما من قبل البريطانيين حين مغادرتهم لها (٧٨ + ٢١٦) . وينتهي الكتاب بفصل عنوانه « جدار في المدينة » هذا الجدار الذي فصل نصفيها خلال عشرين عاما حتى دخول القوات الاسرائيلية الى المدينة القديمة عام ١٩٦٧ (ص ٥٨٩) ، الذي واجهه عرب القدس « بعداء مغلق » وظهر على اثر ذلك « الفدائيون على حدود فلسطين المحتلة ، وعادت القنابل الارهابية كما في عام ١٩٤٨ لتشوه شوارع المدينة وتريق الدماء في ساحة سوق وفي مقهى جامعة وفي دكان عامر بالزبائن ليلة السبت » (٥٨٩) .

وينهي المؤلفان كتابهما بهذه الكلمات : « لقد زالت الجدران والاسلاك الشائكة التي جزأت المدينة ، ولكن الحدود ما زالت قائمة في قلوب السكان . ولئلا تصبح صلاة الشعب اليهودي : (ان نسيتك

يا اورشليم ..) صرخة يرددها شعب سامي آخر، على العرب ، واليهود ان يزيلوا قبل كل شيء هذه الحدود ... »

هذه هي الصورة التي يقدمها كتاب لابيير وكولينز عن معارك ١٩٤٨ في اطار قصصي مشوق . ليس هناك شك بأنها كثيرة الشبه بالصورة الصهيونية، وبالذات الصورة التي يقدمها ما يسمى باليسار الصهيوني (المابام) حول حق شعبين على ارض واحدة، وضرورة التآخي وازالة الحقد والكراهية(!) الخ. والكاتبان يبترسلان مرارا في وصف زوجين او عائلة صهيونية قبل قتلهم بفعل انفجار او عملية عسكرية عربية بشكل يثير عاطفة القارىء الغربي. ورغم انهما حاولا احيانا ان يفعلا نفس الشيء بالنسبة للعرب الا ان مجهودهما بدا غير طبيعي وذلك لعدم تفهمهما لعادات واجواء الحياة العربية، بينما يظهر الصهاينة في عاداتهم غربيين وبالتالي قريبين منهما ومن القراء . وقد ورد في سياق الرواية مرة تشبيه بين الصهاينة والامريكيين من جهة والعرب والهنود الحمر من جهة اخرى ، وهذه الصورة تفرض نفسها فرضا في اكثر من مناسبة . الجديد في كتاب كهذا هو ان الهنود الحمر المحليين لا يكتفون هذه المرة بالصراخ واداء رقصات الانتقام، وانما لهم حياتهم وتقاليدهم ومطالبهم. الكتاب يأتي اذا على نمط افلام الكاوبوي الجديدة التي تصور حياة الهنود بشكل اكثر اتزانا من الافلام الاولى، في الوقت التي توحي ضمنيا بأن التاريخ لن يرجع الى الوراء .

يبقى ان الصفحات المخصصة للجانب العربي (وخاصة صفحات المقاومة الفلسطينية بقيادة عبد القادر الحسيني ، وصفحات وصف مجزرة دير ياسين) ستترك بعض الاثر على القراء الذين لم يسمعوا قط من قبل عن هذه الجوانب .

داود تلحمي

Menahem Mayer, **Les entreprises en Israël. Combattre, survivre et croître.** (Paris: Fayard - Mame, 1971).

يندرج هذا الكتاب الذي يريد ان يعطي القارىء العادي انطباعا عاما بالموضوعية والوصف المجرد الدقيق للواقع الاقتصادي الاسرائيلي ، تحت خط الكتب الاسرائيلية المألوفة التي تهدف الى ابراز صورة « المعجزة » الاسرائيلية واحاطتها بهالة من التقديس والتضخيم رغم عدم تعرض المؤلف الى القضايا السياسية بشكل مباشر . ان هذا الاسلوب المبطن الذي يعتمد ظاهريا على « الوقائع » و« الحقائق » و« الارقام » دون ان يقع في فخ الجدل ودون ان يجر نفسه الى مواقف سياسية واضحة هو اسلوب دعائي اكثر فعالية من غيره من الاساليب وذلك بالضبط لانه مبطن ومتستر . ان هذا الكتاب لا يريد ، كما يقول مؤلفه مناحيم ماير ، سوى تصوير الواقع الاقتصادي دون البحث عن اصول وجذور وابعاد هذا الواقع . او بالاصح انه يريد أن يبحث في ما يسمى ، باللغة الاقتصادية الشائعة هذه الايام ، في ما معناه تنظيم وادارة وتسيير المؤسسات الاقتصادية . والسؤال الذي يطرحه المؤلف على القارىء موهما اياه بأنه سيجيب عليه هو التالي : لماذا يعمل هذا التنظيم للشؤون والاعمال الاقتصادية في اسرائيل بهذا الشكل وليس بشكل آخر ؟ اي بكلمة اخرى : لماذا يسير اقتصاد اسرائيل كما يسير عليه الان ؟ وقد ينتظر القارىء من خلال هذا الطرح للمشكلة محاولة تفسيرية وتحليلية للاقتصاد الاسرائيلي بكل ابعاده واعماقه ومضاعفاته . الا اننا لا نجد شيئا من هذا القبيل فالكتاب لا يعدو كونه كتابا مدرسيا مبسطا الى ابعد حدود التبسيط . ولعل نظرة سريعة وشاملة الى محتويات هذا الكتاب كافية لتعطينا فكرة واضحة عن مراميه الدعائية الاكيدة.

يبدأ هذا الكتاب بعرض واف لوضع اسرائيل الجغرافي والتاريخي والسياسي والقانوني والاجتماعي وذلك كما تحب الاوساط الصهيونية ان تصوره اي بدون تناقضات او صراعات . فالمجتمع الاسرائيلي هو مجتمع « متعدد الاصول »، يمتاز « بغياب نسبي للطبقات الاجتماعية بمفهومها التقليدي » (ص ٣٣) وبسهولة الانتقال من طبقة الى أخرى . ومقياس الانتساب الى طبقة ما هو قدم المواطن الاسرائيلي . الا انه يبدو ان هناك حقيقة اساسية قد نسيها او تناساها المؤلف وهي وجود طبقات اكيدة في اسرائيل من الصعب على المنتمي اليها ان ينتقل « بسهولة » الى غيرها . ذلك انه من الصعب جدا على اليهودي الشرقي القادم من اليمن او من المغرب ان ينتقل الى طبقة اليهود الغربيين . كما ان المؤلف يصر على القول ان التناقض بين هذه الطبقات لا وجود لـه وان الاضرابات « نادرة الوجود » . كل شيء يراد له ان يظهر على ما يرام : فالامور في اسرائيل على احسن ما يمكن ان تكون : هدوء اجتماعي ورخاء وازدهار الخ ...

ثم يتكلم الكاتب في سياق حديثه عن موقع اسرائيل الجغرافي عن نقطتين : مساحة البلد الصغيرة ونمو السكان السريع (بفعل تشجيع الهجرة) اولا . وندرة المياه ثانيا . وعن هذه النقطة الثانية يقول مناحيم مابر : « يخشى في المستقبل النقص في الموارد المائية اذا لم تتخذ اجراءات في الوقت المناسب » (ص ٢٣٠) ولا يوضح ما هي طبيعة هذه الاجراءات : أهي تحلية مياه البحر ام استغلال مياه الليطاني التي قال عنها الاسرائيليون مرارا عديدة بأنها تذهب هدرا ؟!

بعد هذا العرض السريع لوضع اسرائيل يدخل الكاتب في صلب الموضوع فيتحدث عن الخطوط العريضة التي توجه الاقتصاد الاسرائيلي كالهجرة والاستقرار واستثمار الموارد الطبيعية والبشرية الى اقصى حد والنمو الاقتصادي وعن ميزان المدفوعات . والجدير بالملاحظة ان الهجرة تعتبر من المقدسات التي لا يمكن المساس بها مهما كان الوضع الاقتصادي سيئا ومهما كانت البطالة متفشية . فالهجرة مبدأ اساسي من مبادىء السياسة الاسرائيلية لا يمكن ان تحيد عنه قيد شعرة . وهذا كله لا يمكن تفسيره ، كما يقول الكاتب بأنه « فعل ايمان » بل فعل توسع تخطط له اسرائيل على المدى الطويل .

ثم يتعرض المؤلف لدراسة بنية الاقتصاد الاسرائيلي وكيف تقوم على ثلاث ركائز اساسية وهي : القطاع العام ، القطاع التعاوني ، والقطاع الموجه من الدولة . ونحن نعتقد انه من غير المفيد التوقف عند هذه الامور خاصة وان المؤلف قد تعرض لها بشكل سطحي وعرضي نستطيع ان نجده في اية منشورات سياحية اعلامية او حتى مدرسية . وكذلك هو الامر عندما يتحدث عن مختلف قطاعات الاقتصاد كالزراعة والصناعة والبناء والتجارة والمصارف . ولعل ما يلفت الانتباه في كل هذا هو « هذه المثالية » التي يريد الكاتب ان يقنعنا بأنها هي التي تحرك الجهود الاقتصادية بمقدار ما يحركها الربح والمردودية . ونستطيع ان نتساءل هنا : اي مثالية يعني ؟ اهي عملية بناء اسرائيل ام عملية تشريد الشعب الفلسطيني واقفار واستنزاف المنطقة العربية باكملها عن طريق بناء اسرائيل الذي هو مشروع استعماري بالدرجة الاولى ؟ ولعلنا لا نغالي اذا قلنا أن الخط الذي يسير عليه مؤلف هذا الكتاب يتشابه تشابها مدهشا مع الخط الدعائي الذي كان ينتهجه المستعمرون الاوائل حين كانوا يتكلمون عن «مثالية» الرواد الاولين الذين كانوا يحملون التمدن الى الشعوب « المتوحشة » و« البدائية » كما انه بتشديده على « الفعالية » و« التقدم » فانما يتبنى كلية المفاهيم الاقتصادية السائدة في البلدان الاستعمارية .

بعد هذا ينتقل المؤلف الى الكلام عن كيفية التصنيع واختيار المنتوجات ومصادر التموين بالمواد الخام ونسبة الانتاجية وتحسين النوعية كما انه يتكلم عن السوق الداخلية والخارجية مع اشارته ، طبعا ، الى المقاطعة العربية وضرر هذا الاجراء على كلا الجانبين ، وتحويل معظم الانتاج الصناعي والزراعي الى السوق الاميركية والاوروبية وهذا بشكل اضطراري اذ ان جل ما تطمح اليه اسرائيل هو الاسواق العربية المجاورة التي « هي بأمس الحاجة الى مثل هذه المصنوعات » وهنا يعترف المؤلف ، ولو مرغما ، بفعالية المقاطعة العربية اذ ان البضائع الاسرائيلية بتحولها الى الاسواق البعيدة عنها تزيد كلفتها بسبب أجور النقل فتصبح

عاجزة عن منافسة البضائع الاخرى من حيث الاسعار . وكل هذا لكي يشير الى ضرورة الانفتاح والصلح مع العالم العربي واهمية هذا بالنسبة الى نموها الاقتصادي .

ولا تغيب السياسة المالية الاسرائيلية عن باله فيفرد فصلا كاملا يتحدث فيه عن التمويل وتوظيف الاموال واستثمارها وعن المراقبة والمحاسبة وسياسة الارباح والضرائب بالنسبة للشركات وللافراد مشيرا الى ان اسرائيل تعتمد اعتمادا متزايدا على المساعدات الخارجية لتأمين استمرارها وانها بين استقلالها الاقتصادي وبين تقدمها اختارت الثاني اذ « ليس هناك خوف من الشركات الكبيرة التي توظف أموالها في البلاد او من الدول الاجنبية التي تمد اسرائيل بالمساعدة » . وهذا يفسر لنا الشيء الكثير ويوضح العلاقة العضوية بين اسرائيل والرأسمالية العالمية .

وقبل أن يصل مناحيم ماير الى استنتاجاته ، يخصص فصلا لليد العاملة في اسرائيل وعن أوضاعها وظروف عملها وأجورها والضمانات المؤمنة لها وعن حقها في الاضراب وعن حلول العقول الالكترونية محلها في بعض المجالات ، وما الى ذلك من مسائل وأمور مغرقة في العمومية تتحول في معظم الاحيان الى بيان شديد التفاؤل يعدد فيه الكاتب « المنجزات » و« النجاحات » الخ ... أكثر مما هو تحليل دقيق وموضوعي للواقع الاقتصادي الاسرائيلي . الا ان كل هذا ، في راينا ، ليس سوى ذريعة يتوسلها مناحيم ماير للوصول الى استنتاجات سياسية واضحة ومكشوفة . ان هذه الكمية الهائلة من «المعلومات» التي يسوقها الينا تجد لها مصبا في الايديولوجية الرسمية للدولة الصهيونية ، هذه الايديولوجية التي تؤمن غطاء اعلاميا ودعائيا لهذه الدولة في سياستها من اجل « الصراع ، والبقاء ، والنمو ». ما هي استنتاجات الكاتب ؟ لعل تساؤلنا هذا في غير محله فالاستنتاجات ليست في الحقيقة سوى تبريرات طالما سمعناها من أبواق الدعاية الاسرائيلية . فهو يؤكد ان مصير اسرائيل مرتبط بالدرجة الاولى بنتيجة الحرب وان اي انكسار عسكري يعرض وجود دولة اسرائيل ذاتها للفناء. ويستطرد قائلا ان هذا الاحتمال ليس واردا على الاطلاق . ثم يسوق لنا احتمالين :

الاحتمال الاول : استمرار حرب الاستنزاف (تجدر الاشارة هنا الى ان هذا الكتاب قد كتب قبل وقف اطلاق النار) وما ينتج عنها من تعاظم في ميزانية الدفاع ، ومن « دمج متزايد لاقتصاد الاراضي المحتلة » في اقتصاد اسرائيل . ويعلق الكاتب على هذا الاحتمال بقوله إن هذا الدمج يفيد العرب كما يفيد اسرائيل . و«يدعم» مزاعمه بالتأكيد على ان هناك جهودا كبيرة لتنمية الاراضي المحتلة تجلت حسب زعمه في تدني نسبة البطالة وزيادة الدخل الوطني الصافي وزيادة الانتاج الزراعي . ولا يكتفي مناحيم ماير بسوق هذه الاكاذيب بل يذهب الى حد القول بكل وقاحة « ان احتمال استثمار الاراضي المحتلة من جانب اسرائيل ليس واردا على الاطلاق » !... اما **الاحتمال الثاني** الذي يتمثل بحل سياسي للصراع يقود الى اقامة علاقات طبيعية مع الدول المجاورة ، فهو « مغر » اكثر من الاول . اذ انه سيؤدي الى تخفيض ميزانية الدفاع واقامة مصالح مشتركة بين العرب واسرائيل كما انه سيؤدي الى زيادة تنمية الدول العربية . وفي هذا المجال « يمكن لاسرائيل ان تلعب دورا مهما » . ولا نعتقد ان مضمون هذا الكلام يحتاج الى تعليق فهو يكاد يكون تكرارا مملا لما تعلنه اسرائيل ، عبر وسائلها الاعلامية في كل يوم وفي كل مناسبة .

واخيرا فان هذا الكتاب لا يعدو كونه ، كما سبق وقلنا ، منشورا دعائيا موجها الى جمهور واسع من الراي العام اللامبالي واللامتطلب والذي تغريه الاثارة اكثر مما تجذبه الموضوعية . واكثر من هذا فالكتاب موجه الى « مبتدئين » هذا ان لم نقل الى تلامذة مدارس . يكفي للدلالة على هذا أن نعرف أن الكاتب قد ألحق بكتابه جزءا صغيرا يتضمن عدة اسئلة بشكل الغاز أو كلمات متقاطعة الغرض منها « امتحان » القارىء والتأكد من انه قد « استوعب » المعلومات التي قدمت اليه جيدا . اننا اذا اعتبرنا الكتاب موجها الى مثل هذا الجمهور فلا شك انه كتاب ناجح . وما عدا هذا فهو منشور آني يفقد قيمته بمرور المناسبة التي نشر فيها . والاحداث التي نعيشها الان والتي تمر بها اسرائيل تعطي تكذيبا واضحا لمعظم ادعاءاته ومقولاته .

الياس انيس نجم

ابراهيم العبد ، **مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية** (مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧١) .

يظهر من عنوان الكتاب ومن تمهيد الدكتور انيس صايغ مدير مركز الابحاث الذي أصدر الكتاب ، ان المؤلف اراد من دراسته ان تكون مدخلا لبحث الموضوع ، وتشجيعا لمعالجته بدراسات أخرى . وهذا بدوره يشجع على تقديم بعض الملحوظات ، ويشعر ان المؤلف سيتقبلها برحابة صدر .

يبدأ المؤلف في اعطاء تعريف سريع للاستراتيجية : « لان الاستراتيجية هي فن استخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية لخدمة الاهداف الرئيسية لبلد معين في مرحلة زمنية محددة ، وفي ظل حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها » . ويضع في الهامش المصدر الذي استقى منه هذا التعريف وهو الجنرال اندريه بوفر : « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » ، ولا ادري ان كان المقصود كتاب بوفر « مدخل الى الاستراتيجية » ـ نشر فابر وفابر ١٩٦٥ . فاذا كان المصدر هذا الكتاب ، فان التعريف المذكور لم يرد في صفحة ٢٨ ، كما انه لا يلتقي بدقة مع مختلف التعريفات التي اعطاها بوفر للاستراتيجية في ذلك الكتاب . حقا ان هذه النقطة ليست بذات أهمية جوهرية ـ أهميتها شكلية ـ للوقوف عندها طويلا . ولكن الاهم هو مراجعة التعريف نفسه الذي هو قطعا ليس بجامع مانع ، فضلا عن اغفاله لمجموعة من الملحوظات حول الاستراتيجية كان بوفر قد شدد عليها .

واذا كان هذا النقد لا يتسع لمناقشة التعريف مناقشة مستفيضة ، فيكفي الاشارة الى انه قيد الاستراتيجية باستخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية متخطيا الجوانب الاقتصادية والتنظيمية ، كما اغفل ملاحظة ان تعريف الاستراتيجية يتطلب تحديد المجال الذي تتناوله الاستراتيجية المحددة ، فهنالك الاستراتيجية السياسية ، وهنالك الاستراتيجية العسكرية ، وهنالك الاستراتيجية الاقتصادية ، وهنالك الاستراتيجية الكلية ، كما انه لم يشر الى علاقة الاستراتيجية بالهدف السياسي . ومن هنا ادى ذلك التعريف المطاطي الهلامي الى هلامية مفككة رافقت بحث الاخ ابراهيم العابد مما جعله يفتقر الى التسلسل المتماسك في شرح موضوع الاستراتيجية الاسرائيلية ، وحوله الى حشد من التصريحات تخلط في فصوله الاهداف بالاستراتيجية ، وتمحي الحدود بين الاستراتيجية الكلية وبين الاستراتيجية العسكرية وبين الاستراتيجيه الدبلوماسية ، وبين الاستراتيجية السياسية .

لكي أكون اكثر تحديدا ، ولكي أكون اكثر اقناعا بالنسبة للاستاذ ابراهيم العابد ، فسوف استند الى بوفر ما دام هو منطلق التعريف ـ رغم انني اعتبر مفاهيم بوفر في كتابه « مدخل الى الاستراتيجية » تعكس فكر الاستعمار الجديد ، وبعيدة عن التحديد العلمي الدقيق ، ولكنها تحمل في ثناياها بعضا من المنهاجية في البحث ، خاصة ، من ناحية رؤية بعض سمات الاستراتيجية وتقسيم الهرم الاستراتيجي . ولهذا لا بأس من الاستشهاد ببوفر مؤقتا في هذه الملحوظات .

يعرف بوفر الاستراتيجية بانها « فن ديالكتيك ارادتين متعارضتين تستخدمان القوة لحل نزاعهما » ص ٣٤ . ولكن بوفر يدرك ان التعريف العام غير كاف ، ولهذا فهو يقول ان هنالك هرما للاشكال الاستراتيجية المتنوعة وان كانت مترابطة لا بد من تحديدها بدقة اذا اريد لها ان تعمل بتناغم من اجل تحقيق الهدف الكلي نفسه : « تقف على رأس الهرم الاستراتيجية الكلية Total Strategy، وهي تحت الاشراف المباشر للحكومة ـ اي السلطة السياسية. وان مهمة الاستراتيجية الكلية تحديد كيف تقاد الحرب الكلية . ان مهمتها وضع هدف كل فرع خاص في هرم الاستراتيجية ، مع تحديد الاسلوب الذي تدعم وتنسق فيه كل الفروع ـ السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية » ص ٣٠ . ويقول « وسيكون لكل مجال رئيسي من مجال النشاطية استراتيجيته الخاصة المميزة »، ص ٣١.

واذا ترجمنا هذه الموضوعات الى كلمات ابسط ، فسنجد فكرة بوفر تقول ان هنالك استراتيجية كلية تشمل كل المجالات ، وهنالك استراتيجية لكل مجال رئيسي ـ استراتيجية دبلوماسية ، واخرى سياسية ، واخرى عسكرية ، واخرى اقتصادية الخ.. وتقع كلها ضمن الهرم الكبير للاستراتيجية

الذي تقف على رأسه الاستراتيجية الكلية . ليس هذا فحسب ، وانما هنالك ايضا ، استراتيجية كلية لكل مجال وتحتها استراتيجيات ادنى لمختلف فروعه الرئيسية ، فمثلا هنالك استراتيجية عسكرية كلية ، وهنالك استراتيجية للعمليات ، واخرى للتسلح واللوجستيقا الخ ..

الان ، اذا كانت الاستراتيجية تتناول النشاطات ككل، واذا كانت لكل نشاطية رئيسية استراتيجيتها، فكيف عالج الاخ ابراهيم العابد موضوع الاستراتيجية الاسرائيلية؟ انه لم يحدد الاستراتيجية التي سيعالجها هل هي الاستراتيجية الكلية ، ام الاستراتيجية العسكرية ، ام السياسية ؟ ام سيعالجها جميعا بلا خطوط فاصلة بينها — اي على شكل حديث عن الاستراتيجية فحسب ؟ ولكن يبدو انه اراد التركيز على الاستراتيجية العسكرية ، وهذا موضوع ولا شك قائم بذاته ، الا انه هنا ايضا لم يتناول الاستراتيجية العسكرية تناولا منهاجيا ، فلم تميز فصول دراسته بين الاستراتيجية العسكرية الكلية وبين استراتيجية العمليات ، وبين الخطط الاستراتيجية ، وبين المفاهيم او المرتكزات الاستراتيجية الخ بل قدمتها جميعا دفعة واحدة مختلطة بعضها ببعض ، وقد ركزت تلك الدراسة ، بصورة خاصة ، على المرتكزات في الاستراتيجية الاسرائيلية ، واذا تذكرنا تعريفه للاستراتيجية فسنجد انه خلو من التلميح الى شيء اسمه المرتكزات ، — رغم ان تعريف الاستراتيجية يجب ان يشمل وجود مفاهيم ومرتكزات — وانه يشدد على « فن استخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية » في حين لم تتطرق الدراسة الى تلك المجموعة من الوسائل. وحصرت نفسها في عرض منطلقات الاستراتيجية الاسرائيلية ومفاهيمها ، وهذا يعني ان الدراسة تناولت احدى الجوانب فقط وليس ما اعلنت عن بحثه وتقديم مدخل اليه .

لم تفتقر تلك الدراسة الى عدم الدقة من ناحية تناول الموضوع فحسب ، وانما افتقرت ايضا الى عدم الدقة ، في كثير من الاحيان ، من ناحية المحتوى .

يؤكد المؤلف عن « ان اية مقاربة لموضوع الاستراتيجية الاسرائيلية لا بد وان تبدأ بتحديد الاهداف التي تعتبرها اسرائيل حيوية واساسية لبقائها وتطورها » (ص ٩) . حقا ان الحديث عن أية استراتيجية يتطلب ان يبدأ بتحديد الهدف الذي توضع تلك الاستراتيجية من اجل تحقيقه . فما هو الهدف العام للاستراتيجية الاسرائيلية ؟ انه « الحصول على قبول عربي ملزم وشامل بالوجود الاسرائيلي على الارض العربية ... » (ص ٩). هنا يمكن مناقشة هذا الطرح من زاويتين : **اولا** : هل الهدف العام للاستراتيجية الاسرائيلية الحصول على قبول عربي بوجودها ؟ ام هدفها العام او الكلي هو المحافظة على وجودها واستمراره وتوسيعه وضمان اخضاعه للشعوب العربية ولعب دور استعماري في المنطقة كلها . وهذه مسألة يجب ان تفرض سواء قبل العرب او لم يقبلوا وما القبول العربي بوجود اسرائيل الا **احدى الوسائل** لتحقيق الهدف السياسي — اي ان ما سماه الاستاذ العابد بالهدف العام ان هو الا جزء من الاستراتيجية وليس الهدف العام للاستراتيجية ؟ **ثانيا** : ان استخدام كلمة هدف هنا لم تحدد المقصود بكلمة هدف هل هدف بمعنى غاية Aim ام هدف بمعنى Target ؟ لان المعنى الاول يحدد الغاية التي يراد من الاستراتيجية تحقيقها بينما يهدف المعنى الثاني الى تحديد الاهداف Targets التي يؤدي تحقيقها الى تحقيق الهدف بمعنى Target. اي هنالك الهدف الكلي ثم هنالك أهداف استراتيجية وهذه تختلف عن الهدف الكلي الذي توضع الاستراتيجية لتحقيقه

ولنتابع الموضوع ، « وفي سبيل تحقيق هذا الهدف العام تضع اسرائيل ستة أهداف امامها ، كلها في مستوى واحد من الاهمية والاولوية » (ص ٩) ، وهذه الاهداف ، باختصار ، هي : (١) زيادة عدد السكان ، (٢) تحقيق تقدم اقتصادي ، (٣) تقليص الفوارق الاجتماعية ، (٤) تشجيع الاستيطان في القرى والمدن القليلة السكان ، (٥) التمسك بخطوط وقف اطلاق النار الحالية وتعزيز التحصينات عليها، (٦) تقوية الجيش الاسرائيلي .

يلاحظ ، بلا عناء ، ان ما سمي بالهدف العام لا يختلف عن هذه « الاهداف » الستة ويمكن اضافته لها بدل اعتبارها اهدافا لتحقيقه ، ثم اعتبار تلك الاهداف السبعة — بعد اضافة القبول العربي — اهداف الاستراتيجية الكلية التي تقوم لتحقيق الهدف

الكلي الذي هو المحافظة على وجود اسرائيل واستمراره وتوسيعه وضمان اخضاعه للشعوب العربية ولعب دور استعماري في المنطقة كلها . ومن هنا يمكن اعتبار تلك الاهداف السبعة بمعنى Targets او فلنقل بعبارات اخرى **الوسائل الرئيسية** التي تشكل الخطوط العريضة لعمل الاستراتيجية الاسرائيلية اي انها اجزاء الاستراتيجية الكلية وليست اهدافا بحد ذاتها ، فمثلا تقوية الجيش ليس هدفا بحد ذاته وانما هو هدف استراتيجي يؤدي تحقيقه الى المساهمة في تحقيق الهدف الكلي . ولكنه يتحول الى الهدف الذي وضعته الاستراتيجية الكلية — القيادة السياسية — للقوات المسلحة من اجل وضع استراتيجية عسكرية لتحقيقه فهو احدى وسائل الاستراتيجية الكلية وهو الهدف الذي تضعه الاستراتيجية العسكرية نصب عينيها وتسلمه لفروع التعبئة والتسليح والتدريب تحت اشراف قيادة الجيش ووزارة الدفاع .

من هنا نلحظ الخلط والتسيب اللذين اصيب بهما البحث حين اختلطت الاهداف بالاستراتيجية واختلطت الاستراتيجية الكلية بالاستراتيجية الاخرى . ولم يميز بين الهدف السياسي وبين الاهداف بمعنى Targets . كما يلحظ من تلك الملحوظات ان دراسة الاستراتيجية بروح هذا النقد تعني ضرورة تناول الاستراتيجية تناولا منهاجيا دقيقا جدا ، وضرورة نقل الباحث او الباحثين الى ارض شاسعة تتطلب تصنيفا ودراسة اكثر تعمقا وتفصيلا .

عندما ينتقل الاستاذ العابد الى الفصل الثاني « مرتكزات الاستراتيجية الاسرائيلية » ، يعاني من النواقص السابقة نفسها ، الا انه يقدم مسألتي الامن الاسرائيلي والحدود الامنة ، بروح نقدية نفاذة ، وبمناقشة ايجابية تكشفان ديناميكية المفهوم الاسرائيلي لهاتين المسألتين اللتين اسماهما الركيزتين الاساسيتين في التفكير الاستراتيجي الاسرائيلي . ولكن هذه الروح النقدية والمناقشة الايجابية تعودان لتغرقا في استعراض سلبي عند مناقشة ما يسمى بالمحرمات بالنسبة للاستراتيجية الاسرائيلية .

ثمة ملحوظة اخرى حول مسألة المرتكزات في التفكير الاستراتيجي الاسرائيلي ، وهي هل مسألتا الامن والحدود الامنة هما المرتكزان الاساسيان الوحيدان ام هنالك مرتكزات اخرى مثلا ضمان التفوق العسكري والتقني ؟ ومن هنا فان المؤلف لم يحاول ان يحصر تحت هذا الفصل المرتكزات الاساسية للتفكير الاستراتيجي الاسرائيلي . ويبدو لي هنا انه لم يوفق في اقامة الانسجام بين ضخامة عناوين فصول بحثه وبين المادة المقدمة تحت كل عنوان .

اما الفصل الثالث الذي يتناول « الردع والهجوم المسبق في الاستراتيجية الاسرائيلية » فينطلق من استشهاد مسحب من كتاب « المقاومة الفلسطينية في وجه اميركة واسرائيل » للاستاذ هشام الشرابي الذي يقول ان استراتيجية اسرائيل تقوم « على مبدأ الاستعداد التام ، على اساس نظرية القوة الكاملة ، وهذه السياسة قائمة على الاعتقاد بأن المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها ، وان ما يحول بين العدو وبين تحقيق هذا المطمح هو ادراكه مناعتها التي لا تقهر من جهة ، وادراكه ضعفه وتعرضه لخطرها من جهة ثانية » .

ان هذا المنطلق في تحديد الاستراتيجية الاسرائيلية، يقلب الحقيقة راسا على عقب . ويقع في فخ التسويغ الاسرائيلي والامبريالي للاستراتيجية الاسرائيلية . ان سياسة اسرائيل « قائمة على الاعتقاد بأن المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل لتحطيمها » بدلا من القول انها قائمة على مطمح اول واخير وهو تحطيم عدوها واخضاعه كليا . اظن ان هنالك فرقا بين الاستعداد واستخدام القوة « دفاعا » ضد عدو يريد تحطيمك ، وبين الاستعداد واستخدام القوة لتحقيق اهدافك العدوانية وتحطيم عدوك . فمثلا هل نستطيع القول ان الاستراتيجية الامريكية في فيتنام « قائمة على الاعتقاد بأن المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها » — من الذي يطرح القضية على هذه الصورة ؟ في الواقع لا اريد الوقوف كثيرا عند هذه النقطة لانها محرجة فعلا بالنسبة للاستاذين هشام شرابي وابراهيم العابد .

ثم يسمي الاستاذ ابراهيم العابد استراتيجية اسرائيل باستراتيجية الردع والدفاع الذي يتضمن القيام بهجوم مضاد مسبق . هنا ، ايضا ، تولد خطأ آخر نتيجة منطلق هشام شرابي فهو من ناحية صبغ على الاستراتيجية صفة الدفاعية التي تهاجم

ردا على هجوم محتمل قبل وقوعه . وهو من ناحية ثانية استخدم تعبير استراتيجية الردع والدفاع الهجومي الذي اعلنت الولايات المتحدة الامريكية عن تبنيه منذ الستينات مقابل استراتيجية التصعيد التي تبناها دالاس ، والخطأ هنا ان المقارنة غير واردة لان استراتيجية « الردع » لها تحديد خاص ضمن التوازن الاستراتيجي النووي ، ولا تنطبق على الوضع القائم بين العرب واسرائيل . لان اسرائيل تتبنى استراتيجية التصعيد والحرب الكلية ، او قل استراتيجية « الدفع حتى الحد الاقصى » — كلاوسيفتس ، وليس استراتيجية الردع من خلال تأكيد البقاء بعد الضربة — النووية — الاولى ، والتي تدخل ضمنها استراتيجية « الرد المرن » — ماكسويل تيلور . او بكلمات اخرى ان استراتيجية اسرائيل العسكرية تدخل ضمن عائلة الاستراتيجية المباشرة في حين تدخل استراتيجية « الردع » ضمن عائلة الاستراتيجية غير المباشرة . (راجع بوفر — «مدخل الى الاستراتيجية» ص ٧٤). ولكن قد يرد مافا تقول بتصريحات القادة الاسرائيليين مثلا اسحق رابين « ان ما نحاول تحقيقه هو احراز القوة العسكرية الضرورية لردع محاولات تجديد الاشتباكات على نطاق محدود او واسع » — ز ص ٤٤) ؟ يستطيع القادة الاسرائيليون ان يخلعوا ما شاءوا من الاسماء على استراتيجيتهم، ويستطيعون ان يطلوها بما شاءوا من الاصباغ . ولكن الباحث الحصيف عليه ان يحدد الاستراتيجية من خلال الوقائع الملموسة ، وينزع عنها اصباغ التمويه . ان نقطة الانطلاق ليست ما يعلن من تصريحات الا بقدر ما تتفق مع الحقيقة الملموسة التي هي نقطة الانطلاق ومعيار الحكم .

تبقى حول هذه النقطة مسألة عمليات الانتقام المحدودة وسياسة التهديد الخ وهذه يجب ان ينظر اليها كجزء من استراتيجية التصعيد حتى الحد الاقصى ، وهي تعمل ضمن الفترات الواقعة بين كل حرب كلية واخرى ، تحت استراتيجية « نقل الحرب الى ارض العدو وتحطيم اكبر قدر من حشوده العسكرية في اقصر وقت ممكن» (ص٤٨) وهنا لا بد من الاستشهاد برد الاستاذ العابد نفسه حين يناقش مسألة « حق » اسرائيل بالقيام بهجوم مضاد مسبق وذلك من اجل تفادي وقوع اسرائيل ضحية لهجوم عربي شامل ومفاجيء . فيقول « واضح ما يحمله هذا الكلام من خداع ، ذلك انه ، من خلال التجارب الماضية لا يبدو ان من الممكن للعرب ان يشنوا هجوما شاملا ومفاجئا ذلك ان طبيعة النظم العربية والعلاقات فيما بينها وسبل عملها مع بعضها بعضا ، اذا وضعنا جانبا الاعتبارات الاخرى يجعل من امكانية قيامهم بهجوم مفاجيء صفرا . وهذا يعني ان اسرائيل تقول ذلك كذريعة لتبرر هجومها المسبق » — ص ٤٨ . ويلاحظ من هذه الفقرة ان الاستاذ العابد عاد فعدل من تحليله السابق واقترب اكثر من الرؤية الواضحة لجوهر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية . وهذا ما يجعل النقد صعبا عند دراسة كتاب يفتقر الى الفكر والتحليل المتماسكين لانه يبدأ من مقدمات تتناقض معها نتائجه او يبدأ من نتائج يتناقض معها تحليل المقدمات .

واخيرا ، لا بد من الاشادة بالجهد الذي بذله الاستاذ العابد في جمع تصريحات القادة الاسرائيليين حول الجيش الاسرائيلي ودور مختلف اسلحته ، مما يشكل مادة جيدة يمكن الافادة منها في اجراء دراسة عسكرية تتناول استراتيجية العمليات للجيش الاسرائيلي في اية حرب قادمة كما ان المادة التي قدمها حول « الاستراتيجية الاسرائيلية والسلاح النووي » والاستراتيجية الاسرائيلية لمواجهة الثورة الفلسطينية ، يمكن الافادة منها جدا اذا ما حللت تحليلا نقديا عسكريا وسياسيا ، وانصب التفكير على ايجاد المضادات المناسبة .

م. ش.

ELEMENTS: Revue trimestrielle du comité international de la gauche au Moyen-Orient.

ابان نهوض حركة المقاومة في ١٩٦٩ شكل اليسار الاسرائيلي والصهيوني العالمي « اللجنة العالمية لليسار العامل من اجل السلام في الشرق الاوسط» واصدر بباريس مجلة ناطقة باسم هذه اللجنة : « عناصر » وهدفها التصدي لتعاطف اليسار الاوربي والعالمي مع فكرة الكفاح الثوري المسلح كطريق اساسي لحل النزاع الصهيوني العربي ثوريا . — وقد هفا جولدمان باسم الصهيونية العالمية اسرة المجلة على اصدارها . كما ان كلارا هالتر رئيسة تحرير المجلة صديقة شخصية للجنرال موشي دايان. منذ العدد الاول اعلنت المجلة ان مبرر وجودها هو ربط الحوار المباشر بين الاسرائيليين والفلسطينيين عنى صفحاتها اولا ثم على ارض فلسطين بعد ذلك لتحقيق السلام بين « القوميتين الاسرائيلية والفلسطينية » . كما اعلنت ان برنامجها ، الذي هو برنامج اللجنة الناطقة باسمها ، هو الحل السلمي ، لان الحل السلمي في الشرق الاوسط هو ، كما تقول مقالات المجلة ، الحل الثوري الممكن الوحيد لانه يفتح الطريق امام الصراع الاجتماعي ، اما الكفاح المسلح فهو حل رجعي ومضاد للثورة لانه يؤجج الصراعات القومية في الشرق الاوسط ويؤخر بالتالي موعد الثورة الاجتماعية . تلك كانت وما زالت استراتيجية المجلة التي تعبر عنها في كل عدد من اعدادها الثمانية . وقد حرصت على ان تنشر في كل عدد مشاركة طوعية من احد اعضاء المقاومة او ترجمة « منقحة » لهذا او ذاك من قادتها . وقد نشرت في عددها الاخير تصريحا نسبته لابو اياد فحواه ان المقاومة لا تعارض الحل السلمي. وقد كذبت فتح ان يكون ابو اياد قد اعطى مثل هذا التصريح . لاطلاع القارىء العربي على مضمون وتكتيك ومنطق هذه المجلة راينا من المفيد استعراض اخر عدد منها .

تقول افتتاحية العدد السابع من المجلة : « برهنت احداث الشرق الاوسط الاخيرة صواب نظريتنا : التفاوض مع الاسرائيليين لتمكين الفلسطينيين من حقوقهم الوطنية » . وسنرى بعد قليل ماهية هذه « الحقوق الوطنية » ! وتجد المجلة الجراة لتكتب: « لقد ساندتنا القوى التقدمية في اسرائيل والعالم العربي » . بالطبع القوى « التقدمية » العربية التي ساندتها هي من نوع الجعبري وابو شلباية وغيرهم من المتعاونين مع الاحتلال في الارض المحتلة . اما القوى « التقدمية » الاسرائيلية فهي المابام . اما المتسبين فانها تدين بشدة خط هذه المجلة ، ولهذا اعتبرت المجلة المتسبين بانها « متطرفة ومعادية لاسرائيل » ويسار كاريكاتوري لانها تؤمن باستراتيجية النضال الثوري المسلح وتحرض ضد الحل السلمي الذي يراد منه المحافظة على الاوضاع الراهنة في المنطقة .

تقول الافتتاحية ان « لقاء القوى الثورية في الشرق الأوسط » اي العرب الذين هم « انصار الحوار مع اسرائيل وخصوم الكفاح المسلح » و « القوى الثورية في اسرائيل » اي المابام هو التمهيد الصحيح لانهاء النزاع العربي الاسرائيلي. وتؤكد بان « المجلة دعمت ولا تزال البحث عن تسوية سلمية للنزاع » . فما الذي تقترحه من اجل هذا السلام ؟ هذا ما يجيب عنه مقال مارك هالتر : « السلام في الشرق الاوسط : محاولات جديدة » . يقول هالتر : « لقد برهنا دائما على ان السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين من جهة وبين الاسرائيليين والعرب من جهة اخرى ممكن ». ويضيف : « مع الاسف اصبح السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين صعبا نظرا لرفض كل من الطرفين الاعتراف بالحقوق القومية للاخر . لكن الرفض اكثر تصلبا من جهة الطرف الفلسطيني » . وهكذا فالفلسطينيون هم الذين يتحملون القسط الاوفر من المسؤولية نظرا لتصلبهم ! ويزعم المقال « ان الخيار المطروح هو بين سلم تفوضه القوى الكبرى وسلم ديموقراطي حقيقي يكون نتيجة لارادة شعوب المنطقة » . اي لارادة دولها .

هناك فكرة ثابتة في جميع اعداد المجلة هي الالحاح على الفصل بين الفلسطينيين والعرب . وقد اعتبرت المجلة ، كما اعتبر ذلك بعض نقاد المقاومة العرب ، ان تسلل بعض العناصر العربية « المتطرفة » الى صفوف المقاومة هو المسؤول عن عدم نمو العناصر المعتدلة والواقعية فيها .والحل السلمي الذي تقترحه المجلة يكون على مرحلتين :

التفاهم الاسرائيلي الفلسطيني اولا ثم التفاهم الاسرائيلي العربي ثانيا . واذا كان حل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي قد اصبح صعبا بسبب « تصلب » الطرف الفلسطيني ، فما هي افاق حل تاريخي لهذا النزاع ؟ يجيب على ذلك نعوم شومسكي استاذ علم اللغة بمعهد التيكنولوجيا بكامبريدج ، وعضو اللجنة اياها ، في مقاله : «منظور راديكالي لحل النزاع العربي الاسرائيلي». وهو يبدأ بتكذيب عنوانه قائلا : « في الحقيقة ليس في مقالي شيء من الراديكالية . وانما سأحاول ان اكون واقعيا وانسانيا » . ويستعرض عناصر التفوق العسكري والتيكنولوجي الاسرائيلي بالتياس الى الجيوش العربية لكنه يضيف استنتاجا : « ورغم هذا التفوق فاسرائيل على حد قول الكاتب الاسرائيلي تالمون تستطيع ان تكون الظافرة وتستطيع ان تبقى الظافرة الى اخر رمق من حياتها . لكن هذا التهديم الذاتي ، هو الانتحار . فبعد كل انتصار نجد انفسنا محاصرين بمتاعب جديدة ... كما ان هوة الحقد المتبادل ستتعمق وتتسع . والرغبة في اخذ الثأر ستبلغ ذروتها » . ويضيف شومسكي بان « اسرائيل باستراتيجية تصعيد الحرب تتبع فعلا استراتيجية انتحارية . لانها تستطيع ان تكسب كل نزاع الا النزاع الاخير » . والذي يضحك هو الذي يضحك اخيرا كما يقول المثل الفرنسي . ولهذا ليس من مصلحة دولة اسرائيل ان تتصلب ولا تعتمد على تفوقها الراهن الذي قد لا يدوم طويلا. وانما من مصلحتها التاريخية ان تقبل بحل سلمي يحفظ حقها في الوجود المستقل . ويقول شومسكي بان احتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية المحتلة يشكل خطرا عليها . لانه : « كيف تستطيع الديموقراطية الاسرائيلية — الضمانة الاولى والجوهرية لدعم الراي العام الغربي لاسرائيل — ان تبقى سليمة مع تواجد مليون عربي تحت الاحتلال ، لا يستطيعون الحصول على المواطنة الاسرائيلية الكاملة لان الحكومة مصرة على الاحتفاظ باليهود كاغلبية لسكان اسرائيل » . ويضيف : « توصف اسرائيل عادة بانها الساعد الايمن للامبريالية الغربية . هذا الوصف ليس صحيحا الان . لكنه اذا استمر الوضع الراهن فانه سيصبح صحيحا في المستقبل . وعندئذ تتعرض اسرائيل لخطر خسران تعاطف اليسار الغربي معها » . ولهذا فمنطق الاشياء يفرض على اسرائيل ان تقبل بالحل السلمي . نفس هذا المنطق لكن لاسباب مختلفة يفرض على الفلسطينيين والعرب قبول الحل السلمي ايضا . ويدعم شومسكي زعمه بالحجج التالية : « ان مصر هي الاخرى تتبع سياسة فاشلة . لان التفوق الاسرائيلي — الذي اعتبره في اول مقاله مؤقتا واصبح الان ابديا — لن يترك لها فرصة توجيه ضربة ظافرة للجيش الاسرائيلي » . ويلتفت اخيرا للمقاومة لينصحها : « المشاريع الراهنة للمقاومة لا حظ لها من النجاح . لان اسرائيل ليست الجزائر ولا يمكن قتل جميع سكانها ولا ان يرحلوا من تلقاء انفسهم » . ان هذا العرض لاستراتيجية المقاومة مفرض . فالمقاومة لم تقل يوما ولم تفكر بانه يجب قتل كل سكان اسرائيل او اجبارهم على الرحيل ! اذن ، يقول شومسكي : « ان طرفي النزاع الاسرائيلي — الفلسطيني العربي باصرارهما على النضال في سبيل الاستقلال القومي يخسران هذا الاستقلال بالذات بالوقوع تحت نفوذ الدول الكبرى » . والبديل الذي يقترحه بكل راحة ضمير هو وقوع الامة العربية تحت نفوذ اسرائيل المتفوقة عسكريا وتكنولوجيا واقتصاديا !

يأسف شومسكي الى ان مبلغ ٢٥ بليون دولار انفق من ١٩٤٧ على السلاح بدلا من انفاقه على مقاومة التخلف ، كما لو كانت القوى الامبريالية ودولة اسرائيل يهمها جديا ان توظف هذا المبلغ او حتى جزء منه لمقاومة التخلف . ولم يسأل شومسكي نفسه : لماذا لم توظف مبالغ مماثلة لمقاومة التخلف في امريكا اللاتينية مثلا التي تبلغ فيها نسبة الامية ٦٥٪ من السكان ، واكثر من نصف سكانها مصابون بامراض سوء التغذية ؟

لفتة اخرى للفلسطينيين ، يقول شومسكي : « صحيح ان الفلسطينيين ضحايا ظلم تاريخي . لكننا نعترف بكل نزاهة (كذا) بان هذا الظلم لا يمكن رفعه ابدا . لان كل اصلاح له يبدو مستحيلا في نظر الحقائق الراهنة » . يتناسى شومسكي ان الحقائق الراهنة ليست ابدية . وان ميزان القوى يتغير بارادة القوى الثورية في المستقبل . وينسى انه هو نفسه يعرف ذلك تماما عندما كتب : « ان اسرائيل تستطيع ان

تكسب كل نزاع الا النزاع الاخير » . الى ماذا يريد ان يصل شومسكي من وراء هذا التخويف بحقائق الاوضاع الراهنة ؟ الى دعوة الفلسطينيين الى التخلي عن فكرة وممارسة الكفاح المسلح — هذه الفكرة التي هي بيت القصيد في المقال وفي جميع مقالات المجلة وجميع اعدادها — يقول شومسكي : « على الفلسطينيين ان يحافظوا على وجودهم . لان مواصلة الكفاح المسلح ضد اسرائيل هي استراتيجية انتحارية بالنسبة اليهم. وكصديق يا له من صديق !) لا انصحهم بالانتحار » . ويضيف بانه : « حتى اذا استطاعت المقاومة ان تجعل من الاردن « هانوي عربية » فليس من حق هذا الاردن الثوري ان يصدر الثورة الى الاراضي المحتلة . لانه ليس من حقه ان يفرض « السعادة » على الشعب الاسرائيلي الملتف وراء حكومته » . ٥٦٪ من سكان اسرائيل على حد زعم المجلة يعتبرون ان مصر ترفض السلام الحقيقي حتى لو اعيدت اليها الاراضي المحتلة ! يستنتج الكاتب اخيرا ان الكفاح المسلح يقود الى نتيجتين « حتميتين » : اما القضاء الكامل على الفلسطينيين كمجموعة بشرية واما التهديد الجدي لوجود اسرائيل «كدولة مستقلة». وهذا يعني امكانية اندلاع حرب نووية تجعل مصير الانسانية على كف عفريت !

فما هو المخرج الذي يقترحه هذا التحليل الانهزامي ؟ « الحل الوحيد — الواقعي والانساني والتاريخي — هو تكوين دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . هذا الحل الذي فكرت فيه بعض العناصر الاسرائيلية وتبنته مؤخرا بعض العناصر في الحكومة الامريكية نفسها » . لكن امام هذا الحل الذي يقترح شومسكي ان تفرضه القوى الكبرى تقوم بعض العقبات التي يبدو انه لا يجهلها . ولهذا فانه رغم ايمانه العميق بجدوى هذا الحل الا انه — في حال استحالة تحقيقه — يقدم « منظورا راديكاليا اكثر جراة : « دولة فدرالية اسرائيلية فلسطينية تحافظ فيها كل قومية على استقلالها الاجتماعي والثقافي والقومي ولكنها تصبح وحدة اقتصادية » . اي دولة تحافظ فيها اسرائيل على « نقاوة » يهودية الدولة الاسرائيلية وتجد فيها سوقا هاما لشراء اليد العاملة الفلسطينية الرخيصة وبيع المنتوجات الاسرائيلية!

وعلى نفس الطبل لكن باعواد أخرى يضرب البير ميمي الكاتب الصهيوني الفرنسي في مقاله : « من اجل اعتراف صريح بالواقع القومي » . يستنكر ميمي « الاشتراكي » موقف بعض الاشتراكيين الفرنسيين « الذين وقعوا في ندوة الكويت التصريح الجنوني الذي يطالب بازالة دولة اسرائيل » . ويتساءل في مرارة : « هل هذا الموقف وليد قناعة ؟ ام هو محض تكتيك ؟ » ويجيب : « انه على كل حال تكتيك احمق بل اجرامي » . وبعد تفلسف طويل وفارغ حول المسالة القومية « التي كان ماركس يحتقرها بشدة » على حد قوله ، وبعد البرهنة على ان الامم باقية الى دهر الداهرين وان الطبقات لن تزول كما « تنبأ » ماركس ، وان المسالة القومية لا يمكن ان تحل اشتراكيا واميا ، بعد كل هذه الدوشة القومية يتفرغ ميمي لشجب دعم اليسار الفرنسي للمقاومة الفلسطينية على اعتبار انها حركة تحرر اجتماعي . يأسف ميمي لهذا الدعم ويدحض « أوهام » اليسار الفرنسي والعالمي الذي راى في المقاومة الفلسطينية والثورة العربية الاشتراكية املا لحل النزاع التاريخي القائم في الشرق الاوسط . ينكر ميمي بشدة ان تكون المقاومة حركة تحرر اجتماعي ومن ثم يستنكر تأييد اليسار العالمي لها . المقاومة في نظر ميمي حركة قومية بحتة رغم ان فيها على حد اعترافه « بعض العناصر المتقدمة اجتماعيا» . لكن البير ميمي يقول لليسار العالمي الذي يرفض تأييد الصهيونية : « ان الصهيونية هي الاخرى — واكثر في نظره بما لا يقاس من المقاومة — حركة اشتراكية تهدف الى اعادة البناء الاجتماعي لثقافة شعب » . ويعطي بن اهارون زعيم الهستدروت دعما لهذه الموضوعة الكاذبة في نفس العدد بقوله : « ان اسرائيل يمكن ان يقال عنها بانها اشتراكية لان كل الثروات الطبيعية وجميع الاراضي مؤممة ، و ٦٠٪ من الصناعة ووسائل الانتاج مؤممة كذلك. والبورجوازية لا تمثل الا بين ١٠ و ١٥٪ من مجموع السكان » . كما لو كانت الاشتراكية هي مجرد تأميم وسائل الانتاج والتبادل. وليست ازالة الاستغلال وازالة المراتب وازالة البضاعة وبالتالي زوال استغلال طبقة لاخرى وقومية لاخرى . فالاشتراكية هي على حد قول ماركس « رد الانسان الى نفسه » .

يحبذ ميمي على المدى البعيد « البعيد جدا » شرقا اوسطيا اشتراكيا متعدد القوميات او حتى بدون قوميات . اما في الحاضر فانه يقترح وباي حرارة ! « لاجتناب اراقة الدماء .. والدمار » « حلا سلميا ، ولو مؤقتا ، هو حل مرغوب فيه بل لا بديل له » . وينتقد ميمي بشدة كل الذين — عربا كانوا او اجانب — يرفضون الحل السلمي كما يقترحه قرار مجلس الامن او حتى بما هو ادنى من قرار مجلس الامن . وينعت هؤلاء « المتطرفين » بانهم « لا يبحثون بدعوتهم لحل ثوري وسيلته الاساسية الكفاح المسلح الا على الهوية بعيدة ، على حل لعجزهم امام مشاكلهم الراهنة » . هكذا يستخلص البير ميمي الصهيوني بان اعداء الحل السلمي وانصار الكفاح المسلح هم طوباويون خطرون . اما « الثوريون » حقا فهم الذين يقبلون بقرار مجلس الامن وحتى بما هو ادنى في سبيل « تجنب اراقة الدماء وتدمير شعب اسرائيل الذي تألم على مر القرون » !

من هذه النتيجة ينطلق جويدو فوبيني في مقاله : « دور اليسار في نزاع الشرق الاوسط » ، مقدما الحل السلمي على انه الوسيلة الوحيدة لاسترداد الشعب الفلسطيني لحقوقه . يقول فوبيني : « ان قبول مصر واسرائيل لمشروع روجرز شكل انعطافة نوعية وتاريخية في تطور الوضع السياسي في الشرق العربي » . لان كل مشاكل هذا الشرق لا يمكن ان تجد حلها الا في مناخ سلمي بين جميع دول المنطقة . « اذا كان احتلال اسرائيل من طرف العرب سيكون قضاء مبرما على امل وامكانية ميلاد دولة ديموقراطية علمانية يتعايش فيها العرب واليهود .. فان اعادة وحدة فلسطين تحت الاحتلال الاسرائيلي هو الامكانية الوحيدة التي ستمكن الفلسطينيين من احتلال فلسطين من الداخل لا بالكفاح المسلح بل بالتعاون الوثيق مع الاسرائيليين للعيش معا بسلام » . وعلى هذا النحو يكون اليسار الصهيوني دياني اكثر من ديان نفسه الذي عرض بهذا الصدد على الفلسطينيين عروضا اقل صفاقة !

قلنا ان احد الاهتمامات الثابتة لهذه المجلة الصهيونية هي البحث الدائم على احدى الوسائل لشد اليسار العالمي لدعم الدولة الاسرائيلية .

ويتجلى هذا الاهتمام في مقال هايدمان : « اليسار الالماني واسرائيل » . والكاتب هو عضو اللجنة اياها بمدينة فرانكفورت . يتألم هايدمان لضعف اهتمام اليسار الالماني باسرائيل . ويحاول ان يقدم اسبابا موضوعية لهذه « الظاهرة الخطيرة » ويحاول ان يقدم لها علاجا : « تاريخ الامس ، غرف الغاز لم تعد حاضرة في ذاكرة الشباب الالماني . ان هذا محزن . ولكنه امر واقع . ان العنصرية في افريقيا السوداء وقصف القرى الفيتنامية ومصير اللاجئين الفلسطينيين والاختناق الذاتي الذي يسببه نمط الحياة الراسمالية هي الاحزان الحاضرة في وعي الشباب الالماني .ولهذا فعلينا ان نقوم بعمل صبور لكي نجعل الشباب الالماني يهتم من جديد باسرائيل . يجب ان نقول للشباب اليساري الالماني ان قضية الانسانية التي ما زال اليسار الالماني يدافع عنها لا يمكن التفكير فيها بدون المضمون الرائع الذي اعطته لها اليهودية . ان الفصل بين اليهودية واليسار العالمي يمكن ان يجر عواقب رهيبة عليهما معا . يجب ان لا يتخلى اليسار لحظة واحدة عن حق اسرائيل في الوجود . لان استشهاد ملايين اليهود وعزم المجموعة اليهودية في فلسطين هما اللذان جعلا من دولة اسرائيل حقيقة واقعة » .

تحتاج هذه المجلة لتزكية مثل هذه الافكار المغرقة في الرجعية ، لاقلام واصوات عربية تشارك طائفة في هذا الحوار المشبوه . وهي في كل عدد تجد اكثر من قلم وصوت عربي من داخل وخارج الاراضي المحتلة واحيانا من بعض المسؤولين في حركة المقاومة ذاتها . اما في هذا العدد فنجد زيادة عن رسائل التشجيع « نداء لقادة المقاومة الفلسطينية » وجهه محمد ابو شلباية احد محرري مجلة « القدس » في الارض المحتلة . يطالبهم فيه « باسم الوطنية والشهداء بان يشتركوا في مفاوضات السلام القادمة حتى لا يتركوا لاخرين فرصة وحق تمثيل شعبنا الفلسطيني » . وقد كانت حجة بعض الذين اشتركوا كتابة وتصريحا من العرب في هذه المجلة انهم لا يقرأون الفرنسية ولم يطلعوا على مضمونها . فهل تبقى لهم بعد اليوم حجة ؟

العفيف الاخضر

فلسطين في خمسة مؤتمرات

مراسلو شؤون فلسطينية :
شحادة موسى — سعيد حمود
حاتم الحسيني — مي صايغ جبجي
زينة ابو شديد

حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية (في الخرطوم)

قامت « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » في الفترة الاخيرة بنشاط واضح في المجال الثقافي ، والعمل على توحيد مظاهر هامة في الثقافة العربية انطلاقا من ان الوحدة الثقافية والفكرية ركيزة أساسية في الوحدة القومية . فقد دعت المنظمة في الاشهر الاخيرة من عام ٧١ الى « حلقة دراسية للخدمات المكتبية والتوثيق والمخطوطات العربية » في دمشق ، والى « حلقة دراسية حول العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي» في القاهرة (وقد نشرت شؤون فلسطينية في العدد الماضي تغطية لهما) واخيرا ، وبالتعاون مع «اللجنة الوطنية لليونسكو السودانية» دعت المنظمة الى الحلقة موضوع الحديث، اي «حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية » التي عقدت في الخرطوم بين ١٨ — ٢٧ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١.

ادرجت قضية الاحصاء الفلسطيني الى جدول اعمال الحلقة بعد أن اضيفت اليه ، في الجلسة الاولى ، مذكرة خاصة حول الاحصاء الفلسطيني أعدها مركز الابحاث وحملها مندوب عنه في وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى الحلقة . ولقد ركزت المذكرة على ثلاث نقاط اساسية : ١ — اهمية وضرورة الاحصاء الفلسطيني الشامل على مختلف الاصعدة . ٢ — ملاحظات حول واقع الاحصاءات العربية وخلوها من المعلومات الكافية عن الفلسطينيين . ٣ — المؤشرات العامة التي نريد ابرازها في الاحصاءات العربية فيما يتعلق بالفلسطينيين في الدول العربية . وطالبت المذكرة ان تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بواجبها في هذا المجال . وشكلت هذه المذكرة وما طرحه وفد فلسطين محور النقاش الذي جرى حول الموضوع والذي تأكدت بنتيجته عدة امور :

أ — يتحتم من الناحية الوطنية والقومية الحفاظ على الشخصية الفلسطينية ، وتوفير كل ما من شأنه ابراز الكيان الفلسطيني ، كرد على الادعاءات الاسرائيلية بأن ليس هناك شعب فلسطيني ، وكرد على المحاولات المشبوهة لطمس الشخصية الفلسطينية . ب — من الضروري على الصعيد الذاتي للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني توفر الاحصاءات السكانية الفلسطينية لان اية خطة كلية او جزئية لا بد ان تستند الى معلومات رقمية عن عدد الفلسطينيين وتوزعاتهم المهنية والجغرافية ، والواجب القومي يدعو الدول العربية الى تجاوز بعض الاعتبارات السياسية والقيام باحصاء الفلسطينيين سواء من كان يحمل منهم بطاقة خاصة باللاجئين او من يحمل — لسبب او لآخر — جنسية اخرى . ج — منذ قيام منظمة التحرير اصبح للفلسطينيين كيان سياسي معترف به بالاضافة الى كيانهم الوطني ، كما أن لهم مؤسسات ثقافية قائمة من اذاعة وصحافة ومؤسسات للتأليف والنشر ، وفرق فنية ورياضية وغيرها . ولذا فلا بد في عملية الاحصاء الثقافي من معرفة هذه المؤسسات ومدى تلبيتها لحاجات الفلسطينيين ، ومعرفة مدى توفر الخدمات الثقافية العربية في مخيماتهم خاصة. وفي ضوء ذلك صدرت عن الحلقة التوصية التالية :

« ١ — تناشد الحلقة الدول العربية باجراء احصاء

للفلسطينيين المقيمين بها وفقا لتعريف المواطن الفلسطيني كما ورد في الميثاق الوطني الفلسطيني (المادة ٦: الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى عام ١٩٤٧ سواء من اخرج منها او بقي فيها ، وكل من ولد لاب فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين او خارجها هو فلسطيني) . اذ أن الاحصاء السكاني يعتبر ركيزة لاي احصاء او تخطيط ثقافي ، وان تتولى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عرض هذه التوصية على مجلس جامعة الدول العربية لاصدار قرار بها .

٢ — تتولى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مهمة القيام بجمع بيانات الاحصاءات التربوية والثقافية الخاصة بالفلسطينيين متعاونة في ذلك مع حكومات الدول العربية والامانة العامة لجامعة الدول العربية ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ومراكز البحوث الاخرى والعمل على اصدارها ونشرها » .

ان التوصية جيدة بحد ذاتها ولكنها تظل توصية، ولذا ينبغي على الجهات المقتنعة فعلا بأهمية هذا الموضوع ، والخدمات الاساسية التي يوفرها لنضال الشعب الفلسطيني ، وارسائه على اسس علمية ، ان تبادر للقيام بسلسلة اتصالات واجراءات لوضعه موضع التنفيذ . ومن المؤكد ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تتحمل العبء الاساسي في هذا الموضوع . كما ان مسئولية اساسية في هذا المجال تقع على عاتق مراكز الابحاث الفلسطينية وعلى عاتق مكاتبنا ومؤسساتنا ومختلف تنظيماتنا ، خاصة وهي معنية اكثر من غيرها بمعرفة القطاعات التي تتعامل معها ، ولديها الامكانيات البشرية التي باستطاعتها ان تسهم في العملية .

وناقشت الحلقة عددا من القضايا المتعلقة بأمور الثقافة والتخطيط والاحصاء الثقافي وغيرها . ولا شك ان هذه القضايا والتوصيات التي صدرت بصددها هي قضايا هامة ، ان على الصعيد القطري او القومي ، وان كانت العبرة في التنفيذ. فالاحصاء الثقافي موضوع جديد بالنسبة لمعظم الدول العربية ، وهو موضوع هام لان الاحصاء عموما هو الاسلوب العلمي الذي يترجم الواقع الى ارقام ملموسة ، ولان الاحصاء الثقافي هو الوسيلة الرقمية التي تقيس مدى توفر الخدمات الثقافية ومدى استفادة الجماهير منها ، والتي تدرس البرامج او المواد التي تقدم عبر المؤسسات الثقافية المختلفة ، ورأي الجماهير بها ، ومن ثم الوقوف على قيمة وفاعلية هذه الخدمات والبرامج وملاءمتها لحاجات الجماهير وتلبية لمطالبها ورغباتها . ولقد أبرز النقاش الذي دار في الحلقة عددا من النقاط الهامة مثل : ١ — الفصل بين الاحصاءات الثقافية والاحصاءات التربوية ، على الرغم من كون المدرسة مؤسسة ثقافية ، وحصر الاحصاءات الثقافية في البرامج او المواد الفكرية والفنية التي تنمي وعي المواطن وفهمه في تعامله مع بيئته المادية والاجتماعية ، هذه المواد التي تنقل عبر مؤسسات ثقافية كالمكتبات والاذاعة والصحافة والسينما وغيرها ، واعتبار المادة الثقافية (وليس المؤسسة او الوسيلة الثقافية) هي وحدة القياس في عملية الاحصاء ، اذ ليس يكفي ان نعرف عدد دور السينما بقدر ما يهم ان نقف على البرنامج او المادة التي يقدمها الكتاب او الفيلم . ٢ — ربط التخطيط الثقافي بالتخطيط في المجالات الاخرى في المجتمع ، لان التنمية الحقة هي التي تدفع المجتمع بكل جوانب الحياة فيه الى الامام ، والتي تنطلق وتهدف الى رفع مستوى الانسان بالدرجة الاولى . ٣ — التوازن بين الريف والمدينة عند وضع اية خطة ثقافية ، اذ من الواضح ان المجتمع العربي يشهد ظاهرة تركز سكاني يرافقها تركز للوسائل الثقافية في المدن مما يجعل الريف مهملا ومعطل الامكانيات الى حد بعيد.

٤ — توحيد التعاريف والتصنيفات ووضع الاستمارة الاحصائية الموحدة على المستوى العربي « بحيث يمكن عمل الاحصاءات الثقافية المقارنة ، التي تحدد مواقع المجتمعات العربية على خريطة التطور الثقافي ، وتكشف عن المناطق التي تحتاج الى مزيد من الجهد للوصول بها الى التطور المنشود».

الا ان هناك بعض الملاحظات حول حلقة الخرطوم. لا نريد هنا ان نتعرض لتنظيم الحلقة او الوقت الطويل الذي قضاه الاعضاء دون اي عمل ، فتلك امور ثانوية قياسا بجوهر اعمال الحلقة . غير ان هناك ملاحظتين لا بد من ذكرهما . تتعلق الملاحظة الاولى بدراسة طرحت في جدول الاعمال، بعنوان « الاحصاءات الثقافية والتخطيط » ومعدة

بتكليف من المنظمة العربية . فقد قررت اللجنة التي ناقشت الدراسة استبعادها من اعمال الحلقة لبعدها عن موضوع الاحصاء الثقافي واحتوائها اراء غريبة من الناحيتين العلمية والقومية . فهي تتحدث عن الانفجار السكاني في الوطن العربي ، وتدعو للهجرة كحل للمشكلة ، وذلك ليس صحيحا بالطبع ، اذ ان مناطق عربية كثيرة تعاني من عكس ذلك ، والتبشير بالهجرة دعوة غريبة بدون شك في وقت تسعى الدول العربية لاعادة ابنائها الذين اضطرتهم ظروف المعيشة للاغتراب ، ناهيك عن ضرورة الوقوف بوجه المحاولات الساعية لتفريغ الوطن العربي من خيرة كفاءاته . الا ان الانتقاد لا يوجه الى كاتب الدراسة بقدر ما يوجه الى الجهة التي كلفته بها وربما لم تراجعها قبل عرضها على الحلقة . والملاحظة الثانية تتعلق بالمساهمة في الحلقة سواء من حيث عدد الدول المشتركة ، وهي أقلية — السودان ، مصر ، ليبيا ، العراق، الكويت ، الاردن ، فلسطين ، سوريا — او من حيث مستوى الوفود وفعاليتها ، باستثناء الوفد المصري الذي ضم عددا من الاخصائيين . ان ذلك يعكس اما عدم الاهتمام ، او قلة الكفاءات ، وكلاهما يستدعي التوقف والملاحظة ، خصوصا ومجتمعنا بحاجة الى رعاية وتنمية كل وجه من اوجه حياته ، والوجه الثقافي تحديدا ، لانه يتعلق بالانسان العربي ، اساس التنمية واساس النهضة

شحادة موسى

المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية (في القاهرة)

عقد في القاهرة بين العاشر والثالث عشر من كانون الثاني ١٩٧٢ المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافرو — اسيوية . لعل بعض الملاحظات والانطباعات حول هذا المؤتمر تغني عن تقديم تقرير مفصل شامل يعدد الوفود ويستعرض الجلسات واللجان ويلخص القرارات والتوصيات، خاصة اذا كانت الملاحظات والانطباعات ذات طابع نقدي يهدف الى الخروج بالمقترحات التي تمكن العمل الفلسطيني من تحقيق الاستفادة الفعلية والكاملة من مثل هذه المؤتمرات .

١ — مثلت الوفود التي حضرت المؤتمر القوى المناهضة للامبريالية في بلادها ، وكانت حشدا كبيرا جدا (٨٧ وفدا ، ٥٦ منها عضوا عاملا و٣١ مراقبا ، حوالي ٣٧٧ عضوا) . وكونها قوى ، منظمات افريقية واسيوية ومنظمات اقليمية ودولية ومن الدول الاشتراكية ، مناهضة للامبريالية وغالبها يخوض النضال الفعلي في هذا الاتجاه ، فانها ، بشكل طبيعي ، حملت معها قضاياها الى المؤتمر وعملت على أن تجد لها حيزا في قراراته وكواليسه . وفي حشد من هذا النوع تكثر القضايا والمعضلات ولا يعود ممكنا التركيز عليها وعلى تفاصيلها ، من هنا فانه لا مناص أمام الوفود التي تريد ان تلعب دورا فاعلا ومؤثرا يسهل لها اجتذاب بقية الوفود الى قضاياها ، من أن تكون على المام واسع بحقيقة المعضلات التي تجتاح العالم الثالث . بالنسبة لكل وفد فان قضيته تقف على رأس سلم الاولويات ، وهذا أمر طبيعي ، لذلك فان الشرط الاساسي للحصول على تأييد عميق ومستمر لقضية من القضايا ، هو أن يكون صاحب القضية على وعي حقيقي بمشكلات الاخرين . لا شك في أن هذا الشرط صعب ومعقد، ولكن لا مفر من تحقيقه .

٢ — لم يكن صعبا على الوفد الفلسطيني مثلا (وفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير) أن يحصل في قرارات اللجان المختصة (خاصة لجنة الشرق الاوسط ، لجنة الاستعمار الجديد واللجنة الاقتصادية) وكذلك في البيان العام على قسط كبير من شجب العدوان الاسرائيلي وادانة التعاون الامبريالي — الصهيوني ، ومن تأييد لقضية التحرر والكفاح المسلح وحتى تقرير المصير ، ذلك لان كافة الوفود المشتركة مناهضة بطبيعتها

وتوجيهاتها للامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ولكافة تعبيراتها وحلفائها . ولكن هذه القرارات ، على قيمتها في مثل هذه المؤتمرات ، تبقى دون أثر عملي مباشر في غياب التفاعل الديناميكي والمستمر مع القوى التي صوتت على قبولها .

٣ ــ كان يمكن للوفد الفلسطيني مثلا ان يبرز بقوة وفعالية لو أنه حدد موقفا واضحا وجريئا عند بحث قضية الاعتراف ببنغلاديش (حين طرحت بحدة من قبل وفد دكا ووفد الهند في اللجنة المختصة بشأن التطورات في شبه القارة الهندية) ، مع العلم ان الوفد الفلسطيني كان الوحيد بين الوفود العربية الذي يمثل ثورة غير مقيدة بمواقف الدول ورسمياتها ودبلوماسياتها ، ولكن الوفد الفلسطيني آثر ان يتقيد باطار الحرص على ارضاء كافة الاطراف وعدم اثارة الباكستان ، وقعد متفرجا في اللجنة المذكورة . وفي اجتماعات ثنائية مع وفد الاتحاد السوفييتي ابدى المندوب السوفييتي استغرابه لموقف الوفد الفلسطيني ، وان كان رئيس الوفد الهندي (كريشنا مينون) قد أشار ، في الاجتماعات الثنائية ايضا ، الى تفهمه للموقف الفلسطيني ، الا أنه من المؤكد كان سيظهر ارتياحا وتفهما أكثر لو أن الوفد الفلسطيني حدد موقفا صريحا وجريئا بتأييد بنغلاديش والاعتراف بها .

٤ ــ وكذلك ، ونتيجة للاطار الضعيف الذي وضع الوفد الفلسطيني نفسه في داخله ، لم يستطع الوفد ان يستبعد من القرار (٢) حول العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية (لجنة الشرق الاوسط) الفقرة التي نصت على التالي : « وان منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية لتؤيد جهود الدول العربية الرامية الى ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ بكافة بنوده . كما ترحب المنظمة بالمقترحات البناءة التي تقدمت بها جمهورية مصر العربية وعدد من الدول العربية الاخرى بهدف البحث عن وسائل سياسية لايجاد تسوية سياسية للصراع ، وهي المقترحات التي ايدتها غالبية دول العالم والمجتمع الدولي » .

٥ ــ هذا لا يعني ان الوفد الفلسطيني كان ضعيفا في تركيبه (على العكس كان الوفد مؤلفا من عناصر على مستوى جيد) ، ولكن المشكلة تركزت اساسا في الاطار الذي اسر الوفد نفسه في داخله ، وفي غياب المواقف المدروسة والمعدة سلفا لمثل هذا المؤتمر . وتجدر الاشارة الى ان مركز الابحاث كان المدعو الوحيد (كمراقب) من مؤسسات ومنظمات العمل الفلسطيني .

٦ ــ لم يكن المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية مؤتمرا قويا بشكل عام . الا ان حضور مثل هذه المؤتمرات أمر على درجة كبيرة من الاهمية والضرورة وخاصة بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، اذ يمكنها في مثل هذه المجالات ، عبر المواقف السليمة والعلمية والتحركات الذكية الهادفة ، ان تخرق جدار الحصار على صوتها ومواقفها وان تفند الادعاءات والتشويهات التي تحاول القوى المعادية زرعها ضدها في كل مجال . على ان ذلك يصبح مجديا في ظل تحقيق الشروط التالية : أ ــ الاطلاع الواسع والمتخصص على معضلات ومشاكل القوى التي تحضر مثل تلك المؤتمرات . ب ــ التسلح بالجرأة الثورية في تحديد المواقف ، دون الخوف من الاعتبارات الدبلوماسية . ج ــ انتقاء الوفد على اساس طبيعة المؤتمرات او الندوات ، وليس على اي اساس آخر ، د ــ التمكن من متابعة القضايا والمواقف التي تطرح وتحدد على امتداد الفترة التي تفصل انعقاد مؤتمر عن آخر ، اذ ان عدم الاستمرار بالاتصال الملتزم والواعي يفقد القرارات قيمتها العملية وتظل شعارات دون فعل جدي .

الدكتور سعيد حمود

المؤتمر السنوي الرابع لجمعية الخريجين العرب (في بوسطن)

عقدت جمعية الخريجين العرب الامريكية مؤتمرها السنوي الرابع في مدينة بوسطن وذلك من ٢٩ الى ٣١ اكتوبر ١٩٧١. وكان موضوع المؤتمر « العرب: مراحل التطور الحديث وفرص الاختيار في المستقبل » . وقد بحث هذا الموضوع من جميع الاوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حلقات دراسية استمرت ثلاثة ايام وقدم خلالها مجموعة من رجال الفكر والثقافة العرب دراسات علمية تحاول معالجة الواقع العربي . وحضر المؤتمر ، بجانب عدد كبير من الاساتذة العرب المقيمين بأمريكا ، عدد من المفكرين المشهورين ومنهم المستشرق جاك بيرك احد اشهر اساتذة التاريخ الاسلامي في فرنسا ، والدكتور لويس عوض المحرر الادبي للاهرام، وصبري جريس الباحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ونواز طرابلسي المحرر في مجلة الحرية ، وارك رولو المحرر في اللوموند الفرنسية ، والسيد عبدالله الطريقي الخبير بشؤون النفط ، والدكتوران صادق جلال العظم وحنا ميخائيل منباحثي مركز الابحاثفي منظمة التحرير الفلسطينية ومن أسرة تحرير مجلة شؤون فلسطينية .

وجمعية الخريجين العرب منظمة حديثة قامت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، كمحاولة من المثقفين والمفكرين العرب في المهجر او « المنفى » للمشاركة في الدفاع عن قضيتهم العربية والمساهمة في نضال شعبهم ضد الاحتلال الاسرائيلي والاستعمار الغربي . وبدأت الجمعية بمجموعة صغيرة من الاساتذة العرب واتسعت خلال ثلاث سنوات لتشمل ما يزيد عن اربعمئة عضو يمثلون قطاعات مختلفة منها الاساتذة والاطباء والمهندسون والعلماء العرب في المهجر .

وانتجت الجمعية خلال فترة قصيرة عددا من الكتب والنشرات العلمية التي تحاول الدفاع عن قضية فلسطين والقضايا العربية المعاصرة ، منها : كتاب **المواجهة العربية الاسرائيلية** ، للدكتور ابراهيم ابو لغد ، **والمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي** ، للدكتور نصير عاروري ، **والعالم العربي : من القومية الى الثورة** ، لعابدين جباره ، **والحرب غير المقدسة : الصراع على فلسطين** لديفيد وين ، **والعرب الامريكان** لايلين هاكوبيان ، **والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧** لالياس سامو ع . كما أصدرت الجمعية عددا من النشرات الاعلامية منها **الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ، واحتلال اسرائيلي للاراضي العربية عام ١٩٦٧** . كما قامت الجمعية بنشاط واسع لمواجهة الدعاية الصهيونية من خلال برامج المحاضرات والندوات التي اشترك فيها الاساتذة العرب ، ومن خلال المؤتمر السنوي .

وعالجت ندوات المؤتمر الرابع المواضيع التالية : « الحضارة العربية والنقد » ، « قوى التغير الاجتماعي » ، « العرب المعتقلون (في اسرائيل)»، « اقتصاديات الاستعمار » ، « الخليج العربي » ، « البحث العلمي العربي » ، « الوحدة ، التفرقة، والانقسام في العالم العربي » . ودار النقاش في هذه الندوات في جو من النقد الحاد للواقع العربي والفشل العربي في مواجهة التحدي الاستعماري — الصهيوني . كما تميز جو الندوات والمؤتمر عامة بالجدية القاتمة الكئيبة التي تعكس واقع اندحار حركة المقاومة الفلسطينية وتراجعها السريع امام الهجمة الاستعمارية والتحرك العربي الرسمي للقبول بالحل السلمي وتصفية المقاومة الفلسطينية . وذلك بعكس المؤتمرات السابقة حيث كان الجو العام يعكس التأييد العلني والمبتهج بالمقاومة الفلسطينية وما حققته من انتصارات وتقدم في العالم العربي .

وفي مجال الندوات ذكر المستشرق جاك بيرك ان العالم العربي يواجه معارك عديدة ومتشابكة هي معارك الاستقلال ، البناء الاقتصادي ، العدالة الاجتماعية ، والنهضة الحضارية . وذكر ان العرب فشلوا في كثير من هذه المعارك وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين . وفشل العرب في تحقيق التحرر الحقيقي ومعالجة مشكلة فلسطين ولم يتعلموا من هزائم الماضي . وذكر ان العرب فشلوا في خلق توازن بين « الهام الماضي » و« تطلعات المستقبل » . واكد ان هناك ثلاثة شروط للتقييم الموضوعي وفحص الاخطاء واكتشاف الطاقات الحقيقية وهي : ١) العلاقة بين اسلوب معين لواقع محلي واسلوب القضايا الدولية ،

٢) العلاقة بين المنجزات الجزئية في حقل معين والقوى الشاملة التي تتحكم في المجتمع كله ، ٣) العلاقة بين انطلاق قوى أساسية وعلمانية ونقدها وتقييمها . واكد انه لا بد للعرب من النهوض من واقعهم الحالي ومواجهة عالم الغد بالقيم العربية الدائمه .

وفي ندوة « النقد الثقافي » وضع الدكتور جارسلاف ستتكافك الفكر العربي تحت نقد صارم شديد . فذكر ان هناك تكرارا مملا في الفكر العربي الحديث وهو تكرار الايجابية والمعرفة السطحية فالمفكر العربي الدارس في الغرب حاول ادخال افكار واساليب ومعايير جديدة على الادب العربي. وبذلك وضع المثقفون اطارا من « الايجابية » و« البناء » وظنوا ان النتائج ستاتي تلقائيا . وهكذا تحول التمرد الى تفاؤل فارغ متعال وفقد الاحساس بالواقع والنضال . واما لويس عوض فذكر ان الاحوال الموضوعية صالحة للنقاش الثقافي الحقيقي في العالم العربي الان وان هذا الحوار الثقافي يجري الان خاصة بعد حرب ١٩٦٧ . واكد ان المثقفين في مصر ادركوا ان المواجهة مع اسرائيل ليست عسكرية فقط وانما حضارية . وبذلك يجب تقوية اسس الدولة الحديثة في مصر واقامة حوار ثقافي مع العالم ايضا . وذكر ان مصر تمر بمرحلة تقييم شامل لكل معتقداتها وطرق حياتها التقليدية واكد ان اضطراب المثقفين المصريين دليل على ذلك . وذكر انه سنرى اذا ما كان هذا الاضطراب سيتحول الى فكر وعمل موضوعي وايجابي . وان ذلك يتوقف ايضا على ايجاد حل عادل لقضيتنا الحالكة .

وفي ندوة الاقتصاد الاستعماري ذكر الدكتور نعيم شربيني انه رغم محاولات التصنيع فالعالم العربي لا يزال منطقة مواد خام معظمها للاستخراج والتصدير . وذكر ان « التخلف التكنولوجي » هو السبب في ذلك ، فاستعمار العالم العربي جاء نتيجة لتفوق بريطانيا التكنولوجي . وذكر ان الاستعمار لا تزال له جذور قوية في النظام العربي الاقتصادي وان لامريكا فائضا مستمرا من تجارتها مع العرب يساوي ربع فائضها التجاري كله .

وفي ندوة الخليج العربي ذكر فواز طرابلسي ان هناك مؤامرة صمت تحيط بكفاح شعب ظفار ، وان نضال شعب ظفار المسلح خلال سبعة أعوام قابلته بعض الحكومات العربية بالكراهية وبعضها بعدم الاكتراث . وذكر ان لبريطانيا قواعد عسكرية في الصالحية ومسيرة وان هناك ٨٠٠ ضابط بريطاني مع جيوش امارات الخليج . وذكر ان الكفاح المسلح قد تطور من نضال ضد سلطان مسقط الى ثورة شاملة تتطلع لتحرير الخليج العربي بأكمله . وان تغيرا جذريا قد حدث في النظام الاجتماعي والاقتصادي ومن مظاهره تحرير المراة والتعليم وزوال النظم والقيم القبلية . واكد ان قوتين استعماريتين تتصارعان للسيطرة على الخليج : بريطانيا من خلال اتحادات الامارات العربية وامريكا من خلال السعودية وايران . وكلاهما يطمع في اقامة انظمة تابعة لحماية مصالحه الاقتصادية والاستراتيجية . واكد ان ثورة ظفار هي المخرج الوحيد لشعب الخليج ليحقق الاستقلال من كل اوجه التحكم الاجنبي ، والوحدة الوطنية الحقيقية ، والسيطرة على موارده الاقتصادية (البترول) ، والتقدم الاجتماعي .

وفي الندوات الاخرى الهامة تحدث السيد صبري جريس عن سياسة الاحتلال الاسرائيلي واثرها على عرب فلسطين وشرح صمود العرب في اسرائيل ومقاومتهم لهذا الاحتلال . وتحدثت السيدة رنده الفتال في ندوة اخرى عن دور المراة العربية في معركة التحرر وذكرت ان المراة العربية لا تزال تعيش محرومة من حقوقها السياسية والاجتماعية. وان حركة التحرر لا بد ان تساهم في تحرير المراة العربية ايضا . كما اشترك بعض زعماء السود الامريكان وقادة اليسار الامريكي في ندوة « تضامن مع فلسطين » واكدوا تضامنهم مع نضال شعب فلسطين من اجل التحرر وان هذا النضال هو جزء من النضال العالمي ضد الاستعمار والعنصرية . ومن المشتركين كورتلاند كوكس من زعماء السود ، وبول بوتيل من الحزب الاشتراكي والانسة كاثي تاكني من لجنة التضامن مع فلسطين . واقيمت ندوة مفتوحة حول المقاومة الفلسطينية اشترك فيها الاخ ابو عمر والاخت جيهان ودار النقاش حول الازمة التي تمر بها المقاومة والطريقة للخروج منها وكيفية مواجهة التحدي الاستعماري خاصة في الاردن والمنطقة العربية عامة .

واما الكلمة الرئيسية في المؤتمر فالقاها الدكتور صادق جلال العظم في حفل العشاء . وكانت نقدا

لاذعا للمقاومة الفلسطينية قدمه العظم في جو غريب مليء بالتناقضات ، وامام جمهور معظمه من الامريكان والعرب الذين حضروا الحفل للترفيه والاستماع لمقطوعات على البيانو بعد الحفل . وتأثر بالنقد الحاد مجموعة صغيرة من العاملين لدعم المقاومة الفلسطينية ، بعضهم وجد النقد جزءا من عملية الهجوم والطعن في الثورة الفلسطينية ولذلك لم يتقبل أسلوب العظم في تقديم الافكار . جاء تحليل العظم قاسيا وعنيفا ، خاصة في فترة تواجه فيها المقاومة التصفية الجسدية العسكرية. فذكر ان المقاومة وقيادتها كانت تحمل كل أوجه التفكير والحياة العربية التي قادت الى هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وان الهزيمة امام الهجمة في الاردن في سبتمبر ١٩٧٠ تؤكد هذا الواقع . وذكر ان المقاومة هزمت لان قيادتها كانت من نفس النوع الذي قاد العالم العربي خلال العشرين عاما الماضية — القيادة البورجوازية الصغيرة شبه العسكرية . وذكر ان المقاومة خلقت على المستوى الفلسطيني نفس أساليب النضال والفكر والعمل الذي وجد بين العرب قبل هزيمة عام ١٩٦٧ . وشبه المقاومة بالبعث والناصرية ، وذكر انها كانت للفلسطينيين كالناصرية للعرب . وعدد عيوب المقاومة وذكر منها التفكير العسكري الضيق والمقاييس العددية التي قاست بها المقاومة قوتها. وذكر ان المقاومة فشلت في خلق العلاقة الثورية الحقيقية بين الجماهير وبين الحركة الثورية ، ولم تقدم البرامج المحددة الواضحة لتغير المفاهيم المحافظة لدى الجماهير التي كانت في صالح الطبقات الحاكمة والقوى المضادة للثورة .

وقد يكون الكثير من تحليل العظم صحيحا ، ولكن النقد بهذا الاسلوب ومن خلال منابر الحفلات في وقت تواجه القاومة معركة البقاء يتحول الى أداة للقضاء على المقاومة لا حمايتها . فالنقد بهذا الشكل يساعد على خلق روح اليأس ويساهم في دفع المزيد من الجماهير بعيدا عن المقاومة ، كما انه يمد القوى المضادة للثورة بالذخيرة لتبرهن على ان المقاومة كانت منحرفة من الاساس . ان تحليل ونقد العظم مطلوب ولكن ضمن اطار الجلسات الموضوعية بين الملتزمين بالثورة والتي ينتج عنها فكر موحد وعمل ايجابي لحماية المقاومة والدفاع عنها . ولقد عبر عن هذا الرأي أحد أصدقاء الثورة الفلسطينية ، اقبال احمد ، بعد استماعه لخطاب العظم . كما ظهر تسعور قوي بين عدد من الحاضرين بأن العظم ، وبعض مسؤولي الجمعية ، قد غالى في اظهار الاخطاء لدرجة تشويه حقيقة الدور التاريخي للمقاومة الفلسطينية . فذكر البعض ان المقاومة منذ عام ١٩٦٥ طرحت استراتيجية جديدة تخالف تماما استراتيجية الانظمة العربية ، وهي استراتيجية حرب التحرير الشعبية التي تعتمد اساسا على الجماهير المسلحة والمنظمة . وبذلك يغالي العظم عندما يضع « الفتحاوية » (كما يسميها) مع « الناصرية » و« البعثية » ، لان الحقيقة التاريخية ان الطليعة الفلسطينية نفذت استراتيجية حرب التحرير الشعبية وبالتالي اصطدمت عام ١٩٧٠ ، وقبلها ، بالانظمة العربية في معارك دموية . ومن الواضح تاريخيا ان المقاومة الفلسطينية تختلف عن الناصرية من حيث أنها طرحت مفهوم تعبئة الجماهير وتنظيمها وتسليحها فعليا عن طريق مواجهه العدو الصهيوني . كما ان العظم يغالي حينما يحمل المقاومة الفلسطينية ، فوق ما تحمله ، مسؤولية تقديم البرامج للجماهير العربية وربطها بالثورة . فهذه ايضا مسؤولية الحركات العربية الثورية ومسؤولية المثقفين والملتزمين بالثورة . فالتقصير في هذا المجال ليس من جانب المقاومة فقط وانما من جانب الحركات والمنظمات العربية والمثقفين الثوريين أمثال العظم ايضا .

من الواضح ان المقاومة الفلسطينية ، كبؤرة ثورية ، لا تزال موجودة في الساحة العربية ولم تنته والصراع بينها وبين القوى المضادة للثورة يدور يوميا باشكال مختلفة . وهذا يعني ان دور المثقفين ليس تأبين الثورة او نعيها ، وانما العمل على كشف وفضح القوى المضادة للثورة ومهاجمتها بكل الوسائل العلمية وذلك لمساعدة المقاومة في معركتها من اجل البقاء . فعلى الاقلام الملتزمة بالثورة ان تساهم في عملية حماية المقاومة في هذه المرحلة امام هجمة العدو الخارجي ، بجانب المساهمة في عملية التصحيح والبناء الثوري السليم داخل المقاومة .

اما قرارات الجمعية فكانت عامة حول موضوع الواقع العربي . فاكدت القرارات أنه لا بد من تغيير الاطر الاجتماعية والاقتصادية في الواقع

العربي وذلك عن طريق تعبئة الشعب العربي للعمل الثوري الجذري . وناشدت القرارات الشعب العربي باستلام زمام مصيره بنفسه وتعبئة قواه من اجل « المحافظة على بقائه الوطني » وتحقيق اهدافه من اجل « الحرية والكرامة الانسانية » . ولم تتطرق القرارات الى موضوع المقاومة الفلسطينية ودورها في العملية . وهذا يعكس تأثر المثقفين العرب بالاحداث الاخيرة واعتقادهم ان التغيير الجذري في العالم العربي هو الطريق لتحرير فلسطين وهذه عودة الى نظرة الاحزاب العربية التقدمية بعد هزيمة عام ١٩٤٨ . مما لا شك فيه أن تغيير الاطر العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو الطريق لمواجهة الهجمة الاستعمارية الصهيونية . ولكن السؤال المطروح هو كيف تُغير هذه الاطر ؟ وكيف تعبأ قوى الشعب ؟ المقاومة طرحت شعار حرب التحرير الوطنية وذلك بتلاحم كل القوى الوطنية من اجل تعبئة الجماهير وتسليحها ومن خلال الكفاح المسلح خلق الانسان العربي الجديد والاطر والانظمة العربية الجديدة .

كما انتخبت الجمعية العامة لجنة تنفيذية جديدة . وبقي أن تستطيع الجمعية ان تساهم بشكل فعلي وعملي في « تعبئة كل قواها وقوى العرب في امريكا من اجل دعم نضال الشعب العربي في تحقيق أهدافه من اجل الحرية والكرامة الانسانية » كما اعلنت قرارات المؤتمر . فهذا هو التحدي الذي يواجه ، ليس فقط جمعية الخريجين العرب ، وانما معظم المنظمات والاحزاب العربية التي تعلن عن قرارات هامة — كيفية نقل القرارات من حبر على ورق الى عمل ثوري منتج يستطيع خلق قوى سياسية جديدة لتحمي الثورة الفلسطينية وتدعمها.

الدكتور حاتم الحسيني

المؤتمر الثامن للادباء العرب (في دمشق)

يرى الشاعر والكاتب المسرحي الالماني برخت انه بدون خلق انماط أدبية جديدة وادخال تجديدات شكلية على الانماط الموجودة بالفعل لا يمكن للادب ان يقدم موضوعات جديدة او وجهات نظر جديدة، الى الفئات الجديدة من الجمهور .

ولا يمكن والحالة هذه الحديث عن أدب محايد ، فالاديب جزء من هذه الجماهير يعيش أحزانها وأفراحها فيكشف لها واقعها ويجسد امانيها ويستشرف مستقبل تطلعاتها . وحين تدفقت من على منبر جامعة دمشق عشرات القصائد في مهرجان الشعر العاشر ، استطاعت اسماء جديدة أن تلمع ، بل ظهرت بكل ثقة ، لانها اكثر اتصالا بالواقع وبقضايا الناس والحياة ، في حين ان بعض الاسماء الكبيرة قد سجلت خفوتا واضحا . وقد علق البعض ان الجمهور كان جمهورا سياسيا . واقول لقد كان اهتمام الجمهور منصبا على مضمون ما كان يستمع اليه ، والى ماذا يريد كل شاعر ان يقول ، ولم يعد ثمة مجال لفصل الذات عن المضمون، ولا العام عن الخاص. ان الجمهور يريد من الشعر رؤية حقيقية تشق امامه الطريق في معركة الوجود والمصير المفروض عليه .

لقد كان شعار المؤتمر الثامن للادباء العرب « دور الاديب العربي في معركة المصير » . أما المواضيع التي بحثها المؤتمر فقد شملت: الحرية والالتزام ، التراث والمعاصرة ، الاداء والتعبير ، مشكلات التنظيم ، مطالب الاديب المهنية ، التشريعات وواقع الاديب ، العلاقات بين الاتحادات ، ثم الدفاع عن ادباء الارض المحتلة . وسنقتصر في عرضنا على موضوعين : الاول ، الدفاع عن ادباء الارض المحتلة . اما الثاني ، فهو الاداء والتعبير الفني في معركة المصير وسنخص بعرضنا بحث الاستاذ محمد دكروب من وفد لبنان لشموله ووضوحه ، اذ لا تسمح لنا هذه المجالة بالحديث عن كافة الابحاث .

ولكن قبل بدء الحديث عن التقرير المقدم من

وقد اتحاد كتاب فلسطين « الدفاع عن ادبـاء الارض المحتلة » ، اود الحديث عن ملاحظـات ابداها الادباء حول هذا الموضوع (في ملحق الموقف الادبي) ، منها ملاحظة أبداها الاستاذ سليم بركات « ما يدهش فعلا هو موضوع الدفاع عن ادبـاء الارض المحتلة .. اذ كيف يجوز الفصل بـين شعب وبين ادبائه ، وماذا يعني الدفاع عن ادباء الارض المحتلة بينما تتأتى الحقيقة من الدفاع عن شعب كامل ، اخشى ان يتحـول المؤتمـر الى منشورات سرية على جدران اسرائيل على طريقة نزار قباني او ان يتحول الى خطب حماسية من جديد تردد وتستنكر » . ويقول الاستـاذ زهير غانم « اعتقد ان على المؤتمر الثامن للادباء العرب ان يناقش فكرة الدفاع على اي أديب مضطهد في العالم لا عن ادباء الارض المحتلة فعلا » . وأرد على هاتين الملحوظتين بملاحظة ثالثة للاستـاذ اسكندر لوقا : « ليس الدفاع عن أدباء الارض المحتلة بمسألة محلية بحتة وأرى ان يلجأ المؤتمر الى تدعيم صلاته باتحادات الدول الاجنبية الصديقة .. ذلك ان المسألة بالنسبة الينا تنبع من احساسنا بكون هؤلاء الادباء جزء منا لا يتجزأ ومع يقينـي بأهمية نقل تصورنا عن واقع هؤلاء الادباء في السجن الكبير المسمى اسرائيل الى الرأي العام العالمي الا أنه ينبغي لنا نقل هذا الرأي العام من نقطة التأثر الى نقطة البدء بالتحرك ليس دفاعا عنهم كادباء فحسب وانما كمواطنين عرب يعيشون في ظـل تسلـط استعماري هدفه تذويب الشخصية العربية فـي الارض المحتلة » .

وقد تضمن تقرير « الدفاع عن ادباء الارض المحتلة» عدة نقاط هامة اولا : ان الدفاع عن هؤلاء الادباء لا يعني اشخاصهم وانما يعني ادبهم قبل كل شيء .. وليس أدبهم سوى رافد صغير من روافد النهر الكبير للادب العربي المعاصر ، وهو الى ذلك رافد جد صغير ايضا من روافد الادب العالمي المندرج تحت لواء الواقعية الاشتراكية .. وفي تقييم الدور الفعال الذي يتمتع به ادب الارض المحتلة يؤكد البحث ان نماذج هذا الادب قد تميزت بالوضوح والصراحة والشجاعة واحترام الكلمة ، الامر الذي حدا بالنقاد أن يجمعوا على أنه أدب صادق . ولكن هذا الصدق لم يكن ليصدر عـن أدب غير ملتزم . أن ادباء الارض المحتلة هم من المثقفين الثوريين . ولكن ذلك هو الذي جعلهـم هـدف الاضطهاد الاول في الارض المحتلة . وان انقطاع الصلة بينهم وبين اخوانهم من ادباء الاقطار العربية الاخرى لأقسى على نفوسهم من التعذيب والاضطهاد.

ويتساءل البحث « ما الذي يمكن ان نفعله فـي معرض الدفاع عن أدباء الارض المحتلة ؟ » ويجيب بكل وضوح « لا نستطيع مع الاسف عمل الكثير عن طريق الحملات العالمية ، وقد لا يكون من العملي تقديم أية معونات شخصية لهم كأفراد ». ثم ينتهي بعد ذلك الى القول ليس سوى أن نعينهم أولا على حمل الراية التي يحملونها داخل الارض المحتلة ثم أن نعمل هنا ثانيا على حمل نفس الراية في الوطن العربي خارج الارض المحتلة .. وان الامرين كليهما ليتمان معا عن طريق التعريف على النسيج الحقيقي الذي صنعت منه تلك الراية . وهو فهم روح العصر والتفاعل معها تفاعلا تاما .

اما البحث الثاني فهو الاداء والتعبير الفنـي في معركة المصير . ويؤكد البحث على ضرورة نظرنـا

١ ــ الى الاشكال والانواع والاساليب وما اصطلح على تسميته الاداء والتعبير الفني من خلال الدور الذي تؤديه أو يمكن لها أن تؤديه في معركة المصير العربي .

٢ ــ مسألة التفاعل والتواصل بين الادب والثورة، ذلك التفاعل المتبادل بين النتاج الادبي والقـوى الاساسية البشرية للثورة . وهذا التفاعل بدوره بحاجة الى رفع المستوى الثقافي للجماهير من جهة ثم ضرورة ان يمتلك النتاج الادبي امكانية الوصول في مرحلتنا هذه الى الذين يقرأون ويطالعون الادب. ان دخول الادب الى وعي الجماهير هو بالضبط ما نفهمه من اسهام الادب في حركة التاريخ . ليس تاريخ الادب فقط بل تاريخ حركة تقدم الشعب نحو الحرية .

٣ ــ ان دراستنا لاشكال الاداء والتعبير الفني في الادب العربي ومدى قدرتها على الاسهام في معركة المصير ، يجب أن تتم من دراسة النتاج الادبـي نفسه وبالتحديد من خلال نتاج الادب العـربي في السنوات العشر الاخيرة ، لان هذا الادب قد أحدث ثورة في مختلف الاساليب الفنية والاشكال والمضامين وذلك كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتغييرات والاحداث العنيفة التي هزت المنطقة .

٤ ــ الشكل او التعبير الفني الذي ينهض حاجزا بين العمل الادبي وبين وعي الجمهور له بسبب

من الغموض او التعقيد او الاغراق في الرمز محكوم عليه في مرحلتنا هذه ان لا يتمكن من اداء دوره في معركة المصير .

٥ ــ الادب الاصيل هو اكتشاف ما لم يعرفه الجمهور من قبل وما هو أصيل اذا لم يتح الان له الوصول الى الجمهور بسبب غرابته وغموضه وتعقيده فانه يبقى فنا أصيلا له دوره في عملية تطور الحركة الادبية ، وسيصل حتما الى الجمهور عندما تتاح له القدرة الثقافية على استيعاب هذا الجديد . ان هذه الحقيقة لا تعني ولا يمكن لها أن تعني ان هناك تعارضا او تنافيا مطلقا بين المعاصرة والحداثة والغرابة في الاداء والتعبير الفني وبين امكانية الوصول الى جمهور القراء العريض في مرحلتنا الحالية . ثم يخلص الى نتيجة وهي ان الفنان الاصيل يستطيع ان يوازن بين المعاصرة وبين ضرورة الوصول الى الجماهير خصوصا اذا انطلق اصلا من موقف الايمان بضرورة هذا الايصال وضرورة ان يؤدي العمل الفني دوره في المعركة الشرسة التي تجابهنا الان جميعا على مختلف الاصعدة الوطنية والفكرية معا .

٦ ــ دور الناقد هو تحديد الخصائص والمميزات الادائية والتعبيرية والبنائية لهذا الادب واستخلاص القوانين الداخلية لحركة تطوره وتكون هذه القيم التشكيلية والتركيبية ثم ايصاله الى القراء وتعويدهم على رؤية المفاتيح الجديدة للعمل الفني الجديد .

٧ ــ لا شك أن الموجة التجديدية التي تقيم العالم والتي تختلط فيها الفوضى بالخزعبلات تمارس تأثيرا كبيرا في أذهان معظم الكتاب والفنانين عندنا . وهذا أحد وجوه الغموض والتعقيد والإغراق في الرمز واليأس والانسحاق والاجواء الكابوسية المأساوية .. اما الاساس في ذلك فنابع من ضرورات واحداث موضوعية تجد تفسيرها في أوضاعنا العربية المأساوية على مدى الستينات .

٨ ــ الادب يوحي ولا يخطط ، ولكننا لا نسكت عن ايحاء موجة الادب الاجتماعي الغاضب بأن الطريق مسدود .

٩ ــ ان الوعي بجوهر معركة المصير ، والوعي الضروري كذلك بحركة المجتمع وعلاقاته صارت من البديهيات التي يجابه الكاتب أي كاتب في عصرنا، وظهرت تلك الاعمال التي تتميز « بفكر فني » . ويخلص الكاتب الى أن الادب لا يبقى عند حد معين .

فادب الخمسينات قد عبر عن مرحلة الصمود والانتصارات رغم أنه اهمل التخلف الروحي والثقافي والاجتماعي للجماهير . وأدب الستينات تحدث عن الكبوات والتخلف الروحي والثقافي وظاهرات القمع والارهاب . ولذلك فانه يتطلع الى تباشير مرحلة جديدة نابعة من ضرورات الحياة وحركة الادب وضرورات معركة المصير بالدرجة الاولى . أدب مقاوم حقيقي يملك امكانية الوصول الى الجماهير والتأثير الفاعل داخل وعيها .. يكون هو التجلي الفني لصوتها ولقدراتها الخارقة الفاعلة والفائقة الغنى .

هذا وفي حديثنا عن المؤتمر لا بد من الاشارة الى مشروع القانون الذي احيل الى مجلس الشعب السوري والذي يقوم اتحاد الادباء بموجبه بدوره في اجازة نشر المؤلفات الادبية ، ويصبح من حقه تفريغ بعض الكتاب لصالحه لمدة سنة قابلة للتمديد مقابل انتاج فكري يقوم به الكاتب على ان يظل له الحق في تقاضي مرتبه كاملا وعلى أن يتقاضى مكافأة مالية مقابل الانتاج الفكري الذي يقدمه . وخصص للاتحاد اعانة سنوية في ميزانية وزارة الثقافة وخصصت له قطعة أرض مناسبة لاقامة بناء للاتحاد كما خصص مبلغ مائة الف ليرة سورية نواة لرأسمال جمعية سكنية لاعضاء الاتحاد .

مي صايغ جبجي

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني (في بيروت)

شكل المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني الذي انعقد من ٧ الى ٩ كانون الثاني في بيروت ، تجمعا ضخما للاحزاب الشيوعية والتقدمية في اوروبا وآسيا والعالم العربي ، فقد التقى فيه الاتحاد الاشتراكي والبعث السوري والعراقي الى جانب الاحزاب الشيوعية العربية وفصائل المقاومة الفلسطينية ، وذلك بدعوة من تنظيم سياسي عربي ليس في الحكم .

على صعيد البرنامج شدد الحزب الشيوعي اللبناني على ضرورة العمل في الريف اللبناني حيث لا يزال انتشاره ضعيفا . فقدم دراسة عن وضع المزارعين وعلاقات الانتاج في الريف . وشدد على ضرورة العمل في أوساط المزارعين المتوسطين والفقراء والعمال الزراعيين . ان معظم عناصر الحزب من المستخدمين والطلاب والمثقفين ، ولا تزال نسبة التعبئة بين العمال والفلاحين اقل نسبيا . فقد طالبت منظمات بوضع خطة زمنية متكاملة في هذه الميادين ، تجنبا للقفزات والنشاط الظرفي . ولعل ابرز نقطة تغير في مسيرة الحزب تحوله الى حزب جماهيري والدخول في اللعبة البرلمانية ، بما يتطلب ذلك من خوض معارك الانتخابات النيابية ، وايصال ممثلين شيوعيين الى المجلس النيابي . وهو يعتبر ان وجود ممثلين له في المجلس يشكل وسيلة ضغط على النظام لتحقيق المزيد من التراجعات لصالح الحركة الشعبية ، وسيمهد للثورة الديمقراطية الوطنية. ان احدى مخاطر هذا التحول هو ان ينصب مجهود معظم اعضاء الحزب الى العمل الانتخابي السطحي ، ويتفوق على العمل الثوري الطويل المدى والشاق مع القواعد الشعبية .

علقت الوفود العربية أهمية كبرى على كون مؤتمر الحزب الشيوعي اللبناني مناسبة التقى فيها معظم القوى الشيوعية والتقدمية العربية . فدعت الوفود العربية في مداخلاتها الى توحيد القوى التقدمية والشيوعية العربية في هذه المرحلة التي تشهد تراجعا في حركة التحرر العربية أمام الهجمة الامبريالية الصهيونية .

قدم الحزب الشيوعي اللبناني في تقرير اللجنة المركزية تحليلا للوضع السياسي العربي ولنشاط الحزب في هذا الميدان خلال السنوات الثلاث الماضية . وقد حدد التناقض الرئيسي في المنطقة على انه « بين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة وبين حركة التحرر العربية من جهة أخرى » وطالب القوى التقدمية العربية باتخاذ « موقف واضح وصريح ضد المستعمرين ولا سيما المستعمرين الاميركيين ، اسياد اسرائيل وشركائها في العدوان على البلدان العربية » ، ثم دعا الى « تدعيم التحالف مع البلدان الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي » . ودعا الى « وحدة القوى الوطنية والتقدمية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية في كل بلد عربي ، وعلى الصعيد العربي العام » . ثم توقف الحزب مطولا عند الانظمة التقدمية العربية ، والقضايا المرتبطة بالوحدة العربية ، فقيم ايجابيا « خطها العام المعادي للامبريالية » وشدد على انها « لا تزال هدفا رئيسيا للعدوان الاستعماري الاسرائيلي » ثم انتقل البرنامج السياسي للحزب الى نواقص هذه الانظمة ، وأهمها : « انفراد ممثلي البرجوازية الصغيرة في السلطة وطبيعتها المزدوجة » ، « فالهجمة الامبريالية الشرسة واستمرار الاحتلال الاسرائيلي اوجدت الامكانيات لانتعاش الاجنحة اليمينية داخل البرجوازية الصغيرة ، وانتهاز سياسة مساومة مع المستعمرين وتقديم التنازلات لهم » . ودعا اخيرا التقرير الى « عزل الاتجاهات اليمينية في الانظمة التقدمية والنضال من أجل اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير الكادحة . » وبعد ان اتخذ موقفا مبدئيا مؤيدا للوحدة العربية لانها « تعبر عن تطلعات جميع الفئات الشعبية الطامحة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي » ، رحب الحزب الشيوعي بقيام الاتحاد الثلاثي . لكنه ابدى تحفظات حول المواقف المعادية للديمقراطية التي اتخذتها الاجنحة اليمينية في الاتحاد ، ودعا الاتحاد « ليكون قاعدة لتجمع كافة القوى الوطنيه العربية في المعركة ضد الاستعمار والعدوان » .

قبل أن نأتي الى موقف الحزب من حركة المقاومة لدينا ملاحظتين حول موقف الحزب وتحليله للوضع العربي والانظمة التقدمية . اولا حدد الحزب التناقض الرئيسي على انه بين حركة التحرر العربية من جهة والامبريالية والرجعية والصهيونية من جهة اخرى . واذا استثنينا الشجب الشديد

للامبريالية الاميركية والرجعية والصهيونية ، لم يرد لا في المؤتمر ولا في البرنامج اي تحليل لطبيعة السيطرة الامبريالية على المنطقة العربية عامة وفي لبنان خاصة ، ولعلاقتها مع الرجعية ، وهذا بالرغم من تأكيد الحزب الشيوعي على انهما يشكلان مع الصهيونية العدو الاساسي ، وهم في تناقض رئيسي مع حركة التحرر العربية . فكيف يمكن محاربة عدو لا يعرف بشكل عام ؟

ثانيا حول طبيعة الانظمة التقدمية . يعترض بعض المحللين التقدميين على وصف هذه الانظمة بانها تمثل سلطة البرجوازية الصغيرة وبالاخص في مصر . اذ لا يشكل وجود بعض الافراد ذوي المنشأ البرجوازي الصغير في الاجهزة التنفيذية للدولة تمثيلا فعليا لطبقة واسعة وغير متجانسة (من صغار الرأسماليين الى الحرفيين وصغار التجار والفلاحين) ، ويتخذ قطاع واسع منها موقفا راديكاليا تجاه النظام القائم . ويقول هؤلاء المحللون ان الانظمة التقدمية تمثل بشكل عام تحالفا بين البرجوازية البيرقراطية (غالبا من منشأ عسكري) والبرجوازية الريفية الجديدة الصاعدة، ورأسماليي القطاع الخاص . وان الطرف البيرقراطي في التحالف لا يزال مهيمنا ويحاول الاستناد في صراعه مع الاجنحة الاخرى على القاعدة الواسعة للبرجوازية الصغيرة والفئات العليا من الطبقة العاملة .

اما بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، رأى الحزب الشيوعي اللبناني فيها « جزءا من حركة التحرر العربية » . واكد الحزب على ان موقفه من المقاومة « ظل ثابتا منذ قيامها ، ولم يتأثر بحركة المد والجزر حول المقاومة » ، لكنه « اكد بجرأة على المسؤولية التي يتحملها الشيوعيون في عدم تأديتهم منذ البداية دورا اكثر ايجابية في هذه الحركة » . انطلاقا من هذا الموقف نظر الحزب الى اخطاء المقاومة « سواء تلك الاخطاء البنيوية الناشئة من تركيبها البرجوازي الصغير ، او تفشي ظاهرة العداء للشيوعية بين بعض فصائلها ، او وقوعها في الاغراءات المادية للرجعية العربية ، ام تلك الممارسات الخاطئة الستراتيجية والتكتيكية ». ثم عارض الحزب المواقف الانتهازية اليمينية و« اليسارية » في هذه الحركة والتي تلتقي على الفصل بينها وبين حركة التحرر العربية « سواء بتفريغها من المحتوى التقدمي والمعادي للاستعمار ام بمحاولة تحميلها اكثر من طاقتها واظهارها كطليعة لحركة التحرر العربية واحيانا كبديل عن هذه الحركة ، وليس كجزء منها . » وانتقد الحزب الشيوعي « التقديرات الخاطئة لقادة المقاومة في لبنان وموقفها بالانجرار وراء شلل « اليسار » المغامر والاتكال عليه واتخاذه بديلا عن الحركة التقدمية الحقيقية ذات الوجود الفعلي » . لكن رغم هذه النواقص ، شدد الحزب على الجوهر التقدمي والمعادي للاستعمار الذي تمثله حركة المقاومة ودعا الى وحدة فصائلها . وربما يعبر التصفيق الحار للمقاومة ، الذي كان يتكرر بشدة كلما جاء الكلام حول تأييد المقاومة ، عن تضامن الشيوعيين العميق مع المقاومة في هذه المرحلة .

لدينا بعض الملاحظات حول موقف الحزب الشيوعي من المقاومة : يرى الحزب ان اخطاء المقاومة ناشئة من تركيبها الطبقي البرجوازي الصغير . نلاحظ في هذه المرحلة ان معظم الانتقادات التي تطلقها فصائل حركة التحرر العربية على بعضها بعضا ، وخاصة الفصائل الاكثر يسارية يقتصر على اتهامها بالبرجوازية الصغيرة ، دون البت بالتفاصيل . ان هذا الاتهام بالبرجوازية الصغيرة، وان كان صحيحا ، يصبح شبيها بالاتهامات الاخلاقية ، عندما يفتقر الى مضمون تحليلي .

أدان الحزب الشيوعي بعض الممارسات الخاطئة التكتيكية والستراتيجية لحركة المقاومة دون ان يحدد مضمونها . نجد هنا ايضا تقصيرا في التحليل. ثم تطرق الحزب الى « القضية الرئيسية التي تواجه حركة التحرر العربية في الظروف الراهنة ، تصفية النضال لتصفية آثار عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ » الذي كان « هدفه الاساسي ضرب حركة التحرر الوطني العربية وتصفية المكتسبات التي حققتها الانظمة التقدمية ، وضرب الصداقة العربية السوفياتية » . ورفض الحزب موضوعة بعض قوى حركة التحرر العربية « التي ارادت ان تشق الحركة على اساس الموقف من قرار مجلس الامن او الحل السياسي ، معه او ضده » . واكدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي « ان تصفية آثار العدوان كمهمة اساسية في المرحلة الراهنة لا يتناقض كشعار مع النضال من اجل استرجاع حقوق الشعب العربي الفلسطيني

القومية » . وهذه المهمة اي « تصفية آثار العدوان » ، تتطلب قبل كل شيء « تعزيز القدرة القتالية للدول العربية التقدمية ، والتنسيق فيما بينها ، وتجنيد الجماهير وتنظيمها وحشدها في المعركة ، ودعم المقاومة الفلسطينية والتنسيق معها . » وشدد الحزب على ضرورة « انتهاج سياسة حازمة معادية للاستعمار والاستعمار الاميركي خاصة ، وضرب مواقعه الاقتصادية والسياسية في المنطقة » .

اما بالنسبة لمشروع روجرز الذي اعقبته مجازر أيلول ووفاة الرئيس عبدالناصر ، فقد «بادر الحزب الى فضح أهداف المشروع الاستعماري والنوايا الخبيثة للاستعمار الاميركي من وراء طرحه » . لكن الحزب حذر في نفس الوقت من خطورة تحويل المعركة ضد مشروع روجرز الى معركة بين فصائل حركة التحرر العربية « وبالتالي المساعدة على تنفيذ أهداف المشروع الاستعماري الاساسية » . ورأى الحزب ان نتيجة الانقسام الذي وقع داخل حركة التحرر العربية نجحت الهجمة الامبريالية في توجيه ضربات الى حركة التحرر العربية ، كانت أولها مجازر أيلول في الاردن ، ثم مجازر السودان. ودعا الحزب الى النضال بجميع الوسائل لوقف هذه الضربات . وأدرك ان المرحلة القادمة في حركة التحرر العربية ستكون خطرة ، لذا دعا كل الفصائل في هذه الحركة مهما كان بينها من تناقضات ثانوية الى ان تركز نشاطها ضد عدو واحد هو الاستعمار والصهيونية والرجعية .

وفضح الحزب اتجاهين هما « المساومة مع اميركا ورفع شعار قومية المعركة بمحتوى رجعي » ، كما فضح « الاتجاه اليساري المغامر الذي يدعو الى اصطناع المعركة داخل حركة التحرر العربية بين قوى طبقية لها مصلحة في التحالف اي بين البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة » .

واخيرا دعت اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي اللبناني « كافة القوى التقدمية العربية المتمثلة في المؤتمر الى ندوة مفتوحة لبحث قضايا التعاون وايجاد برنامج عمل مشترك لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ، من اجل استعادة الاراضي العربية المحتلة ، ومن اجل نصرة نضال الشعب العربي الفلسطيني » ، وذلك تمهيدا لوحدة حركة التحرر العربية على اساس برنامج عمل موحد . وقد لبى هذه الدعوة جميع الوفود العربية المشاركة في المؤتمر : الاحزاب الشيوعية العربية، البعثان العراقي والسوري ، الاتحاد الاشتراكي في مصر وسوريا ، الحزب الديمقراطي الكردستاني، جميع فصائل حركة المقاومة ، الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان واتحاد نقابات عمال فلسطين ، والجبهة القومية في اليمن .

زينة ابو شديد

صدر حديثا عن مركز الابحاث

تهويد فلسطين

تحرير : **الدكتور ابراهيم ابو لغد**

ترجمة : **الدكتور اسعد رزوق**

٤١٣ صفحة من الحجم الكبير ٨ ل.ل.

ست رسائل اعلامية من الخارج

الرسالة الاولى : من طالب يونس

الراي العام العالمي والمجابهة العربية الصهيونية منذ ١٩٦٧

سنحاول في هذا التقرير ملاحظة التحولات الاساسية في الراي العام العالمي فيما يتعلق بالمجابهة العربية الاسرائيلية منذ عدوان حزيران وسنعطي اهتماما خاصا للتحولات في كل من المملكة المتحدة وفرنسة والولايات المتحدة . ومن المهم قبل تناول ذلك ان نحاول ابراز الصورة العامة لدى الفرد الغربي العادي عن العرب والاسرائيليين : ان الغالبية العظمى من الاميركيين مثلا عديمة الاكتراث الى درجة مدهشة بالعرب وتراثهم . ان غالبية الاميركيين لا يعرفون سوى القليل عن الشرق الاوسط ، والذين يبدون اهتماما بذلك منحازون عاطفيا الى اسرائيل . يقول سفير اميركي سابق في عاصمة عربية كبيرة « ليس بامكاننا ان نفعل شيئا حيال هذا التحيز . انه الاحراج الكبير للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط »(١). اما اذا كانت الحكومة الاميركية محرجة فعلا نتيجة لهذا التحيز ، فان ذلك أمر اخر ، ما يهمنا هنا هو الشكل المادي الذي يعبر به هذا التحيز عن ذاته . ان الاميركي العادي لا يكتفي باعلان مشاعره الودية نحو اسرائيل ولكنه « يستجيب سلبيا للصورة التي في ذهنه عن العرب كسكان صحراء متخلفين ، وبرابرة قساة »(٢). ولقد قوي هذا التصور من خلال الصورة الرومانسية التي دأبت شركات الافلام الغربية على اظهار العربي بها « كشيخ بدوي فاتن يرتدي ثيابا فضفاضة وكوفية مزركشة وهو يجوب الصحراء الامنة »(٣). وحسبي ما يقول احد الكتاب الغربيين فان هذه الصورة المبهمة عن العرب تنغرس في شعور الفرد الاوروبي اثناء سنوات الدراسة . « كنا نميل الى الخلط بين الاتراك والعرب ، وبين العرب والمسلمين . لقد نظرنا الى الحروب الصليبية على انها ببساطة هجمات ضد العالم العربي . وفيما بعد اصبحت الامبراطورية العثمانية بالنسبة لنا جزءا من العالم العربي ذاته. وبالنسبة للاوروبي العادي ان العثمانيين والسلاجقة جميعهم عرب »(٤). ان الصورة البادية هنا بعيدة عن اية مواربة . ولقد تجاوز احد الكتاب الاوروبيين الحدود الى درجة كبيرة ليبرهن ان العربي (او الفلسطيني العربي) هو ذلك الرجل الذي يحتفظ بعدة زوجات والذي « يعتقد بأن المرأة مجرد جسد ويأكل القطط والفئران »(٥).

ان محاولة تعديل مثل هذه الصور تصطدم بحقيقة ناجمة عن ان لدى العرب خلفية ثقافية ولغوية

---

١ — Don Cordtz, *But what Do We Do About the Arabs ?* M. P. Khadduri (editor), The Arab-Israeli Impasse. R. B. Luce, INC. Washington 1968. p. 125.

٢ — المصدر السابق .

٢ — راجع ميشال سليمان : **العرب والغرب . فجوة في التفاهم** . منشورة في «مقالات في الراي العام الاميركي والمسالة الفلسطينية » صادرة عن مركز الابحاث ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ . ص ١٥ — ١٦ .

٤ — الاب جان كوربون : **الراي العام الغربي والازمة الفلسطينية** . جمعية الخامس من حزيران ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ . ص ١٠—١١

٥ — راجع خالد تشطيني : **الحكم غيابيا** . مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٤٥ .

ليست مألوفة ابدا لدى الاوروبي والاميركي . وهذا من شأنه ان يشكل عائقا مانعا في وجه محاولة راب الصدع العادي في التفاهم بين العرب والغرب. هناك تهمة شائعة ان اللغة العربية ، بالرغم من جمالها الفريد ، تساهم في « غموض فكري عام »، وتؤكد اكثر من اللازم على الاهمية السيكولوجية للرموز اللغوية وذلك « على حساب المعنى، وللمبالغة »(٦). وصفة المبالغة اللغوية العربية هذه غريبة تماما عن العقل الغربي(٧).

وتستغل المحافل المؤيدة لاسرائيل التصريحات الرسمية للزعماء العرب عن الجهاد ضد اسرائيل بصورة اوتوماتيكية وتقدم للقارىء الاوروبي العادي على انها تهديدات شريرة من جانب العرب لابادة اليهود . وبهذا الشكل يوضع الحاجز اللغوي في خدمة رجال العلاقات العامة الاسرائيليين وتنغرس في ذهن المواطن الغربي العادي عقبة جدية في وجه تفهم القضية العربية . وفي البداية كان للقضية الاسرائيلية ميزة اخرى حقيقية ولها اثرها وان كان من الصعب البرهنة عليها . وتمكن رؤية ذلك في الشعور اللاواعي للاوروبي العادي والذي يجعله يحس بالولاء لاسرائيل وبهذا المعنى فان اسرائيل تمثل الصورة الذاتية غير اليهودية التي يحملها الاوروبي عن نفسه . انه يرى في اسرائيل و« انجازاتها » تأكيدا لذاته وطاقاته ، يرى فيها شيئا اوربيا يعتز به . اما العامل الاهم والذي يقرر الى حد كبير نتيجة حرب العلاقات العامة في الغرب بين القضية العربية والاسرائيلية فهو وجود منظمات يهودية قوية تنشط بالنيابة عن اسرائيل ، وغياب اية منظمات فعالة تدعو للقضية العربية وتؤثر جديا في الرأي العام الغربي. وتخدم المنظمات الصهيونية في الغرب اسرائيل كذلك باللعب على عدم قدرة الغربي العادي على التمييز بين ما هو يهودي وما هو صهيوني او اسرائيلي . فالمنظمة الصهيونية العالمية ، على سبيل المثال ، تعتبر نفسها كيانا يمثل « يهود المنفى » الذين يتمثل عملهم الرئيسي في تشجيع وتقديم كل مساعدة ممكنة للمهاجرين كي « يعودوا الى صهيون »(٩). ومثل هذا الارتباك يقدم ميزة قوية للصهيونيين ولاسرائيل. وحيث ان « الدولة الصهيونية » تعرض دائما على انها « الدولة اليهودية » الاسطورية فان مطلب اسرائيل بالدعوة الى يهودية عالمية يكتسب سلاحا جديدا . بكلام آخر ، ان انتقاد سياسة اسرائيل هو انتقاد للسياسة اليهودية ، واي انتقاد كهذا يمكن ان يعزى دوما الى الكراهية الموجهة ضد اليهود او الى اللاسامية . وكما يقول الاستاذ ماكس بلوف فان اي شيء يبدأ كانتقاد ضد اسرائيل « لا يمكن الا ان ينتهي على انه حملة ضد التأثير اليهودي في الحياة العامة . والمسافة من هنا الى قصة اللاسامية المعتادة ليست سوى خطوة صغيرة ومع ذلك فان بعضهم لن يفعل ذلك حفاظا على مكانتهم»(١٠). وفي تقريره عما يعتبره موقفا رسميا قويا مؤيدا للعرب في فرنسة ، ذكر مراسل الجويش كرونيكل في باريس « ان اليهود الفرنسيين قلقون من الوضع وهناك خوف من ان تتحول المعارضة للصهيونية الى عداء للسامية . وهناك علامات تشير الى ان هذا قد بدأ فعلا »(١١). وعندما وجه وزير داخلية بولندي سابق هو ميشيسلو موزار ، انتقادا قويا ضد قبول اسرائيل لتعويضات المانية الغربية ، اوردت الجويش كورنيكل الخبر تحت عنوان « خطاب لاسامي حاد » يتضمن « تعابير قاسية ولاسامية ضد اسرائيل »(١٢).

وفي الوقت الذي تكون المنظمات الصهيونية جاهزة لاظهار اي انتقاد لسياسات اسرائيل على انه

---

٦ — انظر ميشال سليمان ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

٧ — المصدر السابق .

٨ — المصدر السابق .

٩ — من الجهة الاخرى فان المجلس الاميركي لليهودية منظمة لا صهيونية تحارب لحماية القيم اليهودية من الصهيونية .

١٠ — Max Beloff *Jewish Chronicle*, November 21, 1969, p. 7.

١١ — راجع الجويش كرونيكل ٥ كانون الاول ١٩٦٩ ، ص ٧ .

١٢ — جاء في خطاب موزار « انه لموضع لا يصدق ان يقوم هتلر يوم الامس بدفع كمية من الدولارات عن الجرائم التي ارتكبت في الحرب العالمية الثانية ضد اليهود في عدد من الدول الاوروبية ، وخاصة في بولندة حيث أبيد ثلاثة ملايين يهودي » . الجويش كرونيكل ، ٦ حزيران ١٩٦٩ .

تعبير عن لاسامية غير اليهود ، فان غياب محافل عربية فعالة في الغرب يشكل فرصة ثمينة للكتاب المؤيدين لاسرائيل او للمعلقين الصهيونيين لكي يطعنوا القضية العربية الى اقصى مدى . ففي اعلان تلفزيوني تجاري لتقديم دعاية لنوع من البسكويت قام الممثل بتمثيل دوره بلكنة يهودية . « ولكن سرعان ما ارتؤي انه لتجنب اية اساءة الى اليهود يجب ان يتكلم الممثل بلكنة اسكتلندية او عامية او بأي لكنة اخرى ما عدا اللكنة اليهودية »(١٣). وفي المقابل قام بري همفريز في برنامجه التلفزيوني الكوميدي بالهزء من العرب ووصفهم « بالكلاب المجنونة » ، كما اضحك ديفيد فروست مستمعيه بنكتة تقول « قامت القوات الجوية المصرية اليوم بالطيران ولم تلاق اية مقاومة ، تبين فيما بعد ان نصف القاهرة كان دمارا »(١٤). وفي الايفننج ستاندرد بتاريخ ١٨ شباط ١٩٧٠. حث اللورد اران الاسرائيليين كي يقذفوا « بأولاد الزنا المصريين » ويلقوهم في منخفض قطاره .

ان النظرة العامة ، العقلية والعاطفية ، لدى الفرد الغربي العادي اصبحت متكيفة بحيث اصبحت النكات السخيفة والتعليقات اللاذعة على حساب العرب تمر دون ان تثير ذرة من السخط . ولم تساعد حرب حزيران وما تلاها على احداث اي تغيير جدي في هذه النظرة الاساسية للامور . فالعاطفة القوية نحو بقاء اسرائيل بقيت على ما هي عليه من قوة . بل ان حرب حزيران قدمت في الواقع مثالا جيدا على تحيز الانسان الغربي لصالح اسرائيل . ففي بريطانيه مثلا عندما قدمت الصحافة والتلفزيون البريطانية عرضا لحرب حزيران « كما تراها اسرائيل » فان الصوت الوحيد الذي احتج على ذلك كان صوت العرب العاملين في البرنامج العربي في الاذاعة البريطانية ، الذين اثاروا المسالة في وجه المدراء وهددوا بالاضراب(١٥). وعندما قدم بريان ماجي برنامجا تلفزيونيا محاولا تقييم رد فعل العرب على الهزيمة والطريقة التي رأوا من خلالها مستقبلهم المباشر فان رد الفعل كان يختلف تماما. اذ حتى قبل انتهاء البرنامج كانت تلفونات محطة التلفزيون قد شغلت بالمخابرات تحتج على التلفزيون لعرضه وجهة النظر العربية . ووصلت اكوام من الرسائل فيما بعد ، واستلم مدراء الشركة شكاوى شخصية ، وكان هناك عودة الى البرنامج في مجلس العموم . هذا ، مع انه في الاسبوع السابق كانت هناك « عشرات البرامج الادبية التي تتضمن وجهة النظر الاسرائيلية، ولكن بدون اكياس من رسائل الاحتجاج وبدون انتقاد في البرلمان » . ان الحادث ، كما يقول بريان ماجي ، يوضح بشكل قوي « الاعراض الايجابي حتى عن الاستماع الى القضية العربية »، و« يبدو ان الكثير من الناس لا يعرف مجرد ان للعرب قضية ، ناهيك عن ماهيتها »(١٦).

واذا نظرنا الى حرب حزيران من خلال نتائجها نرى انها كانت بشكل ما ، اداة مساعدة ليس في تغيير المواقف الغربية الاساسية المذكورة سابقا ولكن في اثارة جو جديد من الراي العام ، تقوده أقليات شجاعة ومطلعة ، يتحدى الخرافات الصهيونية الاساسية . وقد ظهر ابرز هذه الاقليات ، قياسا بفاعليتها ، في المملكة المتحدة . ومن المهم ان نلاحظ هنا ان المحفل المؤيد للعرب في بريطانية يشتمل على اكثر من جماعة او منظمة . واهم هذه الجماعات مجلس تنمية التفاهم العربي البريطاني المعروف باسم « كابو » والذي يضم حوالي الف عضو بما فيهم اعضاء في البرلمان وبعض المفكرين. ولدى المجلس مركز استعلامات يؤمن الاتصال بخبراء في مسالة المجابهة العربية — الاسرائيلية . ومع ان المجلس يعمل بميزانية محدودة ، الا انه لا يقبل المساعدات من الحكومات العربية . ولذا فان نشاط المجلس محكوم بوضعه المالي المتأرجح ومن ثم عجزه عن اصدار نشرات منتظمة عن الشرق الاوسط من نوع الجويش كرونيكل واسرائيل اليوم او النيوميدل ايست .

وهناك منظمة اخرى هي مجلس الشرق الاوسط في حزب العمال . ورغم ان هذه المنظمة بقيت في مرحلة جنينية مدة طويلة « فهي تحوز على تأييد حوالي خمسين عضوا في البرلمان ، ليس بينهم

---

١٣ — F. R. Mackenzie: The Listener, 19 March, 1970.

١٤ — المصدر السابق .

١٥ — راجع خالد قشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

١٦ — Brian Magee: The Listner, 19 March, 1970.

واحد ذو مركز عال »(١٧). ويعود تشكيل المجلس بالدرجة الاولى الى الجهود البارزة التي بذلها كريستوفر مايهيو الذي كان عليه ان يتحمل الحملات السياسية الظالمة في اكثر من مناسبة على حساب مواقفه الموضوعية فيما يختص بالمجابهة في الشرق الاوسط . وبالاضافة الى مايهيو يضم المجلس عددا من اعضاء البرلمان امثال : دنجل فوت وديكنز ورايان وجود وولز وجريفتز وهوجز وجاكسون(١٨). وفي حين لا يوجد في هذه المجموعة سوى عضو واحد في مجلس اللاط هو السير دنجل فوت فان الاصدقاء العماليين لاسرائيل لديهم في المقابل على الاقل سبعة من اعضاء مجلس اللاط . والواقع ان حزب العمال يعتبر مؤيدا قويا لاسرائيل وذلك بسبب العلاقات التقليدية بين حركة العمال البريطانية وحزب العمل الاسرائيلي والهستدروت. ولقد تدعم هذا الاتجاه بقوة بفعل وجود الاعضاء اليهود في البرلمان والمؤيدين كلهم لاسرائيل . ومن شأن هذه الصورة الاجمالية ان تؤمن تأييدا عماليا شاملا بنسبة « خمسة الى واحد » لصالح اسرائيل(١٩).

كذلك فان لتأييد اعضاء حزب الاحرار لاسرائيل تاريخا قديما . فقد كان لويد جورج الذي لعب دورا حيويا في التحضير لوعد بلفور قد تحول الى الصهيونية على يد حاييم وايزمن . وقدم اللورد صموئيل ، من حزب الاحرار ، تأييدا حماسيا لانشاء دولة اسرائيل . وتأييد قادة الحزب امثال جو جريموند وجيرمي ثورب لاسرائيل احد عوامل الشعبية الواسعة التي يلقاها حزب الاحرار في اوساط اليهود(٢٠). ولكن بينما تستمر مؤسسة حزب الاحرار على خطها في تأييدها لاسرائيل نشأت حركة جديدة هي « الاحرار الشبان » بين اعضاء الحزب المعاديين ، وبدأت ، من خلال مسألة الشرق الاوسط تتحدى الاتجاه التقليدي السائد في الحزب. واظهر « الاحرار الشبان » في مؤتمرهم السنوي ، الذي عقد في نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، قبولهم بمطلب الشعب الفلسطيني في اقامة دولة علمانية. كما ان قوتهم قد تعرضت للاختبار في الجمعية الوطنية السنوية للحزب التي عقدت في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حين طرح على الجمعية وجهة نظر من اجل ايجاد دولة ثنائية القومية في فلسطين، ومنيت بفشل ذريع(٢١). وينعكس ميزان القوة بين الاحرار المؤيدين للعرب والمؤيدين لاسرائيل من خلال قوة اصدقاء كل من الطرفين في الحزب . ففي حين نجد بين اصدقاء اسرائيل امثال جيرمي ثورب وعدد من قادة الحزب فان اصدقاء العرب لم يستطيعوا الحصول الا على تأييد عدد محدود من الاحرار الشبان وعدد قليل من المرشحين الى البرلمان(٢٢). اما في حزب المحافظين فالصورة متشابهة ايضا . فمع انه قيل الكثير حول الدور الهام الذي تلعبه المصالح التجارية ضمن حزب المحافظين لم تقم مجموعة تجارية قوية واحدة في الحزب تنادي من اجل تعاون افضل مع العرب او الى موقف اكثر صراحة فيما يتعلق مثلا بسياسة اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة . ان هناك اعتبارين وثيقي الصلة بهذا الموقف العام ، يحدد الاول منهما وبشكل لاشعوري على الارجح موقف المحافظين من المجابهة العربية — الاسرائيلية : **الاعتبار الاول** هو العدوان الانجليزي — الفرنسي — الاسرائيلي على مصر في عام ١٩٥٦ واثره الكبير على تكتل اعضاء حزب المحافظين اجمالا والاعضاء المحافظين في البرلمان بشكل خاص وراء محاولة حكومة المحافظين تصوير نظام الرئيس عبدالناصر على انه ديكتاتوري فاشي لا يهدد المصالح البريطانية في الشرق الاوسط فحسب وانما يهدد كذلك السلام في العالم بأسره(٢٣). اما اليوم وعلى ضوء ما تكشف ، فيبدو ان حزب المحافظين لم يحاول فعلا التخلص

١٧ — F. R. Mackenzie, Op. cit.

١٨ — Paul Rose, *Labor Party Arab Lobby*, The Jewish Chronicle, 21 January, 1969.

١٩ — Paul Rose: The So-Called Jewish Lobby in Parliement. The Jewish Chronicle, 29 May, 1970.

٢٠ — راجع الجويش كرونيكل ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ .

٢١ — راجع الجويش كرونيكل ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٠ .

٢٢ — المصدر السابق .

٢٣ — للوقوف على وصف ممتع لحادثة السويس وتشعباتها راجع :

Anthony Nutting's, *No End of a Lesson. The Story of Suez.* Constable 1967. See also Erskine Childers *The Road to Suez.* Mac Gibbon & Kee.

راجع ايضا : ارسكين تشايلدرز : الطريق الى السويس .

من الاثار السيئة لصدمة السويس والقيام باعادة تقييم جدية لمواقفه بصدد السياسات العربية الداخلية ولا بصدد الصراع العربي ــ الاسرائيلي.

اما **الاعتبار الثاني** فهو تلك الخرافة التي تقول ان حزب المحافظين بسبب التزامه تجاه المصالح البريطانية (استثماراتها النفطية وغير النفطية في العالم العربي) هو بالضرورة اكثر عطفا من حزب العمال على القضية العربية . ويرتكز هذا الافتراض الى وجود او امكان وجود محفل للنفط ضمن حزب المحافظين . ان هذا افتراض خاطىء لان وجود محفل للنفط مؤيد للعرب في مجلس العموم سيكون محكوما الى درجة كبيرة بالمقاييس التالية :

ا ــ ان جميع الدول العربية المنتجة وغير المنتجة للنفط يمكن ان تشكل جبهة موحدة في وجه شركات النفط . ب ــ ان باستطاعة الدول العربية المنتجة للنفط استغلال ثرواتها الخاصة مع الحفاظ على قدرة اسعارها على المنافسة . ج ــ ان باستطاعة الدول العربية المنتجة للنفط فك قبضة الشركات عن السوق العالمية(٢٤). وبما ان هذه الشروط ليست متوافرة في هذه المرحلة فمن الاسلم ان نستنتج انه لن يكون بمقدور محفل مؤيد للعرب في حزب المحافظين وشركات النفط القيام بدعاية سياسية ملتزمة(٢٥). وعلى العموم فان البناء التنظيمي التقليدي للحزب ميال لدعم النظم العربية المعادية للناصرية بينما تميل حكومات المحافظين لدعم السلطات الاردنية ضد الفلسطينيين في مساعيهم لتقرير مصيرهم . اما الافراد في حزب المحافظين مثل انتوني نتنج وايان جيلمور او دنيس والترز الذين قرروا اتخاذ موقف عاطف على العرب وموقف اكثر استقامة تجاه المجابهة العربية ــ الاسرائيلية فقد وجدوا انفسهم عبارة عن اقلية صغيرة في وجه جدار متحجر من عدم مبالاة حزب المحافظين . ولقد نظر الى دعوتهم من اجل دراسة اكثر موضوعية للصراع العربي ــ الاسرائيلي من خلال كونهم مصنفين كاصدقاء العرب في حزب المحافظين وهذا الامر ينسجم مع صيغة بريان ماجي القائلة : « يمكن اعتبارك شخصا محايدا فقط اذا أيدت الخط الاسرائيلي تأييدا مطلقا. اما اذا نظرت الى طرفي القضية فانت مؤيد للعرب »(٢٦).

٢٤ ــ راجع ماكينزي ، المصدر السابق .
٢٥ ــ المصدر السابق .
٢٦ ــ بريان ماجي ، المصدر السابق .

اما الموقف الرسمي للحكومة البريطانية فقد ظل مؤيدا لقرار الامم المتحدة الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ والذي جاء نتيجة لمبادرة بريطانية . وباستثناء تأييدها للقرار كانت المملكة المتحدة اقل الدول الاربع الكبرى فاعلية . كذلك اضافت التصريحات الرسمية للوزراء البريطانيين علامات استفهام كبيرة حول الموقف الحقيقي للمملكة المتحدة تجاه النزاع . وبالرغم من استخفاف اسرائيل بقرار الامم المتحدة واستمرارها في احتلال الاراضي العربية فان بيتر شور كان مستعدا ان يعلن على الملأ ان « حكومة العمال لن تفعل شيئا يهدد وضع اسرائيل او يضعف من قدرتها على مقاومة العدوان »(٢٧). وحول موقف المملكة المتحدة من خطة اسرائيل لتغيير وضع القدس قال ريج فريسون ، وهو سكرتير في البرلمان ووزير الاسكان والحكومة المحلية ، ان الحكومة البريطانية لا تريد العودة الى قدس مجزأة . ولا تعترف بسيادة الاردن على اي جزء منها »(٢٨). ورغم ان هذه المواقف من شأنها ان تثير المخاوف المشروعة لدى العرب ، فانها لا تعدو كونها تعبيرا عن التناقضات البريطانية ــ الاميركية .

وفيما يتعلق بالموقف الفرنسي الرسمي حول الشرق الاوسط فان ذلك كان موضوعا تناوله عدد من المقالات . ان السياسة الخارجية الفرنسية في المنطقة لم تتغير حتى بعد ذهاب الرئيس ديغول (نتيجة لهزيمته في الاستفتاء الوطني الذي اجري في ٢٧ نيسان ١٩٦٩) . ولقد سارعت الادارة الفرنسية الجديدة للتأكيد على عنصر الاستمرار هذا في سياسة فرنسة في الشرق الاوسط . وفي ٦ ايار ١٩٦٩ سلم السفير الفرنسي في القاهرة ، فرانسوا بوكس ، رسالة بهذا المعنى من وزير الخارجية الفرنسي ميشال دوبريه الى وزير الخارجية المصري محمود رياض . كما اعطيت

٢٧ ــ الجويش كرونيكل ، ٢٠ شباط ١٩٧٠ .
٢٨ ــ الجويش كرونيكل ، ٩ كانون الثاني ١٩٧٠ . يمكن الوقوف على موقف حزب العمال فيما يختص باحتلال اسرائيل للاراضي العربية من خلال قراره الذي صيغ بلهجة معتدلة (الصادر عن مؤتمر الحزب في أيلول ١٩٧٠) والذي جاء فيه « عدم استحسان ضم الاراضي عن طريق الحرب . » التايمز ٢٨ أيلول ١٩٧٠.

تأكيدات مماثلة لكل من لبنان والاردن(٢٩). ومن الصعب تحديد الدافع الحقيقي الذي يكمن وراء السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط . فالبعض يعتقد ان الموقف الفرنسي هذا ناتج عن اعتبارات تجارية متعلقة بمطامح فرنسه في ان تؤمن لنفسها حصة كبيرة في سوق البترول العربي المربح(٣٠). والبعض الاخر يؤكد ان فرنسه ترى نفسها القوة الرئيسية في حوض المتوسط ومن ثم فمن الطبيعي بالنسبة لها ان تعمل بجهد من اجل مصالحها خاصة وهي ترى دورها يهتز تماما بفعل التدخلات الاميركية والروسية(٣١). ومن المهم في هذا المجال ان نتذكر تأثير الرئيس ديغول على رسم هذه السياسة الذي يمكن ان نجد بداياته في عام ١٩٦٢ عندما قرر ديغول منح الجزائر استقلالها ، في وجه كل المعارضة . وقد اكتسب ديغول بهذا القرار رغم خطورته وبعد اثره « احترام الجزائريين وباقي العالم العربي »(٣٢). وبدا ان ذلك ايذان ببدء تحول سياسة فرنسه تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي في السنوات اللاحقة . وقد أدى قرار اسرائيل بالهجوم في ٥ حزيران ١٩٦٧ خلافا لنصيحة الحكومة الفرنسية(٣٣) الى اتخاذ فرنسه لقرار بايقاف تسليم طائرات الميراج التي يقال ان اسرائيل دفعت ثمنها . بينما ادى هجوم اسرائيل على مطار بيروت (في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨) الى حظر فرنسي فوري على شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل(٣٤).

ويتساوى في الاهمية في هذا المجال ايضا ، المدى الذي استطاعت الحكومة الفرنسية ان تصله في اقناع الجمهور الفرنسي ذي العقلية الفردية بالحكمة من سياستها في الشرق الاوسط . وبرغم جهودها فهناك دلائل تشير الى ان مجموعات منظمة واقليات صاخبة في فرنسه كانت على استعداد لاعلان انتقادها العنيف للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط . ولقد كان هذا الانتقاد قويا لدرجة جعلت وزير الاعلام الفرنسي ، جويل لوتول ، يعترف في الفترة التي أعقبت قرار الحكومة الفرنسية بحظر شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل ، وبالتحديد في ٨ كانون الثاني (يناير) « بأن تأثير اسرائيل يحس في دوائر مقربة من وسائل الاعلام»(٣٥). واحدثت هذه العبارة ردود فعل قوية فكتبت الفيجارو في ٩ كانون الثاني تقول « ان هذه التلميحات غير مقبولة وليس من حقنا فقط بل من واجبنا ان نسأل عما يقصد بها » . وقرر الصحافيون الفرنسيون ، اظهارا لاحتجاجهم ، مقاطعة المؤتمر الصحفي الذي كان مقررا ان يعقد بعد اجتماع الوزارة في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٦٩(٣٦). وردت صحيفة الانترناشونال هيرالد تريبيون في ١٣ كانون الثاني ٦٩ ان الحكومة الفرنسية كانت تواجه معارضة قوية داخل الجمعية الوطنية الفرنسية . واشارت الصحيفة الى ان الجمهوريين المستقلين الحلفاء الرئيسيين للديغوليين في البرلمان قد اتهموا الرئيس ديغول باللجوء الى كثير من الحيل السياسية « على حساب دولة تقاتل من اجل حياتها » . واتهم الرئيس فوق ذلك باستغلال الاكثرية الحكومية والراي العام للوصول الى قرار خاص يتجاهل الضرورات التي يتطلبها عالم بارد وقاس وذلك لصبغ الواقع السياسي بقيم انسانية(٣٧). وتدعم هذا الهجوم بالقرار الذي اتخذته لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الفرنسي في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٦٩ والذي يدعو الحكومة الى رفع الحظر الذي فرضته في الاونة الاخيرة .

والصوت الوحيد الذي ارتفع في هذه المناسبة والذي يؤيد سياسة الحكومة في الشرق الاوسط بطريقة غير مباشرة كان صوت الحركة الفرنسية المناوئة للعنصرية المعادية للعرب ، والتي نشرت بيانا في صحيفة لوموند في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٦٩ يحتج على العنصرية المعادية للعرب والتي اوجدها ونماها اعضاء يعملون في وسائل الاعلام .

---

٢٩ — راجع التقرير والسجل العربي ١ — ٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ . ص ١٩٤ .

٣٠ — راجع مثلا MEED ٢١ كانون الاول ١٩٦٧.

٣١ — راجع مثلا الجارديان ٨ تشرين الاول ١٩٧٠.

٣٢ — راجع MEED المصدر السابق .

٣٣ — Eric Rouleau : "French Policy in the Middle East" The World Today, May 1968.

٣٤ — راجع التقرير والسجل العربي ١ — ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ص ٢٠ .

٣٥ — المصدر السابق .

٣٦ — المصدر السابق .

٣٧ — المصدر السابق .

واشار البيان الى « المعلومات المبتسرة والخاطئة والمتحيزة فيما يتعلق بأحداث الشرق الاوسط ، والتفسير الخاطىء لنضال الفلسطينيين واهدافهم ، والخلط المتعمد بين ما هو يهودي وما هو صهيوني ، وما هو عربي وما هو مسلم ، وبين اليهود الاسرائيليين ويهود العالم وبين الفلسطينيين العرب والعرب ككل »(٣٨).

وتستحق لوموند ذاتها ملاحظة خاصة بسبب موقفها الشجاع وغير المتحيز حول الصراع . فهذه الصحيفة التي وصفها ايبان بانها « اكثر النشرات اثارة »(٣٩) ظلت ، الى حد كبير ، النشرة الفرنسية البارزة الوحيدة التي تبنت موقفا موضوعيا في تقاريرها وتحليلاتها للاحداث المتعلقة بالمجابهة العربية الاسرائيلية . ويشكل « عمود الاراء الحرة » في اللوموند اهمية خاصة في القاء الضوء على المسألة الفلسطينية وحركة المقاومة حيث ظهرت في هذا العمود مقالات كثيرة حول فلسطين والفلسطينيين. ففي السابع من شباط ١٩٦٩ قال فيليب دي سانت روبرت في مقالة بعنوان « ارهاب او مقاومة » بأن محاولة اسرائيل اثارة العالم ضد الارهاب العربي كانت « محاولة غريبة تقوم بها دولة قامت على اسس ثيوقراطية جعلتها غير مقبولة من جانب المسيحيين والمسلمين في فلسطين ، ولم تنجح الا من خلال الارهاب الذي تستنكره الان والذي ارتكبته عصابة الارجون وشتيرن » . واضاف الكاتب : « لن يكون هناك سلام ما لم يحدث تغيير في داخل اسرائيل »(٤٠).

ومن بين الجماعات المنظمة التي تعطف بشكل كبير على القضية العربية في فرنسه الحزب الشيوعي الفرنسي (يأتي في المرتبة الثانية من حيث القوة ، بعد الحزب الشيوعي الايطالي ، بين الاحزاب الشيوعية في اوروبة الغربية)(٤١) الذي يدين اسرائيل بالعدوان والاحتلال والتنكر للحقوق الانسانية ، ويميل الى تأييد سياسة الحزب الديجولي في الشرق الاوسط. اما الحزب الاشتراكي المتحد ، الجديد ، بزعامة الان روكارد الذي ترشح في انتخابات رئاسة الجمهورية (في اول حزيران ١٩٦٩) وحاز على ٣،٦٥ بالمئة من الاصوات ، فانه اكثر صراحة من الحزب الشيوعي في موقفه تجاه الشرق الاوسط . وهناك مجموعة الان كريفين ، العصبة الشيوعية ، التي حصلت على واحد بالمئة من الاصوات . وكريفيف هذا المعادي للصهيونية وابن طبيب اسنان يهودي ، يقف على يسار الشيوعيين في تأييده لحق الفلسطينيين بتقرير مصيرهم . وبين هؤلاء العصبة الشيوعية «ب. س. ي » التي « تنطق باسم حوالي خمسة بالمئة من الناخبين الفرنسيين » اي ما يزيد على مليون صوت بينهم عدد كبير من المفكرين او الذين يعتبرون كذلك وبعضهم من اصل يهودي(٤٢). وبالمقابل فان الاصوات الانتخابية لليهود لا تشكل اكثر من واحد بالمئة من مجموع الاصوات الانتخابية(٤٣).

ان الصورة التي ظهر عليها الراي العام الفرنسي (في حزيران ١٩٦٧) تشير الى ان الراي العام على الصعيد الرسمي وفي قسم معين من الاوساط الشعبية والذي يعطف على القضية العربية ومستعد لانتقاد اسرائيل وتأييد الاجراءات التي بحق اعمالها ، هو في الوقت ذاته ملتزم بصورة اساسية تجاه « حق اسرائيل صهيونية في الوجود كدولة »(٤٤).

وفي الولايات المتحدة حيث يمكن للقرارات المتعلقة

٣٨ — راجع التقرير والسجل العربي ١٦ — ٣١ كانون الثاني ١٩٦٩ ، ص ٤٧ .

٣٩ — الجويش كرونيكل ١٤ حزيران ١٩٦٨ .

٤٠ — See Free Palestine, Vol. 1, No. 9. February 1969. p. 5.

٤١ — في الانتخابات الوطنية الاخيرة حصل الحزب الشيوعي الايطالي على ١٦٧ مقعدا من اصل ٦٣٠ مقعدا في مجلس النواب وعلى ٧٦ مقعدا من اصل ٣١٥ مقعدا في مجلس الشيوخ . واذا ترجمنا ذلك الى اصوات انتخابية نجد انه يمثل ٢٦،٩٥ بالمئة من مجموع الاصوات . وفي فرنسه يحتل الحزب الشيوعي ٣٤ مقعدا (من اصل ٤٨٧) و١٨ مقعدا (من اصل ٢٨٣) في الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ على التوالي . ويعادل هذا ٢١،٥ بالمئة من المجموع . راجع مجلة التايم ٨ شباط ١٩٧١ .

٤٢ — راجع الجويش كرونيكل ٦ حزيران ١٩٦٩ .

٤٣ — المصدر السابق .

٤٤ — يمكن استكشاف الموقف الغامض الذي تبناه عدد كبير من الماركسيين الفرنسيين من خلال مطالعة مقابلة سارتر مع ارتورو شواتز . اعيد نشر المقابلة في طبعة والتر لاكير : *The Israel - Arab Reader*, Penguin 1970, p. 546.

بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي ان تشكل ضررا للاحزاب المعنية فان القضية العربية رغم مرور الزمن لم يتسن لها ان تجتذب ضميرا حزبيا كبيرا حيا واحدا . وسنتعرض الان للقوة والتأثير اللذين تتمتع بهما الجالية اليهودية الاميركية(٤٥). ان الاعتبارات الرئيسية التي تكمن وراء تأييد الولايات المتحدة الرسمي لاسرائيل ، انما هي مرتبطة باعتبارات استراتيجية واضحة . إن ما تعتبره الدول العربية امرا غير مشجع هو التأييد الاميركي الثابت لاسرائيل حتى عندما ترتكب الاخيرة خطأ واضحا للعيان . ففي ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ ادان مجلس الامن الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت وكانت الولايات المتحدة من بين الموافقين على الادانة ولكن قبل ان تمضي اربع وعشرين ساعة على ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة قد قررت ان تهب لنجدة اسرائيل ، اذ وقف ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، ج. ر. ويجنز ليدافع عن اسرائيل ضد « اطلاق التعميمات الكاسحة والتشهيرات القاسية والتهجمات الطائشة » التي يشنها عليها اعضاء آخرون في الامم المتحدة . واختتم ويجنز خطابه بتلاوة جملة قالها ابراهام لنكولن وهو يذكر مجلسا حائرا بأن بلاده تلتصق بأصدقائها عندما يكونون على حق ولكنها تبتعد عنهم عندما يخطئون(٤٦). وفي السادس من كانون الثاني ١٩٦٩ ذهب ستة عشر شيخا اميركيا الى أبعد مما ذهبت اليه السياسة الرسمية الاميركية حين اعلنوا عن ادانتهم لقرار مجلس الامن (الذي أعلنه في ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ حول الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت) . وقد عجز القرار ، حسب راي هؤلاء الشيوخ ، عن ذكر اي شيء عن « التهديد المباشر التي تشكله الغارات العربية المتواصلة على كيان اسرائيل » . وفي التاسع من كانون الثاني علم ان ٦٦ عضوا في الكونجرس الاميركي قد وقعوا وثيقة مماثلة(٤٧). وحاول مجلس الامن بعد الغارة التي قامت بها اسرائيل على منطقة السلط (في ٢٦ آذار ١٩٦٩) ان يتخذ قرارا اجماعيا يلوم اسرائيل ولكنه فشل في الحصول على موافقة الولايات المتحدة . اما القرار الذي يستنكر الخسارة في ارواح المدنيين واتلاف الممتلكات ، الذي عرضته زامبيه والسنجال وباكستان ، فقد استطاع فقط ان يحصل على امتناع الولايات المتحدة عن التصويت(٤٨).

ان الحزبين السياسيين الرئيسيين في الولايات المتحدة ملتزمان نحو اسرائيل بدون تحفظ . فخلال انتخابات الرئاسة التي جرت عام ١٩٦٨ وعد الحزب الجمهوري في بيانه الرسمي حول سياسته المقترحة تجاه الشرق الاوسط ان يؤمن للقوات الاسرائيلية ما يجعلها قادرة على الاحتفاظ بقوة تكفي لحمايتها وللابقاء على السلام في المنطقة . ولذا فان الولايات المتحدة ستمد اسرائيل بالمساعدة المناسبة ، مثل المقاتلات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت اللازمة لتحقيق هذه الاهداف(٤٩). وتعهد الحزب الديمقراطي بانه « ما دامت اسرائيل مهددة من قبل جيران مجهزين بالاسلحة ومعادين لها ، فاننا سوف نساعدها بالمعدات العسكرية الضرورية اللازمة لدفاعها بما في ذلك احدث انواع المقاتلات الحربية »(٥٠).

ان هذا التحيز السياسي ينعكس بصدق في الصحافة الاميركية . ولم يستطع دعاة القضية العربية لا في عام ١٩٦٧ ولا فيما بعد ان يجدوا المنابر المناسبة(٥١). ويبدو تحيز الصحافة الاميركية واضحا في الدراسة التي أعدها ميشال سليمان عن وسائل الاعلام الاميركية وحرب حزيران . قام

---

٤٥ ـ ان اعادة انتخاب جون ليندزاي كعمدة لمدينة نيويورك في اوائل شهر تشرين الثاني ١٩٦٩ ، يمثل جانبا طفيفا من تأثير الجمعية اليهودية الاميركية . لمزيد من التفاصيل حول الانتخاب راجع : الجويش كرونيكل ٣١ تشرين الاول و٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ .

٤٦ ـ راجع التقرير والسجل العربي ١٦ ـ ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ ص ٤٢٣ .

٤٧ ـ المصدر السابق ١ ـ ١٥ كانون الثاني .

٤٨ ـ اتخذ القرار بأغلبية ١١ صوتا مقابل لا شيء وامتناع الولايات المتحدة وبريطانية عن التصويت . (المصدر السابق ١ ـ ١٥ نيسان ١٩٦٩ ص ١٥٣) .

٤٩ ـ ليلى قاضي : عرض للعلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية . مركز الابحاث ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ ص ٢٤٩ .

٥٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

٥١ ـ راجع خالد قشطيني ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

الباحث ، الذي اتخذ من حرب الايام الستة ميدانا لدراسة ردود فعل الصحافة الاميركية تجاه الشرق الاوسط ، بتحليل المادة التي غطت الازمة في سبع صحف اميركية رئيسية هي : النيويورك تايمز ، لايف ، نيوز اند ويرلد ريبورت ، النيشن ، نيو ريببلك ، نيوزويك ، تايم . ووجد ان ما لا يقل عن ٣٦،١ بالمئة من مجموع الاخبار التي كانت تدور حول الازمة في شهري ايار وحزيران ١٩٦٧ كانت مؤيدة لاسرائيل ، و٣،٨ بالمئة منها مؤيد للامم المتحدة ، و٢،٣ بالمئة منها مؤيد للامم المتحدة و٨،٠ بالمئة فقط مؤيد للعرب(٥٢). وكشفت الدراسة ايضا ان هناك اجماعا على اظهار الرئيس عبدالناصر انه الشخص « الذي يجسد كل الكراهية والسوء » ، وكذلك عن ميل قوي للومه « على كل المصاعب في الشرق الاوسط »(٥٣).

ومن خلال الادلة المتوفرة لا يبدو ان مرور خمس سنوات قد أدى الى تغيير جدي في هذا الوضع . ويمكن اختيار مثالين عشوائيين لتبرير هذا الحكم : بعد مرور عام على حرب حزيران اجرى معهد جالوب دراسة في الولايات المتحدة حول النزاع العربي ــ الاسرائيلي . وكشفت الدراسة (اجريت في ٢٤ تموز ١٩٦٨) ان حوالي ٤١ بالمئة من جميع الذين قوبلوا اقروا بانه ليس لديهم اية فكرة عن اصل حرب حزيران(٥٤). اما المثل الثاني فيتعلق برد فعل الصحافة الاميركية على مبادرة « السلام » الاميركية في النصف الثاني من عام ١٩٦٩ . وقد وجدت احدى الصحف « اتلانتا » (في جورجيا) ان الولايات المتحدة قد تخلت عن سياستها العادلة في الشرق الاوسط وان مصالح الولايات المتحدة تتطلب بأن « تفاوض اسرائيل من مركز قوة وليس من موقف الضعيف »(٥٥). واعتبرت صحيفة اخرى « ريتشموند نيوز » (في فرجينيا) المقترحات الاميركية المتعلقة بتسوية مع الاردن « مؤيدة للعرب لدرجة انها قد تكون كتبت في عمان »(٥٦). ودعت صحيفة ثالثة « سان جوزيه ميركوري » (في كاليفورنيا) الى « تأييد مفتوح وفعال لاسرائيل » بدلا من الحياد الذي لن يفعل اكثر من تأجيل « الازعاج المحتم » للولايات المتحدة . وفي حين اعتبرت النيويورك تايمز هذه المقترحات على انها « عمل غير متوازن في الشرق الاوسط » ، حذرت « جاتانوجا نيوز » (في تنيسي) من ان افضل طريقة لخدمة المصالح الاميركية في المنطقة تكمن في تجنب حرب اخرى ، والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك تتمثل في مساعدة « اسرائيل في الحفاظ على تفوقها العسكري »(٥٧). فهل تشكل هذه المواقف انعكاسا لظاهرة التحيز تلك التي يصفها السفير الاميركي المذكور سابقا بأنها « احراج كبير للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط ؟ »(٥٨) ام ان هناك عوامل اخرى يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ؟ الى اي مدى نجحت القضية العربية ، عبر استخدام علاقات عامة فعالة ، في الوصول الى عقل الفرد الغربي العادي ؟ او بكلام آخر ، الى اي مدى يتحمل الفشل العربي في الوصول الى العقل الغربي ، مسئولية هذا التحيز ؟

من المهم ان نذكر اولا ان الدول العربية لم تصل فعلا في مجال العلاقات العامة الى المستوى الاسرائيلي في استعمال واستخدام المواد . ويجب ذكر ذلك على الرغم من ان القضية الفلسطينية كان عليها ان تناضل ضد العواطف المتحجرة لدرجة لا تصدق عند الفرد الاوروبي تجاه اليهود .

ان السفارة الاسرائيلية التي « تعتبر اجمالا افضل السفارات ادارة وعملا في واشنطن » تؤمن فيضا لا ينقطع من مواد القراءة . فبعد كل حادث مهم ترسل ورقة تفسر الموقف الاسرائيلي « بالبريد الى ما يتراوح بين ١٠ ــ ١٢ الف اميركي يحتلون مراكز عاليه . وتتضمن لائحة العناوين التي ترسل اليها مثل هذه الاوراق رجال اعمال ونوابا في الكونجرس وموظفين حكوميين وقادة يهودا » . وتصدر السفارة بانتظام كراسات تتناول ٣٢ موضوعا من الزراعة الى علم الاثار ، ونشرة

---

٥٢ ــ ميشال سليمان : وسائل الاعلام وحرب حزيران ، في مقالات في الرأي العام الاميركي والمشكلة الفلسطينية . مركز الابحاث ، بيروت، شباط ١٩٦٩ ، ص ٩٢ .

٥٣ ــ *Ibid.*, p. 96.

٥٤ ــ راجع خالد قشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

٥٥ ــ راجع الجويش كرونيكل ٩ كانون الثاني ١٩٧٠ .

٥٦ ــ المصدر السابق .

٥٧ ــ المصدر السابق .

٥٨ ــ See Don Cordtz, op. cit.

اخبارية بعنوان « أرض التوراة » و « حتى كتبا هزلية للاطفال » . كما تقدم رحلات مجانية الى اسرائيل الى موظفين وقادة عماليين وقادة نقابي وصحفيين . « وفي العامين الماضيين قدم الاسرائيليون رحلات اسبوعية الى اسرائيل ، غطوا جميع نفقاتها ، الى بعض حكام الولايات ومنهم جون فولب حاكم ماساشوستس الذي اصبح الان وزيرا للنقل وجيمس رودس حاكم اوهايو وكلور كيرك الابن حاكم فلوريدا »(٥٩). وتكاد كل المنظمات اليهودية تكون متعاطفة مع اسرائيل . فاللجنة اليهودية الاميركية التي يبلغ عدد اعضائها الرسميين ٤٣ الفا تضم بين صفوفها عددا كبيرا من الصهيونيين على الرغم انها تهتم بشكل اساسي بحالة اليهود وامنهم في العالم كله وعلى الرغم كذلك من انها تدعي انها ليست صهيونية . اما لجنة الشؤون العامة الاميركية ــ الاسرائيلية فهي الاكثر صراحة في دعمها لاسرائيل . ونائب رئيسها اي ل. كسينن معروف لدى اعضاء الكونجرس بانه داعية اسرائيلي . وتكمن قوة اللجنة « في تأثيرها السياسي على ٥،٨ مليون يهودي في الولايات المتحدة »(٦٠). وعلى صعيد انتخابي فان اصواتهم حاسمة في اربع ولايات هي نيويورك وبنسلفانيا وايلنوي وكاليفورنيا . وبالاضافة الى ذلك فان التبرعات « التي يقدمها اليهود للحملات الانتخابية حيوية جدا للمرشحين لانتخابات الكونجرس والولايات والانتخابات المحلية وكذلك انتخابات الرئاسة » . وكذلك تساعد النشاطات اليهودية في تنظيم الحملات وكتابة الخطب وتقديم الصورة المناسبة للمرشح في التلفزيون وايضا في رسم الاستراتيجية الانتخابية . وتترجم هذه الجهود عادة الى مطالب قوية بمنح الدعم لاسرائيل . وقد كان احد الامثلة الهامة على ذلك هو « اضافة ستة مشاريع لاسرائيل الى برنامج المساعدة الخارجية نتيجة للضغط الذي مارسته في الكواليس لجنة كينن ومنظمة هداسا ــ المنظمة النسائية الصهيونية في اميركا ــ والحاخامون الارثذكسيون والجماعات اليهودية » . ويستخدم المحفل الصهيوني في اميركة « مجموعة متكاملة من الوسائل التي تتراوح من معرفة استخدام الصحافة الاميركية الى الحد الاقصى الى الضغط السياسي من خلال الكونجرس الى التبادل السري للمعلومات العسكرية » . وعندما سئل مسئول في وزارة الخارجية ان يقيم المحفل الصهيوني في الولايات المتحدة اجاب بقوله « انهم واضحون ومنظمون وميالون جدا الى العلاقات العامة واذكياء » . ويبدو ان الصهيونيين الاميركيين « قد حازوا في كل هذه الظروف على قلوب الشعب الاميركي واصوات الكونجرس وحازوا عموما ، لكن ليس دائما ، على عقل الرئيس بغض النظر عمن يكون »(٦١).

وبالطبع ، فان العرب لا يجدون قضيتهم تقابل بالموضوعية التي تستحقها . وبالرغم من العطف الديني نحو « اللاجئين العرب » والعطف على القضية الفلسطينية في اوساط المناضلين السود وبعض التساؤلات حول السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في اوساط مناضلي اليسار الجديد فان هذه الجماعات محدودة وليست متماسكة لدرجة تمكنها من ممارسة تأثير ملموس على سياسة الحكومة . ان محفل النفط الاميركي والذي تقدر استثماراته بحوالي ١٤٦ بليون دولار يمارس ضغطا يكاد لا يذكر في الامور السياسية الفعلية . ولقد اثيرت عاصفة من الاحتجاج عندما اذيعت كلمة عن الاحتجاج السري بين الرئيس نيكسون وديفد روكفلر ، رئيس تشيس مانهاتن بنك ، في البيت الابيض حيث كان الاخير يقدم تقريرا (في التاسع من كانون الاول ١٩٦٩) للرئيس نيكسون عن مقابلته مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وارسلت مئات الرسائل الى روكفلر كما تلقى عددا كبيرا من المخابرات الهاتفية «وهوجم في الكونجرس» وهدد اصحاب الودائع باقفال حساباتهم وبعضهم فعل . وكان الضغط قويا مما جعل روكفلر يتحول ويوافق على ان « المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية ــ مطلب اساسي للاسرائيليين »(٦٢). اما السفارات العربية في واشنطن فتتسم اجمالا بنقص في مستوى موظفيها وتعاني الى حد ما من المشكلة الناجمة عن عدم

---

٥٩ Robert H. Phelps: Mideast Lobbies active in U. S. The New York Times, 6th, April, 1970.

٦٠ ــ المصدر نفسه .

٦١ ــ المصدر نفسه .

٦٢ ــ المصدر نفسه .

قدرتها على الفهم والتعامل مع العقل الاميركي والطريقة التي يفكر بها الاميركيون .

ذكرت فتح في احدى اذاعاتها (في ١١ كانون الثاني ١٩٦٩) ان الدعاية الصهيونية تعمل وحيدة في ميدان الرأي العام بينما لم يقدم الاعلان العربي في الخارج الشيء الكثير ولم يعط اثرا ملموسا . وتوصل هذا التصريح الاذاعي الى الاستنتاج بان المادة المتوفرة عن القضية العربية لم تطرح رغم ضخامتها وذلك لان السفارات العربية تفتقر الى الاهتمام الجدي او لعدم وجود خطة موضوعية لمواجهة التضليل الذي تمارسه الدعاية الصهيونية(٦٣). ويرى خالد القشطيني ان « عدم تجربة العرب في الاعلام ومعرفتهم المحدودة في الامور العسكرية ترك الرقيب دون اختيار سوى ان يعمل قلمه الاحمر بامان كما يشاء»(٦٤).

٦٣ ــ التقرير والسجل العربي ١ ــ ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩ ، ص ١٩ .

٦٤ ــ خالد القشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

ومن المهم فعلا ان لا نقلل من اهمية وحجم شعور الكثيرين من الاوروبيين بالولاء لاسرائيل. فبعد مضي شهرين فقط على الغارة الاسرائيلية المدمرة على مطار بيروت نشرت الجويش كرونيكل نتائج استقصاء لمعهد جالوب بين ان « عدد البريطانيين الذين يقفون الى جانب اسرائيل يساوي خمسة اضعاف اولئك الذين يقفون الى جانب مصر(٦٥). وهذه علامة على ان الامر عندما يتعلق بغالبية الغربيين فان المواقف الكامنة لديها لا زالت على حالها . وبحسب بريان ماجي فان « العامين اللذين اعقبا حرب الايام الستة قد شهدا عطفا على المهزومين كما ان قضيتهم الواضحة قد حركت المشاعر قليلا باتجاه العرب » . وعلى كل فان هذا مجرد « استجابة لما هو قائم على السطح » اما « المواقف الكامنة تحت ذلك فلا زالت وحيدة الاتجاه»(٦٦).

٦٥ ــ الجويش كرونيكل ٢١ آذار ١٩٦٩ .

٦٦ ــ Brian Magee, op. cit.

الرسالة الثانية : من داود تلحمي

نظرة سريعة حول مواقف الرأي العام الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية

سنحاول في هذا المقال ابراز العناصر الرئيسية التي تتحكم في مواقف المجتمع الفرنسي بمجمله بقصد اعطاء صورة شاملة ــ ولو تقريبية ــ لردود فعله تجاه وقائع وتطورات المسألة الفلسطينية . ورغم ما في ذلك من تجن على الواقع الاجتماعي المتعدد المصالح والتيارات ، فهو المدخل الذي لا بد منه لتفادي التشويه الذي قد يلحق بالصورة خلال التفصيل ، اذا أسهب في

شرح احد جوانبها مثلا على حساب جوانب اخرى (وسنأتي على التفصيل في رسالات اخرى لاحقة).

العناصر المتحكمة في مواقف الراي العام الفرنسي

ليس من السهل تحديد الخطوط الرئيسية التي تحكم ردود فعل مجتمع متطور ومعقد كالمجتمع الفرنسي . الا اننا سنحاول ابراز بعض الخطوط التي لها تاثير مباشر على مواقف الفرنسيين تجاه قضايا التحرر بشكل عام والقضايا العربية بشكل اخص .

هناك قبل كل شيء عاملان رئيسيان (ومتناقضان) لا بد من التركيز عليهما : اولهما ، الطبيعة المحافظة (اي المعارضة للتغييرات الجذرية محليا غير المنفتحة عالميا على قضايا التحرر والثورة) لغالبية الشعب الفرنسي ، وبكلمات أدق ،سيطرة الايديولوجية الحاكمة (من خلال وسائل الاعلام والاتصال اي الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما مثلا) على قطاعات واسعة من المجتمع الفرنسي . وهذا شأن كافة المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، بشكل متفاوت طبعا ، حيث استفادت الطبقات الحاكمة من خبرتها الطويلة في الحكم ، فتوصلت الى مستوى عال في التحكم بوسائل التأثير والتسيير الجماعي (التي تصل احيانا الى مستوى التخدير) ، وهذا ما يفسر الى حد بعيد مدى التجاوب الذي وجدته « القضية » الصهيونية في هذه البلدان حتى في اوساط الطبقات والاقليات المضطهدة (بفتح الهاء) .

والعامل الثاني المتناقض ، هو وجود تيارات وتقاليد ذات جذور تاريخية تعمل بدورها على تغيير المجتمع وتفهم بالتالي بشكل اكبر مشاكل العالم المقهور والثائر . وذلك يعود للتجارب الثورية المتلاحقة والنضالات الجماهيرية المستمرة التي تخوضها القطاعات الطليعية من الشعب الفرنسي منذ اكثر من قرنين ضد انواع الظلم والاستغلال، ابتداء من ثورة ١٧٨٩ ضد الملكية والاقطاع ومرورا بانتفاضات القرن التاسع عشر (وخاصة انتفاضة كومونة باريس العمالية عام ١٨٧١) وحتى انتفاضة آيار ١٩٦٨ . وهذان العاملان الرئيسيان تغذيهما او تحد من فعاليتهما عناصر أخرى اكثر تحديدا وارتباطا بالقضية الفلسطينية . ومن هذه العناصر المسألة اليهودية وتطوراتها خلال الحرب العالمية الاخيرة ، ومنها ايضا آثار حرب التحرير الجزائرية التي خلفت ردود فعل عنصرية لا يمكن اهمال دورها في تحديد المواقف .

المسألة اليهودية : جذور المسألة اليهودية بعيدة تاريخيا وعميقة اجتماعيا خاصة في اوروبا ، حيث اتخذت ردود الفعل تجاهها وجها خاصا عرف بالعداء للسامية . ولا مجال هنا للخوض في جذور هذه المشكلة الصعبة (ونكتفي بالاشارة الى محاولة البلجيكي ابراهام ليون بتفسيرها في دراسته حول « المفهوم المادي للمسألة اليهودية ») . فالمهم بالنسبة لنا استخلاص العلاقة بين ظواهر هذه المسألة ومواقف الاوروبي (والفرنسي بالذات) تجاه قضية فلسطين . وهنا ايضا تبرز ظاهرتان متناقضتان تتوزعان المجتمع الفرنسي بشكل خاص: الاولى هي ترسخ العواطف المعادية لليهود عند نسبة لا يستهان بها من الفرنسيين ، والثانية هي عقدة الذنب التي نشأت عند هؤلاء بعد المجازر النازية التي ذهب ضحيتها الملايين من الاوروبيين اليهود . وكلتا الظاهرتين ، كما سنرى ، لا تغذيان الا التيار المؤيد للصهيونية .

فبالنسبة للمواطف العدائية تجاه اليهود (العداء للسامية) ، فان كانت منتشرة علانية قبل الحرب العالمية الثانية ، ولها انبياؤها وصحفها وتأثيرها على مجرى الاحداث (كما جرى مثلا في محاكمة دريفوس ، الضابط الفرنسي اليهودي الذي الصقت به تجنيا تهمة الخيانة وذلك في اواخر القرن التاسع عشر) ، فهي اليوم عار لا يصرح به اصحابه الا نادرا . ورغم ذلك ، فقد اظهرت استفتاءات مؤسسات الاحصاء الفرنسية الحديثة ان اكثر من ٢٠ بالمئة من السكان « تتوفر لديهم ظواهر العداء للسامية بشكل مكثف » ، على حد تعبير رولان سادون مدير المؤسسة الفرنسية للراي العام . وفي احدى هذه الاستفتاءات لهذه المؤسسة طرحت على العينة المختارة اسئلة عدة منها :

— هل تعتبر الفرنسي اليهودي الاصل فرنسيا كغيره من الفرنسيين ام لا ؟ وكانت نسب الاجابات المئوية كالتالي : ٦٠٪ نعم ١٩٪ لا ٢١٪ بدون راي .

— هل تعتبر نفسك معاديا للسامية (اي مناهضا بشكل مبدئي لليهود) ؟ وان اجبت بالنفي ، فما هو شعورك تجاه معارفك اليهود بشكل عام ؟ وكانت الاجابات بالنسب التالية : لا ساميون

معلنون : ٩٪ . ينفرون من اليهود : ١٠٪ . ليس لديهم شعور محدد : ٨١٪ .

ـ هل ترضى بان يكون كل من هؤلاء يهوديا ؟ وكانت اجابات النفي بالنسب المئوية التالية : رئيس الجمهورية : ٥٠٪ . نائبك في البرلمان : ٣٣٪ . مدير عملك : ٣٢٪ . طبيبك : ١٦٪ .

ـ هل تجد بأن هناك الكثير من اليهود في مجالات العمل التالية ؟ اجابات التأكيد جاءت كالتالي : في التجارة : ٨١٪ . المعاملات المالية : ٥٨٪ . السياسة : ٣١٪ .

ـ في عام ١٩٤٨ ، اسس اليهود دولة اسرائيل، هل تعتقد ان وجود هذه الدولة شيء ايجابي او سلبي بالنسبة لليهود ولغير اليهود ؟ وكانت الاجابات كالتالي : بالنسبة لليهود : ايجابي ٧٥، سلبي ٢ ، بلا رأي ٢٣ . لغير اليهود : ايجابي ٤٧ ، سلبي ١٠ ، بلا رأي ٤٣ .

يظهر من هذا الاستفتاء (الذي أجري بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بقليل) ان هناك حوالي ٢٠ بالمئة من الفرنسيين يعلنون عن عدائهم لليهود كيهود ، بينما يتردد نصفهم تقريبا في اعتبارهم مواطنين كغيرهم في كل المجالات . ويلاحظ ايضا ان الذين يعتبرون وجود اسرائيل سلبيا لغير اليهود (والمقصود غالبا العرب) لم يكن عددهم في ذلك الحين يتعدى ١٠ بالمئة . اي ان معظم المعادين للسامية (ان لم يكن جميعهم ، فهذا ما لا يظهره الاستفتاء) كانوا من انصار وجود دولة اسرائيل. وهذا ليس مستغربا على الاطلاق وانما في صميم منطقهم ، اذ انهم يودون التخلص من اتباع اليهودية من ابناء وطنهم ، بينما يعمل الصهاينة على استجلاب هؤلاء الى أرض فلسطين: المنطلقان مختلفان ظاهريا ولكنهما يلتقيان في الهدف والجوهر ، اذ يعتبران كلاهما اليهودية عنصرا، ويرغبان في نفس الوقت نقل اليهود من اوروبا .

عقدة الذنب : احدثت المجازر النازية اثناء الحرب العالمية الثانية ضد المواطنين الاوروبيين اليهود الاصل ، صدمة عنيفة في اوساط اليساريين والمسيحيين ، الذين شعروا وكأنهم ـ بحكم مواقفهم السابقة او على الاقل عدم اكتراثهم ـ مسؤولون ادبيا عنها . وشعروا بأن المسؤولية لا تقع على النازيين بمفردهم ، لانهم لا يعدون كونهم ظاهرة اجتماعية وسياسية لوضع تاريخي محدد ، فالمسؤولية اذا مسؤولية جماعية : مسؤولية مباشرة بالنسبة لادعياء اللاسامية ومسؤولية غير مباشرة لمن لم يتنبهوا لخطورة هذه الظاهرة . ومن هنا نشأ ما سمي بعقدة الذنب عند الاوروبيين ، عقدة يصعب فهمها بالنسبة لشعب كالشعب العربي لم يعانها ، لانه بريء من الجرم.

ولا بد من التأكيد هنا على الاستغلال الوقح الذي امتهنه الصهاينة لدماء ضحايا النازية ، وعلى الفوائد التي جنوها من وراء المتاجرة بها . فبينما كان الضحايا اليهود مواطنين بولونيين او سوفيات او المان الخ ... وكانوا من بين عشرات الملايين الذين دفعوا ثمن الحرب التي اشعلتها النازية ، ابتاعت الصهيونية ارواحهم وراحت تتاجر بها سياسيا وماديا . وقد نجحت في مجهوداتها لحد بعيد . ولا نبالغ ان قلنا أن العطف على الحركة الصهيونية وعلى مشروع انشاء دولة اسرائيل ما كان ليتبلور لو لم تحدث هذه المجازر : وبعبارة وجيزة ، نستطيع ان نقول ان هتلر والنازيين عموما قدموا للحركة الصهيونية أجل الخدمات اذ حققوا لها تبريرها الجوهري امام الرأي العام العالمي .

في نفس الاستفتاء الذي تحدثنا عنه اعلاه ، طرحت المؤسسة الفرنسية للرأي العام السؤال التالي على العينة الممثلة للشعب الفرنسي : هل تعتبر قتل ملايين اليهود على ايدي النازيين: ١ ـ جريمة بشعة . ٢ ـ احدى بشائع الحرب مثل غيرها . ٣ ـ عملية مفيدة في نهاية الامر . وكانت النسبة المئوية : ٧٧٪ ، ١٩٪ و ١٪ بينما امتنع ٣٪ عن التعبير عن رأيهم .

وكانت قد وجهت قبل هذا الاستفسار سؤالا اخر عن عدد اليهود الذين قتلوا في هذه الفترة . فأجاب ٢ بالمئة انهم عدة الاف ، و ٩ بالمئة انهم مئات الاف ، و ٢٢ بالمئة بين مليون ومليونين و ٣٨ بالمئة بين خمسة وستة ملايين و ١٠ بالمئة اكثر من عشرة ملايين بينما امتنع ١٩ بالمئة عن الاجابة. والاجابات تظهر ان حوالي ثلثي الفرنسيين (٦٢٪ بالضبط) لا يعلمون ما هو العدد المعلن عنه لضحايا النازية من اليهود ، بينما يجمعون تقريبا على ادانة هذه المجازر بشكل خاص . وشبه الاجماع هذا يفسر الى حد بعيد سطوة الدعاية

الصهيونية منذ ذلك الحين وحتى حرب ١٩٦٧ على مجموع الرأي العام الذي لم يكن يفرق بين المسالة الفلسطينية والمسالة اليهودية ، ويرى في النضال العربي ضد اسرائيل تجديدا لمآسي يهود اوروبا .

العنصرية ضد العرب : في استفتاء أجرته الشركة الفرنسية للدراسات الاحصائية « سوفريس » ونشرته مجلة « لو نوفيل اوبسرفاتور » الاسبوعية في عددها الصادر في ١٩٦٧/١١/١ ، وجه السؤال التالي لعينة من سكان باريس الذكور العاملين : ما هو شعورك العام تجاه : اليهود ، السود ، العرب ؟ فاظهرت الاجابات ان هناك ٣٤ بالمئة عنصريون ضد اليهود مقابل ٥٢ بالمئة ضد السود و ٦٥ بالمئة ضد العرب . كما اظهرت ، ردا على استفسارات اخرى النسب التالية :

ـ ليسوا عنصريين ضد اليهود او ضد العرب : ٣٤٪ . ـ عنصريون ضد اليهود اكثر من عنصريتهم ضد العرب : ٣٪ . ـ عنصريون ضد العرب اكثر من عنصريتهم ضد اليهود : ٤٤٪ . ـ عنصريون ضد العرب واليهود سواء : ٢٠٪ .

وحسب الانتماء الديني لعناصر العينة ، جاءت النسب كما يلي :

	المجموع	الكاثوليك	غير الكاثوليك
ضد اليهود	٣٤	٤٠	١٩
ضد السود	٥٢	٥٨	٣٣
ضد العرب	٦٥	٧٣	٤٣

ورغم الاختلاف البسيط بين ارقام هذا الاحصاء والارقام التي تحدثنا عنها في الاحصاء السابق (وذلك يعود لاختلاف العينتين) الا انهما يظهران، وسيما الثاني منهما ، حقيقة مهمة بالنسبة للرأي العام الفرنسي : وهي ان العنصرية ضد العرب تفوق بكثير العنصرية ضد اليهود (والنسب تكاد تكون مضاعفة) . كما تظهر ان الكاثوليك اشد عنصرية (بنسب تكاد هي ايضا تكون مضاعفة) من الطوائف الاخرى (أي البروتستانت بشكل رئيسي) . وكل ذلك يعود لاسباب تاريخية . ولا شك ان حرب التحرير الجزائرية وانتصار الشعب الجزائري فيها قد لعبت في هذا المجال دورا هاما. فرغم ان اغلبية الفرنسيين في اوائل الستينات (قبل الاستقلال الجزائري) كانوا معارضين للحرب الاستعمارية وقابلين بفكرة « الانفصال » : الا ان هزيمة الامبراطورية الفرنسية في معركة وضعت فيها كل ثقلها العسكري والسياسي والادبي تركت في نفسية الفرنسي المتشبع بالايديولوجية الشوفينية السائدة ، اثرا عميقا (لا يقارن بالاثر الذي تركته معركة ديان بيان فو وهزيمة الجيش الفرنسي في الهند الصينية عام ١٩٥٤) . وذلك ان الفرنسيين عاشوا خلال سبع سنوات ونيف هذه الحرب بشكل مباشر ، اذ القى الجيش الفرنسي بكل ثقله واشرك المجندين الشباب من جهة ، بينما وضع المناضلون الجزائريون حربهم الى فرنسا حيث يقيم مئات الالاف من العمال من ابناء وطنهم .

وان كانت فرنسا تعتبر في ذلك الحين الاراضي المحتلة في افريقيا مثلا مستعمرات ، الا ان الجزائر كانت معتبرة جزءا من فرنسا نفسها تسري عليها مبدئيا نفس القوانين . وهذه الـ « مبدئيا » طبعا ذات اهمية قصوى ، اذ ان الحكم الفرنسي اكتفى في الواقع بدمج خيرات الجزائر ولم يعط الجنسية الفرنسية مثلا الا للمستوطنين الاوروبيين ولليهود الجزائر (بحكم قرار كريميو في عام ١٨٧٠). وهذه التفرقة العنصرية الى جانب الاستغلال الاقتصادي البشع الذي كان يمارسه المستوطنون لعبت دورا اساسيا في تفجير ثورة الشعب الجزائري وفي « انفصال المقاطعات الجزائرية عن الوطن الام » .

والى جانب هذا الماضي القريب ، هناك واقع ما زال يعيشه الفرنسيون وهو وجود حوالي مليون عامل جزائري وبعض المغاربة والتونسيين يقدمون باسعار منخفضة قوة عملهم للمجتمع الرأسمالي الفرنسي . وهؤلاء « المهاجرون » (كما يدعون) يمتهنون في اغلب الاحيان الاعمال الشاقة والمعتبرة اعمالا دنيا (كالبناء وتعبيد الطرق) . ويعيشون مقابل ذلك في مساكن بائسة وكئيبة لا تختلف كثيرا عن مخيمات لاجئينا، وتسمى مدن التنك . وهم لذلك يعتبرون في أسفل « السلم الاجتماعي » ، ويشكلون في الواقع المجموعة المضطهدة والمستغلة (بفتح الغين) اكثر من غيرها داخل هذا المجتمع .

وهذا الواقع الاجتماعي الى جانب تغذية النعرات العنصرية التي تقوم بها الصحافة ووسائل الاعلام

الفاشية واليمينية (التي تجد مجالا حرا هنا بعد ان اصبحت اللاسامية عارا) ، كل هذا يديم الشعور العنصري ضد الجزائريين (ومن خلالهم ضد العرب بشكل عام) ويجعله من أهم الامراض الاجتماعية والاخلاقية التي يعاني منها المجتمع الفرنسي .

فلا غرابة اذا بأن تظهر التيارات المحافظة واليمينية أبان عدوان حزيران ١٩٦٧ ، حماسها الجنوني في تأييد اسرائيل التي بدت لها « كأمير الانتقام » الذي اقتص من العرب لما ارتكبوه ضد الامبراطورية الفرنسية . ولا غرابة بان يرفع معظم اللاساميين اصواتهم تضامنا مع « قلعة الغرب » في الشرق الاوسط : فقد ظهرت كراهيتهم للعرب اقوى من كراهيتهم لليهود (رغم ما ذاقه هؤلاء على ايديهم اثناء الاحتلال النازي) .

تطور المواقف بعد حرب ١٩٦٧

بعد استعراض العناصر الرئيسية التي تتحكم في مواقف الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية ، نأتي الى الاستفتاءات التي أجرتها المؤسسات الفرنسية سيما بعد عدوان ١٩٦٧ . ومن الضروري ان نؤكد هنا على ان هذه الاستفتاءات لا تعدو كونها اداة سهلة لابراز الصورة الشاملة ، ولا تشكل باي حال من الاحوال احصائيات علمية دقيقة وكاملة. فبالاضافة الى صعوبة اختيار عينة ممثلة فعلا للمجموع، هناك صعوبات اخرى تقف حائلا دون دقة الاحصاء (ونكتفي هنا بالاشارة الى طريقة طرح السؤال ، الذي يؤثر كثيرا على نوعية الجواب). وان كنا سنرى ، خلال استعراضنا للاستفتاءات الحديثة ، اهمية صيغة الاستجواب ، الا اننا نستطيع ان نؤكد — من خلال دراسة الاستفتاءات المتعلقة بالوضع الداخلي الفرنسي — جدية اختيار العينة وتمثيلها للشعب الفرنسي ككل ، نظرا لتطور علمي الاحصاء والاجتماع.

سنبدأ بسلسلة استفتاءات اجرتها المؤسسة الفرنسية للراي العام ما بين حزيران ١٩٦٧ وكانون الثاني ١٩٧٠ ونشرتها مجلة باري ماتش الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٤ . الاستفتاء الاول جرى ابان الحرب والاخير بعد الازمة التي نشبت من جراء تسلم البوارج الحربية الفرنسية الصنع لاسرائيل ، بينما اجري الثاني في نهاية صيف ١٩٦٧ والثالث بعد ضربة مطار بيروت وقرار حظر شحن الاسلحة الذي اتخذه ديجول .

والسؤال كان بالتحديد : في الصراع الحالي بين اسرائيل والدول العربية، الى اين تتجه عواطفك، الى اسرائيل ، الى الدول العربية ، لا لاحد من الطرفين ؟ وكانت النسب المئوية للاجابات كالتالي:

	حزيران ١٩٦٧	ايلول ١٩٦٧	كانون٢ ١٩٦٩	كانون ٢ ١٩٧٠
الى اسرائيل	٥٦	٦٨	٣٥	٣٣
الى الدول العربية	٢	٦	٧	٦
لا لاحد من الطرفين	٢٨	١٦	٣٩	٤٣
بدون رأي	١٤	١٠	١٩	١٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وقبل ان نحاول استخلاص الدروس من هذه الارقام ، لا بد من الاشارة الى اللبس الذي ينشأ من اسلوب طرح السؤال : فمقابل اسرائيل لا ذكر مثلا للشعب الفلسطيني ولا لدولة عربية محددة ، وانما للدول العربية ككل ، وفي ذهن الفرنسي تمر صور دول مختلفة التطور ومتفاوتة التمثيل الشعبي والنضالي ، فالعطف الذي قد يكنه لدولة ما او لمجموعة دول يبطله مثلا نفوره من دولة او دول اخرى ، هذا اذا لم نتكلم عن المقاومة الفلسطينية التي تثير في مخيلة الكثير من الفرنسيين ذكريات مقاومتهم للنازية منذ ربع قرن . ولا شك ان ذلك يفسر ضآلة نسبة المتعاطفين مع « الدول العربية» والتطور البسيط لهذه النسبة خلال الاعوام الثلاثة الماضية ، في نفس الوقت الذي فقدت فيه اسرائيل عطف ثلث الشعب الفرنسي . (من ٦٨ بالمئة في ايلول ١٩٦٧ الى ٣٣ بالمئة في كانون الثاني ١٩٧٠) . وان عنى هذا الاستفتاء شيئا فهو يعني على الاقل ان تطور الاحداث خلال الاعوام الاخيرة (وسيما بروز الشخصية النضالية الفلسطينية) استطاع في اسوأ الاحتمالات ان يحيد اكثر من ثلثي الرأي العام الفرنسي .

وفي الواقع ، اكتسبت الثورة الفلسطينية بالذات عطفا واسعا ، سيما في اوساط الجيل الناشيء . وفي اي حال ، فالمجال ما زال مفتوحا لكسب العناصر المحايدة حاليا ، طالما نجحت التطورات الاخيرة في احداث الخطوة الاهم ، وهي كسر طوق الدعاية الصهيونية والتزوير الاسرائيلي للتاريخ . وفي استفتاء اخر أجرته الشركة الفرنسية

للدراسات الاحصائية بين ١٦ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ ونشرته جريدة « لو فيجارو » الصادرة في ١٩٧٠/١/٢٩ ، ظهرت آراء الفرنسيين حول صفقة الاسلحة الفرنسية مع ليبيا كالتالي :

— ضد بيع الاسلحة لاية دولة في الشرق الاوسط ٥٥٪ .

— مع بيع الاسلحة لكل الدول بدون تفرقة ٢٩٪ .

— مع بيع السلاح لاسرائيل وحدها ٣٪ .

— مع بيع السلاح للعرب وحدهم ١٪ .

— مع بيع الاسلحة للعرب ، على شرط ان يسالموا اسرائيل ٣٪ .

— بدون رأي ٩٪ .

وفي الاجابة على سؤال حول السياسة الفرنسية الحالية في الشرق الاوسط ، ظهرت النسب كالتالي : مؤيدون ١٧٪ . معارضون ٤٩٪ . بدون رأي ٣٤٪ .

وردا على استفسار حول الدول الثلاث التي تشكل خطرا على فرنسا في السنوات العشر المقبلة ، ذكر المجيبون الدول التالية (بترتيب النسب) : الصين ٥٩٪ . الدول العربية ٣٩٪ . الاتحاد السوفياتي ٣٢٪ . المانيا ٢٨٪ . اليابان ٢٤٪ . الولايات المتحدة ٧٪ .

وفي استفتاء اخر أجرته نفس المؤسسة في نفس الفترة (كانون الثاني ١٩٧٠) بين سكان جنوب فرنسا وقراء الجرائد الاقليمية في تولوز وبوردو ومونبلييه ومرسيليا بالضبط — جاءت النسب في موضوع صفقة الطائرات الليبية كالتالي : مع الصفقة ١٣٪ . ضد الصفقة ٦٠٪ . بدون رأي ٢٧ ٪ .

وفي نفس الاستفتاء ، وحول حظر شحن الاسلحة لاسرائيل : ضد رفع الحظر ٤٤٪ . مع رفع الحظر ٣٦٪ . بدون رأي ٢٠٪ .

وعبر قراء صحف الجنوب عن رأيهم في حل «مشكلة الشرق الاوسط » بالاساليب التالية :

— باتفاق مباشر بين اسرائيل والدول العربية ٤٦٪ .

— عن طريق الدول الكبرى ٣٠٪ .

— عن طريق الامم المتحدة ١١٪ .

— بانتصار عسكري لاحد الفريقين ٨٪ .

واهمية هذه الاجابات بالنسبة لدراستنا جزئية ، ذلك لانها لا تدل على لوجود تيارات واضحة في الراي العام (مما يفسر بعض التناقضات) ، علاوة على تنوع الاسئلة وطرق طرحها . وقد اثبتناها هنا لتكون فقط نقطة انطلاق لتحليل مفصل .

من هذه الارقام نستطيع ان نستخلص النقاط التالية : ١ — التيار المؤيد لاسرائيل انخفض بنسبة كبيرة ، وهو يتأرجح اليوم حول ثلث الراي العام . ٢ — العطف على الدول العربية بمجملها في تطور بطيء ، وفي الغالب هذا التطور اهم واضخم بالنسبة للعطف على الثورة الفلسطينية . ٣ — المؤيدون لسياسة الحكومة الفرنسية في الشرق الاوسط (١٧٪) يشكلون ثلث المعارضين تقريبا (٤٩٪) . وهذا يعود غالبا لتناقض موقف الحكومة نفسها ، الذي لا يحكمه براي الكثيرين اي اعتبار مبدئي وانما الى حد بعيد اعتبارات مصلحية (كبيع شحنة الطائرات لليبيا التي لم تلق استحسانا عند غالبية الشعب الفرنسي ٦٠٪) وكون ٣٦٪ فقط من الفرنسيين مع اعادة شحن الاسلحة لاسرائيل ، يظهر عدم ارتباط الموقف تجاه سياسة الحكومة بالموقف تجاه قضية فلسطين نفسها . ٤ — الخوف من « الخطر » العربي (٣٩٪) والذي يعود غالبا لما ذكرناه عن العنصرية ضد العرب ، يتحكم في مواقف الفرنسيين بشكل اكبر من عطفهم على اسرائيل نفسها . ٥ — بشكل عام ، ورغم ان « قضية الشرق الاوسط » (كما تسمى) تثير اهتمام الفرنسيين اكثر من قضايا عالمية اخرى (نظرا للتداخل القديم بين التاريخ الفرنسي والتاريخ العربي من جهة وللمشكلة اليهودية من جهة أخرى) الا ان تفاصيل هذه القضية غير معلومة الا لقلة من المطلعين . واحكام الفرنسي العادي لا تعدو كونها ردة فعل سريعة تتحكم فيها قضايا عديدة (وأغلبها داخلية) .

وفي ختام هذه النظرة السريعة للتحول الذي جرى في الاعوام القليلة الماضية في مواقف الراي العام الفرنسي ، لا بد من التأكيد على ان هذا التحول قابل للتعميق اذا توفرت بعض الشروط ، اهمها تطور النضال الفلسطيني والعربي عامة واتضاح مواقفه السياسية واهدافه المرحلية والبعيدة ، فيما يتعلق مثلا بمستقبل يهود الارض المحتلة) ، ثم بناء علاقات ديناميكية فعالة مع الاوساط المتقدمة في المجتمع الفرنسي . وسنأتي في رسالة اخرى على دراسة لهذه الاوساط ولعامة القوى السياسية الفرنسية ومواقفها .

الرسالة الثالثة : من نعيم وبشارة خضر

كسب الرأي العام البلجيكي

من المعروف عادة ان بلجيكا احدى معاقل الصهيونية . ومن المعروف ان الراي العام البلجيكي يدعم اجمالا قيام الدولة الصهيونية في فلسطين . وبالفعل فالجالية اليهودية قوية اقتصاديا في بلجيكا ولها نفوذ لا بأس به في الاوساط السياسية والصحفية . اضف على ذلك ان الجالية اليهودية لها صحفها ووسائل اعلام خاصة بها تمولها وتوزعها مجانا في اكثر الاحيان . فهناك ما يسمى : « مركز الابحاث والاعلام للشرق الاوسط » الذي يشرف عليه ويموله الصهاينة والذي يصدر مجلة توزع مجانا على المئات من المثقفين خصوصا المدرسين واساتذة الجامعات . وهو الذي وزع على الصحف مؤخرا ترجمة لرسالة زعم ان السادات كتبها للمصور عام ١٩٥٣ يمتدح فيها هتلر ويعتبره الرئيس الزعيم الخالد لالمانيا . وهناك « مركز الدراسات اليهودية العليا » الذي يصدر كل عام عدة كتب وكراسات . وهناك صحيفة « لاتريبين سيونيست » التي تنشر الدعاية الصهيونية وتطالب بدعم اسرائيل المادي والمعنوي في كل صفحة من صفحاتها وحتى في كل سطر من سطورها .

وهناك ايضا المنظمات اليهودية . وهي في اجمالها نشيطة جدا . مثل جبهة الطلاب اليهود العلمانيين . واتحاد الطلبة اليهود التقدميين . واتحاد الطلبة الاسرائيليين ونادي الطلبة اليهود . وتعمل كلها بالتعاون والتفاهم مع السفارة الاسرائيلية . واما الصحف البلجيكية عامة فهي تدعم الفلسطينيين عادة عندما ينشب نزاع بينهم وبين الدول العربية . ولكنها تنحاز في اكثر الاحيان لاسرائيل في كل ما يتعلق بتحرير فلسطين واقامة الدولة الديموقراطية . ونستثني منها طبعا وسائل الاعلام اليسارية التي تدعم عادة وجهة النظر الفلسطينية . ولكن دعمها فتر في الاونة الاخيرة شأنها في ذلك شأن اليسار الاوروبي عامة الذي تعود ان يدعم حركات التحرر عندما تكون قوية ثم يتناساها او يهملها عندما تتعرض للازمات والصعوبات . واذا استثنينا بعض الصحف المحلية الصغيرة يجوز القول بأن الصحيفة البلجيكية الوحيدة التي تدعم المواقف الاسرائيلية هي صحيفة لوسوار . واكثر مقالاتها خطرا ما يكتبه لها مراسلها من الارض المحتلة فيكتور سيجيلمان .

ولا بد من ذكر الدعم السياسي والمعنوي الذي تغدقه على اسرائيل بعض الشخصيات السياسية المعروفة . ونذكر منها « هوجاردي » وهو عضو في مجلس الشيوخ البلجيكي و« سيمونيه » وهو عضو في مجلس البرلمان ورئيس مجلس ادارة جامعة بروكسل الحرة ورئيس بلدية انديرليخت في بروكسل . وقد تم انتخاب كل منهما من جديد في الانتخابات الاخيرة التي تمت في بلجيكا في ٧ نوفمبر الماضي . وكان السيد هوجاردي قد بعث اثناء الحملة الانتخابية برسالة خاصة الى كل اليهود القاطنين في بلجيكا يشرح لهم دعمه اللامشروط لهم ولاسرائيل ويطلب منهم دعمه في الانتخابات ويعدهم بأن يظل عند حسن ظنهم في الدفاع عن اسرائيل والدعاية لاسرائيل على كل المستويات . وقد أحرز الصهاينة نجاحا اخر في الانتخابات الاخيرة اذ تم انتخاب جان جول في منطقة ليبج وهو يهودي وصهيوني معروف تبعثه السفارة الاسرائيلية للدفاع عن وجهات نظرها وشرح مواقف حكومتها في محاضرات عامة . وقد تم انتخابه ولاول مرة نائبا عن حزب اتحاد الفرنكوفون وهو حزب جديد حقق نصرا باهرا في الانتخابات الاخيرة . نكتفي بذكر هؤلاء مع العلم ان هناك العشرات لا بل المئات من الصهاينة او الداعمين للصهيونية في الاوساط السياسية والاقتصادية وحتى في المنظمات . فرابطة حقوق الانسان البلجيكية مثلا لم تتخذ حتى الان اي موقف واضح بخصوص ما تقترفه سلطات الاحتلال في فلسطين المحتلة خصوصا في غزة وذلك بسبب ما يمارسه عليها من ضغوط بعض اصدقاء اسرائيل او بعض الصهاينة ونذكر منهم ارونشتاين احد كبار مسؤوليها واحد اعضاء مكتبها الاداري .

ولن اتكلم عن نشاطات السفارات العربية في مجال الاعلام لعدة اسباب . اولا لان هذه النشاطات تكاد تكون معدومة . وثانيا لان كل سفارة تعمل للدعاية لبلدها . وذلك أمر طبيعي لاختلاف وجهات النظر بين الدول العربية والذي

ينعكس في نشاطات سفاراتها . ولكن لا بد من الاعتراف بالجهود التي يبذلها ضابط الاتصال في الجامعة العربية . وهي جهود موفقة وناجحة لكنها محدودة . وهي محدودة اولا بسبب عدم وجود ميزانية مستقلة ومهمة للاعلام . وثانيا لان مجلس السفراء العرب هو الذي يقرر في النهاية ويمول المشاريع التي يتقدم بها ضابط الاتصال . وهل من السهل ان يتفق السفراء العرب على موضوع مثل موضوع المقاومة الفلسطينية وخصوصا اذا ما تطرقت النشرة الى علاقات المقاومة مع بعض الدول العربية ؟ الا انه لا بد من الاعتراف بأن ضابط الاتصال قد بذل في مجال الاعلام في السنوات الماضية ورغم كل ما تعرض له من صعوبات جهودا جبارة .

وهناك لجان المناصرة . وهي كثيرة بالرغم من قلة المنتمين اليها . هناك لجنتان في بروكسل . لجنة فلسطين — بروكسل ولجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية ولهذه الاخيرة عدة فروع في مدن عديدة من بلجيكا . وهناك لجنة المناصرة في جامعة لوفان . وقد لعبت في الماضي دورا رئيسيا في الاوساط الطلابية في جامعة لوفان . وكان انشط العاملين فيها من الطلبة الفلسطينيين او العرب . ولكنها تفككت وضعفت في المدة الاخيرة . وهناك ايضا عدة لجان اخرى في المنطقة الفلمنكية او في مدينة ليج لا مجال لذكرها بالتفصيل . ولكن لا بد من ذكر قيام لجان مسيحية اهميتها انها تستطيع التغلغل في اوساط جديدة لا تستطيع اللجان الاخرى الوصول اليها . وقد قام وفد عن اللجان المسيحية في الصيف الماضي بزيارة للشرق الاوسط بالتعاون مع رابطة الخامس من حزيران في بيروت واجرى اتصالات بكل حركات المقاومة .

وكل هذه اللجان نشيطة وتصدر النشرات والبيانات وتبيع الكتب واللافتات والصور عن القضية الفلسطينية . وتبيع كذلك ادبيات حركة المقاومة ومنظمة التحرير والجبهات ومركز الابحاث . وتقيم المحاضرات وتعرض الافلام وتعقد المؤتمرات الصحفية . ولكنها لا تزال ضعيفة ولا اعتقد انها ستقوى في المستقبل . وذلك اولا لانعدام وجود اي تنسيق بين هذه اللجان المختلفة . فكل منها تعمل على حدة . وقد تم عام ١٩٦٩ اقامة لجنة وطنية مهمتها تنسيق النشاط والاعلام . ولكن هذه اللجنة تفككت ولم يبق منها الا اسمها . وكل المحاولات التي بذلت حتى الان لتوحيد هذه اللجان باءت بالفشل. السبب عدم وجود مسؤول فلسطيني قريب منها مؤهل من قبل منظمة التحرير للضغط عليها . ثم ان هناك خلافات شخصية بين المسؤولين عن هذه اللجان لانتمائهم الى احزاب سياسية مختلفة او لجناحين مختلفين من حزب واحد قديم انشق . الا ان هناك محاولة جديدة جدية بالتعاون مع ممثل اللجنة المركزية في باريس لتوحيد الجهود. ونشاطات هذه اللجان محدودة لان اتصالها يقتصر على بعض فئات الطلبة (اليسارية المتطرفة منها بشكل خاص) او العمال (خصوصا العمال العرب من شمال افريقيا) . كما ان انعدام المساعدات المالية لا يسمح لها باصدار نشرات جدية تستحق ان يقرأها المثقفون والعاملون في المجالات الصحفية والسياسية وذلك لانها تظل دعائية وسطحية . وما يضعف فعاليتها هي انها تصدر عدة نشرات صغيرة . ولو تكاتفت لاصدار نشرة واحدة جدية عميقة ذات مستوى عال لحققت المزيد من الاهداف الاعلامية التي تعجز عن تحقيقها الان . وهذا يعود ايضا الى انعدام التنسيق والى كون كل لجنة تدعم منظمة فلسطينية معينة . ونكون بذلك قد نقلنا خلافات المقاومة الى الساحة الاوروبية . وهذا في نظرنا خطأ فاحش .

واما الطلبة الفلسطينيون فيبذلون جهودا جبارة في مجال الاعلام والتعاون مع اللجان واتحادات الطلاب . الا ان محاولاتهم تظل فردية اولا لقلة عددهم : فمجموع الطلبة الفلسطينيين في بلجيكا لا يزيد على ١٥ طالبا الاكثرية الساحقة منهم لا تتقن اللغة الفرنسية وتنقصها المعلومات والاطلاع الوافي عن تاريخ القضية الفلسطينية وملابساتها وطريقة عرضها على المستمع الغربي . وقد تم تشكيل اتحاد لطلبة فلسطين منذ عامين ولكنه ظل ضعيفا ومنقسما على نفسه لاسباب لا مجال لذكرها هنا . ولذا ظلت كل المحاولات من ناحية الطلبة الفلسطينيين فردية .

الا ان هناك شخصيات عديدة وفي كل المجالات تدعم المقاومة الفلسطينية وتعمل على الدفاع عنها وخصوصا في الاوساط اليسارية والجامعية . ونذكر هنا بعض هؤلاء : الاستاذ مارسيل ليمان وهو استاذ في جامعة بروكسل الحرة ومحرر مجلة

« مي » التقدمية (وهو يهودي ومن الد أعداء الصهيونية) والسيد نائان مايتشتوك وهو محرر في مجلة « لا جوش » التروتسكية ومحام مشهور ومعيد في جامعة بروكسل الحرة . وقد نشر كتابا مفصلا « الصهيونية ضد اسرائيل » حطم فيه كل النظريات الصهيونية وكتابا آخر قيما عن «الحركات الثورية في العالم العربي » ومن المؤسف ان تكون مجلة شؤون فلسطينية قد نشرت نقدا للكتاب الاول خصوصا وان الاخطاء اذا ما صحت هذه التسمية لا تساوي ١ ٪ مما جاء في هذا الكتاب القيم الذي وجه الى الصهيونية طعنات في الصميم . ويكفي القول بأن نائان مايتشتوك لا يدع مناسبة تفوت الا ويدعم المقاومة الفلسطينية مما أكسبه عداء الاوساط الصهيونية التي تخشاه وتخاف لسانه واطلاعه . وهناك أيضا الاستاذ جان سالمون رئيس معهد الحقوق الدولية في جامعة بروكسل وعضو المكتب الاداري في اتحاد القانونيين الديموقراطيين وايزابيل بلوم من مجلس السلام الدولي ومدام بيرسون والصحفي ويلي ستراوزن والاستاذ في جامعة لوفان فرانسوا هوتارت وكثيرون غيرهم . وكل من هذه الشخصيات يعمل وحده او لا يعمل . ولكنهم يرغبون كلهم في العمل من أجل القضية الفلسطينية . ولكن في أي مجال ؟ يقومون بالمحاضرات عندما يجدون من يعد لها . ويكتبون المقالات عندما يجدون من ينشرها . ولكن ينقصهم من يكون حلقة الاتصال فيما بينهم . ولذا هناك اقتراح لاصدار مجلة عن القضية الفلسطينية تصدر كل شهرين يشرف على تحريرها عشرة من هؤلاء الشخصيات الجامعية وغيرهم من الشخصيات السياسية وتوزع مجانا في الاوساط المثقفة او السياسية ويباع قسم من اعدادها . ولكن بقيت هناك مشكلة التمويل . فهم مستعدون تغطية قسم من التكاليف . ولكن من يمول القسم الباقي ؟ فقد سبق للاستاذ ليبمان ان أصدر مثل هذه المجلة منذ سنتين بمساعدة من السفراء العرب . ولكن العدد الثاني لم يصدر أبدا . وتبذل الجهود حاليا لايجاد جهات تمول مثل هذه المجلة التي ستملأ فراغا في الاعلام الفلسطيني هنا على أن تحافظ المجلة على استقلالها عن السفارات العربية وتبقى على اتصال وثيق ومستمر بالمقاومة الفلسطينية وحدها وتحاول فقط فضح الصهيونية واهدافها وتكذيب ما تروجه هنا من معلومات وتشرح وجهة نظر المقاومة الفلسطينية ككل دون الدخول في نقاشات جانبية لها أهميتها في الشرق الاوسط ولكنها تضر القضية اذا ما توغلنا فيها لدى وامام الراي العام الغربي .

ونورد الان بعض النشاطات التي قامت بها لجان المناصرة او أصدقاء المقاومة الفلسطينية في بلجيكا كمثال على المساعي الاعلامية في بلجيكا .

اجتمع بعض الشخصيات من أصدقاء الثورة الفلسطينية في شهر اوكتوبر الماضي لاتخاذ موقف من مؤتمر « العدالة والسلام في الشرق الاوسط » الذي كان من المقرر ان يعقد في مدينة بولونيا . وقد حضر هذا الاجتماع مبعوث فرنسي من باريس لاقناع الوفد البلجيكي الذي اشترك في مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذي انعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٩ للاشتراك في مؤتمر بولونيا . الا ان الوفد البلجيكي رفض التعاون في اعداد هذا المؤتمر والاشتراك فيه اذا لم يدع اليه ممثلون عن المقاومة الفلسطينية . وبعثت رسالة بهذا المعنى الى السيد فانتي الايطالي المسؤول عن الاعداد لهذا المؤتمر يستنكر فيها اعضاء الوفد البلجيكي عدم وجود فلسطينيين عن المقاومة بينما ستوجه الدعوة الى اسرائيليين والى يهود من الولايات المتحدة . وقرر الوفد البلجيكي مقاطعة المؤتمر والاجتماعات التحضيرية له .

قامت لجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية بتنظيم عدة محاضرات حول موضوع « نحن عائدون من الاردن » و« المقاومة مستمرة » على أثر عودة بعض المسؤولين في اللجنة من جولة في الشرق الاوسط . وشرحوا صمود الثورة الفلسطينية وتكلموا عن الوضع في الشرق الاوسط . وقامت لجنة فلسطين في بروكسل باعداد اجتماع اعلامي بمناسبة بدء شهر رمضان دعت اليه عددا من العمال العرب المغاربة . وقد أصدرت هذه اللجنة الاخيرة نشرتها الشهرية « بالسطين ان لوت » التي تصدرها بالفرنسية والعربية . كما أصدرت اللجنة الاولى نشرتها الشهرية « سوليداريتيه بالستين » .

يقوم السيد لالمان وهو محام مشهور ميوله صهيونية باعداد رحلة الى اسرائيل يشترك فيها المحامون البلجيك الشباب وبأسعار مخفضة . وقد كتب السيد سالمون عن اتحاد القانونيين الديموقراطيين

رسالة بعثها الى السيد لالمان يطالب بالغاء هذه الرحلة مستندا بذلك الى حجج قانونية والى العدوان الاسرائيلي واحتلال الاراضي العربية . وهناك جهود ستبذل لتوعية بعض المشتركين بهذه الرحلة اما لاقناعهم بعدم الاشتراك او على الاقل للفت انتباههم الى بعض الوقائع التاريخية المهمة لئلا يقعوا في فخ الدعاية الصهيونية .

قامت لجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية بتنظيم محاضرة عامة في ١٩٧١/١٢/٣ حضرها ما يزيد عن ٢٠٠ شخص وتكلم فيها نقابيون ثلاثة عن العلاقة بين نضالهم النقابي والثورة الفلسطينية . وكان بين المتكلمين مسؤول نقابي بلجيكي مشهور ومسؤول نقابي فرنسي ومسؤول نقابي ايطالي .

تم ارسال كتاب الى رابطة حقوق الانسان فرع جامعة لوفان لشرح اوضاع الفلسطينيين في الاراضي المحتلة وطلب اتخاذ موقف واضح من خرق الصهاينة المفضوح والمستمر للاتفاقيات الدولية وحقوق الانسان . وقد طلب من الرابطة تجميع الوثائق حول هذا الوضع وحتى ايفاد ممثلين عنها الى البلدان العربية في الشرق الاوسط لاعداد تقرير واف تقوم بنشره لتوعية الرأي العام البلجيكي . وقد رد رئيس الرابطة ووعد بأن يعرض هذا المشروع في الاجتماع المقبل للرابطة على المكتب الاداري .

نشرت صحيفة لا ليبر بلجيك التي تمثل وجهة نظر الحزب المسيحي المحافظ مقابلة صحفية أجرتها مع البطريرك مكسيموس الخامس . وندد البطريرك بالاحتلال الصهيوني وادان خصوصا محاولة اسرائيل لتهويد القدس وترحيل سكانها العرب .

وتساءل اذا ما كان يحق للصهيونية أن تحتل اراضي شعب اخر لا لشيء الا لانها الاقوى. واضاف ان العرب واليهود كانوا يعيشون في سلام وتفاهم قبل قيام اسرائيل وان العداء ولد بولادتها. وتساءل كيف نطالب الشعب الفلسطيني ان ينسى ويصفح وقد طرد من أرضه ووطنه ؟ كما وجه نداء الى الرأي العام المسيحي من أجل حماية القدس . وردت السفارة الاسرائيلية على البطريرك ردا سخيفا . فتصدى لها سفير لبنان يفند بسذاقة ما قدمته من أدلة .

وتقوم حاليا الاوساط المناصرة للثورة الفلسطينية بأرسال البرقيات الى الرئيس السادات تطلب منه اطلاق سراح المناضلين الفلسطينيين الذين نفذوا حكم الاعدام بوصفي التل . والجدير بالذكر ان الصحافة البلجيكية لم تدن ما قام به الفلسطينيون الذين اغتالوا رئيس الوزراء الاردني ولكنها قالت أن ذلك يوجه الاضواء من جديد على الشعب الفلسطيني الذي ظنه الكثيرون قد انتهى بانتهاء المقاومة في الاردن .

والجدير بالذكر ان الرأي العام البلجيكي يميل كل يوم اكثر الى دعم الشعب الفلسطيني في نضاله وذلك بالرغم من كل ما تبذله الجهات الصهيونية من جهود . يرفض البلجيكي عادة دعم الدول العربية في نضالها ضد اسرائيل . ولكنه لا يتردد في دعم قضية الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقوقه كاملة . وهذه فرصة يجب الا نفوتها . ولذا يجب تنسيق الجهود ومضاعفتها من أجل اعلام فلسطيني مركز وجدي لكسب الرأي العام هنا. فكل الظروف الان في صالحنا . هذه فرصة ذهبية يجب الا نفوتها .

الرسالة الرابعة : من الدكتور ادوار سعيد

اليسار الاميركي والقضية الفلسطينية

سأحاول أن أعرض وضع الحركات التي تهتم بشكل جدي بالوضع في الشرق الاوسط من زاوية يسارية بحتة . واول ما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو أن الحركة المعادية للحرب في فيتنام تعتبر القوة اليسارية الرئيسية في الولايات المتحدة ، ولكن منذ محاكمات مؤامرة شيكاجو(١) في ١٩٦٩ — عندما حالت دون خوض جونسون لمعركة الرئاسة من جديد — واليسار الاميركي يعيش في حالة من التشتت والارتباك ، ولمحاكمات شيكاجو هذه أهمية خاصة في التاريخ السياسي الاميركي لان الدولة ، بموجب قانون التآمر ومحاولة التحريض على الشغب ، ذلك القانون المطاط ، قدمت للمحاكمة آنذاك عناصر يمثلون مختلف أجنحة اليسار(٢)، كما أن هذه المحاكمات أخمدت وبشكل قاطع صوت تنظيمات مختلفة مثل منظمات السود(٣)، وجمعية الطلبة الديمقراطيين، وحركات الشباب ومنها حركة الهيبيين الدولية وروبن وهوفمان ودعاة السلم والمنظمات الراديكالية او الفوضوية . ومنذ ذلك الوقت ، أي حوالي نهاية ١٩٦٩ وبداية ١٩٧٠ شهد اليسار ظاهرة التشرذم الى فصائل متنافسة فيما بينها ، فمثلا انشقت جمعية الطلبة الديمقراطيين الى ثلاث او أربع منظمات ، وفي داخل كل منها أجنحة متصارعة يدعو كل منها الى هذا البرنامج أو ذاك ، وآخر ما تعرض له اليسار هو محاكمات بريجان او تهمة بريجان التي وجه بموجبها مذكرات اتهام الى سبعة اشخاص — تسيسين وثلاث راهبات ، وعالم فيزياء ، واقبال احمد ، استاذ العلوم السياسية الراديكالي الذي يعبر عن وجهة نظر اممية ثالثة والذي كان يقيم في شيكاجو . وكل ذلك يعني ان الادارة ركزت جهودها على تحطيم اليسار المنظم من خلال محاكمات شيكاجو في ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، وهم الان يركزون على بقايا الحركات الراديكالية المعادية للحرب والتي لا تتركز الان فحسب في نفوس الناس وفي الكنيسة . وبالاضافة لذلك ، فان ملاحقتهم لآخر عالم سياسي

---

١ — في الحقيقة لم تكن مؤامرة بالمعنى المتعارف عليه بل محاولة قامت بها الحكومة لجعل قانون التآمر مطاطا جدا ، والطريف عن الاشخاص الثمانية الذين حوكموا هو انهم لم يكونوا يعرفون بعضهم بعضا ، فكل ما كانت تريده الحكومة هو ان يكون لدى هؤلاء النية ذاتها لتوجه لهم تهمة التآمر المشترك ، كما انها كانت محاولة من السلطة لاخماد صوت العناصر الانشقاقية في المجتمع بطرق « قانونية » ، فجميع المتهمين ينتمون الى منظمات كالفهود السود وجمعية الطلاب الديمقراطيين ومنظمات اليسار الجديد .

٢ — المشكلة في اليسار الاميركي هي ان غالبيته من اليهود الذين غالبا ما يعربون عن قلقهم عما يمكن ان يحدث « لاخوانهم » في اسرائيل ، ولما كانت الصحافة تحاول أن تصور الثورة الفلسطينية وكأنه ليس لها اي بعد اجتماعي ، اعتقد انه من الضروري بالنسبة لنا ان نصور الثورة كجزء من ثورة عربية شاملة ، وفي الوقت نفسه محاولة لايجاد مستقبل أفضل يشمل اليهود كذلك ، وهنا لا بد من الاشارة الى انه لا يكفي الحديث عن الدولة الديمقراطية العلمانية العتيدة في فلسطين بل يجب توضيح كيفية اقامة هذه الدولة ، ومحتواها الاجتماعي والاقتصادي ، وذلك لنزع اسطورة القاء اليهود في البحر من عقول اليساريين وغيرهم .

٣ — تركز اليسار بين السود خلال السنتين الماضيتين في الفهود السود ، ولكن لم يبق من هؤلاء سوى اسمهم بعد ان تعرضوا لحملة عنيفة من الاعتقالات والقتل ، وهناك ايضا التروتسكيون الذين نجح اليهود ومكتب التحقيقات الفيدرالي في التسلل الى صفوفهم ، ولكن مؤخرا حاول اعضاء سابقون من الفهود السود اعادة تنظيم صفوفهم ، ولكنهم يواجهون ليس مشكلة رجال الامن فقط بل ايضا مشكلة المخدرات ، وقد حدث ان الشرطة استجوبتهم وضايقتهم عند عودتهم من زيارة قاموا بها للشرق الاوسط .

راديكالي بارز يمثل وجهة نظر العالم الثالث ، أي اقبال احمد ، هي جزء من عملية التركيز هذه . والمؤامرة كما اخرجوها سخيفة وحتى ان «نيويورك تايمز» وصفتها بأنها عبارة عن رواية من مخيلة احدهم ، ربما كان هوفر ، فهي تربط ما بين الكنيسة ودعاة السلم والكويكرز واقبال الذي يعتبر صديقا للعرب ، وله عدة كتابات عن المسالة العربية — اليهودية ككاتب ثوري يمثل وجهة نظر العالم الثالث . وقضية الاخوين بريجان ، المتهمين الرئيسيين ، ليست سوى تعبير عن جو الكبت الرهيب الذي تعيشه اميركا حيث يوجد عدد لا يحصى من المواطنين والمقيمين الذين تخضع مكالماتهم الهاتفية ورسائلهم للمراقبة على يد اشخاص منتشرين في جميع أرجاء البلاد ، واعني بذلك ان المخابرات العسكرية لوحدها تقوم بمراقبة مئتي الف او ثلاثمئة الف شخص ، وكذلك يفعل مكتب التحقيقات الفيدرالي والبحرية وربما دوائر حكومية اخرى . وما دام أجنيو وميتشل يعملان معا في خط واحد ، فليس هناك مجال تقريبا لاي شخص ليزوغ من وجه الرقابة او يبتعد عن الخوف، فكل مواطن معرض للتوقيف والاستجواب، وما حدث للاميركيين الذين زاروا الشرق الاوسط في العام الفائت، ومنهم بعض السود الراديكاليين، من استجوابات وتحقيقات ومعاملة قاسية على يد رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي او الشرطة هو خير دليل على ذلك . وفي الولايات المتحدة ايضا حركة طالبية ولكنها في حالة خمود أيضا ، وحتى ليس هناك ما يمكن تسميته حركة طالبية — فكما قلت فان جمعية الطلاب الديمقراطيين انشقت على نفسها ، كما ان عددا كبيرا من الطلاب يتركون الجامعة الى ... وأمور كهذه . ولكن هذا يجب ان لا يعني انعدام النشاط السياسي ، وذلك لان مثل هذا النشاط يتركز الان بشكل فعال في أيدي قلة من المنظمات التروتسكية(٤) التي لها تأثير على السياسة الخارجية الاميركية ، ومن هذه المنظمات حزب العمال الاشتراكي وغيره .

وبالاضافة لكل ما تقدم ، فان عامة المواطنين في اميركه غير آمنين ، من الناحية الاقتصادية(٥) ايضا ، فمعدل البطالة في ارتفاع — فهو يزيد عن الستة بالمئة التي يقولون عنها ، والناتج القومي الاجمالي في انخفاض ، والخدمات العامة ، كالبريد والهاتف والكهرباء وما الى ذلك ، تشهد انهيارا شاملا في جميع انحاء البلاد . لذا ، على المرء ان يكون مدركا لكل هذه الامور عندما يتعرض لمناقشة مختلف نواحي أزمة الشرق الاوسط وتأثيرها على الوضع الداخلي في اميركه .

وعند بدء مناقشتنا لهذا الموضوع لا بد من الاشارة الى ان الاشهر الستة الاولى من العام ١٩٧٠ في اميركه شهدت حملة واسعة النطاق لصالح اسرائيل اشترك فيها البنتاجون بقصد التوصل الى ايجاد تعاون عسكري اوثق ما بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي اواخر آب (اغسطس) اقترح السناتور فولبرايت عقد معاهدة امن متبادل بين الولايات المتحدة واسرائيل بهدف وقف تحويل اسرائيل الخفي قاعدة متقدمة للعدوان العسكري الاميركي في الشرق الاوسط ، وقد كان ذلك سببا لشن حملة عليه اشترك فيها المسؤولون العسكريون والحكوميون وكل من هو اسرائيلي أو يخضع لنفوذها ويؤيد سياستها . وكذلك فقد وصف اقبال احمد رحلة نيكسون في دول حوض البحر الابيض المتوسط في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٠ بانها محاولة لخلق حلف متوسطي على غرار حلف شمال الاطلسي تكون اسرائيل الشريك الشرقي الرئيسي فيه مع اليونان واسبانيه والبرتجال وايران لتطويق الاتحاد السوفياتي من الشمال ، واستراتيجية جنوبية لتطويق الوجود السوفياتي في سوريه ومصر عن طريق ايران في الشرق واسرائيل في الوسط والمغرب في الجنوب . ويقضي جزء من هذه الخطة بابقاء يوجسلافيه على الحياد ، وينص جزء آخر على قانون المساعدات العسكرية الخارجية التي

---

٤ — ان التروتسكيين هم الفصيل الرئيسي في اليسار الاميركي الذي كان يقف دائما الى جانب الفلسطينيين ، وذلك لادراكهم ان الثورة الفلسطينية تناضل لتحقيق مبادىء تتوافق وايديولوجيتهم ، وتأييدهم هذا للفلسطينيين افقدهم كثيرا من التأييد في اميركة .

٥ — لم يتمكن اليسار في اميركة من التصدي للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع الاميركي كما انه ليس هناك اي تعاون حقيقي بين الفئات اليسارية والحركة العمالية .

تبلغ ١٩٠٥ مليار دولار والذي أقره الكونجرس في آب ١٩٧٠ مع ترك الباب مفتوحا لمنح اسرائيل ما تريده من المعونات . وبالفعل اعلنوا انهم سيمنحون اسرائيل حوالي نصف مليار دولار هذا العام ونصف مليار اخرى في العام القادم ، ولكن وكما لاحظ بعض الشيوخ ، القصد من ذلك هو ان المعونات يمكن ان تتخطى ذلك كثيرا ، ولا شك ان هذا لامر خطير . وبالاضافة الى ذلك ، ظهرت مقالة في « نيويورك تايمز » كتبها بنيامين وست في اوائل اكتوبر ١٩٧٠ كشف فيها انه كان هناك نوع من التفاهم الاميركي الاسرائيلي بالتدخل في الاردن خلال حوادث الاردن في ايلول ١٩٧٠ وذلك مع موافقة ضمنية من السفارة الاردنية في واشنطن ، وذكر أحد مراسلي الصحيفة ان طائرات فانتوم الاسرائيلية حلقت بالفعل فوق الحدود الاردنية — السورية ، ولكنه لم يتحدث عما كانت تفعله هناك . وخلال خريف ١٩٧٠ عندما كانت حركة المقاومة الفلسطينية في أوجها شهدت الولايات المتحدة سيلا من المحاضرين على رأسهم جولدا مئير وابا ايبان ودايان واسحق رابين الذي كان يجوب البلاد عرضا وطولا في سلسلة من المحاضرات في النوادي والجامعات وحملات جمع التبرعات امتدت من ايلول حتى كانون الاول ، وكذلك شلومو افنيري واوري المري وسكرتيرة اوري افنيري(٦) التي جاءت الى بيروت وقابلت عددا من قادة المقاومة ، وايضا اوجوري ديفيز ، داعية السلم الاسرائيلي الراديكالي ، وغيره من الجنرالات والكولونيلات ، واعضاء الكنيست ، وداعيد فكري من المسؤولين الاسرائيليين في الضفة الغربية المحتلة ، كل ذلك لاعادة الثقة باسرائيل خاصة بعد أن بدأ الليبراليون الاميركيون من امثال تشومبسكي(٧) يتحدثون عن الحيف الذي لحق بالفلسطينيين ، مما سبب الذعر في قلوب القادة الاسرائيليين وجعلهم يهرعون الى الولايات المتحدة بهذا الشكل . وهذا كله كان يهدف الى ربط الولايات المتحدة بالمصالح الاميركية على جميع المستويات ، ومحاولة كسب اي تأييد ممكن لاسرائيل واضعاف اي تعاطف نحو الفلسطينيين . مضافا الى ذلك ، هناك الموقف المعادي لما يسمى باليسار المعادي للشيوعية الذي يهيمن على الحياة الفكرية في اميركه بشكل عام وفي نيويورك وبوسطن على وجه التحديد ، وحملتهم على التحالف الذي قام بين الفلسطينيين والفئات التي تنتمي الى العالم الثالث مثل السود والبورتوريكيين والهنود ، ووصفهم لهذا التحالف بأنه ليس معاديا للصهيونية بل معاديا للسامية ، وعلى سبيل المثال ، كتب سيمور مارتن ليبست ، الاستاذ المشهور في هارفرد ، مقالة مطولة في « نيويورك تايمز ماجزين » بعنوان « اشتراكية الاغبياء » ، فهم يسمونها معاداة اليسار الجديد للصهيونية في حين انها في الحقيقة معاداة اليمين للسامية ، والمقالة عبارة

---

٦ — تدعى دانا زرهان ، تحمل جنسية مزدوجة اميركية واسرائيلية ، فاتنة ، القت سلسلة من المحاضرات في اماكن مختلفة من اميركة طوال شهري نوفمبر وديسمبر ، وقد استمعت اليها تلقي اربع محاضرات في يوم واحد في نيويورك . وتعرف عن نفسها ، كما يفعل افنيري ، بأنها اسرائيلية ولكنها قومية فلسطينية . وتحدثت عن زيارة قامت بها للمنطقة في ربيع ١٩٧٠ كصحفية اميركية حيث قابلت قادة المقاومة وزارت قواعد الفدائيين ومخيمات الفلسطينيين. وقالت انها قابلت نفرا من الجبهة الديمقراطية وصفتهم بأنهم ساذجون فهم يعتقدون ، على حد زعمها ، ان الصهيوني عبارة عن يهودي مضلل (بفتح اللام) ، ولا يدركون ان الصهيونية تجسدت في مجتمع قائم وراسخ .

٧ — تشومبسكي هو أحد اليساريين الحقيقيين الذي يتمسك ببيان ٦ أيار الذي اصدرته القيادة الموحدة للفدائيين وتطالب فيه باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين عن طريق تحطيم المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتماعية والمدنية والثقافية في اسرائيل ، ويعلق تشومبسكي على ذلك برفض اقامة دولة عن طريق تهديم دولة اخرى ، مع انه كان يجب عليه ان يفهم ما تقوله الجبهة الشعبية عن تحطيم هذه المؤسسات كما فهمه لينين من تحطيم الدولة البورجوازية لاقامة دولة تقدمية ثورية على انقاضها . ويعتبر تشومبسكي ايضا ان حركة المقاومة اصبحت حركة قومية واتخذ النزاع شكل صراع فلسطيني — يهودي ، وهذه هي ايضا الصورة السائدة في اميركة عن حركة المقاومة .

عن هجوم على كل من تربطه علاقة سياسية بالكفاح الفلسطيني في الشرق الاوسط ، وهذا بالطبع ينال قسطا وافرا من الدعاية والاهتمام ، وهناك ايضا النشاط الذي تقوم به رابطة الدفاع اليهودية ضد المؤسسات السوفياتية والديبلوماسيين السوفيات من أجل السماح لليهود في الاتحاد السوفياتي بالهجرة الى اسرائيل . واعتقد ان لهذا كله علاقة بشكل او بآخر باقامة دولة فلسطينية في الشرق الاوسط او في الاراضي المحتلة . وفي ١٦ اوكتوبر ظهرت مقالة كتبها هدريك سميث من واشنطن كشف فيها النقاب عن قيام وزارة الخارجية الاميركية ببحث جدي لاقامة دولة فلسطينية تكون عمليا تحت سيطرة اسرائيل بطريقة او بأخرى ، وستضم هذه الدولة عددا من المستعمرات الاسرائيلية في الداخل او على طول نهر الاردن ، كما سيتم الاتصال ببعض الشخصيات العربية مثل عزيز شحاده والجعبري وغيرهما ، وكذلك تم الانتهاء من وضع خطة لاقامة جامعة عربية في الضفة الغربية للاردن ، وسيجري احصاء للسكان واستفتاء وغير ذلك من الامور الاجرائية . وقد تم وضع هذه الخطة لدولة في الضفة الغربية في ندوة عقدت في واشنطن ، واشترك بها عدد من المهتمين بشؤون الشرق الاوسط ومنهم فلابينز وفلارهي ، وكانت باشراف معهد الشرق الاوسط الذي تشرف عليه وزارة الخارجية ويرئسه كار بيكارن . وفي الوقت نفسه اصدرت مؤسسة راند(٨) والشرق الاوسط كتابا أعده دون بريتز حول « الكيان الفلسطيني » من الناحية التاريخية . وهناك العديد من الاشخاص والجمعيات التي ما تزال تدرس وضع المنطقة والعلاقات الاسرائيلية العربية ، ومنهم جماعة الكويكرز فيشر وبولنغ ، وقد تركزت جميع هذه الدراسات على عدم قدرة العرب والفلسطينيين وغيرهم قبول خطة انسانية ، وعلى عدم وجود مقاومة في الضفة الغربية ، عسكرية او حتى سياسية . واكثر من يركز على ذلك هو اسحق رابين الذي يكرر في خطاباته دائما ان الوضع هادىء في الضفة الغربية ويستطيع المرء ان يقول ما يريد . وعندما يسأله احد عن غزة ، يقول انهم يقتلون بعضهم بعضا هناك ، انهم لا يهاجمون الاسرائيليين ، وهكذا فغزة التي تعتبر المكان الوحيد الذي توجد فيه شرارة حقيقية للمقاومة ، يعتبرونها في الولايات المتحدة مكانا يقتتل فيه العرب فيما بينهم .

وبالمقابل نرى ان نشاط المنظمات العربية في اميركا يؤدي الى اسوأ النتائج نظرا لكثرة هذه المنظمات وعدم التنسيق فيما بينها ومحاولتها القيام بأمور غير واقعية أو غير قابلة للتطبيق ، فلو أخذنا مكتب الاعلام العربي(٩)، نرى انهم يركزون سياستهم على ان الولايات المتحدة صديق ممكن يجب كسبه لجانبنا ، مع انه من السهل معرفة ان الولايات المتحدة ليست صديقا ممكنا بل انها في الحقيقة عدو لنا ، ولكن هدف المكتب هو كسب المتدينين الى جانب قضيتنا وكذلك اعضاء الكونجرس رغم عدم وجود امكانات مالية لديهم للقيام بذلك . واعتقد انه لا يمكن القيام بذلك الا اذا ارتكز على اسس صحيحة وسليمة ، ولذا فاننا نرى نشاط المكتب يتأرجح وغير مركز على نقطة محددة . وهناك ايضا منظمة التحرير الفلسطينية التي لها برامجها الخاصة ، ولا ادري ان كان ذلك بالتنسيق مع مكتب الاعلام العربي ،

٨ — راند عبارة عن هيئة مقرها في كاليفورنية وتعمل لصالح الحكومة الاتحادية. وقد اصدرت عدة دراسات ، ومنها « الراديكالية العربية »، كتبها شخص لبناني يقول فيها ان الراديكالية العربية كانت على المستوى الثقافي فقط ولم تكن ابدا عملية أو قادرة على التصدي للمشاكل. كما تقوم راند باعداد خطط دراسية لكافة فصائل حركة المقاومة ، ويعمل معها عدد من الاسرائيليين ، مثل شلومو افنيري ، وجنرال اسرائيلي اسمه بيليف صاحب النظرية التي تقول ان العنف ضروري للشخصية العربية ، وما علينا سوى احتواء ذلك العنف وجعله غير عملي وبذلك يصبح العرب اناسا طيبين . ومن ابرز العاملين معها دون بريتز اليهودي ، الذي يعتبر الموجه الرئيسي لها .

٩ — على مركز الابحاث في م.ت.ف. وغيره من المنظمات الفلسطينية التركيز على تقديم المعلومات التي لا تزال غير معروفة على صعيد الرأي العام في اميركا ، فاذا اثرنا وعد بلفور يثيرون بالمقابل قصة الستة ملايين يهودي الذين ابادتهم النازية ، لذا يجب اثارة مواضيع الساعة مع ربطها بالنفط والاسلحة والصناعة.

ولكن المشكلة بالنسبة للمنظمة هي عدم وضوح الجهة التي تنطق باسمها، فعندما تتحدث المنظمات والصحف الراديكالية عن الشرق الاوسط تتحدث عن فتح او الجبهتين الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين ، ولكن ليس منظمة التحرير ، فلا أحد يعرف من تمثل — ربما هي فريق كباقي الفرقاء . وعلى الصعيد الطلابي ، فان الطلاب العرب في الولايات المتحدة ينقسمون الى مجموعتين او ثلاث مجموعات بالاضافة الى الاخوان المسلمين ، ذلك التكتل القديم المحافظ ، وهناك ايضا الفريق التقدمي الذي يؤيد الفلسطينيين ، والمشكلة الرئيسية لهذا الفريق هي وصول معلومات قليلة له ، والمشاحنات التي تقع بين فصائل المقاومة . وبشكل عام ، فالمشكلة بالنسبة لهؤلاء الطلاب هي عدم تحديدهم لما يريدون ، فغالبا ما يطرحون شعارات عائمة دون التوجه الى العمل المنظم والجدي . ورغم وجود حوالي عشرة الاف طالب عربي ، فان نشاط الطلاب العرب غير ظاهر ومؤثر ، كالطلاب الايرانيين مثلا الذين لا يتجاوزون الالف ، فهم اكثر تنظيما واكثر بروزا في بعض المناطق .

الرسالة الخامسة : من سهير أحمد السكري

النشاط الصهيوني بين اليهود الاميركيين

تستهدف الحركة الصهيونية ، من يوم خروجها الى الوجود رسميا في مؤتمر « بال » المنعقد ١٨٩٧ ، أمرين هامين : تسخير كل المجتمعات اليهودية في جميع أنحاء العالم لخدمة اغراضها عن وعي ومن غير وعي ، وتأمين تعاون غير اليهود معها خدمة للاغراض نفسها ، سواء عن وعي أو غير وعي أيضا . وأغراض الصهيونية نابعة من مبادئها ، واهم مبادئها أن اليهود لا يشكلون طائفة دينية او مجموعة حضارية فقط ، بل هم قومية مستقلة حرمت من أرضها منذ هدم الرومان الهيكل الثاني ، ولكنها عاشت في «المنفى» محتفظة بكل خصائصها القومية عدا الارض وبمجرد توفر الارض تسترجع كل تلك الخصائص وتستكملها . ومثل هذا المبدأ يقتضي محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها بكل قوة وتنمية شعورهم بالانفصال عنها ، ولذلك جاء في برنامج « بال » للمنظمة الصهيونية العالمية الموضوع عام ١٨٩٧ أن الصهيونية تستهدف « تقوية وتغذية الاحساس والوعي القومي اليهودي » . بيد ان الصهيونية لم توقف نشاطها هذا بعد ان تحقق حلمها بتوفير الارض لليهود لدى خلق الكيان الاسرائيلي في جزء من أرض فلسطين عام ١٩٤٨، بل عمدت ، على العكس من ذلك ، الى زيادته وتصعيده بحجة حماية ذلك الكيان من تهديد العرب . ولذلك فلا غرابة في ان يقرر برنامج القدس الصادر عن المنظمة الصهيونية العالمية بعد حوالي عشرين عاما من خلق اسرائيل ، ان الصهيونية تستهدف « وحدة الشعب اليهودي وتامين مكان الصدارة لاسرائيل في حياة اليهود » وكذلك « حفظ ذاتية الشعب اليهودي عن طريق تغذية التعليم اليهودي والعبري فضلا عن حفظ القيم الروحية والحضارية اليهودية » .

والنشاط الصهيوني الموجه الى غير اليهود ، ولا سيما الجانب السياسي معروف في عمومياته ان لم يكن في تفاصيله ، وقد خبرته البلاد العربية بالذات وعانت من نتائجه كثيرا . ولكن النشاط الصهيوني

الموجه الى اليهود انفسهم اقل ظهورا . ولذلك فان هذا البحث سينصب على ذلك الجانب من النشاط، وهو على اشده في الولايات المتحدة التي تمثل منذ زمن طويل اكبر نصير ومعين لاسرائيل ، والتي يعتبر يهودها اكبر واغنى واقوى فئة في العالم .

وقد يرى البعض انه ليس ثمة حاجة الى نشاط صهيوني ليكون اليهود صهاينة ، او بعبارة أخرى ان كل اليهود صهاينة، ولذلك فان اي نشاط يهودي مهما كان هو نشاط صهيوني ، فلا يمكن التمييز بين الاثنين . الا ان في هذا الرأي شيئا من التبسيط لواقع الامور . اذ صحيح أن العقيدة الصهيونية تمثل جزءا لا يتجزأ من الديانةاليهودية، وان اليهود كانوا دائما يعزلون انفسهم اكثر من غيرهم من الاقليات الى حدود تضيق او تتسع حسب الزمان والمكان ، بيد أن هذين الامرين — واحدهما ديني والاخر اجتماعي — ما كان ليكون لهما كل ذلك الاثر من جمع كلمة يهود العالم وتسخيرهم لخدمة اغراض ذات منطويات سياسية عميقة الجذور ، لولا التنظيمات الصهيونية التي تغلغلت على مدى الايام الى كل نواحي حياة المجتمعات اليهودية ، من دينية وثقافية واجتماعية وسياسية ومالية ، بحيث اصبح من الصعب على اي يهودي ، مهما بلغ من استقلاله الفكري ، أن يتخلص من ربقتها .

وانا اؤكد على تعبير « المنطويات السياسية العميقة الجذور » للصهيونية لاوضح أن الاخذ بمبدأ كالصهيونية يستهدف قطع صلة فئة معينة بالمجتمعات التي تعيش بين ظهرانيها ليس بالامر الهين حتى في البلاد التي تمارس الحرية الفكرية والسياسية ، ناهيك عن البلاد التي لا تمارسها ، لما يثيره من شكوك في ولاء تلك الفئة ويضعه من عراقيل في طريق مساعيها للمساواة التامة مع بقية افراد المجتمع . وقد فطن لذلك بعض قادة اليهود بالنسبة الى الصهيونية ، كما لا يزال هناك من رجالهم من يعارضها ، الا ان الصهيونية حاربتهم بكل ما لديها من وسائل سعيا الى كتم اصواتهم وشل حركتهم بنفس الشراسة التي حاربت بها معارضيها من غير اليهود . وقد نجحت في حربها تلك الى حد كبير ، لانها لم تتورع عن استخدام أية وسيلة من الوسائل لتحقيق أهدافها ، وذلك على اساس أن « الغاية تبرر الواسطة » . وقد كانت بارعة جدا في استخدام تلك الوسائل ، فلكل وسيلة زمانها ومكانها وهدفها ، كما ان المنهج الذي اتبعته كان منهجا كليا يقوم على اساس سد جميع « الثغرات » وعدم ترك شيء للظروف . ونتيجة لذلك نجد ان برنامجها « المتعدد الوجوه » يتحكم الان في اليهود من المهد الى اللحد ، دون وعي منهم في الكثير من الحالات . وهدف هذا البحث هو أن يشرح بايجاز بعض مظاهر ذلك البرنامج واهدافه ووسائله وطرق تنفيذه ، لما فيها من فائدة للقارىء العربي ، اذ لا يمكن مقاومة شيء دون فهم حقيقته .

الذاتية اليهودية

قلنا أن أهم غايات البرنامج الصهيوني منذ عام ١٨٩٧ هو تنمية الوعي القومي اليهودي بين يهود « المنفى » توطئة لانشاء « الوطن القومي اليهودي » . والمنطق يقضي ، بعد نشوء هذا « الوطن القومي اليهودي » في صورة «اسرائيل»، بأن يرحل من تكون لديه هذا « الوعي القومي » الى اسرائيل ، وان يترك يهود « المنفى » وولاؤهم القومي للبلاد التي يعيشون فيها . ولكن الصهيونية، كدأبها دائما ، تريد أن تمسك بالعصا من طرفيها . فهي تعرف جيدا أنه لولا يهود « المنفى » ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، لما امكن لاسرائيل البقاء طويلا ، وهي تحرص لذلك على ابقاء جذوة « الشخصية القومية اليهودية » متقدة في صدور كل اليهود . بيد انها تعلم أن في السبيل الذي تسلكه لبلوغ هذا الهدف شيئا من الوعورة ، لاصطدامه في كل بلد بالولاء القومي له، وهي لذلك تؤثر أن تطلق عليه تسمية مأمونة هي « الذاتية اليهودية » ، وهي تعني بها أية رابطة، مهما بلغ من ضعفها ، تربط صاحبها باليهود . واسلوب الصهيونية هو الضغط على كل من له رابطة باليهود — حتى لو كان ملحدا لا يعرف شيئا عن الديانة اليهودية او حضارة اليهود وتاريخهم— كي يعترف بهذه «الذاتية اليهودية» ، فيبدو المطلب هينا ، ولا يعترض عليه أحد . ولكن ما يخفى على الكثيرين هو أن هذه « الذاتية اليهودية » تعني في قاموس الصهيونية « اليهودية » الصرفة ، وان « اليهودية » تعني « الصهيونية » و « الولاء لاسرائيل » ، وللثقافة « العبرية » ولتاريخ اليهود

من أوله الى اخره ، وان أساليب الصهيونية في التمويه والتعمية لا تترك مجالا للتمييز بين هذه الامور وفصلها بعضها عن بعض . وبذلك يخطط الامر عليهم جميعا وينقدون قدرتهم على التفكير ويصبحون أدوات تسخرها الصهيونية لخدمة اغراضها كيفما تشاء .

ومما لا شك فيه ان يهود الولايات المتحدة ، بحكم وجودهم في بيئة أغلبيتها غير يهودية ، يتعرضون لضغط تغيرات الحياة والاراء والافكار والعقائد والمبادىء الجديدة التي تنشأ في كل مجتمع متطور نام ، كما أنهم يشاركون في صياغتها . كذلك مما لا شك فيه أن مثل تلك الاراء والمبادىء ، حتى التي يشارك اليهود في صياغتها ، قد تؤدي اذا دفعت الى نتيجتها المنطقية الى التشكيك في القيم التقليدية ، ومنها القيم التقليدية اليهودية ، ومن ثمة الى اضعاف « الذاتية اليهودية » . وهذا الامر ملحوظ بصفة خاصة بين الشباب ، ولا سيما بين شباب هذا الجيل في الولايات المتحدة الذي يتصف اكثر من اي جيل سابق بروح الثورة على كل ما هو تقليدي في الحياة الامريكية .

غير أن الصهاينة ، كما ذكرنا ، لا يتركون شيئا للظروف . ولذلك نجدهم قد تنبهوا لهذا الامر وحاولوا التغلب عليه بعدة وسائل : اما بالنقد والتجريح والتماس نقاط الضعف في المواقف الجديدة ، او محاولة اضفاء تفسير جديد على « الذاتية » و « القيم » اليهودية يكون اكثر ملاءمة لذوق شباب هذا الجيل ، او بالتسلل الى جماعات الشباب ودفعهم بالتدريج الى تأييد والتزام المواقف التي تخدم اغراض الصهيونية . والمنهج الذي يتبعونه للوصول الى ذلك الهدف متعدد الجوانب أيضا : فمن جوانبه دراسة « ميدان المعركة » . مثال ذلك أن « مجلس الاتحادات وصناديق الرعاية اليهودية » انشأ في عام ١٩٧١ « هيئة عمل » خاصة مؤلفة من قادة المجتمع والباحثين والعاملين الاجتماعيين ورجال الدين ، كلفت بزيارة ٣٥ مدينة في الولايات المتحدة لالتماس آراء المجتمعات اليهودية في هذا الموضوع بغية ايجاد الطرق اللازمة لتنمية الشعور بالذاتية اليهودية و « الالتزام اليهودي » . ومن جوانبه القيام بتجارب متفرقة ، تشمل الشباب وطلبة المدارس بوجه خاص ، للاهتداء الى أحسن الطرق لزيادة الاحساس بالذاتية اليهودية ، وهي تجارب تبدأ على نطاق محدود في اول الامر ، ثم تعمم بالتدريج اذا ثبت نجاحها . من ذلك أن الاتحاد اليهودي في دي موان بولاية أيوا قام بتجربة تنطوي على تهيئة الفرصة لواحد وعشرين من طلبة المدارس الثانوية والكليات من أجل أن يعيشوا حياة يهودية مكثفة في أحسن معسكرات الطلبة الصيفية اليهودية في الولايات المتحدة ، كما أرسل بعضهم الى اسرائيل ، ثم أعلن في الشتاء الماضي « أن التجربة نجحت ، وان اولئك الطلاب عادوا منها » ، على حد قول أحد موظفي الاتحاد ، « بالتزام اكبر تجاه اسرائيل وتجاه اليهود ... وبشعور بالمسؤولية لاعلام أقرانهم بتجاربهم واحساساتهم ، وبرغبة في المزيد من الدراسة والعمل والتأكيد على ذاتيتهم » .

والمؤسسات الصهيونية تسارع الى استغلال اية خطوة او حركة يقوم بها افراد او جماعات يفهم منها تأكيد الذاتية اليهودية ، فتنشر اخبارها على أوسع نطاق مهما كانت الخطوة او الحركة محدودة او فاشلة . من ذلك الضجة التي اثارتها حول طالب عمره خمس عشرة سنة من كليفلند قام في الصيف الماضي بحركة لحمل زملائه على التغيب عن المدارس اثناء الاعياد الكبرى اليهودية والمشاركة في الطقوس الدينية بدلا من ذلك ، اذ بالرغم من ان حركته فشلت ولم يشارك فيها سوى ١٠ في المائة من ابناء اليهود في المنطقة التي يعيش فيها ، فقد نشرت اخبارها على نطاق واسع لغرضين : بالنسبة الى المجتمع اليهودي ، اظهار الطالب بمظهر البطل الصغير الذي يناضل وحيدا من اجل هدف يؤمن به (تأكيد الذاتية اليهودية) تشجيعا لغيره من الاحداث على الاقتداء به ، وبالنسبة الى المجتمع غير اليهودي في اظهار المجتمع اليهودي بمظهر غير المكترث للشعائر اليهودية ورفع صفة التعصب عنه (بالرغم من أن هذا المجتمع ان لم يستجب للطالب في هذه الحالة لسبب ما ، فان هناك عشرات من الحالات التي تعرف الصهيونية كيف تدفعه الى الاستجابة لها اذا شاءت) .

ومما يدل على أهمية موضوع الذاتية اليهودية بالنسبة الى الصهاينة ان اتحاد المؤسسات الخيرية اليهودية اجرى دراسة استغرقت ثلاث سنوات

لمشكلة « اليهودي اللامنتمي » ، أي اليهودي الذي لا يشارك في أغلبية النشاطات ومظاهر الحياة اليهودية فلا يكون يهوديا الا بالاسم في أغلب الاحوال . ولا شك أن لهذا اليهودي نظراء يعدون بالملايين بين ابناء الطوائف الدينية الاخرى، لا ينكر أحد في أن وضعهم مشكلة تحتاج الى دراسات وحلول . ولكن الصهاينة لا يرون في اليهودية ديانة (الا عندما يخدم ذلك اغراضهم لدى غير اليهود) بل قومية ، وهم على أرجح الظنون لا يبالون ان كان مثل هذا اليهودي مؤمنا باليهودية كدين أو غير مؤمن ، وكل ما يريدونه منه أن يشارك في الحياة اليهودية بالمقدار الكافي الذي يثبت انتماءه القومي لها ، والا عدته خائنا لقوميته . ونذكر أخيرا في هذا المجال ان تلك الدراسة اسفرت عن سلسلة من البرامج تتضمن طرقا جديدة مبتكرة لرد امثال هؤلاء اليهود الى حظيرة اليهودية ، من بينها الاعلانات في الصحف ، والضغط عليهم عن طريق الاصدقاء ، والحملات التي تستهدف اشراكهم بصورة ما في المؤسسات اليهودية وفي البرامج الثقافية التي تشرف عليها معابد اليهود ، واقامة الحفلات لهم لتشجيعهم على الانتماء واثارة شعور الكبرياء والفخر بتراثهم اليهودي ، الخ .

المدارس النهارية اليهودية

ان نظام التعليم العام المجاني الابتدائي والثانوي هو الذي اعتمدت الولايات المتحدة عليه تقليديا في صبغ ابناء المهاجرين الذين وفدوا على امريكا على مدى السنين بالصبغة الامريكية ومن ثم خلق المواطن الامريكي واشرابه بروح الولاء للقيم الامريكية ولطراز الحياة الامريكي . ولما كانت الولايات المتحدة دولة « علمانية » في اساسها ، بمعنى أن الدين فيها مفصول عن الدولة ، فان نظام التعليم العام فيها علماني في اساسه أيضا . اما التعليم الديني فهو في العادة متروك للاسرة ولما يسمى « مدارس الاحد » التي تصرف عليها اسر الطلاب التي تريد ذلك التعليم لابنائها فضلا عن المؤسسات الخاصة ولا دخل للحكومة فيها . وكانت هناك بعض الطوائف الدينية ، وأهمها الكاثوليكية ، التي ترفض التعليم العلماني جملة وتشجع ابناءها على دخول مدارسها الطائفية الخاصة حيث يتلقون ، الى جانب الدراسة الدينية ، دراسة علمية لا تتناقض مع مفاهيمها الدينية . ولكن امثال هذه المدارس أخذت تعاني في السنوات الاخيرة صعوبات مالية شديدة جعلتها تلتمس معونة الحكومة لبرامجها العلمية غير الدينية ، غير أنها لقيت ولا تزال تلقى معارضة شديدة من الذين ينادون بالفصل التام بين الدين والدولة ، وعلى رأسهم المنظمات اليهودية ، ولا سيما تلك ذات الصبغة الصهيونية . والسبب في ذلك ان التعليم « العلماني » يخدم مصلحة اليهود والصهاينة عن طريق اضعاف الروابط الدينية لدى المسيحيين . اما فيما يتعلق باليهود أنفسهم ، فان المؤسسات الصهيونية كانت مطمئنة الى وقت قريب الى عدم وجود خطر عليهم نظرا الى الدور الذي تلعبه الاسرة اليهودية في تنمية « الذاتية اليهودية » لدى أبنائها ، والى وجود العديد من المؤسسات القوية المتنوعة التي تحتضنهم بعد ذلك ولا تترك لهم مجالا لقطع روابطهم باليهودية ، هذا بالاضافة الى وجود ما يسمى بمدارس بعد الظهر فضلا عن مدارس الاحد ، التي لم تعان صعوبات مالية لان اليهود كانوا دائما اكثر استعدادا للتبرع لمؤسساتهم واقدر على جمع التبرعات من غيرهم .

وكان اليهود الارثوذكس ، الذين يمثلون اقلية في المجتمع اليهودي الامريكي ، الوحيدين تقريبا الذين يريدون مدارس طائفية خاصة للتعليم الديني والمدني معا تسمى المدارس النهارية . بيد أن الزمن يتغير . اذ يظهر أن المدارس الحكومية « العلمانية » الطابع قد فعلت فعلها في اليهود ـ أيضا فاضعفت روابطهم بطائفتهم ، كما أنه ثبت أن مدارس بعد الظهر قد فقدت صلتها بالجيل الجديد من اليهود ، فأخذوا يجدونها مملة وأخذوا ينصرفون عنها . ولما كان الشعور بالذاتية اليهودية شرطا لازما ينبغي توفره توطئة للالتزام بالصهيونية واسرائيل ، فقد شعرت المؤسسات الصهيونية بالخطر ، وأخذت تعد العدة لتلافيه . فنجد ، أولا ، انها لم تستطع التخلي عن تاريخها الطويل في محاربة المعونة الحكومية للمدارس الطائفية الخاصة ، فاستمرت في المجاهرة بمعارضتها لمثل تلك المعونة ، ولكنها أخذت تعمل على تشجيع المدارس النهارية اليهودية عن طريق غير مباشر ، وذلك بعدم الوقوف في طريق اليهود الارثوذكس في المطالبة بالمعونة الحكومية لها ، وتشجيعهم على

المضي في فتحها وزيادة عددها وتقويتها ، وتشجيع اليهود الاخرين على التبرع لها . كذلك نجد ان عدد المدارس النهارية التي يديرها اليهود المحافظون قد ازداد ايضا . وقد ذكرت نشرة « ج.ت.ا. كومينتي ريبورت » في عددها الصادر في ١٠ سبتمبر ١٩٧١ أن مجموع ما يديره اليهود الارثوذكس من تلك المدارس في ٣٢ ولاية من الولايات المتحدة بلغ ٣٩٠ مدرسة يؤمها ٨٠،٠٠٠ طالب . أما اليهود المحافظون فانهم يديرون ٣٥ مدرسة ابتدائية واربع مدارس ثانوية بلغ عدد طلابها حوالي ٦٠٠٠ طالب . وأما اليهود الاصلاحيون فهم في اخر الركب ، اذ لم تكن لديهم سوى مدرسة واحدة في العام الماضي ، وقد اضافوا اليها مدرسة اخرى هذه السنة .

ومما يدل على اهمية هذه المدارس بالنسبة الى اغراض الصهيونية أن الدكتور واينبرجر ، أحد اساتذة كلية الولاية بسان دييجو ، كتب تحليلا عنها في الكتاب السنوي ليهود امريكا لعام ١٩٧١ قال فيه ان « نموها الدراماتيكي في السنوات الاخيرة ... انما هو تعبير عن حركة اجتماعية جديدة في حياة يهود امريكا ، يتجسد فيها نضال جزء كبير منهم في سبيل تكوين « ذاتية » متميزة ذات معنى غير مبنية على محاكاة الاغلبية بل تستمد وحيها من التراث الزاخر للتقاليد الدينية اليهودية » . واضاف قائلا « انه أجرى دراسة لتلك المدارس خلص منها الى وجود اختلافات هامة بين اليهود الذين درسوا فيها وبين الذين اقتصروا على الالتحاق بمدارس بعد الظهر وأمثالها ، من حيث أن خريجي المدارس النهارية يفوقون الاخرين كثيرا بمعلوماتهم عن الثقافة اليهودية ، وأن نسبة الذين يتزوجون من غير اليهود قليلة جدا بينهم ، في حين انهم يمثلون النسبة الكبرى من بين يهود امريكا الذين قرروا الاستيطان في اسرائيل ، وانه لا « هوة تفصل بينهم وبين جيل أبائهم من حيث نسبة الذين يحضرون منهم الصلوات والمناسبات الدينية الاخرى » . ومن هذا التحليل وامثاله يتضح الغرض الحقيقي من وراء تشجيع افتتاح المدارس النهارية اليهودية : وهو تقوية الذاتية اليهودية بشكل يمنع خريجيها من الاندماج اليسير بالمجتمع الامريكي الاكبر ، فلا تبقى سوى خطوة قصيرة بينهم وبين اعتناق مبادىء الصهيونية السياسية واعتبار اسرائيل المكان الوحيد في العالم الذي يستطيع اليهودي فيه أن يجد راحته النفسية ويسلم من الشكوك في « ذاتيته » .

معسكرات الاحداث والشباب والبرامج الصيفية

المدارس النهارية اليهودية هي وسيلة واحدة فقط من وسائل تنمية الشخصية اليهودية وتهيئتها لتقبل الافكار الصهيونية . ومن الوسائل الاخرى ، الموجهة للاحداث والشباب خاصة ، هي « المعسكرات الصيفية » . وهنا ايضا نجد ان اليهود يأخذون وسيلة ما من المجتمع الذي يعيشون فيه ولكنهم يحيدون بها عن هدفها لخدمة اغراضهم الخاصة . ذلك أن المعسكرات الصيفية للشباب والاحداث شائعة في الولايات المتحدة بوصفها وسيلة تشجعهم على صرف اوقات عطلهم الصيفية بصورة بناءة وعلى تعلم مختلف الالعاب الرياضية فضلا عن الحرف والصناعات وغير ذلك من ضروب الفن والمعرفة . ويدير تلك المعسكرات جمعيات ومؤسسات خاصة . وبالرغم من أن الكثير من هذه الجمعيات والمؤسسات طائفية او دينية ، فان ذلك لا يعني أن ما يتعلمه الملتحق بها ذو طابع ديني او أن الالتحاق بها يقتصر على ابناء الطائفة التي تنتمي اليها ادارة المعسكر . أما اليهود ، فان معسكراتهم تكاد تقتصر على اليهود وحدهم ، وقد وجهوا التعليم فيها الى تنمية الاعتزاز بالذاتية اليهودية ، ثم مضوا به تحت تأثير المؤسسات الصهيونية شوطا أبعد ، فوجهوه نحو تنمية الولاء الى « القومية » اليهودية متمثلة في اسرائيل .

وقد انتشرت هذه المعسكرات في ارجاء الولايات المتحدة ، بحيث اصبحت ، على حد قول أحد القادة اليهود ، « صناعة » كبرى تنطوي على انفاق ملايين الدولارات . وفي أواخر يناير ١٩٧١ ، انعقد في مدينة ليبرتي بنيوجرسي مؤتمر عن المعسكرات الصيفية اليهودية ضم ٧٥ مدير معسكر من المعسكرات التابعة لمنظمات اليهود الدينية وهيئاتهم التعليمية والجماعات الصهيونية والمراكز والاتحادات اليهودية . وقد درس المؤتمر حالة تلك المعسكرات ، واقترح ادخال تغييرات بعيدة المدى في برامجها وخدماتها والتأكيد على اهميتها للتربية اليهودية . كذلك انشأ مجلس الرعاية

اليهودية القومي في اوائل شهر يونيو ١٩٧١ لجنة قومية مهمتها « ايجاد الطرق اللازمة لتعزيز قدرة المعسكرات اليهودية على تطبيق البرامج الرامية الى تحقيق اهداف الذاتية اليهودية للمجتمع اليهودي وعلى تلبية الحاجات اليهودية الصرفة ».

برامج الدراسات اليهودية في المدارس والجامعات

ومن اساليب الصهاينة المبتكرة التشجيع على ادخال ما يسمى برامج الدراسات اليهودية في جامعات الولايات المتحدة ، واستخدامها ستارا لبث مبادئهم . وعلينا ، قبل أن نمضي في بحث طبيعة هذه الدراسات، ان نميز بينها وبين الدراسات التقليدية المألوفة في جامعات اوروبا وامريكا والتي تسمى Judaica Studies او Judaica (ولنسمها نحن « البحوث اليهودية ») ، وذلك لان هذه الاخيرة تؤكد على دراسة اللغة العبرانية وتاريخ اليهود وتراثهم من وجهة نظر علمية نقدية بحتة لا علاقة لها بالسياسة ولا باوضاع واحوال اليهود المعاصرين ولا اسرائيل . أما الاولى ، اي ما يسمى « الدراسات اليهودية » ، فهي مدفوعة بأغراض سياسية ولا تستهدف في الاغلب غير تنمية اعتزاز اليهود بالقومية اليهودية وفقا للمفهوم الصهيوني ، بما في ذلك الولاء لاسرائيل ، فضلا عن فرض احترام هذا النوع من « التزام » اليهودي على غير اليهود او القضاء على اي اعتراض قد يكون لديهم على منطوياته او المقدمات أو الاسس التي يقوم عليها . ويمكن أخذ فكرة عن كيفية مزج الاغراض السياسية بالاغراض العلمية في هذه الدراسات اذا علمنا ان « البيت العبراني » في كلية اوبرلين بولاية اوهايو — وهو ناد للطلاب اليهود — قرر قبل ثلاث سنوات تنفيذ برنامج لحمل الكلية على ادخال الدراسات اليهودية والاعتراف بها . وقد نجح النادي في تحقيق الغاية فبدأت الكلية في سبتمبر ١٩٧٠ برنامجا دراسيا لتاريس اللغة العبرانية مدته سنتين . ولكن لم تمض مدة حتى تبرعت بعض الجهات اليهودية للبرنامج بمبالغ كبيرة لتنفق على ايفاد الطلاب للدراسة في اسرائيل . ولا ريب ان هذه البداية الصغيرة ستتوسع بالتدريج ، كما حدث في الجامعات الاخرى ، لتحول البرنامج من هدفه العلمي ، وهو دراسة اللغة العبرانية ، الى هدف سياسي صهيوني هو الدعاية لاسرائيل .

وهذا الهدف السياسي واضح في برنامج الدراسات الذي اعلنت جامعة واشنطن في سياتل افتتاحه ابتداء من دورة ربيع عام ١٩٧١ ، حيث نجد انه يتضمن ، تحت ستار بحث « القضايا اليهودية المعاصرة » ، دراسة مسائل اليهود السوفيات ، واندماج اليهود في الولايات المتحدة ، ودور المعابد اليهودية في حياة اليهود ، والتعليم اليهودي وما شابهها من مسائل لا يصعب تصور سهولة استغلالها للاغراض السياسية الصهيونية . وخلال العام الماضي ، انشئت او تقرر انشاء امثال هذه البرامج في جامعة لونج آيلند بولاية نيويورك ، وجامعة بتسبرج ، وفي جامعة لويز فيل ، وفي سان فرانسيسكو ستيت كوليج ، وفي جامعة كنساس ، وفي كلية دكنسن ، وفي جامعة ولاية نيويورك ، وفي سان خوسيه ستيت كوليج (حيث يؤلف نصف البرنامج دراسة « تطور اسرائيل الاقتصادي »!). وكذلك نجد أن عددا من المدارس الثانوية العامة في ١٤ مدينة تقع في ١٠ ولايات عمدت في السنة الدراسية ١٩٧٠ — ١٩٧١ الى ادخال تعليم اللغة العبرانية ضمن برامجها ، فاصبح مجموع المدارس الثانوية العامة التي تعلم هذه اللغة في الولايات المتحدة ٧٨ مدرسة في ٣٣ مدينة ، كما ازداد عدد طلاب المدارس الثانوية الذين يدرسونها من ٣٦٢٧ الى ٤٣٠٩ . وقد اعلن رئيس « جمعية الدراسات اليهودية » في اكتوبر الماضي وضع الخطط لانشاء هيئة استشارية للجامعات الامريكية. والكندية التي تريد البدء في برامج الدراسات اليهودية ، وقال ان مشورة تلك الهيئة ستتاح للمدارس التي توجد فيها امثال هذه البرامج وتريد توسيعها .

المدارس والجامعات « الحرة »

انتشر في الولايات المتحدة ، في اعقاب ثورة الطلاب في السنوات الاخيرة ، مفهوم الدراسة او الجامعة «الحرة» التي هي على الاغلب جامعة مجانية لا مكان معين لها ولا مناهج مقررة ولا درجات ولا صفوف ولا امتحانات ، والتي يكون للطلاب الدور الاكبر في اختيار مدرسيها وتقرير ما يدرس فيها . وهي كثيرا ما تنعقد في جامعة مستقرة موجودة او تشكل جزءا منها فتكون بمثابة بديل لها يلجأ اليه الطلاب حين لا تكفيهم او ترضيهم المادة المقدمة في الجامعة المستقرة. وكان رواد افتتاح امثال هذه «الجامعات» دعاة اليسار الجديد والمتطرفون السود لاسباب

نابعة من طبيعة عقائدهم وأوضاعهم . وكعادة الصهاينة في استغلال أية وسيلة تتاح لهم من أجل خدمة أغراضهم ، نجد أنهم يسرعون الى الاستفادة من هذه الوسيلة الجديدة فيجعلون منها أداة لبث مبادئهم بين الشباب الجامعي اليهودي ، هادفين بذلك اساسا الى تحوير عقائد الثوريين منهم بمزجها باتجاهات صهيونية او صرفهم عنها تماما ان امكن وجعلهم صهاينة اقحاحا ، وكل ذلك تحت ستار « الدراسات اليهودية » الحرة .

ومن المؤسسات الصهيونية الكبرى التي أسهمت بنصيب وافر في العمل على تأسيس امثال هذه « الجامعات » هي مؤسسة هليل ، وقد اعلنت في اكتوبر الماضي انها كانت في نهاية السنة الدراسية ١٩٧٠ — ١٩٧١ ترعى امثال هذه « الجامعات » في أكثر من ٢٠ جامعة مستقرة ، وانها ستعمد في السنة الدراسية ١٩٧١ — ١٩٧٢ الى افتتاح اعداد جديدة منها في جامعات أخرى منها جامعة اوهايو ستيت ومعهد ماساتشوستس التكنولوجي (وهو من أكبر المعاهد التكنولوجية في الولايات المتحدة) وجامعات روتشستر واريزونا وكولورادو وواشنطن واوكلاهوما وماريلاند .

ويتبين بعد دراسات هذه «الجامعات» عن المواضيع الثورية التي كانت تؤسس في الاصل من أجلها اذا القينا نظرة على البرنامج الذي يدرس في « الجامعة المفتوحة » المنظمة في اطار جامعة واشنطن ، فهو يشمل ما يلي : دراسات عن اسرائيل المعاصرة ، واسس الديانة اليهودية ، والذاتية اليهودية ، والهاسيدية (وهي حركة تصوفية يهودية تقليدية يفتعل اليهود اهتماما بها مقابل اهتمام بقية المجتمع الامريكي باليوجا والبوذية وغير ذلك من الديانات والمذاهب الشرقية) ، واللغة اليديشية واللغة العبرانية . كما أن « الجامعة الحرة » المقامة في اطار جامعة بوسطن تتيح دراسات عن مجزرة اليهود على يد النازية ، والصهيونية الراديكالية ، واليهود السوفيات و « الشعب المختار » ! هذا وقد قررت « الجامعة اليهودية الحرة » في فيلادلفيا في نوفمبر الماضي ان تفتتح « مدرسة ثانوية حرة » على سبيل تجربة ادخال مفاهيم تلك الجامعة اليهودية الحرة على صعيد الدراسة الثانوية .

اعداد القادة

لا شك ان البرامج التي ذكرناها وامثالها معتمدة في نجاحها على مجموعة من المنظمين والقادة المتحمسين الاكفاء الذين يعرفون كيف ينشئونها ويثيرون الاهتمام بها ويتحكمون فيها لكي تحقق الاغراض التي وجدت من أجلها . كما أن المؤسسات الصهيونية المستقرة نفسها تحتاج الى كوادر جديدة للحلول محل الكوادر القديمة وللسهر على بقاء المؤسسة وتنميتها واداء مهامها على الوجه الاكمل . ولذلك فان هناك دائما برامج لتدريب هؤلاء القادة ، ويمكن فهم طبيعتها العامة من برنامج افتتح في لوس انجيلوس في سبتمبر الماضي ، اذ سيدرب في اطار هذا البرنامج ٣٠٠ شاب يهودي لا خبرة سابقة لهم بأي برنامج يهودي ، ولا شك أن المقصود بذلك أن يكونوا مادة خاما يمكن تطويعهم على حسب رغبات المؤسسات الصهيونية . وقد اختير هؤلاء بناء على ترشيح أعضاء مجالس المؤسسات اليهودية القائمة ومديريها وموظفيها. أما برنامج التدريب فقد أعد بعناية ليوفق بين المتدرب ومجالات اهتمامه وبين حاجات المجتمع اليهودي الذي يخدمه ، وتتاح للمتدرب في النهاية فرصة الانضمام الى عضوية مجلس ادارة الهيئة التي يختار العمل لها . ويتألف برنامج التدريب من التعرف على المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة ، ثم المشاركة في النشاطات على المستويات المحلية والقومية والدولية . ويقوم احد القادة المحليين البارزين باعطاء فكرة عامة عن اعمال مجلس الاتحاد اليهودي ، الذي يرعى البرنامج ، للمتدربين الذين يحضرون بعد ذلك اجتماعات مجلس الادارة ، ويقومون بجولات للوكالات المنتسبة ، الى تلك الهيئة حيث يتاح لهم « ان يعرفوا وظائفها وكيفية خدمتها للمجتمع اليهودي » من الداخل .

وعلى مستوى آخر ، نجد ان « المؤسسة القومية للثقافة اليهودية » تشرف على برنامج للمساعدة على تدريب الباحثين اليهود من بين الطلاب الذين يعدون أنفسهم لشهادة الدكتوراه لكي يتولوا بعد ذلك مناصب تعليمية في الكليات في مجال الدراسات اليهودية .

سد الثغرة بين الاجيال

انتشر في الولايات المتحدة في السنوات الاخيرة تعبير « الثغرة بين الاجيال » للدلالة على ثورة الشباب على مفاهيم الكبار وقيمهم وطراز معيشتهم البورجوازي . ولم يسلم شباب اليهود ، بوصفهم جزءا من المجتمع الامريكي العام ، من اعراض هذه

الظاهرة ، ولكن بينما نجد أن « الثغرة » في الشباب الامريكي من غير اليهود قد تركت على الاغلب لتسد نفسها بنفسها ، نرى أن المؤسسات الصهيونية لم تقف ساكنة امام هذه الظاهرة بل تصدت لها وحاولت مقاومتها أو مسايرتها مع تحين الفرصة لكي تسدها بحسب ما يتفق مع اغراضها. ويمكن تبين أساليب الصهيونية في معالجة هذه الظاهرة من الامثلة التالية : ففي يناير الماضي القى بيرس أبرامز ، أحد خبراء شئون المجتمع اليهودي ، محاضرة امام مؤتمر عقد برعاية احدى اللجان التابعة لاتحاد الجمعيات الخيرية اليهودية في نيويورك دعا فيها الى رفض « اسطورة » ابتعاد الشباب اليهودي عن مجتمع الكبار قائلا أن كل ما في الامر أن شباب اليهود يريدون التعاون مع الكبار حسب شروطهم هم لا وفقا لما يمليه عليهم الكبار . واضاف ان اليهودية أيدت تاريخيا معظم ما يؤمن به شباب العصر من حق مخالفة الاغلبية والتأكيد على اهمية الفرد وقيمته والايمان بامكانية تحسين المجتمع ، ولذلك فان الامر لا يحتاج الى اكثر من تفهم الكبار لاساليب الشباب ومساعدتهم على تكوين القيادات اللازمة لتيسير التعاون بين الفئتين .

وكتب ليستر سبابرز، محرر احدى النشرات المحلية اليهودية ، قائلا ان على مجتمع الكبار أن يدرك أن الطلبة اليهود الثائرين او الحركيين ليسوا اعداء لهم . واضاف، ان هؤلاء الطلبة الشباب يمثلون مستقبل اليهود ، فاذا فقدناهم فقدنا مستقبلنا . وأشار الى محتويات الصحف الراديكالية التي يحررها الطلبة اليهود ، فقال انها تناصر اسرائيل وتقاوم اللاسامية ، مما يدل على أن هؤلاء الطلبة لم يفقدوا صلتهم باليهود . ولكنهم يرفضون شوفينية الكبار التي تجعلهم لا يصرحون علنا بأن اسرائيل يمكن ان ترتكب خطأ او أن المجتمع اليهودي المستقر يمكن أن يقصر عن التزام المثل العليا اليهودية .

واخيرا ، كتب جوداه جراوبارت أحد موظفي اللجنة اليهودية الامريكية (وهي من كبريات المؤسسات الصهيونية) ، مقالا في مجلة الجويش فرونتير الناطقة بلسان حركة العمل الصهيوني ، بدأه بعقد مقارنة بين الراديكاليين « العلمانيين » (ويعنى بهم غير اليهود) وبين الراديكاليين اليهود ، فقال ان هناك فرقا اساسيا بين الفئتين ، هو أن الراديكاليين اليهود لا يجدون ضرورة تقتضي هدم المؤسسات القائمة (اليهودية) لانهم يرون ان انقاذها لا يزال ممكنا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان قيادة المجتمع اليهودي المستقر لم تفقد الامل في الشباب بل هي على العكس من ذلك تشعر بفخر (أبوي) تجاه الشباب ، وذلك لانها اكتشفت ان الشباب لا ينتقدونها لالتزامها اليهودي بل لانهم يرون انها لا تفعل ما فيه الكفاية للوفاء بذلك الالتزام . وقال ان من أهم عوامل هذا التقارب بين الجيلين هو نمو الدعاية المضادة لاسرائيل من قبل العرب واليسار الجديد في الجامعات ، ووجود اسرائيل نفسه الذي خلق رابطة وثيقة بين صغار اليهود وكبارهم وفقرائهم واغنيائهم وبين الداخلين في حظيرة اليهودية والخارجين عنها .

الصحافة الطلابية اليهودية

ان أهم اداة استخدمتها الصهيونية للتسلل الى اوساط الطلاب الجامعيين وغير الجامعيين اليهود والسير بهم في الخط الصهيوني بالرغم مما قد يدعون خدمته من مبادىء أخرى هي الصحف والنشرات الطلابية . وفي ابريل الماضي كتب محررا نشرتين في هذا الموضوع ، هما بل نوماك محرر « رسبونس » و روبرت جولدمان محرر « جويش بوسطن » في مجلة « اليهودية المحافظة » التي يصدرها معهد اللاهوت اليهودي ومجمع الحاخامين ، مقالا عن الصحافة الطلابية تتبعا فيه نشوءها من عام ١٩٦٧ الى الوقت الحاضر الذي يزيد ما تصدره فيه من ٣ النشرات والصحف والمجلات عن الاربعين . ويلاحظ أن سنة ١٩٦٧ هي سنة حرب الايام الستة التي اتخذ اليسار الجديد في اعقابها موقفا مناهضا لاسرائيل، مما ادى بأتباع اليسار الجديد من اليهود الى الاصابة بخيبة أمل عادت بالكثير منهم الى حظيرة اليهودية والصهيونية تماما وجعل بعضهم يعيدون النظر في يساريتهم الجديدة فيقبلون منها اشياء ويرفضون اشياء اهمها موقفها من اسرائيل . واستغلت الصهيونية هذا الوضع فشجعت اصدار الصحف والمجلات الطلابية التي تتظاهر بالمبادىء الثورية اليسارية وانتقاد القيادات اليهودية المستقرة ، ولكنها تتخذ في الوقت نفسه موقفا موالیا لاسرائيل والمفاهيم الصهيونية واليهودية . وقد اعترف المحرران المذكوران بأن الصحافة الطلابية اليهودية تتلقى المعونة المالية من المؤسسات الصهيونية ، بالرغم من الانتقادات اللاذعة التي

توجهها تلك الصحافة الى تلك المؤسسات وما تمثله ، قائلين انه « يبدو انه لا شيء يفعله الطلاب يمكن ان يكدر صفو المؤسسات اليهودية المستقرة ظالما كان اولئك الطلاب يتصرفون بأية طريقة يمكن ان تسمى يهودية » !

ومن السهل أن ندرك لماذا لا يمكن تكدير صفو تلك المؤسسات اذا علمنا ضعف الصلة التي تربط تلك الصحافة بالحركات الثورية من اي نوع ، وان كل همها ، فيما يبدو ، هو الانتصار لاسرائيل والصهيونية والدفاع عنها دفاع المستميت فضلا عن التشهير بالعرب والاساءة الى سمعتهم . وهذه الصحف والمجلات قد انتشرت في عشرات الجامعات الامريكية ما بين كبيرة وصغيرة ، وقد بلغ عدد قرائها حوالي ١٠٠،٠٠٠ في يناير الماضي ، ولا ريب ان الكثير منهم غير اليهود . وفيما يلي قائمة باهمها : « رسبونس » وتصدر في جامعة كولومبيا بنيويورك، « جويش بوسطن » وتصدر في بوسطن ، « جويش لبراشن جورنال » وتصدرها في نيويورك جماعة « مشروع التحرر اليهودي » ، « جنسس ٢ » وتصدر في بوسطن ، « جويش رادكال » وتصدر في سان فرانسيسكو ، « ها اوراه » وتصدر في لوس انجيلوس ، « فلايم » وتصدر في كلية مدينة نيويورك ، « داون » وتصدر في نيويورك ايضا ، « جويش فري برس » وتصدر في جامعة كولمبيا بنيويورك ، « ينفرستي جويش فويس » وتصدر في اوستن بولاية تكساس ، « اكسودس » وتصدر في سان فرانسيسكو ، « جويش اوربان غوريللا » وتصدر في واشنطن ، « ذي سورس » وتصدر في جامعة هارتفورد ، « اسيد » ويمثل اسمها الاحرف الاولى من عنوانها الطويل « تحليل نقدي لمأزق اسرائيل » وكانت تصدر في الاساس كملحق لجريدة جامعة واشنطن ثم استقلت عنها ، « اليانس » وهي اهم نشرة موجهة للمدارس الثانوية ، وتصدرها في نيويورك هيئة اتحاد المدارس اليهودية العليا . هذا وقد أصدر فرع بوسطن للجنة اليهود الامريكية في نوفمبر الماضي العدد الاول من نشرة اسمها « خلاصة الصحافة الطلابية اليهودية » ، المقصود بها أن تتضمن استعراضا عاما لاخبار وآراء واهتمامات الطلاب اليهود كما يعبرون عنها في ٢٤ نشرة من نشراتهم الطلابية والثورية في الولايات المتحدة وكندا . ويتألف العدد الاول من ٣٢ صفحة ، وهو يتناول آراء الطلبة اليهود في مسائل الشرق الاوسط ، واليهود السوفيات ، وفيتنام ، والحركات الطلابية ، ورابطة الدفاع اليهودي ، والصهيونية ، واخبارهم العامة الاخرى . ويتضمن العدد وصفا لكل نشرة تلخص او تقتطف شيئا منها.

خاتمة

هذا قليل من كثير من النشاطات الصهيونية في الولايات المتحدة التي تستهدف تسيير كل يهود الولايات المتحدة ، صغارهم وكبارهم ، اغنياءهم وفقراءهم ، رجال الاعمال منهم ومفكريهم وعلماءهم وفنانيهم ، في الخط الصهيوني . وهناك عشرات الوسائل الاخرى التي تستخدمها الصهيونية في خدمة اغراضها والتي لم نشر اليها لضيق المجال ، والتي ولا شك ان القارىء قد قرأ او سمع عنها الشيء الكثير . ومنها ما يربط اليهودي بالحركة الصهيونية واسرائيل رباطا وثيقا يصعب الانفصال عنه ، مثل حملات جمع التبرعات ، ومنها ما يقصد به تذكيره على الدوام بيهوديته وباسرائيل مثل الاحتفالات والمهرجانات ، ولا سيما بمناسبة عيد « استقلال » اسرائيل او الصلوات وحفلات التأبين التي تقام على ارواح ضحايا « الاضطهادات » التاريخية لليهود . وهناك عشرات المشاريع للتبادل الثقافي بين الولايات المتحدة واسرائيل، وهي تشمل اليهود وغير اليهود، من ذلك ايفاد الاساتذة او الطلبة الامريكيين للتدريس والدراسة في معاهد اسرائيل نظير ايفاد الاساتذة او الطلبة الاسرائيليين للتدريس والدراسة في الولايات المتحدة ، وتبادل الفرق المسرحية والموسيقية وغيرها ، وتبادل التحف الفنية ، والزيارات والجولات الدراسية والفنية الخ. ولذلك فليس من العجيب ان نجد يهود الولايات المتحدة، مهما بلغ من اختلاف اذواقهم ومشاربهم ومؤهلاتهم العلمية ومبادئهم السياسية واحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، يهبون يدا واحدة للانتصار لاسرائيل والدفاع عنها كلما رأت الصهيونية ضرورة لذلك ، ولا يستطيع التخلص من سيطرتها غير قلة من الذين يتمتعون بدرجة عالية من الاستقلال الفكري والاستقامة الاخلاقية . ثم ليس من العجيب أيضا ان نجد أن أغلبية الامريكيين من غير اليهود تقف اما حائرة او مسلوبة الارادة أمام هذه الظاهرة ، (هذا اذا كانت واعية بها على الاطلاق) ، فيكون ردة الفعل الوحيدة لدى الكثيرين منها هي اللامبالاة وعدم الاكتراث .

الرسالة السادسة : من ماجد نعمة

منظمة « ميثاق ابراهام » ظاهرة اليهودية المعادية للصهيونية

تعتبر منظمة « ميثاق ابراهام » التي أسسها في باريس سنة ١٩٥٨ امانويل ليفين ، أحد المتدينين اليهود الفرنسيين ، من أشهر وأهم المنظمات اليهودية المعادية للصهيونية ولدولة اسرائيل في اوروبا . ولقد تميزت هذه المنظمة الصغيرة (والتي انضمت اليها فيما بعد عدة منظمات صغيرة مشابهة نكتفي بذكر أهمها وهي « الحركة البلجيكية من اجل اللاعنف » التي أسسها ارنو هامرز المعروف بميوله واتجاهاته الصوفية) بعدائها الشديد للصهيونية وبتفنيدها المنتظم والمتواصل للدعاية الصهيونية التي تحاول ان تعطي غطاء دينيا لمسألة انشاء دولة اسرائيل وبمهاجمتها العنيفة لكل من يحاول استغلال الدين اليهودي لغايات سياسية أيا كان نوعها كما هي الحال مع دعاة الصهيونية الذين يسخرون الدين اليهودي والشعب اليهودي من اجل خدمة مصالح استعمارية واضحة في نهب الشعوب العربية وشعوب العالم الثالث المتخلفة . كما انها بالمقابل تنادي « بالعودة الى الينابيع » في محاولة جديدة لفهم الدين اليهودي على حقيقته التي يتعارض لا بل يتناقض ويتنافى تماما مع دولة اسرائيل التي « لم تتعلم شيئا من التاريخ ولم تستفد من دروسه الثمينة » . وعندما نعلم ان هذه الحركة تنادي ، متأثرة في ذلك بمعلم الهند الاكبر المهاتما غاندي ، باللاعنف على جميع المستويات ، فاننا ندرك بوضوح سبب عدائها ومحاربتها للصهيونية وصنيعتها اسرائيل اللتين تجسدان افضل تجسيد النقيض الكامل لكل ما تحمله اليهودية من قيم ولكل ما ترنو اليه البشرية من « حقيقة وعدالة وسلام » . بالاضافة الى هذا ، وكنتيجة حتمية لنظرتها المثالية الغيبية الصوفية لواقع العلاقات السياسية في العالم ، فان هذه المنظمة تتخبط في متاهات روحانية قاتلة وفي غوغى فكرية رهيبة وفي غموض عقائدي مثير . وسنرى كيف أن هذه الامور مجتمعة ستنعكس نتائجها ومضاعفاتها على مجمل الخط السياسي غير المقصود لهذه المنظمة بمختلف فروعها فتعقده وتجعله يغرق في الغموض وعدم التماسك رغم جذريته وتطرفه الظاهرين . الا ان هذا لن يمنعنا من اعتبار هذه المنظمة كحليف اكيد للقضية العربية ، على الاقل في مجال العداء للصهيونية وتعريتها وفضحها واظهار تناقضاتها ومغالطاتها حتى ولو كان هذا من وجهة دينية بحت . ماذا كان حتى الان مجمل نشاط هذه المنظمة ؟ على ماذا تركزت ابحاثها واهتماماتها ؟ ما هو خطها العام وفكرها الديني والسياسي ؟ وما هو موقفها من قضية اغتصاب فلسطين ؟ سنحاول الاجابة على كل هذه التساؤلات وذلك بالرجوع الى عدة كتب ومنشورات اصدرتها هذه المنظمة (وهي كتاب « اليهودية ضد الصهيونية » لامانويل ليفين ، ونشرة « تصدق » Tsodek لسان حال « ميثاق ابراهام » في باريس . ونشرة : « فلننسحب من الحلف الاطلسي » في بلجيكا ، ونشرة : « اسرائيل الملكوتية ستنتصر » في بلجيكا ، ونشرة « فلنهدم بابل » في بلجيكا ، و« فتح ستنتصر » في بلجيكا ، وبعض الرسائل المرسلة الى مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت والمحفوظة في ملف خاص) . وسنركز في جوابنا على القضايا الاساسية التالية : ١ — بعض الاضواء التاريخية حول اليهودية والصهيونية والعلاقات بينهما . ٢ — المسيح هو لاجيء فلسطيني . ٣ — اسرائيل هي النقيض الكامل للدين اليهودي : انها الغاء له . ٤ — اسرائيل والقومية . ٥ — اراء حول بعض القضايا السياسية الراهنة .

اليهود والتاريخ : « لم تكن لليهود دولة حقيقية الا خلال فترة زمنية قصيرة نسبيا ... عندما لم يكن للشعب لا دولة ولا ارض ، في عهد موسى ، كان اسعد حالا بكثير » . (س. و. بارون ، تاريخ اسرائيل) . ان هذه الفكرة التي يحب امانويل ليفين ، المحرك الفكري « لميثاق ابراهام » ، ان يستشهد بها في كل مناسبة تكاد تشكل حجر الزاوية في رده على الصهيونية ودعاتها . « هل حاول اليهود أن يفهموا ؟ طبعا لا . انهم الشعب الذي لا يتعلم شيئا من التاريخ » . ولكي يدعم ليفين فكرته يلجأ الى عدة شواهد تاريخية يستنطقها محاولا التأكيد على أن السيف لا يخدم اسرائيل ابدا . ان سياسة القوة ستؤدي باسرائيل حتما الى نهاية اليمة . ثم يتساءل : « من سيلجأ الى السيف ؟ اذا نشأت بين اليهود صراعات داخلية فقد يكون لهم

بعض الامل في الخلاص . ولكن اذا ضربهم السيف من الخارج ، سيكون هذا نهاية اليهودية » ص ١٣ — اليهودية ضد الصهيونية) .

بعد هذه الادانة الصريحة لسياسة العنف التي اثبت التاريخ عقمها لا بل ضررها ، ينتقل ليفين الى الحقبة المعاصرة مسلطا الاضواء على حقيقة الصهيونية فيكتشف انها «قد ولدت في المانيا» وانها « انتاج » الماني . ولتوضيح هذه الحقيقة ، يلجأ الى منشور صدر سنة ١٩١١ بعنوان «الصهيونية» بقلم انجل مارفو كتب فيه ما يلي : « ان الصهيونية، التي اسسها رجل نمساوي ويسيطر عليها حتى اليوم (١٩١١) ألماني متأثر بوضوح بالفكرة العنصرية التي تحظى باحترام كبير في البلاد الالمانية » . ان هذه الحركة تخدم مصالح المانيا في الشرق عن طريق استعمال اليهود لمحاربة العرب الساميين لاضعاف شعوب المنطقة وجعلها غير قادرة على الصمود في وجه مصالحها الامبريالية .

بعد هذه الوقائع يصل امانويل ليفين الى الاستنتاج التالي : اننا بدعمنا اسرائيل نكون قد دعمنا عملا المانيا . ان هذا لا يعني اننا موالون لاسرائيل ولكن لالمانيا العنصرية النازية . ان الدفاع عن دولة اسرائيل هو في الواقع عمل معاد للسامية . هذا يعني تقوية الامبريالية الالمانية والجنس الاري في حقدها الغريزي ضد الجنس السامي . « ان المانيا اليوم تتابع عمل هتلر ولكن بفعالية اقوى لانها تقوم بذلك بصورة خبيثة واكثر ذكاء وباطنية » . « فلنقل لا لدولة اسرائيل ! لا لالمانيا ! لان دولة اسرائيل هي المانيا . ولا نستطيع ان نقول لا لالمانيا المدججة بالسلاح والمجرمة دون أن نقول لا لدولة اسرائيل ! » .

اسرائيل في الكتب المقدسة وفي الواقع: ان فلسطين « أرض اسرائيل » كانت تمثل ، حسب النصوص الدينية اليهودية التي يوردها بغزارة امانويل ليفين، **وطنا ممكنا ورمزيا** . ان فكرة صهيون كانت ضرورية لمنع اندماج اليهود في الامم التي كانوا يعيشون في ظهرانيها . « ولكن بما ان تحقيق الصهيونية كان سيقع في نهاية الزمان ، عند مجيء المسيح ، وبما انه كان محرما الرجوع الى فلسطين باعداد وفيرة لاعادة غزوها **بوسائل بشرية** —اي بالمال والسلاح— فلم يكن يترتب على هذا ان يؤدي الى **القومية** والى انشاء دولة اسرائيل وبالتالي الى التسبب بحروب وصراعات لا حل ولا نهاية لها » .

وهنا لا بد من التساؤل : اذا كان تحقيق هذا مرهون بنهاية الزمان ، بمجيء المسيح المنتظر فكيف يمكن والحالة هذه للدولة اليهودية ان تولد في الوقت ذاته الذي ينتهي فيه التاريخ ؟ الحقيقة ، يقول ليفين ، هي أن الخلاص من الدولة والارض ، عجلة لا ترتد . وان ارادة انشاء دولة بشرية في فلسطين تشكل تراجعا رهيبا الى الوراء ، او عقدة نفسية جماعية . ان تكون الصهيونية ظاهرة مرضية ، أو أن تكون جنونا فهذا ما بدأ يظهر لنا ويكشف عن قلة ذكاء كبيرة . انهم (الصهاينة) اكثر جنونا من النازيين ... « ان الشعب الذي ينتظم في دولة ذات سيادة يرتكب خطأ وكان صموئيل قد حذر الشعب اليهودي في ارتكاب هذا الخطأ اللاهوتي الذي سيجر عليه العبودية والحرب » .

ان الصهاينة لم يكتفوا فقط بالوقوع في مثل هذا الخطأ الفادح (انشاء دولة اسرائيل) بل فرضوا سيادتهم وحكمهم على شعب يرفضهم . ان هذا الظلم رهيب . انهم يطالبون الفلسطينيين بالقبول بدولة يهودية على ارضهم ذاتها . « ماذا كان سيقول الفرنسيون لو اراد اليهود اقامة دولة يهودية في احدى المقاطعات الفرنسية ؟ ومع ذلك فان عدد اليهود الذين تواجدوا في فرنسا كان دائما اكبر من عدد اليهود الذين تواجدوا في فلسطين نفسها . وحتى ابراهيم نفسه فانه كان غريبا عن ارض كنعان ، وهذا حسب ما جاء في التوراة نفسها ، هذه الارض التي غزاها يشوع بواسطة ما نسميه اليوم — ويجب الاعتراف بهذا — « عمليات ابادة جماعية » .

ان التاريخ يظهر لنا ان اصحاب فلسطين الاوائل كانوا من الشعوب الكنعانية التي ابيدت . وبالتالي فان اليهود لا يستطيعون ان يطالبوا بفلسطين الا بصفتهم غزاة ومستعمرين . على كل حال ، الم يفهم الصهاينة أن عهد يشوع قد ولى وان القرن التاسع عشر ، هو الاخر ، قد ولى الى غير رجعة ؟

بعد هذه الاشارات التاريخية يعود امانويل ليفين الى الصراع الحالي فلا يرى فيه صراعا بين اجناس وشعوب وأمم بل صراعا بين عالمين : عالم الفقراء المعدمين وعالم الاغنياء المترفين . وهو بالطبع يلتحق بصفوف الفقراء الذين سيأتي الخلاص على

يدهم . ومن هم ، في المرحلة الحالية الفقراء ! انهم اللاجئون الفلسطينيون . والمسيح المنتظر هو اليوم قد تجسد واصبح لاجئا فلسطينيا . وعلى المسيحيين واليهود ان يفهموا هذا « وان يتصالحوا ويتحدوا ويعيدوا تكوين شعب الله ، اسرائيل الروحية ، قلبا وروح الانسانية التي تسير في طريق الهلاك » . ان طريق الخلاص بالنسبة للانسانية جمعاء يمر عبر تبني قضية المغلوبين ، المقهورين ، الفقراء الذين هم اللاجئون الفلسطينيون .

وفي راي منظمة « ميثاق ابراهام » أن العرب يرفضون الحوار مع الاسرائيليين كما يرفضون اقامة اية علاقات مع دولتهم ولكن هذا لا يمنعهم من اقامة اطيب العلاقات مع الشعب اليهودي كما كانت الحال في الماضي . اذ بأي حق يراد للشعب اليهودي ألا يمثل الا عبر دولة اسرائيل والمنظمات الرسمية التابعة لها، تلك المنظمات التي يحولها الرأسماليون اليهود ، الذين هم في معظمهم اميركيون ويقبضون على اقدارها ومصائرها . ثم لماذا لا يسمح لليهود الفقراء ، اولئك الذين لا مال ولا سلاح عندهم ولا يستغلون او يظلمون او يقتلون، بالكلام وبالتعبير عن آرائهم ؟ ان دولة اسرائيل قد حرمت هؤلاء من أدنى حقوقهم وتكاد تتجاهل حتى وجودهم تجاهلا مقصودا وتعمدا . اذن فمن ناحية اولى كان انشاء دولة اسرائيل وبالا وكارثة على قسم لا بأس به من اليهود الفقراء ومن ناحية اخرى أدى هذا الامر الى « خلع الله الازلي ، كما حدث في عهد صموئيل ، والى طرد وحرمان ملك الملوك من عرشه تماما كما طرد وحرم العرب من بيوتهم وأراضيهم . وانطلاقا من هذا الواقع فان الظلم اللاحق بالعرب يتطابق مع الظلم اللاحق بالله مما يضفي على هذا الظلم طابعا مطلقا وغير عادي » . وهكذا ، وانطلاقا من تحاليل وتعليلات محض دينية ، ترفض هذه المنظمة بلسان زعيمها الكيان الاسرائيلي بقوة وعنف . انها ترفض دولة اسرائيل — التي تعني سيادة البشر — لانها قد اختارت سيادة الله الازلي التي هي وحدها عادلة ويمكن ان تكون مصدر سعادة وسلام للانسانية « ان دولة اسرائيل ، **مثلها في هذا مثل كل دولة** ، تدعي السيادة لنفسها فتعارض سيادة الله وتنفيها ». ولذلك ، يقول امانويل ليفين ، « لا استطيع ان أؤكد ايماني بالله وباليهودية دون ان أقول لها : لا ! » .

وقد أدى هذا الموقف الجذري والمبدأي من قضية انشاء دولة اسرائيل الى مواقف سياسية تلتقي مع بعض المواقف السياسية العربية من قضية وجود اسرائيل ذاتها . فردا على مقال نشر في مجلة « الشهادة المسيحية » كتبه جورج مونتارون المعروف بتأييده للقضية الفلسطينية وجاء فيه : « ان دولة اسرائيل معترف بها من قبل الدول الكبرى كما انها عضو في الامم المتحدة ، وهذا يعطيها الحق في الحياة ... ان لاسرائيل الحق في الاستقلال وفي السيادة الاقليمية » الا انها لا يجوز لها ضم الاراضي المحتلة حديثا ، يقول رئيس منظمة «ميثاق ابراهام» في رسالة جوابية طويلة ما مؤداه : انني لست من مؤيدي دولة اسرائيل . ولكنني لو كنت كذلك ، كالغالبية العظمى من الاسرائيليين ، لوافقت على ضم القدس والضفة الغربية وغزة الخ ... ذلك اننا اذا اعترفنا بحق اسرائيل في الوجود في القدس الجديدة فلماذا لا نعترف بوجودها ايضا في القدس العربية القديمة ؟... اننا اذا كنا من مؤيدي انشاء الدولة اليهودية ومن المعترفين بشرعيتها ، فعلينا والحالة هذه أن نعترف بكل حدودها « التوراتية ». ان حدود ١٩٤٨ قد مزقت وقطعت اوصال الدولة اليهودية « وكل صهيوني جدير بهذا الاسم ، لا يمكن ان يكتفي بها » . ان ما تسميه انت احتلالا وضما ، يسميه هو اعادة تأكيد سيادة الدولة اليهودية على اراضيها ، هذه السيادة التي اعترفت له بها في بعض الاراضي ورفضتها في البعض الاخر. واذا بقيت ، رغم كل هذا مصرا على تسمية العمليات العسكرية في سنة ١٩٦٧ غزوا واحتلالا، فعليك ايضا ان تسمي العمليات العسكرية التي جرت في ١٩٤٨ غزوا واحتلالا . اذا كنت ترفض سيطرة اسرائيل على اراضي ١٩٦٧ فليس هناك اي عذر في قبول سيطرتها على الاراضي التي احتلتها سنة ١٩٤٨ . ان اسرائيل لم تفعل في سنة ١٩٦٧ الا اعادة ما فعلته سنة ١٩٤٨ . واذا وافقنا على ١٩٤٨ فليس هناك اي سبب لعدم الموافقة على ١٩٦٧ . ان اولئك الذين مثلك ، يوافقون على عمليات ١٩٤٨ — او على الاقل يخضعون لأمرها الواقع — لاننا الان في سنة ١٩٦٧ ، ثم يعارضون عمليات ١٩٦٧ ، ان هؤلاء سوف يوافقون — او على الاقل سيخضعون — في سنة ١٩٨٧ للامر الواقع الذي تم في سنة ١٩٦٧. «كلا يا سيدي ان الاعتراف والتغاضي عن الظلم لانه اصبح امرا واقعا لا يتفق والعدالة التوراتية . على الظلم ان يعوض ويمحى.

ان دولة اسرائيل كانت تحمل في مبداها كل المظالم وكل الجرائم التي نشهدها اليوم . لم يكن من الممكن ان تنشأ دون ان ترتكبها ولا ان تعيش دون ان تعيد ارتكابها ولا ان تنمو دون أن ترتكب جرائم جديدة غيرها . **يجب ادانة دولة اسرائيل في مبداها وفي فكرتها ذاتها والا فسنكون شهودا ومتواطئين في عملية هدم وابادة العالم العربي — او الفلسطيني على الاقل »** .

ان كل تبرير لقيام دولة اسرائيل عن طريق اللجوء الى نصوص مستقاة من التوراة عملية يمكن ان تؤدي الى نتائج خطيرة وكوارث رهيبة تصيب الشعب اليهودي نفسه بالدرجة الاولى،والانسانية جمعاء بالدرجة الثانية . ان نفس النص التوراتي يسمح للصهيونية السياسية بامتلاك فلسطين من قبل اليهود وباغتصاب وابادة وذبح سكانها : (العدد : ٣٥ ، ٣٦) .

ان ليفين يرى ان تفسيرات مثل كلام مونتارون ، وهي تفسيرات حرفية وتبسيطية ومخالفة لكل التقاليد الدينية اليهودية ، تتيح للصهاينة كما للنازيين ارتكاب مجازرهم . ولماذا الصهاينة ايضا. أية علاقة لهم بمثل هذا التصرف ؟ وهنا يجيب ليفين : « ان التوراة تتحدث عن ابادة الشعب اليهودي في حالة العصيان والتمرد . والنازيون ، بلجوئهم الى تأويل التوراة تأويلا تبسيطيا وسطحيا، بامكانهم أن يبرروا كل فظائعهم في اشويتز وتربلينكا : انهم ينفذون ارادة الله الذي يعاقب شعبه على خيانته ، لقد قلت هذا وكتبته وسأظل أردده الى ما لا نهاية : ليست القنبلة الذرية هي التي ستودي بالانسانية الى حتفها وانما القراءة الخاطئة والتأويل التبسيطي السطحي لكلام الله.»

دولة اسرائيل ، ارادة الهية أم جهنمية ؟ بعد عملية التعرية الشاملة لحقيقة الدولة الاسرائيلية ولابعاد الفكر الصهيوني الذي يؤمن لها غطاء سياسيا ودينيا كثيفا وسموها ، يتابع زعيم هذه المنظمة حملته عليها فيركزها على ناحية معينة من الدعاية الصهيونية التي تحاول ان تدخل في روع اليهود ان « ولادة دولة يهودية هو علامة ذات أهمية غير عادية وهي تعطي لعصرنا بعدا توراتيا حقيقيا او انها علامة من الله . » ويتلخص رد امانويل ليفين على هذه الفكرة الخاطئة والمضللة كما يلي : ان علامة من الله تعني في التقليد التوراتي واليهودي معجزة ، عجيبة ، تدخلا خارقا للطبيعة كما حدث مثلا عند خروج الشعب اليهودي من مصر . وليست هذه هي الحال مع دولة اسرائيل ، التي انشئت بوسائل انسانية بحتة كغيرها من الدول : بالمال والديبلوماسية والعنف. والخلاص ، لا يمكن أن يأتي ، حسب ما جاء في التوراة ، « لا عن طريق القوس ولا السيف ولا المعارك ولا الاحصنة ولا الفرسان » . ان خلاص الشعب اليهودي الكامن في العودة الى صهيون هو حدث خارق العادة وملكوتي ولا يمكن ان يتحقق بوسائل دنيوية ولا يمكن أن يكون حدثا طبيعيا وتاريخيا : « العودة الى صهيون تتم في نهاية الزمان ، في نهاية التاريخ ، في نهاية هذا العالم » ولا يمكننا ان نكون فكرة عن هذه العودة الا اذا وضعنا انفسنا في « العالم الاخر ، العالم السماوي الروحي ، عالم ملكوت الله حيث لا يعود للقيم والتعابير التالية : مملكة قيصر — دولة — وطن — حدود — أرض — استقلال — سيادة وطنية الخ .. — أي معنى واي قيمة واي دلالة » . ولو طبقنا هذا التحديد على الواقع الاسرائيلي فماذا نرى ؟ . نرى أن دولة اسرائيل هي من « هذا العالم » وهذا كان ، على كل حال هدف مؤسسيها وبناتها : توطين الشعب اليهودي وجعله امة كسائر الامم . اما الصفة الدينية فلم تلصق بها ، عن خطأ ، الا لاحقا . ان الحركة الصهيونية هي ، كما يقول ليون تولستوي ، « أوروبية بعظمها وشحمها ولحمها » وقد ظنت هذه الحركة «ان قوة أوروبا تكمن في تكوينها ، اي في قوة مدافعها مع كل فظائع النزعة العسكرية التي ترافقها ، فقررت ان تلبس شيوخها ثيابا عسكرية وتضع في أيديهم البنادق . لقد أراد الصهاينة أن يخلقوا قوة عسكرية جديدة في الوقت الذي يثور فيه الناس المخلصون والصادقون والمفكرون في أوروبا واميركا على جنون وفظاعة هذه الهوة التي يسير نحوها الان (١٩٠٦) المجتمع المتوحش المسمى بالمتمدن ... ان كل الناس العاقلين يكافحون ويناضلون ضد الدولة المغلقة في الوقت الذي تريد فيه الصهيونية أن تحيي مثل هذه الدولة المغلقة البالية والمهترئة وتسمي هذا الطموح الى السوراء تقدما ! » .

وبعد هذا ، يأتي دعاة الصهيونية يتشدقون

ويتباهون « بأن دولة اسرائيل هي تحقيق لمعظم آمال الشعب اليهودي وتأكيد ساطع لمفاهيمه اللاهوتية » . لا ، ان الشعب اليهودي ، كما اوضح ايمانويل ليفين ، يرتكب خطأ مميتا اذا التزم بالفكر الصهيوني وأصبح خادما لمصلحة الدولة والحكم . ان الشعب اليهودي يمكن ان يربح الكثير من المال اذا ذاب في دولة اسرائيل التي تستمد قوتها من الراسمال اليهودي الاميركي. الا أنه بذلك ينعزل داخل الحدود ويستقر ، ويبرر استعمال العنف والسلاح ويفقد بالتالي صفاته الشمولية والكلية والسلمية التي كانت سبب قوته الحقيقية ولا يعود له أي دور شريف يؤديه من أجل اسعاد البشرية : انه يفقد بذلك رسالته التاريخية.

القومية والصهيونية : ان نظرة هذه المنظمة اليهودية الى الحركة الصهيونية تتلخص في ان هذه الاخيرة تظهر كقومية عنصرية ذات أثر هدام على ثقافة الشعب الذي يتبناها . والصهيونية هي التي ادخلت القومية العنصرية الى اليهودية . أما بالنسبة لمثلي الدين اليهودي الحقيقيين ، فان اليهودية كانت قومية دينية وثقافية . اليهودي بالنسبة اليهم هو من يعيش حسب التوراة دون ان يرتبط بأرض معينة ولا بالشعب اليهودي بحد ذاته . لقد كانت التوراة هي العامل الموحد للشعب اليهودي لا الارض او الجنس ، كما يريد الصهاينة. على أن هذا لا يعني ان اليهودية تريد القضاء على الامم وانما على القوميات الشوفينية العدائية .

ان الانتماء الى الامة ، كما يقول برديابيف : يمثل درجة عالية ومتشعبة في حياة المجتمع . انه شكل تاريخي معقد . وهي ، ولا ريب تحدد بعلاقات الدم والسكن واللغة والارض وكذلك بالقدر التاريخي المشترك . ولكن لا شيء من هذا القبيل بالنسبة الى القومية التي هي مرض من أمراض الانتماء الى الامة . انها تتميز بالانكماش على الذات ونفي والغاء الاخرين ، والعداء للقوميات الاخرى والنظرة الاستعلائية اليها . انها رغبة شريرة في فرض الذات وأنانية ومحتقرة وحاقدة . انها احدى مصادر الحروب .

لهذه الاسباب كلها يرفض الدين اليهودي الحقيقي القبول بوجود القوميات والدول : لا بل انه يريد الغاءها . « لذلك فان منشئي الصهيونية ، أي منشئي قومية الدولة اليهودية قد أدوا خدمة شريرة للانسانية بخلقهم مصدرا جديدا للتوتر والتقاتل في الشرق الاوسط » . ولم يكن العالم بحاجة الى هذا ابدا . والصهاينة لم يكونوا غافلين عن مثل هذه الحقيقة بل كانوا يعلمون جيدا ما كانوا يفعلون فهذا نبيهم تيودور هرتزل يقول في كتابه « دولة اليهود » كلاما ذا دلالة عميقة : « يقولون لنا ان علينا أن نتجنب خلق اختلافات جديدة بين البشر وبأنه عوضا عن أن نخلق حدودا جديدة ، من الافضل الغاء القديمة . ان من تراودهم مثل هذه الاوهام هم ، كما يتراءى لي ، من الحالمين الجديرين بهذا الاسم اذ ان الاخوة الانسانية هي أقل من حلم جميل . ان وجود عدو ما هو وسيلة ثمينة بدونها لا يمكن ان تتكون الشخصيات الكبيرة . » ويعلق ليفين على هذه الكلمات التي لا لبس فيها ولا غموض فيقول : ان هذا من التفكير الالماني ولا يتصل البتة بالدين اليهودي المتطور . ان مشكلة السلام بالنسبة الى اسرائيل ليست في أن تنزع عنها صهيونتها وانما في أن تتخلى عن المانيتها .

النزعة الفوضوية ، والدين اليهودي ودولة اسرائيل : ان النزعة الفوضوية تدين كل أشكال الدولة ، في مبدئها وفي تطبيقها وقد برزت هذه النزعة وقويت في القرن التاسع عشر على يد مفكرين كبار مثل باكونين وغيرهم. وحتى ماركس نفسه فقد كان يتطلع في تصوره للمجتمع اللاطبقي الى زوال الدولة . وحتى الان رأينا ان امانويل ليفين قد ركز هجومه على « دولة » اسرائيل التي هي نموذج الدولة المستغلة ، القاهرة ، المستبدة ، الشريرة . وهنا يوسع هجومه ويعمقه بشكل مفصل ومبلور . أما مناسبة هذا الهجوم فكان مقالا لاحد الصهاينة اكتشف في الدولة انجازات انسانية . فالدولة في رأيه ليست ، بطبيعتها ، لا انسانية ، كما يقول الفوضويون . « ان كل الدول ليست بشريرة ودولة اسرائيل اكبر برهان على هذا . فلتتخذها كل الدول الاخرى كنموذج وسيسود السلام والاخوة في العالم ! » ثم يعطي هذا المثل كدليل على صحة ما يقول : « في احدى القرى الريفية في فلسطين ، التي تقطنها أغلبية عربية ، عين مختار مسلم . » وهذه الواقعة أثارت اعجاب هذا الصهيوني بانسانية وديمقراطية الدولة الاسرائيلية . وهنا تساءل ليفين قائلا : اذا

اخذنا بوجهة النظر هذه ، فان فرنسا تكون افضل بكثير اذ ان بامكان الاشخاص المتحدرين من اقليات دينية في هذا البلد الكاثوليكي ان يتولوا مناصب أهم بكثير من منصب المختار . فليس من النادر مثلا ان نرى يهودا يتولـــون منصب رئيس وزارة او وزير ويحكمون بذلك الاغلبية الكاثوليكية (ليون بلوم ، رينه مايير ، مندس فرانس الخ ...) ومع ذلك فاليهود في فرنسا يشكلون أقلية أقـل عددا من الاقلية التي يشكلها العرب في فلسطـين المحتلة . اننـا قد نستطيع ان نواجه امكانيـة الاعجاب بدولة اسرائيل فقط عندما يترأسها او يحكمها عربي يوما ما . ان هذه القصة التـي اوردتها صحيفة اللوموند الفرنسية ليست سوى مجرد دعاية صهيونية تريد ان تقنعنا بفضائل دولة اسرائيل الانسانية .

يخطىء العرب ، كما تزعم الدعاية الصهيونية ، بعدم السعي الى التفاهم مع الاسرائيليين أي بعدم الاعتراف بشرعية اغتصاب اراضيهـم . فالاسرائيليون قد ارسلتهم العناية الالهية لتمديـن الشعوب العربية وتعليمها كيف تزرع اراضيها . باي طريقة ؟ على الطريقة الاميركية . وهنا يجيب رئيس منظمة « ميثاق ابراهام » بأن العرب هم الذين يستطيعون ان يعلموا الاسرائيليين : ان يعلموهم احترام الطبيعة وعدم انتهـاك الارض المقدسة بوسائل تقنية وعلمية حديثة جدا وعـدم تحويل الشرق الاوسط الى اميركا ثانية يكون فيها الربيح اخرس . « **فلندع العـرب يعيشون كما يطيب لهم** وعلى الاوروبيين الا يحاولـوا فـرض اساطيرهم « التقدمية » على غيرهم » فلنـدع الانسان حرا في ان يعيش فقيرا اذا طاب له ذلك، اذ ان الغنى والحرية لا يتفقان دائما معا .

على اليهود الذين يدافعون عن دولة اسرائيـل وعما تمثله من « مثل وقيم » ان يذهبـوا الـى اسرائيل ويروا ويشاهدوا . فاذا ما اشتركوا في مظاهرة فوضوية ، أو اشتراكية فستنهال عليهم الضربات والقبضات والاقدام من كل جانب .«واذا رفضـوا ان يقتلوا العرب عندما يؤمرون بذلـك فسيحاكمون ويدانون ويسجنون ويعدمون رميـا بالرصاص ... » عندما يسيء احـد المعادين للسامية الى احد اليهود يعبأ الراي العـام العالمي وتناشد اعلى الهيئات الدولية ويشرع في الزام العالم بأسره في حرب ضد البلـد الذي يتغاضى عن مثل هذا العمل . ولكن عندما يتعلق الامر بمقتل احد اليهود المعارضين لسياسة الدولة الاسرائيلية على يد البوليس الاسرائيلي نفسه فهذا ما يثير الاعجاب . الا يعني هذا ان اسرائيل قد اصبحت دولة كبقية الدول وتخلصت من كل مركبات النقص عندها ؟

منذ ألفي سنة واسرائيل تعيش حياة وطنية بدون دولة وبدون أرض فقد بلغت مرتبة شعب روحي وأمة حرة . لقد كانت اسرائيل تجسد الامـل الفوضوي الذي هو أمل ملكوتي . لقد كانت تقول لشعوب الارض : هوذا مثلي : لا حدود ولا دولة لي ومع ذلك فاني أعيش افضل من كل الامـم الاخرى الخاضعة لملوك وامراء . لا نملك جيشا ولا شرطة ولا محاكم تستطيع ان تسجن وتعدم ومع ذلك فليس هناك شعب أكثر تعلقا بدستوره وشريعته منا . ان ما حققناه هو في متناول يدكم : «تخلصوا من ملوككم ومن امرائكم ومن قوادكم ، تخلوا عن ملكية ارضكم ، انسفوا الحدود وتحركوا.» **الى ان جاءت الصهيونية فقضت على هذا الحلم الرائع .** فاليهودي الذي كان قبل الثورة الفرنسية يعيش بدون دولة أصبح اليوم مرتبطا بدولتين : اسرائيل وفرنسا . وبالفعل فالعديد من الشبان اليهـود ادوا خدمتهم العسكرية في اسرائيل بعد أن كانوا ادوها في فرنسا . « من الشعب الاكثر فوضوية في العالم ، صنع روتشيلـد بمساعـدة موظفيه الدينيين ومفكريه المأجورين الشعب الاكثر خضوعا والاكثر عبادة للدولة » . لقد كان القوميون في الماضي معادين للسامية لانهم لم يستطيعوا تحمـل فوضوية اسرائيل الحية . أما اليوم فقد أصبح نفس هؤلاء القوميين من أكبر المعجبين باسرائيل لانها « تشكل وسيلة اقل همجية في التخلص من اليهود من مخيمات الابادة . فلم يعودوا بحاجة الـى طردهم : انهم يغادرون من تلقاء انفسهـم بتأثير من الدعاية الصهيونية .

الصهيونية والنازية : ان أكثر ما يلفت النظر فـي الحركة الصهيونية هو العلاقة العضوية بينها وبين الحركة النازية . فليس هناك مجرد تأثر عابر بين الجلاد والضحية بل تواطؤ مخجل ، رغم كل المظاهر ، ذهب ضحيته الشعب اليهودي ومـا يزال . ان وجـه التشابـه الاول بين النازية

والصهيونية هو أن هذه الاخيرة تقتل الفكر وتدمر النفس وتحول الشباب اليهودي وتجعله شبيها بأعدائه النازيين أي بدون ضمير ولا شفقة ولا قلب . انها تجعلهم يعبدون دولة اسرائيل ويستعبدون بها : دولة اسرائيل فوق الجميع (هذا الشعار يذكرنا بالشعار النازي : ألمانيا فوق الجميع)وهي على صواب مهما فعلت ومنها يستمد اليهود وجودهم .

ثم هناك العلاقة التاريخية التي نشأت بين زعماء الصهيونية وبين النازيين . ذلك أنه « حيثما كان يوجد يهود ، كان على رأسهم مسؤولون معترف بهم . وقد تعاون هؤلاء المسؤولون ، ما عدا بعض الاستثناءات النادرة ، بشكل من الاشكال ولسبب من الاسباب مع النازيين . والحقيقة هي أن الشعب اليهودي لو لم يكن منظما وبدون زعماء لسادت الفوضى والفقر ايضا الا ان عدد الضحايا ما كان وصل الى ستة ملايين » (حنه أرنت .. لونوفيل اوبسرفاتور — عدد ٩٩ — ١٠٠) وكان الصهاينة ، بنوع خاص ، أكثر من تعاون وتفاهم مع النازيين ، وبهذا الصدد تورد حنه ارنت هذه الرواية المذهلة : ما أن تولى **ايخمان** مسؤولياته حتى أمره رئيسه (فون ميلدنشتان) بقراءة كتاب هرتزل « دولة اليهود » . وقد ارتد ايخمان بعد قراءته لهذا الكتاب نهائيا الى الصهيونية . وقد بدأ منذ ذلك الحين بالتفكير بايجاد « حل سياسي » لقضية اليهود (يجب تمييز هذا الحل عن « الحل الجسدي » فالاول يعني طرد اليهود والثاني ابادتهم) وبالتفتيش عن وسائل وطرق « لوضع شيء من الارض تحت أقدام اليهود » . ولهذه الغاية أخذ ايخمان ينشر الرسالة الصهيونية في الاوساط النازية ويعطي المحاضرات ويكتب المقالات النقدية الهجائية . وقد كانت أولى اتصالاته الشخصية مع مسؤولين يهود معروفين وصهيونيين منذ مدة طويلة ، مرضية تماما . لقد كانت « مثالية » ايخمان ، كما تقول ارنت ، السبب في انجذابه الى « المسألة اليهودية » . فعلى عكس اليهود الذين كانوا يريدون الاندماج والذوبان في المجتمع الالماني والذين كان ايخمان يكرههم دائما ، وعلى عكس اليهود الارثوذكس الذين كانوا يضجرونه ، فان هؤلاء الصهاينة ، كانوا مثله تماما ، اي « مثاليين » . المثالي ، كما يتصوره ايخمان ، هو انسان لا يعيش الا من أجل فكرته وهو مستعد ليضحي بكل شيء وبكل العالم من أجل هذه الفكرة . وكان الدكتور رودولف كاستنر اعظم « مثالي » التقاه ايخمان بين اليهود . وقد جرت المفاوضات معه اثناء اقتلاع اليهود من هنجاريا . ولقد توصل هذان الرجلان الى اتفاق يسمح ايخمان بموجبه بذهاب بضعة الاف من اليهود الى فلسطين بطريقة « غير قانونية » وبالمقابل يجب ان يسود النظام والهدوء في المخيمات التي كان يجمع فيها مئات الالاف من اليهود قبل ارسالهم الى اوشويتز. اما بضعة الالاف من الناجين الذين اشير اليهم في الاتفاق فقد كانوا من اليهود البارزين ومن اعضاء منظمات الشباب الصهيونية ومن « أفضل المواد البيولوجية » حسب تعبير ايخمان ذاته . واذا صدقناه، يكون الدكتور كاستنر قد ضحى بأبناء دينه من أجل « فكرة » ... » (لونوفيل اوبسرفاتور عدد ٩٩ — ١٠٠) .

العرب والصهيونية : لقد اثبت التاريخ ان الاخوة والتعايش بين العرب واليهود أمران ممكنان في حين أن الاحداث الراهنة قد اثبتت ان دولة عربية ودولة يهودية لا يمكن ان تتعايشا أبدا . وبهذا الصدد يقول امانويل ليفين : « بصفتي يهوديا ، استطيع ان اتفاهم مع اي عربي ، ولكن هذا غير ممكن اذا كنت اسرائيليا . اذا أردت اذن ان أقيم حوارا مع العرب علي ان أظل يهوديا ولا أصبح اسرائيليا ، اي أن أرفض دولة اسرائيل . ان ما يهمني هو أن يقبل العرب بي ويتسامحوا لا بل ويرغبوا في وجودي في بلادهم ، وخاصة في فلسطين . ما يهمني هو أن يحق لي السكن في الارض المقدسة بسلام ودون القيام بحرب . وقد لا يكون هذا صعب التحقيق في دولة فلسطينية ، أما في الدولة الاسرائيلية فهذا محال. فالاسرائيلي هو عضو غريب في الجسم العربي وعاجلا أم آجلا سيرفض ويرمى . أما اليهودي فهو ، على نقيض ذلك ، عنصر لا يمكن ان يستغني عنه العالم العربي لا بل يناديه ويدعوه » . من هذا الواقع علينا ان نبني سياستنا وننطلق : اعادة اقامة العلاقات الاخوية بين العرب واليهود التي قطعت بسبب الصهاينة . اذا أراد اليهود أن يعيشوا بأخوة مع عرب فلسطين عليهم أن يكونوا يهودا فلسطينيين لا اسرائيليين أذ أن دولة اسرائيل

قد خطط لها في اوروبا وفي ألمانيا وليس في فلسطين وهنا سبب حتمية موتها . والدولة الفلسطينية حقا لا يمكن أن تكون الا عربية اذ أن يهود فلسطين الاصليين لم يفكروا ابدا في انشاء دولة يهودية أو سيادة ما غير سيادة الله . اذ أن مثل هذا العمل كان في عرفهم « أمرا لا يطاق ، وحشيا ولا تنتج عنه الا الكوارث والنكبات » .

وهنا يبرز امامنا تناقض في أقوال هذه المنظمة فمن جهة نراها تتكلم عن « كومونة » عربية — يهودية في فلسطين مع ما يتضمنه هذا من رفض للدولة اليهودية والدولة العربية على السواء ، ومن جهة أخرى تتكلم عن دولة فلسطينية لا يمكن أن تكون الا عربية . وعلى هذا يجيب امانويل ليفين : « في الواقع هناك صراع بين مثاليتي وبين نظرتي الواقعية الى الاشياء » أما بالنسبة الى الموقف من دولة اسرائيل فلا لزوم لتوضيحه اكثر من هذا. وبالنسبة لمسألة اقامة الدولة العربية فليس هذا، بالنسبة الى العرب ، الحل المثالي اذ ان كل دولة هي جهاز قمع واستغلال للانسان بواسطة الانسان لذلك ينبغي اقامة مجتمع بدون دولة تكون فيه الادارة اداة بيد الانسان وليس الانسان اداة في يدها كما هي الحال في الدولة . ولكن ليس هناك اي أمل في اقامة مثل هذا المجتمع في عالمنا الحديث الذي يتميز بالامبريالية والاستبداد الدولي . اذن يبقى الحل الواقعي الذي يفرض علينا الانطلاق من فلسطين عربية . ان دولة اسرائيل محكومة بالانهيار وقد بدأ هذا يحدث قبل حرب حزيران التي جاءت كردة فعل عنيفة لمنع هذا الانهيار ... الا ان على فلسطين العربية هذه أن تكون بالضرورة ذات رسالة عالمية ومتعددة الطوائف حتى يقبلها العالم . عليها ان تكون أكثر انفتاحا من بقية الدول العربية حتى تكون بالتالي افضل مكان للتجارب الامية والعالمية .

ان الصهاينة يعرفون جيدا في قرارة انفسهم انهم ليسوا اهلا للبقاء في فلسطين فهم « متغربون ومتأمركون » اكثر من اللزوم وسيغادرونها حتى بدون أن « يرميهم العرب في البحر » . لذلك فانهم يتصرفون مع العرب بطريقة استبدادية وعسكرية وغير سياسية . انهم لا يسعون لتأمين مستقبلهم في هذه البقعة من العالم الا عن طريق قوة السلاح التي لن تكون دائما الى جانبهم . انهم من بقايا مستعمري القرن التاسع عشر الذين سوف لا يكون مصيرهم مختلفا عن مصير فرنسيي الجزائر . ان هذا الواقع يفرض على كل انسان مخلص النضال ضد اسرائيل . وتعتقد هذه المنظمة ان النضال الاكثر فعالية ضد دولة اسرائيل وضد الصهيونية هو **النضال الايديولوجي** ، عن طريق نشر الحقيقة حول اصول الصهيونية الالمانية والاوروبية واظهار علاقاتها مع الامبريالية .

دور اسرائيل المشين ضد نضال العالم الثالث :

في عددها الصادر في كانون الثاني — نيسان ١٩٦٨، نشرت مجلة القارات الثلاث«تريكونتيننتال» ما مفاده أن الوحدات العسكرية لمكافحة حرب العصابات في كل من ألتشاد واثيوبيا تتلقى العون والتدريب من ضباط اسرائيليين . وهذا الخبر ، كما تقول منظمة « ميثاق ابراهام » يؤكد صحة نظريتها القائلة بأن دولة اسرائيل قد انشئت لتأمين الدفاع عن الحضارة الغربية التي نتج عنها اوشويتز وهيروشيما . وفلسطين هي الثالثة في هذه السلسلة من الفظائع . انها التكملة المنطقية لاوشويتز وهيروشيما . ودولة اسرائيل هي افضل تعبير عن هذه الحضارة الغربية التقنية التي اعطت للعالم منجزات « رائعة » ابتداء بغرف الغاز ومرورا بالقنبلة الذرية وانتهاء باسرائيل— النابالم . ان الشعوب الفقيرة في القارات الثلاث قد اعلنت الحرب على الدول الغنية، على العمالقة الصناعيين حتى تبقى على قيد الحياة من الابادة ، حتى لا تسحق بجزماتهم وآلاتهم كالحشرات . لذلك فان هذه الشعوب المظلومة ، الفقيرة تدرك وستدرك اكثر فاكثر الدور الذي تلعبه اسرائيل في الدفاع عن هذه الحضارة التقنية ... ان على كل ثوري أن يرى بوضوح ان اقصر طريق للثورة العالمية يمر عبر تدمير الدولة الصهيونية . ان الامبريالية لا تدمر الا اذا دمرت الدولة الاسرائيلية. الابقاء على دولة اسرائيل هو ابقاء على الرأسمالية والامبريالية والكولونيالية والتقنية والالة الغربية التي تسحق وتلغي الانسانية . ان مصير العالم يتقرر في الشرق الاوسط . والشعب الفلسطيني ذو رسالة « فدائية » فهو يتعذب بسبب خطايا العالم والله متجسد فيه ، الله معه. وهو سينتصر على الصهيونية والامبريالية بمساعدة كل ثوار العالم لانه الاضعف والافقر .

اضواء على مواقف هذه المنظمة (وفروعها) من بعض القضايا الراهنة : قبل ان نلقي نظرة نقدية وتقييمية لايديولوجية وأفكار هذه المنظمة لا بد لنا من التعرف عن الطريقة التي ترجمت فيها هذه المنطلقات المبدئية الى مواقف عملية واضحة اذ لا يكفي أن نطلع على راي هذه المنظمة من قضية وجود دولة اسرائيلية بل علينا أيضا ان نتعرف الى مواقفها الحسية من بعض الاحداث والقضايا الراهنة التي تتصل بقريب او بعيد بالمشكلة الفلسطينية . من اجل هذا سنلجأ الى المنشورات التي يصدرها فرع منظمة « ميثاق ابراهام » في لييج ببلجيكا والى بعض المراسلات المتبادلة بين ارنو هامرز ، رئيس هذا الفرع ، ومركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . (لا بد من الاشارة هنا الى ان الفرع البلجيكي لمنظمة « ميثاق ابراهام » كان في البدء حركة معادية للعنف أسست عام ١٩٥٦ ثم انضمت في شهر شباط ١٩٦٤ الى منظمة « ميثاق ابراهام » التي أسسها سنة ١٩٥٨ في باريس ايمانويل ليفين . وقد كان نشاطها موجها بصورة خاصة ضد اعادة تسليح المانيا اولا ، وضد اسرائيل كدولة ثانيا . وليس هناك اي اختلاف اساسي بين آراء ومواقف هذا الفرع وبين مواقف وآراء منظمة « ميثاق ابراهام » ، لذلك سنعتبرهما كمنظمة واحدة وهما كذلك في الواقع) .

الموقف من قضية تحرير فلسطين : أعلنت هذه المنظمة بوضوح انها ليست فقط ضد تصفية آثار العدوان الاسرائيلي ، بل هي « مع التصفية الكاملة وبكل الوسائل للجالية الصهيونية في فلسطين بمختلف اشكالها » . كما انها لا تؤمن بامكانية حل سلمي لهذه القضية . ومن المفيد هنا أن نورد بعض المقاطع من اجابات أرنو هامرز على الاسئلة التالية :

ـ ما هو موقفكم من شعار اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين ؟ « نحن نوضويون ، شيوعيون ، يهود ، مسيحيون . اذن نحن ضد وجود اي دولة . الا اننا نؤيد ، في المرحلة الحالية ، هدفكم » .

ـ حل المسالة اليهودية ؟ « حمل اكبر عدد ممكن من الذين يقولون عن انفسهم انهم يهود الى الارتداد (بصدق ، طبعا) الى المسيح الذي هو ، اليوم ، لاجيء فلسطيني ، أو بانتظار هذا ، الارتداد الى الاسلام (كما فعل شاباتاي ليفي في القرن السابع عشر) أو الى الماوية ... اما الاخرون فانهم يسيرون الى حتفهم » .

ـ ما هي اهدافكم ؟ « ان اهدافنا هي بالاصل اهداف دينية . أننا نناضل من اجل الأسراع بانهاء هذا العالم ومن اجل مجيء مملكة الله الى الارض وعدالته (تصدق Tsodek) » .

ـ هل عندكم اية اقتراحات لدعم الثورة الفلسطينية؟ ؟ ١ ـ دراسة عميقة لمسالة « من هو اليهودي ؟ » وللمسالة الاخرى المترتبة عنها اي « ما هي اسرائيل » وذلك بالاستناد الى الكتابات المسيحية المقدسة والتقليد اليهودي والمتصوف وكذلك الى النصوص الماركسية الاصلية « المسالة اليهودية » لكارل ماركس . ٢ ـ الادانة الواضحة لكل الدول أيا كانت القائمة على أسس دينية بما في ذلك الباكستان حتى لا يعود هناك مجال للشك بصدقكم فيما يتعلق بهدفكم . ٣ ـ ان تعوا اكثر أن الصهيونية السياسية هي قوة عالمية لها تشعبات في كل مكان وبالتالي فليس بالامكان الانتصار عليها الا بمهاجمتها في كل مكان وفي نفس الوقت .

ـ هل هناك ما لا توافقون عليه في الثورة الفلسطينية ؟ « اننا نستنكر كلية وبشدة اقتراح الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين الهادف الى حل الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني عن طريق انشاء دولة فدرالية او كونفدرالية على الطراز التشيكوسلوفاكي او اليوغوسلافي . اننا ضد كل دولة يهودية حتى ولو كانت بشكل جمهورية شعبية يهودية متحدة مع جمهوريات عربية شعبية . واننا مع النزع الكامل للطابع الغربي عن كافة الاراضي المقدسة » .

الموقف من عبد الناصر وحسين بعد مجازر ايلول : لقد كانت نظرة هذه المنظمة قاسية جدا الى الدور الذي لعبه عبد الناصر في الحركة الثورية العربية المعادية للاستعمار . فهي ترى فيه قائدا قاد الامة العربية الى الهزيمة كما انها تعتبره المسؤول غير المباشر عن مجازر ايلول بقبوله مشروع روجرز . أما عن الملك حسين فتقول المنظمة : « فليقتل ، فليشنق عاليا مع كل شلته . يجب الا يفلت من الميتة الشنيعة التي يستحقها عن جدارة . على

كل حال ، ان أيام جزار عمان معدودة » . ان الثورة ، كما يقول تشي غيفارا ، يجب ان تكون فعلا مغامرا ... لكي يخرج الناس من بؤسهم ، اذا ارادوا هذا حقا ، ليس هناك سوى وسيلة واحدة : أن تخنق الثورة كل شيء في النار والدم حتى تموت كل الحشرات التي تتغذى من عرق الاخرين !...

ويتميز خط هذه المنظمة ايضا بالتهجم العنيف على سياسة موسكو والكتلة الشرقية التي تسير في فلكها كما انه يتميز ، بالمقابل ، بتأييد قوي للماوية التي ترتبط بها المنظمة « بحلف غير معلن ولكنه واقع » .

العرب والهنود الحمر : تعليقا على اقوال احد اعضاء جبهة تحرير كويبك الذي اعلن ان قضية كويبك وقضية فلسطين هما قضية واحدة قالت هذه المنظمة : إن نضال الهنود الحمر وحده قد تمكن مقارنته بنضال الفلسطينيين ... ان سياسة اسرائيل ازاء العرب لا يمكن مقارنتها الا بتلك السياسة التي انتهجتها اميركاالشمالية في القرن الماضي ازاء الهنود الحمر . يجب الا ننسى ، خاصة في هذه الايام ، أن كويبك لا تخص لا الكنديين الانكليز ولا الكنديين الفرنسيين . وهكذا فان تضامننا مع الهنود الحمر يأتي قبل تضامننا مع الكنديين الفرنسيين، وتضامننا مع الفلسطينيين يأتي قبل الاثنين .

الباكستان ، اسرائيل العالم الاسلامي : تعتبر هذه المنظمة أن الباكستان «هذه الدولة الصهيونية الاسلامية » هي اكبر وصمة عار في جبين العالم الاسلامي اذ بأي حق يلوم المسلمون الغزاة الصهاينة لانشائهم دولة دينية في فلسطين ؟ اذا كان العرب منطقيين مع انفسهم ، عليهم اذن أن يدينوا هذه الدولة الدينية . ان تصفية اسرائيل تمر عبر تصفية الباكستان . والجدير بالذكر أن هذه المنظمة قد هاجمت منظمة التحرير الفلسطينية لاشتراكها في مؤتمر الدول الاسلامية في حين امتنعت عدة دول ، من بينها سوريا والعراق ، عن حضوره . وهنا لا بد من الاشارة الى ان الموقف العنيف من الباكستان ينبع من مصدرين اثنين : التضامن مع الهند المسالمة — وادانة كل دولة دينية .

نظرة تقييمية ونقدية شاملة

من الواضح تماما ان هذه المنظمة تريد ان تكون دينية فقط اي انها ترفض كل استغلال للدين من قبل السياسيين كما حدث بالنسبة للصهاينة الذين تاجروا بالقضية اليهودية وبآلام وعذابات الشعب اليهودي — وما زالوا يتاجرون — موهمين اياه بانهم يسيرون به الى الخلاص في حين انهم يقودونه الى مصير قاتم ومظلم . ان هذه المنظمة تقود حملة عنيفة ومركزة على الذين نصبوا انفسهم أوصياء على الشعب اليهودي باسم الدينااليهودي وهم منه براء . وتكمن أهميتها في انها فضحت وفندت ودحضت كل المزاعم « الدينية » التي قيل ان اسرائيل قد قامت عليها . ومن هذا المنظور تكون هذه المنظمة ، رغم تطرفها ونقائها الديني واندفاعها الذي يصل بها حد التهور ، قد أدت للقضية الفلسطينية خدمات جليلة عن طريق الابحاث العديدة والمنشورات المتنوعة التي اظهرت فيها بجلاء أن دولة اسرائيل لا علاقة لها البتة مع اسرائيل المنتظرة « التي ليست من هذا العالم » . انها بسحبها الغطاء الديني المزعوم عن دولة اسرائيل قد أظهرت هذه الاخيرة على حقيقتها ، اي دولة راسمالية ، استعمارية ، امبريالية ، عنصرية ... ومما يلفت النظر ايضا في ايديولوجية هذه المنظمة انها تتبنى المذهب الفوضوي الرافض لكل اشكال الدولة والذي برز في القرن التاسع عشر وتبلور على يد مفكرين كبار امثال باكونين وتولستوي وغيرهم يكن لهم زعماء هذه المنظمة (امانويل ليفين ، ارنوهامرز) احتراما خاصا وتقديرا عاليا . وكنتيجة منطقية لهذه النزعة الفوضوية نراها ترفض الدولة الاسرائيلية الصهيونية القمعية التي تجسد اقصى واعلى درجات الدولة بمفهومها القمعي والقهريوالتسلطي فهي ليست دولة كبقية الدول ، وانما خلاصة بشعة ومفظيعة لكل اشكال الضغط والعنف والاضطهاد : انها الدولة النازية ولدت من جديد. ونحن رغم عدم موافقتنا على المنطلقات المبدئية التي أدت الى هذه النتائج ، الا أننا لا نستطيع الا ان نوافق على هذه النتائج بالذات . وهذا يؤكد لنا حقيقة اساسية وهي : من اي منظور نظرنا الى الدولة الاسرائيلية فلا بد الا ان نصل الى اكتشاف حقيقتها البشعة ودورها المشين المخزي في شد الانسانية الى الوراء .

ثم هناك تطرفها وجذريتها . فهي ترفض أنصاف الحلـول او الحلـول الناقصة : تريد تصفيـة اسرائيل وتحرير فلسطين . بالنسبة اليها هناك حق وهناك باطل ولا منزلة بين المنزلتين . قضية الفلسطينيين هي الحق ودولة اسرائيل هي الباطل. الاختيار واضح ولا مجال للتردد . وهذه الجذرية وهذا « التطرف » في تأييد الحق يفسران لنا بعدها عن السياسة « وقذارتها » وتبنيها لمواقف سياسية يسميها « الواقعيون » مواقف طفولية ، مرضية ، مثالية . وأكثر من هذا ، فكثيرا ما نراها تأخـذ مواقف ضد اسرائيل اعنف بكثير من المواقـف العربية نفسها فتبدو وكأنها « عربية اكثر مـن العرب » وهذه المواقف المبدئية والمثالية تقودها أحيانا الى اصدار احكام ظالمة وخاطئة على بعض الاحداث وعلى بعض الحكام العرب كما حـدث بالنسبة لموقفها من عبد الناصر بعد مجـزرة ايلول الاسود ، اذ ادانته ادانة قاسية غير آخذة بعين الاعتبار تاريخـه النضالي ضد التخلـف والاستعمار .

وأخيرا لا بد لنا من سؤال أخير وهو : أين نضع هذه المنظمة بين مجموع القوى العالمية المؤيدة للعرب في قضيتهم الاولى ؟ من الضروري هنـا القول ان هذه الحركة لا تشكل تيارا قويا داخـل الحركة اليهودية العالمية وبالتالي فان تأثيرها ما زال محدودا جدا . الا أن هذا لا يمنع كونهـا مؤيدة للحق العربي تأييدا واضحا واكيدا رغـم صوفيتها وغوضويتها وتهورها وطفوليتها . وهي بظهورها كحركة دينية متطرفة تريد تطهير الديـن اليهودي من رواسبه وجعله دينا ثوريا تصب في التيار الديني العالمي المؤيد للثورة . وهذا التيار يشكل ظاهرةً رائعة في النصف الثاني من القرن العشرين هذا ، فنحن نرى في ايران مثـلا أتقـى الشيوخ واطهرهم ينضمـون الى صفوف الثورة ويدينون حكم الظلم والطغيان والاستغلال . كذلك في اميركا اللاتينية حيث نرى الكهنة يُنضمون بأعداد كبيرة الى صفوف الثورة يتبنون قيمها ويعملـون لتحقيق أهدافها . كذلك البوذيون في فيتنام وكذلك اخيرا اعضاء هذه المنظمة الذين رفضوا اسرائيل، رفضوا الهمجية والعنصرية والنازية والتحقـوا فكريا بصفوف الثورة الفلسطينية . كانوا ينتظرون المسيح فطال انتظارهم وعوضا عن أن يروه في دولة اسرائيل ، اكتشفوه في لاجيء فلسطيني .

صدر عن مركز الابحاث

التابع لـ م. ت. ف.

المجلس الاميركي لليهودية

دراسة في البديل اليهودي للصهيونية

بقلـم

الدكتور أسعد رزوق

٢٦٦ صفحة ٣ ل.ل.

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

مع نهايات عام ١٩٧١ ، وبدايات عام ١٩٧٢ ، بدا العمل الفدائي الفلسطيني يواجه مسألة « التكيف » مع الظروف الجديدة التي فرضتها التطورات الاخيرة ، وفي مقدمتها : تطورات احداث الاردن التي قادت الى انتهاء الوجود العلني لحركة المقاومة وخاصة بعد معارك جرش في تموز ١٩٧١ ، وفشل الوساطة المصرية — السعودية في ايجاد تفاهم جديد بين المقاومة والنظام الاردني ، ثم مقتل وصفي التل وما ادى اليه من قطع لاحتمالات اي حوار جديد ، واخيرا التطورات الدولية التي أدت على ضوء الموقف الامريكي ، كما حدده تقرير الرئيس نيكسون الى الكونجرس في ٩ شباط ١٩٧٢ ، الى التشدد الامريكي — الاسرائيلي تجاه ازمة الشرق الاوسط ، الذي عكس نفسه في تهديدات اسرائيلية بالحرب ، أدت مباشرة الى ضغوط عربية على حركة المقاومة . ومسألة « التكيف » مع الظروف الجديدة ، تأخذ مع وضعية الانحسار التي تعيشها حركة المقاومة بعض المظاهر السلبية ، التي تنبع احيانا من داخل حركة المقاومة ، واحيانا من خارجها ، وهو ما سيبرز من خلال استعراض التطورات التي تمت في الفترة الواقعة بين ٩ ك١ ١٩٧١ و٣١ ك٢ ١٩٧٢ .

١ — العمل الفدائي ولبنان :

تابع العمل الفدائي نشاطه من الحدود اللبنانية (بالاضافة الى نشاطه داخل الاراضي المحتلة) بكثافة نسبية ، ولكن المواقف السياسية الاسرائيلية ضخمت هذا النشاط لتجد مبررا لتهديداتها ، ولجو الحرب الذي تريد فرضه على المنطقة انسجاما مع مواقف التشدد الامريكي . ففي الفترة المذكورة قام الفدائيون (حسب ما نشر في الصحف) بستة عشر هجوما واشتباكا مسلحا على المواقع الاسرائيلية ، استشهد فيها خمسة فدائيين وجرح فدائي واحد. وكان رد الفعل الاسرائيلي على هذا النشاط حادا للغاية ، عبر عن نفسه بثلاثة اشكال : بالتهيئة الصحفية التي ضخمت الاحداث كنوع من التمهيد للمواقف السياسية ، وبتصريحات المسؤولين الاسرائيليين التي وصلت الى حد الانذار ، واخيرا بالاعتداءات العسكرية المتلاحقة على جنوب لبنان وعلى قواعد الفدائيين .

فعلى صعيد التعبئة الصحفية : اذيع على لسان ناطق رسمي اسرائيلي في ٢٠ ك١ ان هناك «حشدا للفدائيين في جنوب شرق لبنان » ، وقالت صحيفة يديعوت احرونوت في نفس اليوم « ان اسرائيل ستحذر لبنان ليضبط نشاط الفدائيين في اراضيه »، ثم انتقلت الصحف الاسرائيلية من التحذير الى التهديد فقالت الجيروزالم بوست في ٧ ك٢ « اذا لم ينجح اللبنانيون والسوريون في ضبط العصابات العاملة من اراضيهم فستضطر اسرائيل للقيام بعمل مضاد » ، ثم اصبحت هذه النغمة اساسا للتعليقات في كافة الصحف الاسرائيلية . ففي ١٠ ك٢ نشرت ثلاث صحف في يوم واحد ، وبمشاركة الاذاعة الاسرائيلية ، تعليقات تدور حول نقطة واحدة « ازدياد الهجمات الفدائية من لبنان واحتمال رد فعل اسرائيلي » .

وعلى صعيد التهديدات والانذارات : أعلن حاييم بارليف رئيس الاركان الاسرائيلي في ٣٠ ك١ وفي آخر حديث صحفي له قبل ان يترك منصبه ان اسرائيل لا تميز بين اعمال الفدائيين واعمال الحكومات العربية التي تقبلهم في اراضيها « وهكذا فاننا تصرفنا كما لو ان طلقات الفدائيين الاتية من الاردن او لبنان صادرة عن قوات اردنية او لبنانية نظامية » . وحين تولى ديفيد اليعازر رئيس الاركان

الاسرائيلي الجديد مهام عمله كان اول تصريح ادلى به بمثابة تحذير الى لبنان اذ قال في ١٤ ك٢ « ان استمرار نشاط الفدائيين يمكن ان يشكل كارثة بالنسبة الى القرى اللبنانية، وان الجيش الاسرائيلي لن يتردد في تصعيد عملياته اذا تبين ان ذلك ضروري». وكان رئيس الحكومة اللبناني صائب سلام، قد اعلن في نفس اليوم ان لبنان تلقى انذارا خطيا من اسرائيل عن طريق لجنة الهدنة المشتركة ، ويقول نص الانذار الاسرائيلي كما نشر في ١٧ ك٢ « انذار شديد . نطلب ان يتوقف النشاط الارهابي حاليا من لبنان باتجاه اسرائيل توقفا كاملا . اذا لم يحصل هذا فعلينا ان نقيم اقامة دائمة في المنطقة بشكل او بآخر ، وبالطبع فمن الممكن ان تكون نتائج ذلك حمل الناس على النزوح ، وهذا ما يتضارب مع رغبتنا » .

اما على صعيد الاعتداءات العسكرية : فقد تعرض جنوب لبنان ، كما تعرضت قواعد الفدائيين في المنطقة لعدد من الاعتداءات المتلاحقة ، كانت كلها مسبوقة بتعليقات صحفية او بتصريحات تهديد رسمية . ففي ٢٠ ك١ نشرت الصحف الاسرائيلية ان اسرائيل ستحذر لبنان ، بينما كانت قواتها العسكرية تشن هجوما على قرية بليدا في الجنوب، حيث تسللت قوة كوماندوس قدرت بحوالي ٦٠ جنديا الى القرية المذكورة ونسفت منزلين فيها . وفي ١٠ ك٢ شاركت الصحف والاذاعة بالتهديد ، ليعقب ذلك بعد ساعات ، وفي فجر ١١ ك٢ ، هجوم اسرائيلي اعتبر من اعنف الهجمات التي تعرض لها جنوب لبنان ، وتم الهجوم الاسرائيلي على محورين : المحور الاول في القطاع الاوسط حيث هوجمت بلدة بنت جبيل ونسف العدو فيها منزلين . والمحور الثاني في المرتوب حيث نسف العدو ثلاثة منازل في قرية كفرحمام . وأرفق ذلك بقصف بالمدفعية لبلدة راشيا الفخار . وكانت النتائج الاجمالية لهذا الاعتداء : من الاسرائيليين مقتل جنديين وجرح واحد . ومن الفدائيين : استشهاد ثلاثة . ومن المدنيين : مقتل امرأة وجرح زوجها . كما نسف الاسرائيليون اثناء الهجوم خمسة بيوت للسكان . وتكرر نفس الموقف في ١٤ ك ٢ حين وجه « ديفيد اليعازر » تهديده ، فلم يكد هذا التهديد ينشر في الصحف ، حتى قامت اسرائيل وبعد اربع وعشرين ساعة من عدوانها الاخير بعدوان ثان على جنوب لبنان ، تغلغلت فيه قواتها الى مسافة عشرة كيلو مترات ، وهو اعمق تغلغل تم حتى الان ، وتركز الهجوم الجديد على بلدة « كفرا » واسفر عن نسف اربعة منازل وتصدع خمسة منازل اخرى ، بينما اصيبت امرأة مسنة بجراح . وقد كان تعليق الصحف الاسرائيلية على الاشتباكات التي تمت مع الفدائيين اثناء هذه الاعتداءات قولها « اثبت الفدائيون اثناء الهجوم الاسرائيلي روحا قتالية لم يكونوا يملكونها حتى الان » .

رد الفعل اللبناني

ولد الانذار الاسرائيلي الموجه الى لبنان ، والاعتداءات المتوالية التي رافقته ، احساسا واضحا بالخطر في الاوساط السياسية اللبنانية ، عبر عن نفسه بنشاط ديبلوماسي واسع مع السفراء الاجانب ، ومع الحكومات العربية ، ومع حركة المقاومة الفلسطينية .

ففي ١٣ ك٢ عقد اجتماع هام في القصر الجمهوري درس فيه الوضع على الحدود من كافة جوانبه . وعلى اثر هذا الاجتماع ابلغ لبنان الحكومات العربية والدول الكبرى والصديقة الوضع السيء على الحدود مع اسرائيل مشيرا الى ان كل الاحتمالات اصبحت واردة . ورافق هذا النشاط الديبلوماسي بحث خاص ومطول مع حركة المقاومة الفلسطينية . فبعد العدوان الاسرائيلي الثالث اعلن رئيس الوزراء صائب سلام ان اجتماعا سيعقد قريبا بين الجيش والمقاومة لمعالجة الموقف على الحدود (١١ ك٢) . وقد سبقت هذا الاجتماع (العسكري) اجتماعات سياسية ، بين الرئيس سلام ووفد من المقاومة برئاسة السيد ياسر عرفات ، وقيل ان هذه الاجتماعات كانت عبارة عن جلسة مصارحة لبحث كل ما يهم العلاقات بين الطرفين ، وانها تمت في ضوء اعادة قراءة اتفاق القاهرة ، ومراجعة الاتفاقات المتممة له . وقالت المصادر الصحفية في بيروت نقلا عن الرئيس سلام « ان المسؤولين اللبنانيين لا ينوون اعادة النظر في اتفاق القاهرة ، ولكنهم يأملون ان لا يجدوا انفسهم مضطرين الى اعادة النظر في هذا الاتفاق ، لذلك يطلب من قيادة المقاومة ، وفق منطق المحبة والاخلاص ان تبذل كل جهودها لضبط الامور » وقالت المصادر الصحفية ايضا « ان عرفات وافق على وجوب تلافي الحوادث الفردية، ووعد بدرس وضع المنطقة في الجنوب ، ويأمل في

التوصل الى حل يجنب اهالي قرى الحدود الاعتداءات الاسرائيلية » . وبعد الاجتماع الاول سئل السيد عرفات اذا كان هناك خلل في تنفيذ اتفاق القاهرة ؟ فاجاب « ليس من خلل ، بعض التصرفات بين الحين والاخر ... والناس ليسوا ملائكة » . وفور انتهاء الاجتماع انتقل الرئيس سلام الى القصر الجمهوري حيث ابلغ رئيس الجمهورية نتائج اللقاء الاول مع المقاومة .

عقد اللقاء الثاني مع المقاومة في ١٤ ك٢ في وزارة الدفاع . وعرض فيه الجانب اللبناني (حسب المعلومات الصحفية) النقاط التالية : ١ ــ مراكز عمل الفدائيين التي لا تدخل في نطاق اتفاق القاهرة . ٢ ــ منع اطلاق الصواريخ من الاراضي اللبنانية . ٣ ــ عدم التواجد في مناطق آهلة بالسكان . ٤ ــ ايقاف النشاط العسكري مؤقتا . ٥ ــ بحث الجانب اللبناني مع المقاومة عدم التمركز في قواعد ثابتة حتى حيث يحق لهم التمركز. (كاقتراح فقط) .

وكانت نتائج الاجتماع (حسب المعلومات الصحفية أيضا) الاتفاق حول النقاط التالية : ١ ــ تحديد الممرات والطرق التي يسلكها الفدائيون لتنفيذ عملياتهم . ٢ ــ النقاط التي يحق لهم اطلاق الصواريخ منها . ٣ ــ تنفيذ اتفاق القاهرة تنفيذا كاملا .

وفور انتهاء هذا الاجتماع مع وفد المقاومة ، تابع الرئيس سلام اجتماعه مع قائد الجيش العماد غانم ، لبحث كيفية تنفيذ ما اتفق عليه ، ثم انتقل لاطلاع الرئيس فرنجية على النتائج .

ولم تقتصر هذه الاتصالات مع المقاومة على الجانب اللبناني فقط، بل ان لبنان استعان قدر ما يستطيع لتقوم جهات عربية بالبحث مع المقاومة في الموضوع نفسه لتثبيت ما اتفق عليه ، وبناء على ذلك جرى في ١٤ ك٢ اجتماع بين السيد ياسر عرفات والسيد عمر السقاف وزير الخارجية السعودي اثناء مروره ببيروت عائدا من باريس ، وتناول البحث في الاجتماع « نشاط الفدائيين في جنوب لبنان ، وضرورة تجنب الحاق الاذى بلبنان من دون ان يفيد المقاومة في شيء » . ثم اجتمع السقاف مع الرئيس فرنجية والرئيس صائب سلام وعرض عليهما نتائج اجتماعه مع عرفات وتفهم المقاومة لظروف لبنان ، واعرب عن اعتقاده أن لبنان لن يواجه اي متاعب على حدوده الجنوبية من جراء النشاط الفدائي » . وفي مساء اليوم نفسه اجرى عرفات اتصالا تلفونيا مع الرئيس سلام في ساعة متأخرة من الليل ابلغه فيها « ان كل شيء يسير حسب الاتفاق » .

ومن جهة اخرى قام الرئيس فرنجية في ١٥ ك٢ باجراء اتصال تلفوني مع الرئيس السوري حافظ الاسد ، تم على اثره ايفاد مسؤول سوري الى منطقة الحدود لابلاغ قوات الصاعقة « وجوب التقيد بالاتفاقات مع السلطة اللبنانية وضرورة الانضباط الكلي » ، وفي نفس اليوم زار وفد من الصاعقة السيد صائب سلام مؤكدا « تعاون المنظمة مع السلطة وتقيدها بالاتفاق الذي تم مع عرفات » .

واستمرت الاتصالات مع سوريا من خلال اجتماع بين عرفات والفريق حافظ الاسد لبحث الوضع على الحدود أدلى على اثره الضابط السياسي لقوات الصاعقة في جنوب لبنان بتصريح في ١٦ ك٢ قال فيه « ان الفدائيين قرروا التخفيف من نشاطهم ، وان من الحكمة الهدوء قليلا في الظروف الراهنة». وكان مصدر حكومي لبناني قد علق على الاتصالات العربية بالمقاومة قائلا « ان لبنان يعتمد على الضغوط التي ستمارسها الدول العربية التي لها تأثير على المنظمات الفدائية بحيث يتم الانضباط على الحدود وتزول كل ذريعة يمكن إن تتسلح بها اسرائيل لتنفيذ مخططاتها » . ولذلك تم الاتصال مع سوريا بشأن الصاعقة ، وتولى السقاف اقناع فتح ، وتولت جهات عربية اخرى اقناع الجبهة الشعبية .

ونتيجة لكل هذه الاتصالات والمباحثات اللبنانية ــ الفلسطينية ــ العربية ، ساد جو من الارتياح عبر عنه كمال ناصر الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير قائلا في ١٨ ك٢ ان لبنان ابدى حرصه على اتفاق القاهرة وان ما يجري هو « تشاور مع السلطات اللبنانية وفي الظروف الاستثنائية خاصة لمنع اسرائيل من استعمال نشاط الفدائيين مبررا لتحقيق اطماعها في جنوب لبنان » . وبالمقابل كان هناك جو ارتياح لبناني عبر عنه صائب سلام في نفس اليوم حين ابلغ رؤساء الكتل البرلمانية « ثقته بتجاوب المنظمات مع الحكومة، وان موقف المنظمات يستحق الشكر » .

وما يجب التوقف عنده هنا نقطتان : الاولى تتعلق

بالموقف العربي الرسمي الذي اتاحت له الظروف الخاصة التي تعيشها المقاومة حاليا ان يتخذ موقف ضغط فعال على المجريات اليومية للعمل الفدائي . والثانية تتعلق باقدام الحكومة اللبنانية على البحث الجدي في اتفاق القاهرة ، مما قد يكون له تأثير على طبيعة وضع المقاومة في لبنان مستقبلا . وذلك ينطبق على وضع المخيمات بالدرجة الاولى ، وطبيعة التواجد المسلح للمقاومة فيها ، بالاضافة الى المسؤولية اليومية عن قضايا الامن داخل المخيمات .

والجدير بالذكر ان اتفاق القاهرة كما نشرته جريدة « النهار » اللبنانية في حينه ، ينص على تواجد كامل للفدائيين في العرقوب ، وعلى نقاط مرور في القطاع الاوسط . كما ينص على ان السلاح في المخيمات ينظم باشراف قيادة الكفاح المسلح ، وهذا البند بالذات هو ما يمكن ان يخضع للنقاش في مناطق مثل القطاع الغربي والنبطية وبعلبك .

ويلاحظ بأن حركة المقاومة عالجت هذا الموضوع الحساس باطار ديبلوماسي فقط ، وابتعدت بشكل ملحوظ عن اي اطار جماهيري فلسطيني او لبناني في معالجته ، بينما كان تكتيكها في السابق عكس ذلك تماما . ويخشى ان يكون لمثل هذا الاسلوب في معالجة القضايا الحساسة ، نتائج غير مرضية في المستقبل ، اذ ان حركة المقاومة تحتاج الان اكثر من اي فترة مضت الى نسج تحالفات وثيقة مع الحركة الشعبية في لبنان ، لتحصن نفسها ضد سلسلة من الضغوط التي يتوقع ان تواجهها ضمن ظروفها الخاصة الحالية .

جانب اخر للوضع في لبنان

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة تبحث لبنانيا وعربيا الوضع الناشىء عن عملياتها العسكرية وعن التهديدات الاسرائيلية، كانت تعاني من ذيول حادث « مخفر النهر » الذي وقع في بيروت عشية عيد راس السنة الميلادية ، والذي احدث ضجة كبيرة في الاوساط اللبنانية . وملخص الحادث ان شابا لبنانيا ينتمي لمنظمة الصاعقة كان معتقلا في المخفر المذكور بتهمة حيازة سلاح ، وقد توجه مسؤولون من الصاعقة للبحث مع مسؤول المخفر في أمر الافراج عنه ، ثم تطور الحادث الى اشتباك بين قوات من الصاعقة وقوات من الامن العام اللبناني ذهب ضحيتها قتيلان من رجال الامن اللبناني وقتيلان من الفدائيين ، الاول في الحادث نفسه ، والثاني بعد الحادث بأيام ، بالاضافة الى جريحين من رجال الامن اللبناني ايضا ، واوقف نتيجة للحادث حوالي ١٤ شخصا من الصاعقة . واتخذت السلطة اللبنانية موقفا متشددا رفضت فيه اي حوار مع قيادة الكفاح المسلح قبل تسليم جميع المطلوبين . وقد بادرت حركة المقاومة بالرغم من ذلك الى اتخاذ مواقف واضحة ، تسعى لتطويق الحادث وحصر نتائجه . فقامت فتح بالاتصال بالمسؤولين مؤكدة ان الحادث وليد ساعته وانها تستنكره ، واصدر كمال ناصر الناطق الرسمي بيانا اعلن فيه حزن حركة المقاومة على مقتل رجلي الامن واستنكارها لهذا العمل الفردي والحرص على استكمال التحقيق لادانة العناصر غير المنضبطة . كما قامت « اللجنة السياسية العليا » باصدار بيان شرحت فيه تفاصيل الحادث ، واعلنت اسفها وحزنها واصرارها على تطويقه ، والتعاون مع السلطة من أجل تعزيز روح الثقة . ومن جهة اخرى قام لبنان باتصالات خاصة مع سوريا للمساهمة في تطويق نتائج الحادث ، وقد تجاوب المسؤولون السوريون فورا وطلبوا من السيد زهير محسن مسؤول الصاعقة في لبنان ان يتوجه الى بيروت فورا . وفي ٦ ك ٢ استقبل الرئيس سلام في منزله وفدا من قيادة الصاعقة اكد له « أن الحادث كان ابن ساعته ، وانه تصرف فردي لا تقره المقاومة وتستنكره ، وان الصاعقة ترغب ان لا يترك الحادث اي تأثير على العلاقات بين سوريا ولبنان » . وفي ١١ ك ٢ طلب قاضي التحقيق العسكري الاعدام لاحد عشر متهما في الحادث ، بتهمة « مخطط رسمته عصابة مسلحة » . وبشكل نص الاتهام نوعا من عدم الاعتراف بالعمل الفدائي الفلسطيني يتناقض مع موافقة الحكومة على اتفاق القاهرة ، وهو ما درجت عليه منذ مدة اكثر من جهة قضائية في لبنان، بحجة انها لم تتبلغ رسميا اي شيء من الحكومة حول اتفاقات خاصة بينها وبين الفدائيين .

٢ ـ نشاطات فلسطينية :

كانت القاهرة خلال هذه الفترة مسرحا لحدثين فلسطينيين من طبيعة خاصة ، يكشفان عن مظهر واضح من مظاهر عملية « التكيف » التي اشرنا

اليها . ففي ١١ ك ١ نشرت صحف بيروت انبـاء عن اجتماع في منزل السيد احمد الشقيري فـي القاهرة ترأسه نعيم عبد الهادي ، وضم اربعين شخصية فلسطينية ، بينهم اعضاء في المجلـس الوطني ، واعضاء سابقون في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وحضرته شخصيات من الضفة الغربية والاردن والكويت ومصر . وصدر عـن الاجتماع بيان يقول :

رأت « لجنة المتابعة لتحقيق الوحـدة الوطنية » (وهي لجنة تشكلت عام ١٩٦٨ من شخصيـات فلسطينية من غزة ، حاز بعضهم على عضويـة المجلس الوطني الفلسطيني التاسع) دعوة نخبة من ذوي الفكر والرأي الفلسطيني . وقد اجتمعت هذه النخبة في لقاءات عدة في القاهرة وتدارست الاخطار المحيطة بالقضية الفلسطينية ، والاخطاء التي وقعت في ساحة التجربـة الفلسطينيـة ، والمستـوى المتدني الذي وصـل اليه العمـل الفلسطيني وانعزاله عن طاقات الشعب الفلسطيني وكفاياته ... وراوا ما يلي : ١ ــ وجوب تصحيح مسيرة العمل الفلسطيني في نطاق منظمة التحرير الفلسطينية . ٢ ــ عقد مؤتمر وطني فلسطيني عام يقوم بدراسة القضية الفلسطينية من كل جوانبها السياسية والماليـة والعسكريـة والاداريـة ، ومتطلبات المرحلة الحاضرة للعمل الفلسطيني . ٣ ــ تشكيل لجنة من خمسة اعضاء (فاضـل زيدان ــ فاروق الحسيني ــ سعيد العزه ــ عوده بطرس عوده ــ قاسم الرياوي) تكون مهمتهـا اجراء الاتصال بتجمعات الفلسطينيين لتبادل الرأي معهم وجمع مقترحاتهم في الموضوع . ٤ ــ العمل على تشكيل لجنة تحضيرية تمثل تلك التجمعـات لبحث الاراء والمقترحات المتوافرة من كل تجمع ، واعداد مشروع جدول اعمـال المؤتمر الوطنـي الفلسطيني العام وتوجيه الدعوة اليه . وتترك لهذه اللجنة مهمـة الاتصال بمنظمـة التحريـر الفلسطينية قبل عقد المؤتمر الفلسطيني العام .

وفي اليوم التالي لانتشار هذه الانباء أدلى السيد أحمد الشقيري بتصريح نفى فيه أن يكون اجتماع عقد في منزله ، وانبثقت عنه لجنـة من خمسـة اعضاء ، كما نفى السيد الشقيري ان يكون قـد عاد الى ممارسة النشاط السياسي .

ولكن بالرغم من هذا النفي ، وصل الى دمشـق عضوان من أعضاء اللجنة المذكورة ، تحت ستار المشاركة في مؤتمر الادباء العرب بدمشق ،وأجريا اتصالات متعددة ، كان من بينها اتصال مع السيد خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الذي طلب منهم عرض كل مقترحاتهم على اللجنة التنفيذيـة لمنظمة التحرير .

وقد نوقش أمر هذا الاجتماع في اوساط حركـة المقاومة من زوايا عدة :

الزاوية الاولى : الاستغراب من أن يكون السيد الشقيري قد قرر العودة للعمل السياسي من خلال اسماء اللجنة التي اعلن عنها ، اذ انها لا تتمتع برصيد شعبي يؤهلها للمهمة التي انتدبت نفسها لها. والزاوية الثانية : أن اغلب أعضاء اللجنة المذكورة معروفون بصلتهم الوثيقة بالقاهرة ، فهل يكـون تحركهم مدعوما من القاهرة ؟ وقـد كانت اوساط حركة المقاومة ميالة الى الاعتقاد ان تحركهم ليس بالضرورة تحركا مدعوما رسميا من القاهرة .

والزاوية الثالثة: وهي الزاوية الهامة في الموضوع، وتتناول بالبحث دور « قاسم الرياوي » في هذا التحرك . اذ المعروف، عن قاسم الرياوي ، أنه أحد رجال النظـام الاردنـي البارزين ، ومـن الاشخاص المقربين جدا الى وصفي التل . وكانت معلومات وصلت الى المقاومة تقـول ان النظـام الاردني قد انتدب الرياوي لمهمة خاصة هدفهـا ايجاد انقسام داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، عن طريق الدعوة الى اجراء « اصلاح » في مسيرة العمل الفلسطيني . ولذلك فان ظهوره في اجتماع القاهرة اثار الدهشة والاستغراب ، والقى ظلالا كبيرة من الشك حول الهدف من هذا التحـرك بالاساس .

ومع مضي الوقت لم تظهر أية نتائج عملية للاجتماع المذكور ، وكاد أن يغيب عن الذاكرة تماما ، لولا ان أعلن كمال ناصر في ٢٩ ك١ ان اللجنة التنفيذية ستستأنف سلسلة اجتماعاتها ، تتمة لاجتماعـات سابقة ناقشت فيها نتائج الوساطـة في جـدة ، « وموضوع الانتخابات البلدية وسلسلة المشاريع المشبوهة التي يحاول العدو طرحها باسم الدولة الفلسطينية » ، وانها ستبحث في الاجتماعـات المقبلة « اشراك عدد كبير من مفكري الشعـب الفلسطيني والعربي وقياداته وقطاعاته الثوريـة والوطنية المخلصة للمساهمة معها في درس معالم

المرحلة وتقييمها ، واعادة النظر في القضايا التي يتوجب اعادة النظر فيها ، لتجديد الانطلاقةودفعها حتى النصر » . ولم يفهم تماما في حينه مغـزى هذا الكلام ، ولكنه اتضح تماما حين نشرت جريدة النهار في ٢١ ك ٢ ان اجتماعا سيعقد في القاهرة تحضره شخصيات من المقاومة (ابو عمار ــ ابو اياد ــ كمال ناصر) وشخصيات من الضفة الغربية (حكمت المصري ــ وليد الشكعة ــ موسى العلمي) وشخصيات مستقلة (عبد المجيد شومان ــ عبد المحسن قطان) . وارفقت صحيفة النهار معلوماتها بمقتطفات من تعميم داخلي لحركة فتح صادر في ١٥ ك٢ عن مكتب التعبئة والتنظيم ، ويتحدث عن اجتماع في القاهرة تحضره حوالي ثلاثين شخصية فلسطينية ، ويشارك به اعضاء من قيادة فتح ، ومن اعضاء المجلس الثوري فيها . وذكرت النهار أن بعض المجتمعين « ينوون عرض فكرة الحل الثالث الذي قد تدخل الامم المتحدة طرفا فيه » اي اقامة وصاية على المناطق المحتلة لعدة سنوات يقرر الفلسطينيون بعدها مصيرهم بالاستقلال او بالانضمام الى بلد عربي اخر .

وفور نشر هذا النبأ نفى السيد كمال ناصر « من القاهرة » ان مؤتمرا فلسطينيا قد عقد وقال ان الدليل على أن هذه الانباء عارية عن الصحة ان الشخصيات التي ذكر انها ستحضر الاجتماع ليست موجودة في القاهرة على الاطلاق ... وان اللجنة التنفيذية تقوم بمتابعة مسؤولياتها في ضوء قرارات المجلس الوطني ، بما في ذلك الاتصال بكل قطاعات الشعب الفلسطيني. وهذه الاتصالات الدائمة لا تشكل تجاوزا على المؤسسات القائمة في منظمة التحرير ، الملتزمة بالميثاق الوطني . والواضح من كلام السيد كمال ناصر ، انه لم ينف نبأ الاجتماع ، ولكنه نفى ان يكون بعض الاشخاص الذين ذكرت اسماؤهم قد تواجدوا في القاهرة ، اذ علم فيما بعد ان بعض المدعوين لم يتمكنوا او لم يرغبوا بالحضور ، بحيث اقتصر الاجتماع في النهاية على لقاء مصغر .

وقد اثار نبأ هذا الاجتماع ــ عكس نبأ الاجتماع السابق ــ اهتماما واسعا في اوساط حركة المقاومة لسببين : اولهما ورود اسماء قيادات اولى من حركة المقاومة مرشحة للاسهام فيه ، وثانيهما ، قبول هذه القيادات لاول مرة اجراء اتصالات خارج اطار منظمة التحرير مع الزعامات التقليدية في المناطق المحتلة ، وفي وقت قررت فيه اسرائيل اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية ، لا زال الموقف « الرسمي » لحركة المقاومة منها حتى الان ، موقف الرفض والادانة . وتركز اهتمام اوساط المقاومة حول الخشية من أن تكون هذه الاتصالات فاتحة معالجة لموضوع الانتخابات «كأمر واقع » تقود بالرغم من النوايا الى مواقف سياسية من نوع جديد ، تمس جوهر بعض المواقف المبدئية .

والجدير بالذكر ان السيد ياسر عرفات كان قد عقد ندوة مغلقة للشباب الفلسطيني في الجزائر في ٣ ك٢ ، ونشرت مقتطفات منها مجلة المجاهد الجزائرية ، لم ينف فيها نبأ هذه الاتصالات ، ولكنه ذكر انها كانت للتحذير ، وان هذا التحذير قد اثمر عن نتائج حسنة .

ومن الاحداث التي اثارت ضجة مماثلة في اوساط حركة المقاومة الفلسطينية ، المقابلة التي زعمت مجلة « اليمان » الفرنسية انها اجرتها مع السيد صلاح خلف في ١٠ ك٢ ، والتي جاء فيها ان المقاومة الفلسطينية « لم تعد تعارض الحل السلمي للنزاع شرط ان لا تقدم الدول العربية تنازلات ... ولكن ذلك لن يحل القضية الفلسطينية ، ولا يمكن حلها الا بفلسطين ديمقراطية » . ولكن حركة فتح سارعت في اليوم التالي الى نفي قصة المقابلة من الاساس قائلة ان موقف حركة فتح من القضايا المطروحة في الجلة موقف واضح وصريح ، وان حركة فتح تؤكد أن شعار التحرير الكامل والدولة الديمقراطية ، شعار استراتيجي واضح ، لا يمكن التنازل عنه . ومن جهة اخرى ، نشرت انباء صحفية (النهار ١٤ ك١) تتحدث عن صراع داخل الجبهة الشعبية بين محورين يميني ويساري داخل القيادة المركزية للجبهة . وان مواضيع الصراع تدور حول قضايا ١ ــ الوحدة الوطنية ٢ ــ العلاقات مع الانظمة العربية ٣ ــ الموقف من النظام الاردني ٤ ــ العمليات الخارجية وابرزها خطف الطائرات ٥ ــ الظاهرة العسكرية ٦ ــ مستقبل الجبهة . وقالت الانباء ان المحور اليساري يطالب بالدعوة الى عقد مؤتمر عام للجبهة ، في حين يعرقل المحور اليميني عقد مثل هذا المؤتمر . وقد ردت لجنة الاعلام المركزية في الجبهة على النبأ ببيان رسمي ينفي قصة الصراع

من الاصل ويؤكد « أن مواقف الجبهة من كل المواضيع التي وردت في النبأ معلنة لجماهيرنا العربية والفلسطينية في تقرير الجبهة السياسي ومنشوراتها الاخرى ومجلتها المركزية (الهدف) . وأن هذه المواقف المعلنة حسمت كما تحسم كل القضايا التي تعرض وتناقش في صفوف الجبهة الشعبية قيادة وقاعدة ، بالطريق الديمقراطي الثوري ، ومن خلال عرض ومناقشة مختلف وجهات النظر داخل صفوف التنظيم ... » .

ومن المواقف السياسية التي حظيت باهتمام المراقبين رد فعل المنظمات والمؤسسات الفلسطينية على مطالب حركة الطلاب في مصر . اذ كانت الجبهة الشعبية قد اصدرت في ٢١ ك ٢ بيانا حيت فيه حركة الطلاب . بينما شارك اتحاد طلاب فلسطين (فرع لبنان) مع اتحادات عربية اخرى في اصدار بيان تأييد لحركة الطلاب في ٢٤ ك٢ ، كما شارك في اليوم التالي في التوقيع على بيان اخر ، وزع في مسيرة صامتة في الجامعة الاميركية. وكان السيد ياسر عرفات قد حضر في ٢١ ك٢ جانبا من اجتماع عقد بين وفد من طلاب مصر والسكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي « سيد مرعي » .

٣ ــ حوادث العنف :

لم يكن مقتل وصفي التل الحادث الوحيد من نوعه ضد اركان النظام الاردني الذين اسهموا في تدبير وقيادة مجازر ايلول ١٩٧٠ وما تلاها من مجازر طوال عام ١٩٧١ . ففي ١٥ ك١ اطلق شاب النار على « زيد الرفاعي » سفير الاردن في لندن ، وهو في سيارته ، واصيب السفير بجروح نقل على أثرها الى المستشفى للعلاج . واعلنت « منظمة ايلول الاسود » في بيروت مسؤوليتها عن الحادث . وزيد الرفاعي أحد الاشخاص التسعة الذين كانوا في غرفة العمليات اثناء مجازر ايلول ١٩٧٠ . وفور الحادث اعرب وزير الخارجية البريطاني عن أسفه الشديد ، كما ابرقت الملكة اليزابيت الى الملك حسين قائلة « صدمت من انباء الاعتداء الغادر على سفيركم » ، وقامت المخابرات البريطانية بمضاعفة الحراسة على المسؤولين الاردنيين في لندن .

أما داخل الاردن فقد عقد مجلس الوزراء فورا اجتماعا استثنائيا لبحث ذيول الحادث . واسهم كل من عبد المنعم الرفاعي وبهجت التلهوني والملك حسين والامير الحسن ووزارة الخارجية في استنكار الحادث ، واتهم ناطق اردني رسمي حركة فتح باغتيال وصفي التل ومحاولة اغتيال زيد الرفاعي (١٧ ك١) .

وفي مجرى التحقيق صدرت في لندن مذكرة توقيف بحق شاب جزائري غادر لندن الى باريس فور الحادث ، وقد اعتقل الشاب الجزائري في باريس يوم ٦ ك٢ ، وطلبت سلطات الامن البريطانية تسلمه للتحقيق معه ، وحتى الان لم يصدر اي شيء عن نتائج التحقيق .

وبعد حادث زيد الرفاعي بأربع وعشرين ساعة فقط، هز انفجار قوي مقر البعثة الاردنية في جنيف، وأسفر عن سقوط اربعة جرحى (ضابط سويسري ــ شرطيان ــ جريح لم تعرف هويته) ، واصدرت « حركة التحرر الوطني الاردني » في بيروت بيانا أعلنت فيه مسؤوليتها عن الحادث ، وقال البيان ان هذا العمل رد على « خيانة السلطة الحاكمة في الاردن ... وان الحركة تؤكد ان هذه العملية الرد الثوري لجماهير شعبنا على ضمانات السلطة الحاكمة في عمان » .

٤ ــ انطلاقة فتح والطرود المتفجرة :

في بداية عام ١٩٧٢ احتفلت حركة فتح بمضي سبع سنوات على انطلاقتها الاولى في عام ١٩٦٥ . وقد أجرى السيد ياسر عرفات بمناسبة هذه الذكرى، مقابلة صحفية مع جريدة « الجمهورية » القاهرية قال فيها « ان عام ١٩٧٢ هو عام التحديات الكبرى ، وانه ستكون امام الثورة الفلسطينية هذا العام معارك اساسية . وبدخول الثورة اليوم عامها الثامن تكون اطول ثورة فلسطينية وعربية مسلحة » . وفي مقابلة اخرى مع مجلة « روز اليوسف » قال عرفات « ان الفدائيين سيستعيدون مواقعهم في الاردن مهما كان الثمن » . بينما كتبت صحيفة فتح تقول ان امام الثورة الفلسطينية حاليا ثلاثة اهداف : ١ ــ اعادة الاردن كأهم قاعدة للمقاومة . ٢ ــ تأمين الوجود السياسي والعسكري للثورة في الارض المحتلة . ٣ ــ تحقيق وحدة اكبر بين المنظمات الفدائية .

وقد قامت فتح في ذكرى انطلاقتها بترتيب عملية « الطرود الملغومة » التي ارسلت بكميات كبيرة بالبريد من اوروبا ، الى عدد من المسؤولين السياسيين والعسكريين الاسرائيليين . واعلنت

اسرائيل لاول مرة عن اكتشاف هذه الرزم يوم ٢ ك٢ وحذرت الجمهور من فتح اي رزم مشتبه بها تأتيه من الخارج . وقد ملأت هذه الطرود مكاتب البريد في اسرائيل ، وفي ٩ ك٢ أعلن انه تم اكتشاف ما مجموعه ١٣ طردا ، انفجر منها حسب الرواية الاسرائيلية ثلاثة طرود فقط ، أدت الى اصابة مفتش شرطة وخبير متفجرات بجراح .

وقامت السلطات الاسرائيلية بتزويد المطارات ومكاتب البريد بآلات لكشف القنابل ، وتابعت تحذير السكان في الاذاعة اكثر من مرة ، من فتح الطرود المشتبه بها ، واجرت اتصالات مع الانتربول ومع السلطات النمساوية للتدقيق بالطرود قبل ارسالها بالبريد الى اسرائيل . وقد شكلت قصة الطرود المتفجرة مشكلة يومية على مدى اكثر من عشرة ايام للسلطات الاسرائيلية ، ونشرت جوا من الرعب والحذر في كل مكان .

وبالاضافة الى ذلك قامت فتح ايضا ، وكجزء من الاحتفال في ذكرى انطلاقتها بوضع قنابل موقوتة في بلدتي ناتانيا وكفار سابا شمالي تل ابيب ، ادى انفجارها يوم ٥ ك٢ الى جرح ٧ اشخاص . وقامت السلطات الاسرائيلية بوضع الحواجز على الطرقات واعتقال عدد كبير من السكان العرب ، قيل انه تم الاحتفاظ في النهاية بعشرة منهم فقط .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

مصر الان كلها تتحدث عن الحرب . ولم يبق مسؤول لم يؤكد ان الحرب هي الحل ، ولا غير الحرب سبيل . فهل ما جرى يعتبر تحولا ؟ واذا كان تحولا فماذا حدث ؟

ان ما جرى هو تحول فعلا . وهو تحول لان الاهتمام كان خلال سنة كاملة من آب ١٩٧٠ الى آب ١٩٧١ ينصب على التسوية السلمية ، ومن خلال : ا ـ الضغط الاميركي على دولة الاحتلال الصهيوني ب ـ ضغط الراي العام الدولي . أما الان فان الاهتمام ينصب على الحديث عن الحسم والقتال . وهذا تحول كبير في الخط السياسي . واذا كان هنالك من نقد الى هذا التحول ، فيجب ألا يكون مكابرة بانكار حدوثه ، بل يجب ان يتجه الى عدم تحقيق مستلزماته . فمثل هذا التحول السياسي يتطلب تحولا عميقا على مختلف الاصعدة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية . وما دامت هذه التحولات لم تتم ، فان كل المعنيين يحسون أن التحول ـ الذي حدث ـ هام ، بكل ما فيه من نقائص . هام لانه عكس اتجاه السياسة ، في مصر ولهذا آثاره في الوطن العربي كله . وبعد أن كان اتجاه السياسة العربية اتجاه خنوع لسياسة الولايات المتحدة الاميركية وانجرار معها ، اصبح اتجاه تحفظ ازاءها ، وكشف لتآمرها ومشاركتها في العدوان . ان هذا التحول ـ اذا استمر ـ سيقود الى التحولات الاخرى حتما .

فانني اقول : ان ما حدث تحول ، وان كان تحولا ناقصا . فلا يكفي ان يكون هنالك قناعة بانه ليس غير الحرب سبيل ، ولا يكفي أن يتخذ قرار الحرب، لان لهذا كله مقتضيات ومستلزمات لا بد منها . فاذا اتخذ القرار ، ولم تنجز متطلباته ، لم يأخذ التحول ابعاده الحقيقية . ومع هذا فان هذا التحول ـ الذي حدث ـ هام ، بكل ما فيه من نقائص . هام لانه عكس اتجاه السياسة ، في مصر ولهذا آثاره في الوطن العربي كله . وبعد أن كان اتجاه السياسة العربية اتجاه خنوع لسياسة الولايات المتحدة الاميركية وانجرار معها ، اصبح اتجاه تحفظ ازاءها ، وكشف لتآمرها ومشاركتها في العدوان . ان هذا التحول ـ اذا استمر ـ سيقود الى التحولات الاخرى حتما .

أما أسباب حدوث هذا التحول فهي في رأيي كثيرة، ولكنها تتلخص فيما يلي :

اولا : توافر قناعة شعبية عامة ، في مصر وسائر البلاد العربية انه ليس هنالك غير الحرب سبيل .

وهذه القناعة هي التي وقفت لمشروع روجرز وقفة صلبة ، ثم وقفت مع المقاومة وضد تصفيتها بأشكال مختلفة . ولقد ظلت هذه القناعة الشعبية ، منذ سنة ١٩٤٩ ، هي ضمانة عدم الانجرار مع تسوية استسلامية . ولو تزعزعت هذه القناعة لما وجدت بعض الانظمة ما يمنعها من توقيع صكوك الاستسلام ، ولكن هذه القناعة كانت تزداد كل يوم صلابة وعنفا ، وكانت لذلك تزيد العدو ، والانظمة المتداعية ارتباكا .

ثانيا : استمرار التعنت الاسرائيلي والاصرار على الاحتفاظ بالاراضي التي احتلت بعد سنة ١٩٦٧ . وكان استمرار التعنت هذا يحول دون التقدم في « مساعي السلام » . ولقد زاد الامر تعقيدا اصرار سلطات الاحتلال على المفاوضات المباشرة مع العرب ، وعلى الاعتراف بحدود آمنة معترف بها الخ . وكان هدف هذا التعنت المحافظة على الاراضي المحتلة ، والعمل في الوقت عينه من أجل تهيئة الاوضاع في البلاد العربية لقبول « استسلام نهائي » .

ثالثا : افتضاح الخداع الاميركي مرارا وتكرارا ، وافتضاح أمر الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الاميركية . ولقد كانت الولايات المتحدة الاميركية تزعم بأنها تؤيد مساعي السلام ، وبأنها مستعدة للضغط في سبيل تحقيق « الخطوات المطلوبة » . وجاء سيسكو وروجرز الى المنطقة ومبعوثون اميركيون آخرون . ثم اعلن روجرز مشروعه ، وتجاوبت مصر . وهو ما لم يكن متوقعا في واشنطن وتل ابيب . ولذلك أخذت الولايات المتحدة الاميركية تتراجع عن مشروع روجرز ، وطرحت مشروع الحل الجزئي في محاولة للتراجع المنتظم ، ومن اجل انقاذ الوضع الآخذ في التدهور . ولم تتوقف الولايات المتحدة عند هذا ، بل استمرت في دعم دولة الاحتلال الصهيوني في كل المجالات: العسكرية والسياسية والاقتصادية . وكان هذا السلوك المرائي الوقح صدمة لسياسة التعاون مع الولايات المتحدة الاميركية ، واضطر حتى الحكام العملاء، مثل حكام الاردن ، ان يستنكروا سياستها .

رابعا : اقتناع الاتحاد السوفياتي ان الولايات المتحدة الاميركية تحاول « الاستفراد » بالمنطقة و« طبخ » الحلول الاميركية لها . وهذا الاقتناع كاف لدفع الاتحاد السوفياتي في طريق العمل لاحباط المحاولات الاميركية الخبيثة ، كما ان سلوك دولة الاحتلال واستهتارها بالقرارات الدولية والهجمات التي شنتها الحركة الصهيونية العالمية على الاتحاد السوفياتي ، دفعت الاتحاد السوفياتي الى الاقتناع بأن الموقف يحتاج الى « رد » . كيف يكون الرد ؟ ما دامت المحاولات « السلمية » قد فشلت ، فليس هنالك غير المحاولات غير السلمية ، اي العسكرية. وتقود هذه القناعة الى زيادة المساعدات العسكرية من جهة ، والى قبول فكرة الحل الاخر ، الحل غير السلمي . ومثل هذا الموقف كان لا بد من ان يحدث أثره ، لا على مصر والوطن العربي فحسب، بل على أوساط واسعة من الرأي العام العالمي ، وخاصة الاحزاب الشيوعية ، المتفقة مع خط موسكو .

خامسا : تطور قوة مصر العسكرية ، من حيث المعدات والرجال والكفاءة . وكان لهذا التطور اثره في زيادة ثقة القيادة بنفسها ، وبقدرتها على ان ترد بحزم على محاولات العبور ، او محاولات الضرب في العمق ، المتوقعة من قوات الاحتلال ، في حالة عدم الخضوع . واليوم يتحدث الاسرائيليون عن الجيش المصري المرابط على القناة حديثهم عن قوة دفاعية جبارة ، وان كانوا يشككون بامكانياتها الهجومية .

سادسا : عجز كل مؤامرات القوى المضادة في الخارج ، وعجز كل عمليات قوات الاحتلال في الداخل عن سحق ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطيني ، وعجز هذه القوى ، على الرغم من ضربتها الشرسة،عن ان تنهي المقاومة الفلسطينية. ولقد ظلت المقاومة الفلسطينية ، على الرغم من كل الضربات التي وجهت اليها ، صامدة في وجه كل الاعداء . وكان لا بد من ان يترك هذا الصمود، الذي ابداه الشعب الفلسطيني وابدته المقاومة الفلسطينية ، اثره في السياسة العربية والسياسة الدولية .

بدا التحول ، كما ذكرنا ، في صيف ١٩٧١ ، وأخذ يتضح شيئا فشيئا . وحين زار الوفد الافريقي القاهرة ، في محاولة لايجاد مخرج لازمة « الشرق الاوسط » ، كان مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي يصرح « أنه ما من حل سلمي لان مصر ترفض صيغ الحلول المعروضة » لانها « تتناقض ... مع مشروع قرار مجلس الامن » .

ولم يلبث عبد القادر حاتم في اليوم التالي أن أدلى بتصريح أكثر خطورة جاء فيه : « ان هناك حملة اعلامية واسعة تديرها الدول الاستعمارية بقصد الايحاء بأن هنالك حلا سلميا وشيكا للصراع في الشرق الاوسط » . وأكد الدكتور حاتم : « أن كل المشروعات كاذبة ، وما يقال حولها يتميز بالمخادعة والمراوغة ، وانه ليس هنالك بديل للقتال ، لان اسرائيل ترفض الانسحاب » . وكان يمكن ألا تكون لهذا التصريح أهمية لولا ان مجلس الدفاع الوطني قد اجتمع في القاهرة ، بعد هذا التصريح . ومجلس الدفاع هذا هيئة استحدثت مؤخرا وتتلخص صلاحياتها « في تقرير سياسة الدفاع عن مصر ومستلزمات العمل لتحرير الارض المحتلة » (اليقظة العدد ٢٣١ — الكويت ١١/٨/ ١٩٧١) .

وبعد ذلك زاد الامر وضوحا ، عندما التقى أنور السادات برجال الاعلام — وهو أحد لقاءاته الرسمية والشعبية من اجل التعبئة . وقد كشف الرئيس السادات في هذا اللقاء عن « المساعي التي بذلتها مصر منذ حرب حزيران ١٩٦٧ الى الان من أجل تحقيق التسوية السلمية ... وعن الاتصالات مع الولايات المتحدة » . ثم أشار الى ان الوقائع اثبتت ، ان اسرائيل تساندها الولايات المتحدة : « ما زالت مصممة على مواصلة العدوان والتمسك بالاراضي العربية المحتلة وفرض الامر الواقع واستمرار تصعيد الموقف في المنطقة » . وبناء عليه فان السادات يرى انه « لم يعد هناك بديل للمعركة من اجل تحرير الارض المحتلة وتحقيق السلام القائم على العدل » . وذكر السادات ان هنالك « خطة اعلامية » توضع ، وان الهدف « بناء الدولة الحديثة عن طريق التكنولوجيا الحديثة ... » (النهار ٧١/١٢/٣) . كما انه اشار الى العلاقة بالولايات المتحدة قائلا : « دي الوقت تأكدت ليه كان عبد الناصر مش بيوثق بالاميركان . اميركا عايزه واحد لسانه زفر يتكلم عليها » . لقد وصل السادات اذن بعد سنة من المماناة مع « الاميركان » الى ما وصل اليه عبد الناصر من قبل . أما بالنسبة للعلاقات مع السوفيات فقد اكد السادات ان العلاقات «أفضل من اي وقت مضى ومتينة جدا » . وكان السادات مصرا على ان الموقف يجب أن يحسم قبل نهاية ١٩٧١ ، لانه ان لم يحسم فسيبقى مجمدا حتى ١٩٧٤ لان رئيس اميركا الجديد « حيفضل قاعد سنتين يدرس لغاية ما يحدد سياسة جديدة يمشي عليها » . واضاف : « مش عايز تصبح قضيتنا زي قضية روديسيا كل سنة في سبتمبر بيلتقي ناس يرثوها » . وحين تحدث عن المعركة قال : « ده قرار اتخذناه . المعركة قادمة ، هذا قرار لا بد من تنفيذه . أنا زرت الجبهة ومتأكد ووائق من قواتنا . واحنا بحثنا في كل شيء حتى في موضوع الذخيرة.حاسبين حساب حتى الرصاصة الواحدة. المعركة قادمة واذا كانت صحف بره بتقول كلام تاني خليها تقول . بكره لما حتبدى المعركة حتسكت. والمعركة زي ما انتو شايفين معركة مصر وانتو شايفين اوضاع الدول العربية . والتحرك الدولي لا يمنعنا ابدا من خوض المعركة » (النهار ٧١/١٢/٤) .

كانت الحرب في شبه القارة الهندية مشتعلة في هذا الوقت ، وكانت الجيوش الهندية تتقدم على باكستان الشرقية . وفي هذا الوقت كان محمود رياض وزير خارجية ج. م. ع. ينتقد بلهجة مهذبة الموقف الاميركي . وقد أشار الى أن « هناك تناقضا اساسيا بين تأكيدات الولايات المتحدة المتكررة بشأن تأييد قرار مجلس الامن وسياستها الواقعية الخاصة بتزويد اسرائيل بمساعدات عسكرية واقتصادية » . واضاف محمود رياض : « أن الالتزامات الاميركية كان يجب ان تجعل الولايات المتحدة تعارض سياسة اسرائيل التوسعية . وان الموقف الاميركي سمح لاسرائيل باستعمال قرار مجلس الامن كأداة للتهديد والابتزاز » (النهار ٧١/١٢/٤) .

وكان محمود رياض في هذا الوقت في الامم المتحدة، وكانت تصريحاته تختلف عن التصريحات في مصر. فمحمود رياض يؤكد ان مصر « ترغب في تجنب الحرب ... ان الحرب تعني القتل ... ونحن نريد ان نتجنب ذلك » . أما محمود فوزي فقد كان يصرح في هذا الوقت عينه : « أننا أمام حرب قائمة ، ولا أقول ستقوم ، لانها قائمة فعلا دفاعا عن الحقوق العربية وحقوق شعب فلسطين ... » . وكانت بعض صحف مصر تشير في هذا الوقت الى ان رئيس الاركان المصري اصدر قرارات عسكرية هامة « تؤدي الى التركيز على تطوير الوضع الاداري بالنسبة الى وحدات القوات المسلحة

وتحقق اقصى حد من التلاؤم بين الوضع المطلوب والامكانيات المتاحة » (النهار ٧١/١٢/٦) .

ولم تكن هذه « الازدواجية » غريبة ، لان مصر اليائسة من السلام ، كانت ما زالت تبحث عن « سرابه » في الامم المتحدة ، وكانت تحس بأن « المسعى السلمي » يجب ان يستمر في الوقت الذي يستمر فيه الاستعداد للقتال .

واستمر التحرك في الداخل ، ومنذ اجتماعات رؤساء الاركان العرب ومجلس الدفاع العربي معها ، بدأت لقاءات داخلية بين الرئيس السادات وقيادات المؤسسات السياسية والتنفيذية والمهنية، مهد لها باجتماعات على « أعلى مستويات العمل العسكري والسياسي والتنفيذي » . وقد التقى اضافة الى رجال الاعلام ، بأمانة اللجنة المركزية والمحافظين واعضاء الهيئة البرلمانية ، ومجلس الوزراء . وقد « حرص الرئيس على أن يضع صورة الموقف السياسي كاملة » ، كما « حرص على أن تكون اللقاءات لقاءات عمل ومصارحة بحيث صدرت عن اللقاءات قرارات تم ابلاغها للتنفيذ على الفور الى الجهات المختصة » (روز اليوسف ، العدد ٢٢٦٩ ، ١٩٧١/١٢/٦)

ونشر في هذا الوقت حديث انور السادات الى مجلة نيوزويك الذي يقول فيه : ان الولايات المتحدة « ضللته مرارا » (اللواء ، المحرر ٧١/١٢/٧) وروى كيف كانت الولايات المتحدة تمارس التضليل وتسعى الى انتزاع مزيد من التنازلات . فما كان من الولايات المتحدة الا ان اعلنت أنها لم تضلل احدا ، وحثت « مصر واسرائيل على استئناف المحادثات » (الحياة ٧١/١٢/٩) .

وهنالك وقائع ثلاث ، حصلت قبل نهاية كانون الاول (ديسمبر) وتستحق ان تذكر هنا :

الاولى : اجتماع رؤساء الاتحاد ٢٢ و٧١/١٢/٢٣. وقد أعلن فيما بعد ان الرؤساء درسوا خلال اجتماعاتهم في القاهرة « مشكلة العدوان الاسرائيلي على الامة العربية وخطوات ازالته ، وذلك على اساس المبدأين الآتيين : تحرير كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل اثر عدوانها في الخامس من حزيران ، واحترام حقوق شعب فلسطين ودعم الثورة الفلسطينية وتأييدها » (النهار ، ٢٢ و ٢٤ و٧١/١٢/٢٥) .

الثانية : اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة . ويتكون هذا المجلس من وزير الحربية ونوابه ، ورئيس اركان الجيش وقادة القوات البرية والبحرية والجوية ومدير المخابرات الحربية . ومن صلاحيات هذا المجلس « البحث في المسائل الاستراتيجية العسكرية والموضوعات المتصلة بالامن القومي . وكان آخر اجتماع لهذا المجلس قد عقد يوم ١٩٧١/١١/٩ (الاهرام ٧١/١٢/٢١ والنهار ٧١/١٢/٢٢) .

الثالثة : اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي مع مجلس الشعب ، بحضور الحكومة والرئيس السادات . وقد اصدرت اللجنة المركزية بعد الاجتماع بيانا هاما جاء فيه : ١ ــ « تأكيد القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية في اجتماعها المؤرخ في الثامن من كانون الاول ، من انه لا سبيل الى تحرير الارض الا بالمعركة ، والمعركة حتى النصر ». ٢ ــ « ان الشعب العربي مطالب اليوم بأن يتخذ موقفا واضحا محددا ازاء موقف الولايات المتحدة ، والا تخدعه بعد الآن مناوراتها وتصريحات مسؤوليها. فالعبرة بالعمل ، وقد اثبتت الولايات المتحدة الاميركية ان عملها منذ عدوان ١٩٦٧ ، بل من قبل العدوان ، موجه ضد مصالح الشعب العربي » . ٣ ــ « تأييد الجهود الديبلوماسية التي بذلتها الحكومة (المصرية) طوال السنوات الماضية على الصعيد العالمي ، وفي وجه خاص في المرحلة الاخيرة ، والتي كان لها فضل انكشاف الموقف الاسرائيلي ــ الاميركي امام الرأي العام العالمي ، ودعوة الحكومة الى بذل هذه الجهود ». ٤ ــ « ان الجبهة الداخلية هي العامل الحاسم من بين عوامل النصر ... من هنا فان الواجب الاساسي ... هو العمل ليل نهار وفي اقصى سرعة ممكنة على تنظيم جبهتنا الداخلية وتعبئة جهود جماهيرنا الخلاقة تعبئة سليمة ، بحيث تصبح المعركة ، ولا شيء سوى المعركة ، شغلها الوحيد وسلوكها اليومي » (النهار ٧١/١٢/٢٩) .

كان العام يسير الى نهايته ، والناس ينتظرون قرار الحسم . كانت القلوب والابصار مشدودة الى القاهرة . والكل يريد ان يسمع كلمة عن قرار الحسم ، وعن المعركة . وفي هذه الاثناء اخذت الدوائر الامبريالية ــ الصهيونية تذيع اخبارا عن كميات كبيرة من الاسلحة السوفياتية التي

ارسلت الى مصر ، وكان ان اصدرت مصر تكذيبا يؤكد ان الولايات المتحدة واسرائيل هما اللذان يروجان هذه الانباء من اجل تبرير تزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة ، (الحياة ٧٢/١/٥). وكان نيكسون قد اعلن ان قرارا جرى اتخاذه حول تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم ، لكنه رفض ان يحدد موعد تنفيذ هذا القرار . وما لبث روجرز ان صرح في مقابلة تلفزيونية قائلا : « وفي هذه الظروف فاننا نتوقع مواصلة تزويد اسرائيل بالاسلحة لنتأكد من عدم تحول الميزان » (النهار ٧٢/١/٥) .

وكانت مصر في هذا الوقت ما زالت منهمكة بتحركاتها الداخلية واتصالاتها العربية والخارجية . فقد سافر صادق الى ليبيا ، ثم ما لبث حاتم ان اتجه اليها . واجتمع محمود رياض، بعد القرار الاميركي، مع سفراء بريطانيا وسويسرا واسبانيا . وكان مقررا ان يزور محمود رياض الصين في ٧٢/١/٢١، بعد زيارته للكويت وابو ظبي ودبي ومسقط والبحرين وقطر .

وبدات التكهنات حول الحرب المقبلة . قيل لقد اتخذ القرار السياسي ، ولم يبق الا تحديد زمان المعركة ومكانها . ولكن هل ستكون المعركة حربا شاملة ، أم حرب استنزاف ؟ واخذت التكهنات كل ماخذ ، وان كان هناك قطاع كبير من الرأي العام العربي لا يصدق ان الحرب قادمة . وكان هنالك من يرى ان السادات سيبدأ « هجوما ادنى من الحرب الشاملة ولكنه يتعدى في اتساعه وكثافته نطاق « حرب الاستنزاف » ... ويضيف اصحاب هذا الرأي « ان الرئيس السادات سيركز بصورة خاصة على عمليات انهاك داخل الاراضي المحتلة تقوم بها نخبة قوات الكوماندوس المصرية ، في حين يقوم سواد الجيش بالمرابطة بقوة وراء اسلحته الدفاعية الضخمة لصد هجمات الثأر الاسرائيلية » (الجديد العدد ٢٦٥ ، ١٩٧٢/١/٧) .

وقال الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء في زيارة له لاحدى القواعد العسكرية في هذا الوقت بعينه ان « ... حساباتنا جميعا قائمة على اساس النصر ولا بديل للنصر ... » واثنى على القوات المسلحة « على ما وصلت اليه من تنظيم واعداد وحسن اداء ... » واضاف : « وهو ما تفتقده الجبهة الداخلية في الوقت الحالي ، ولا نألو جهدا في معالجته ... » (الاهرام ٧٢/١/٧) . وكان مثل هذا الكلام الموزون من شيخ عاقل مجرب يزيد التساؤلات حول امكانية السير على طريق الحرب. ومع هذا فقد ظل الناس ، والعامة خاصة ، ينتظرون ان تقول مصر شيئا عن الحسم وعن قرار الحسم . ولم يطل بهم الانتظار . ذلك أن الرئيس السادات ألقى خطابا هاما يوم ١/١٣ . وكان أبرز ما في الخطاب قول السادات انه كان قد قرر خوض الحرب قبل نهاية سنة ١٩٧١ ، وكان كل شيء يسير على ما يرام خلال تشرين الثاني . وقبل ان تحين ساعة الصفر وقعت الحرب الهندية الباكستانية ، وتغير كل شيء . ومع ان حربا كالحرب الهندية — الباكستانية مبرر مقبول لعدم الاقدام على حرب ثانية ، فان خطاب الرئيس السادات أثار الكثير من الجدل . ذلك ان كثيرين تساءلوا : أيجوز ان نعلن أننا قررنا خوض الحرب في حالة اتخاذ القرار بذلك ؟ وتساءل آخرون : كيف يمكن ان تكون مصر مستعدة للحرب وعازمة عليها ، في الوقت الذي نجدها فيه تعلن على السنة مسؤوليها انها ما زالت تستعد ، وان الجبهة الداخلية ما زالت بحاجة الى كثير من العمل .

وجاء بعد ذلك التغيير الوزاري ، والتغيير الذي حدث في الاتحاد الاشتراكي ، وقد لوحظ في هذا التغيير ما يلي : اولا : ان العناصر المحافظة والمعتدلة (محور فوزي ، عزيز صدقي ، سيد مرعي) هي التي تسلمت مقاليد الامور في البلاد ، رسميا وشعبيا . ثانيا : ان عودة هذه العناصر تطرح على بساط البحث اسلوب بناء الجبهة الداخلية بناء سليما متماسكا ومسألة الاتجاه نحو الحرب .

ونتيجة لهذا كله حدثت انتفاضة الطلاب . ولقد امتازت انتفاضة الطلاب بالميزات التالية : اولا : طرحت موضوع السياسة الداخلية والخارجية طرحا واعيا رزينا . ثانيا : اعطت لمطالبها وجها عربيا ، (تأييد المقاومة ، قطع العلاقات مع النظام العميل في الاردن ... الخ) . ثالثا : بدت منظمة ، تعرف ما تريد وما لا تريد ، وابتعدت عن الممارسات الطفولية والعشوائية ، واظهرت قدرة في السيطرة على كل اعمالها وضبط عناصرها واكتشاف المندسين . كما أنها استخدمت التكتيكات المناسبة في تضييق جبهة الاعداء وتوسيع جبهة الاصدقاء ، وفي اكتساب عطف الجماهير . رابعا :

أخذت موقفا سليما ووطنيا من القضية الفلسطينية (رفض الحلول الاستسلامية ، رفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، تأييد المقاومة ، السماح للمواطنين المصريين بالانخراط في صفوفها) .

وكان هذا كله ما يعتبر تطويرا لموقف الطلبة في مصر . ذلك ان انتفاضتهم سنة ١٩٦٨ كانت اقرب الى العفوية ، وهي تجيء اليوم أكثر نضجا من حيث الخط ومن حيث الممارسة . وهذا ما يجعل هذه الانتفاضة اكثر اهمية . وقد تتحول الى حركة (الدستور ، العدد ٦٨ ، ٧٢/١/٣١ ، البلاغ ، العدد ٤ ، ٧٢/١/٣١) .

ومن الضروري متابعة التفاصيل عن هذه الحركة الرائدة . من الضروري مثلا دراسة مطالب الانتفاضة ، ومن الضروري تتبع اخبار مظاهراتها والاساليب التي اتبعت فيها ، كما أنه من الضروري معرفة مدى الانضباط الذي تحلى به المتظاهرون والمعتصمون كما أنه من الضروري معرفة الاساليب التي نقلوا بها قضيتهم الى الشعب والى المؤسسات الحكومية والشعبية . فمما هو جدير بالاهتمام والاحترام ان الطلاب نقلوا حركتهم الى الشارع . ومما هو جدير بالاهتمام أيضا ان الطلبة كانوا يتظاهرون ، ويطرحون شعاراتهم ، فاذا اندس بينهم غريب اكتشفوه فورا ، واخرجوه . وكان قادة المجموعات يوزعون الشعارات على المتظاهرين مكتوبة ، وخلال سيرهم . ومما هو جدير بالاهتمام أيضا ان المتظاهرين لم يرجموا مؤسسة ، ولم يقوموا بأي عمل يبرر قمعهم . ثم ان ما هو اكثر من هذا اثارة للاهتمام اتخاذ الطلاب موقفا وديا من رجال الشرطة والامن والجيش الذين يهاجمونهم ، والاصرار على الدخول في حوار ودي معهم لافهامهم اهداف الانتفاضة . ولقد برزت « العبقرية الجماهيرية » في مواقفهم ومجلاتهم ونشراتهم وجراتهم . وقد لجأت السلطة الى المواجهة فدخلت الحرم الجامعي ، واحتجزت اكثر من الف من الطلاب اطلق معظمهم وما يزال بعض منهم معتقلا .

والان ، عند كتابة هذه السطور اواسط فبراير ، يقترب موعد افتتاح الجامعة ، كما ان موعد المؤتمر الطلابي الذي سيعقد يوم ٢/١٩ ، كما هو مقرر ، اصبح وشيكا ، والسلطة ليس امامها الا ان تصل الى اتفاق مع الطلاب ، وهذا يعني شيئا كثيرا ... يعني انقلابا في خط النظام وخططه ، او ان تلجأ الى اغلاق الجامعات والى مزيد من الاجراءات . فماذا سيفعل الرئيس السادات ؟ لقد ذهب الى موسكو ويوغسلافيا ، ثم الى سورية وليبيا . ومثل هذه التحركات قد توحي بأنه جاد في قضية السير على طريق الحرب ، ولكن المشكلة الاساسية هي المشكلة الداخلية في مصر ، مشكلة قناعة الجماهير بأن الحكومة التي تحكمهم قادرة على أن تقودهم على طريق الحرب ، وبأن السياستين الداخلية والخارجية منسجمتان مع متطلبات قرار الحرب .

وتبقى نقطة القوة الكبرى في الوضع الجديد في مصر هي ان الجماهير المتفرجة وغير المبالية والخائفة والمكبوتة اخذت تحاول استعادة دورها في توجيه دفة الحكم وتقرير السياسة الوطنية .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

تركزت أهم التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي في الفترة الاخيرة حول الموقف الامريكي والاجراءات العملية التي نتجت عنه مؤخرا ، وحول مشروع القرار الافرو — اسيوي الذي تبنته الجمعية العامة لهيئة الامم بصدد مساعي التسوية السلمية ومهمة يارينغ في المنطقة ومواقف الاطراف المعنية مباشرة من القرار . وسنبدأ بالموقف الامريكي .

يبدو أن الولايات المتحدة قد استنفدت اغراضها من عملية حلول وساطتها بين الجانبين العربي والاسرائيلي ، محل وساطة يارينغ وما تلا ذلك من خطوات لفرض الهيمنة الامريكية شبه التامة على « مجهودات السلام » في الشرق الاوسط . وهذا يعني ان السياسة الامريكية قد استنفدت اغراضها من طرح مشروع التسوية الجزئية (الذي احتل مركز الصدارة ، لعدة اشهر ، في التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع في منطقتنا) وما رافقه من جدل مطول وعقيم ، ومماطلات مستمرة بأسم « الدبلوماسية الهادئة » و« تقريب وجهات النظر بين الطرفين العربي والاسرائيلي » ، هذا بالاضافة الى ما رافقه ايضا من زيارات كثيرة قام بها مسؤولون امريكيون كبار الى مصر واسرائيل (روجرز ، سيسكو ، ستيرنر ، اندرسون ، الخ..) ومشاريع وسطية امريكية تدعي محاولة التوفيق بين المطالب الاسرائيلية والمصرية ، بالنسبة لشروط اعادة فتح قناة السويس . وقد ظهرت بوادر هذا الواقع الجديد الى العلن قبل حلول موعد مناقشة قضية الشرق الاوسط في هيئة الامم بفترة قصيرة (أواخر شهر تشرين الثاني) عندما أعلنت الولايات المتحدة تجميد وساطتها بين الدول العربية واسرائيل . واذا لم يجهز هذا التجميد نهائيا على مشروع التسوية الجزئية فانه يكون قد وضعه على الرف حتى اشعار آخر . تكشفت ابعاد الموقف الامريكي عبر سلسلة من الاجراءات المتلاحقة تلخصت بعدم تأييد الولايات المتحدة لقرار الجمعية العامة لهيئة الامم الخاص بالشرق الاوسط، وبقرار الرئيس نيكسون تزويد اسرائيل بعدد جديد من طائرات الفانتوم والسكاي هوك ، وبعقد اتفاقية بين وزارة الدفاع الامريكية واسرائيل تمكن الاخيرة من انتاج المعدات العسكرية الامريكية محليا . ويعني كل هذا ان الاشهر العديدة التي قضاها الجانب العربي في التعامل مع الوساطة الامريكية على امل ان تؤدي الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (عبر التسوية الجزئية او غيرها) قد ذهبت هدرا وهباء .

وجدير بالذكر هنا انه كان قد تم الاتفاق سرا حول صفقة الفانتوم اثناء زيارة غولدا مائير للولايات المتحدة في اوائل شهر كانون الاول حيث قابلت الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين وطالبتهم بتحذير الاتحاد السوفياتي من التدخل على نطاق واسع في حال نشوب اي قتال في الشرق الاوسط . ولم تظهر « الثمار » الحقيقية للزيارة حتى الاسبوع الاول من كانون الثاني حين اكد وليم روجرز ، ان بلاده ستزود اسرائيل بمزيد من طائرات الفانتوم والسكاي هوك كي لا يتحول ميزان التسلح في المنطقة لمصلحة مصر . وذكر روجرز انه مع ان ميزان التسلح لم يتحول بعد لمصلحة مصر فان حكومته قررت تزويد اسرائيل بالطائرات منذ الان كي لا يتحول الميزان ضدها في المستقبل . (راجع الرسالة الملحقة التي بعثها مراسل « شؤون فلسطينية » في الولايات المتحدة حول الضغط الصهيوني — الاسرائيلي على الاجهزة الامريكية للحصول على الطائرات) . وفي منتصف الشهر نفسه اكدت الحكومة الامريكية ايضا أنها عقدت اتفاقية مع اسرائيل تمكن الاخيرة من انتاج معدات عسكرية « دفاعية » صممت في الولايات المتحدة . ومن المتفق عليه بين المراقبين المطلعين ان هذه الاتفاقية ستمكن اسرائيل من تحقيق قدر كبير من الاكتفاء الذاتي في الانتاج الحربي ، كما انها ستقوم بتصدير المعدات الامريكية التي تنتجها محليا الى بلدان اخرى .

ومعروف أن امريكا لا تعقد مثل هذه الاتفاقيات الا مع البلدان الداخلة في أحلاف ومعاهدات دفاعية معها مثل دول الحلف الاطلسي واليابان وكوريا الجنوبية وايران . وتجدر الاشارة ايضا الى أن تكشف الموقف الامريكي على حقيقته في موضوع

الوساطة في الشرق الاوسط قد رافق تصاعد القلق الامريكي الواضح ، خاصة بعد الحرب الهندية الباكستانية ، من القوة البحرية السوفياتية المتعاظمة ، خاصة في المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط . ففي مقابلة مع صحيفة « النيويورك تايمز » قال الرئيس السادات ، في منتصف شهر كانون الاول ، بأن مصر ستقدم تسهيلات بحرية للاتحاد السوفياتي بعد حلول التسوية السلمية المحتملة وانها ستحتفظ بالخبراء السوفيات في جيشها . وفي الاجتماع الذي تم بين رئيس الوزراء البريطاني والرئيس نيكسون اعرب الزعيمان الامبرياليان عن « قلقهما العميق » من استمرار الحشد البحري والجوي السوفياتي في حوض البحر الابيض المتوسط وفي مصر ، ومن انتشار النفوذ السوفياتي .

أما على الصعيد التنفيذي فقد عكس هذا القلق نفسه في مشروع الموازنة الامريكية الجديدة حيث افردت مخصصات ضخمة لتقوية البحرية الامريكية عن طريق بناء غواصات ومدمرات اضافية وحاملة طائرات جديدة ، وفي موقف امريكا المؤيد للوصول الى اتفاق مالي بين بريطانيا ومالطا للابقاء على القاعدة البحرية التي يستخدمها الحلف الاطلسي في الجزيرة ، يضاف الى ذلك الاتفاقية الجديدة مع اليونان حول استخدام الاسطول السادس لموانئه واقامة قواعد له هناك ، والاتفاقية مع البحرين حول القاعدة البحرية التي اخلتها بريطانيا مؤخرا بحيث يقوم الاسطول الامريكي في الشرق الاوسط باستخدامها . كل هذه الاعتبارات مضافة الى تسليح اسرائيل على النحو الذي ذكرنا ، تشير الى عزم امريكا انتهاج سياسة « قوية » في الشرق الاوسط والمحافظة على نفوذ عسكري كبير في المتوسط والخليج العربي .

اما على صعيد هيئة الامم فقد قامت بعثة « السلام الافريقية »بتقديم تقريرها عن النزاع العربي الاسرائيلي وامكانات تسويته سلميا الى يوثانت عشية بدء مناقشة قضية الشرق الاوسط في الجمعية العامة . وعلى أساس نتائج بعثة الرؤساء الافريقية قامت ١٨ دولة افرو ــ آسيوية (بالاتفاق مع مصر) بتقديم مشروع قرار حول تسوية النزاع في الشرق الاوسط الى الجمعية العامة ، وبعد ادخال عدد من التعديلات التي طالبت بهـا بعض دول اوروبا الغربية وافقت الجمعية على مشروع القرار في ١٤ كانون الاول ١٩٧١ . وتضمن القرار النقاط الرئيسية التالية :

(١) الدعوة الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل عناصره .

(٢) التعبير عن القلق الشديد بسبب استمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية مع التأكيد مجددا على رفض مبدأ الاستيلاء على الاراضي بالقوة .

(٣) التأكيد مجددا على أن اقامة السلام في الشرق الاوسط يتطلب انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وانهاء كل حالات العداء بين الاطراف المعنية والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة بالعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .

(٤) التمني على الامين العام لهيئة الامم باتخاذ الاجراءات الضرورية لاحياء مهمة ممثله الخاص في الشرق الاوسط من أجل تسهيل الوصول الى اتفاق سلام .

(٥) تسجيل الارتياح حول جواب مصر الايجابي على مذكرة يارينغ المؤرخة في ٨ شباط ١٩٧١ .

(٦) الطلب من اسرائيل الرد بالايجاب على مذكرة يارينغ نفسها .

(٧) دعوة الاطراف في النزاع الى التعاون مع يارينغ من اجل ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة ، وتحقيق حل عادل لمشكلة اللاجئين وضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة من دول المنطقة .

(٨) الطلب الى الامين العام رفع تقرير الى مجلس الامن أو الجمعية العمومية حول التقدم الذي يحققه الوسيط الدولي في مجال وضع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والقرار الحالي موضع التنفيذ .

(٩) التمني على مجلس الامن ان يفكر ، اذا دعت الحاجة ، في اتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ قراره وفقا لمواد ميثاق هيئة الامم المتحدة .

صوتت الى جانب القرار ٧٩ دولة وعارضته ٧ دول بينما امتنعت ٣٦ دولة عن التصويت . ومن الامور التي لفتت انتباه المراقبين امتناع كل من ليبيا وسوريا عن التصويت بالرغم عن كونهما اعضاء في الاتحاد الثلاثي وبالرغم عن ان مصر اعتبرت

القرار نصرا كبيرا لدبلوماسيتها في هيئة الامم وعلى الصعيد الدولي . كذلك امتنعت عن التصويت كل من السنغال وزايره (الكونغو كينشاسا سابقا) والولايات المتحدة والصين . جاء امتناع السنغال وزايره — بالرغم عن مشاركة رئيس كل من البلدين في بعثة السلام الافريقية — نتيجة اعتقادهما ان بنود مشروع القرار ، غير ممثلة بما فيه الكفاية لروح النتائج التي توصلت اليها لجنة رؤساء الدول الافريقية . اما مندوب الولايات المتحدة في هيئة الامم فقد اعلن أن سببْ امتناع دولته عن تأييد القرار يعود انى رفضه من قبل اسرائيل . وجاء امتناع الصين انسجاما مع موقفها الاصلي في رفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كأساس لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي . وجدير بالذكر ايضا ان غالبية دول اوروبا الغربية وامريكا اللاتينية قد صوتت لصالح القرار . وكان ذلك منسجما مع موقف الدول الاوروبية الغربية المؤيدة لقرار مجلس الامن المذكور وما تفرع عنه من تفصيلات ومشاريع اجراءات عبر وساطة يارينغ واتصالاته ، ومع رغبتها في اعادة فتح قناة السويس واعادة « الهدوء والاستقرار » الى الشرق الاوسط .

مثّل قرار الجمعية اقصى ما يمكن ان تحققه الدبلوماسية العربية من مكاسب — ضمن منطق الحل السياسي للنزاع طبعا — على صعيد هيئة الامم وصعيد كسب تأييد الراي العام العالمي الرسمي الى جانب الموقف العربي الرسمي ايضا. الا ان الرفض الاسرائيلي لقرار الجمعية العامة والتأييد الامريكي لاسرائيل في موقفها يعنيان تجميد القرار الى أجل غير مسمى مما يضع الجانب العربي في موضع محرج ، اي موضع من يعتبر نفسه قد حقق انتصارا دبلوماسيا على الصعيد الدولي ولكنه غير قابل للتنفيذ ار التطبيق ، مما سيجعل اي لجوء الى هيئة الامم في المستقبل مجرد عملية دوران في حلقة مفرغة وتهرب صريح من مواجهة حقيقة المجابهة مع اسرائيل والامبريالية وما تتطلبه من اجراءات جذرية لتبديل الواقع القائم على الارض العربية في الوقت الحاضر .وبعد صدور قرار الجمعية العامة وقيام اسرائيل بتنفيهه علنا عمدت الولايات المتحدة بدورها الى تحويل الانظار عنه بواسطة العودة الى الكلام مجددا عن الوساطة الامريكية بين الطرفين العربي والاسرائيلي . ففي اواخر كانون الثاني صرح وليام روجرز بأن بلاده ستواصل القيام بدور مهم في الاتصالات الدبلوماسية الخاصة بالشرق الاوسط بالرغم عن بيانات الرئيس السادات حول قطع كل اتصال مصري مع واشنطن . كما اعرب عن استعداد بلاده لمواصلة القيام بدْور الوسيط (بالاضافة الى وساطة يارينغ) اذا كان الطرفان راغبين في ذلك ، واكد بأن امريكا ستستمر في القيام بدور مهم في الجهود الدبلوماسية لتسوية ازمة الشرق الاوسط . وفي مناسبة اخرى استمر روجرز في تجاهل قرار الجمعية العامة لهيئة الامم وعمد الى تحويل الانظار عنه وتركيزها على دور الولايات المتحدة عن طريق الاعلان عن ان بلاده ستستمرْ في مساعيها للوصول الى تسوية جزئية حول قناة السويس وستحث كذلك كلا من الطرفين على استئناف محادثاتهما باشراف يارينغ للوصول الى تسوية نهائية . واستمرارا لهذا الخط اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان وليم روجرز بدأ مسعى جديدا لايجاد تسوية سلمية مؤقتة في الشرق الاوسط وانه قام بالاتصال بمحمود رياض وابا ايبان بغية احياء وساطة السلام الامريكية من جديد .

اما بالنسبة للوسيط الدولي يارينغ فقد قام باتصالات ديبلوماسية في هيئة الامم مع عدد من ممثلي الاطراف المعنية بالنزاع في الشرق الاوسط بما في ذلك الامين العام الجديد كورت ڤالدهايم تمهيدا لامكان استمرار مهمته على ضوء القرار الذي اتخذته الجمعية العامة . وتعزيزا لهذا التمهيد قام الوسيط الدولي بزيارة السنغال وموريتانيا حيث قابل الرئيسين سنغور وولد داد، باعتبار انه كان لهما نشاط ملحوظ بالنسبة لمساعي دول منظمة الوحدة الافريقية للتوسط في موضوع تسوية النزاع العربي الاسرائيلي . كما ترددت انباء عن احتمال زيارة يارينغ للقاهرة والقدس في المستقبل القريب. وبهذه المناسبة كانت التصريحات الامريكية تميل الى التشكيك في أن يتمكن يارينغ من اقامة حوار مثمر بين الطرفين المعنيين على أساس مقترحات بعثة السلام الافريقية وقرار الجمعية العامة المذكور آنفا ، مع ان المصادر الامريكية تمنت له النجاح في مساعيه . وواضح ان حملة التشكيك هذه هي جزء من السياسة الامريكية الرامية الى تحويل

الانظار عن قرار هيئة الامم وتوجيهها نحو الكلام الذي يقال — بصورة غير جدية ابدا — حول احياء الوساطة الامريكية من جديد والعودة الى مشروع اجراء محادثات عربية اسرائيلية غير مباشرة في نيويورك تحت اشراف سيسكو او مسؤول اخر كبير من وزارة الخارجية الامريكية ، وهو المشروع الذي كان قد أشار اليه الرئيس السادات في مقابلته مع مجلة « نيوزويك » الامريكية (٦ كانون الاول ١٩٧١) حيث ذكر انه طلب من الدكتور مراد غالب تمثيل مصر في هذه المحادثات . وعلى صعيد اخر لا بد من الاشارة ايضا الى التطورات الاخرى التي جرت في هيئة الامم بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط :

(١) في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني ابلغ يو ثانت مجلس الامن الدولي بأنه لم يتمكن من ارسال بعثة دولية للتحقيق في اوضاع القدس كما طلب منه المجلس سابقا بسبب رفض اسرائيل التعاون مع المنظمة الدولية في هذا الموضوع (راجع « شؤون فلسطينية » ، عدد ٥ ، ص ٢١٥) .

(٢) اتخذت اللجنة السياسية الخاصة في هيئة الامم في اوائل كانون الاول مجموعة قرارات جديدة تندد بأساليب اسرائيل في التعامل مع اللاجئين الفلسطينيين . وافقت اللجنة ، بهذا الصدد ، على قرار يدعو اسرائيل الى عدم تدمير اية منازل اضافية تابعة للاجئين او نقلهم من مخيماتهم ، كما وافقت على قرار آخر يعرب عن « قلقها العميق » لان حقوق الشعب الفلسطيني الاساسية والثابتة قد أنكرت عليه كما منع من ممارسة حقه في تقرير المصير . واكد القرار ان ممارسة هذه الحقوق أمر ضروري لقيام سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . بالاضافة الى ذلك وافقت اللجنة على قرار آخر يلاحظ « بأسف عميق » ان اعادة اللاجئين او التعويض عليهم لم يتحققا حتى الان، ثم ناشدت اللجنة كافة الدول التبرع بسخاء لوكالة الغوث .

(٣) في النصف الثاني من كانون الاول وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار يدعو اسرائيل الى نقض الاجراءات التي اتخذتها في الاراضي العربية المحتلة والسماح لسكان هذه الاراضي الذين فروا او ابعدوا بالعودة الى منازلهم . وقد تضمن القرار تقرير اللجنة السياسية الخاصة المستند الى تقرير لجنة هيئة الامم الثلاثية التي عهد اليها التحقيق في الاجراءات الاسرائيلية التي تنتهك حقوق الانسان في الاراضي المحتلة . ودعا القرار اسرائيل الى الامتناع عن كل سياسة او اجراء يؤديان الى : (أ) ضم اي جزء من الاراضي العربية المحتلة . (ب) انشاء مستعمرات اسرائيلية في هذه الاراضي ونقل بعض سكانها المدنيين الى اراض محتلة أخرى . (ج) تدمير او نسف القرى او الاحياء او المنازل ومصادرة الممتلكات او استملاكها . (د) اجلاء سكان الاراضي المحتلة او ابعادهم او نقلهم او طردهم . (هـ) انكار حقوق اللاجئين والمشردين في العودة الى ديارهم . (و) اساءة معاملة المعتقلين والسجناء او تعذيبهم . (ز) فرض العقوبات الجماعية .

كما اكد القرار ان كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل للاستيطان في الاراضي المحتلة ، بما فيها القدس المحتلة ، باطلة كليا ولاغية المفعول . وحث القرار اسرائيل على الانصياع لمواثيق جنيف بالنسبة لحماية المدنيين في زمن الحرب . كذلك طلب من اللجنة الدولية الثلاثية مواصلة عملها ، بالتشاور مع الصليب الاحمر الدولي ، لصيانة حقوق الانسان في الاراضي المحتلة .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد كان ارتياحه ظاهرا لانكشاف حقيقة السيناريو الامريكي في موضوع الوساطة في النزاع العربي الاسرائيلي بعد قرار شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل ، خاصة وان القيادة السوفياتية كانت قد وجهت نقدا شديدا ومتكررا ضد محاولات الولايات المتحدة الهيمنة على مساعي التسوية وتحويلها الى مسألة امريكية صرف ، كما وجهت النقد ايضا الى ميل الموقف العربي الرسمي نحو القبول بالوساطة والاعتماد على الوعود التي رافقتها . ومن الملفت للانتباه ان مصادر الاعلام السوفياتية ذكرت ما معناه ان قرار شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل يشكل « نهاية المهزلة » ، اي مهزلة الوساطة الامريكية المنفردة وقبول الجانب العربي بها كل هذه المدة ، ثم تجميدها ونسفها ، من قبل اصحابها ، بصورة مذلة اعطت اسرائيل كل ما تريد ولم تقدم للجانب العربي اي تنازل من قبل القوى المعدوة مهما كان بسيطا . وبطبيعة الحال ندد الاتحاد السوفياتي بقرار شحن الفانتوم واعتبره تشجيعا لاسرائيل

كي تستمر في سياستها المتطرفة مما سيضر بقضية الحل السلمي ، على حد تعبير الطرف السوفياتي. كذلك هاجمت الاوساط الاعلامية السوفياتية الحكومة الامريكية على اساس انها لا تفكر بجد في حل عادل لازمة الشرق الاوسط لان همها الاول هو المحافظة على اسرائيل بصفتها أداة قادرة على الدفاع عن المصالح الامبريالية في المنطقة .

وعلى صعيد العلاقات العربية السوفياتية صرح السفير السوفياتي في مصر — في منتصف شهر كانون الاول — ان بلاده ستقف الى جانب مصر في تحقيق هدفها سواء عن طريق السلم او الحرب . وترك هذا التصريح اثرا دوليا مباشرا لانه تعدى ، على ما يبدو ، الحدود المرسومة للدعم السوفياتي لمصر كما هو متفاهم عليها ضمنا على الصعيد الدولي . لذلك قامت وزارة الخارجية الامريكية فورا باستيضاح الحكومة السوفياتية عن مغزى تصريح السفير وما اذا كان يعكس تبدلا في سياسة الاتحاد السوفياتي المعروفة حول موضوع الحرب والسلام في منطقتنا . وعلى اثر ذلك صرحت واشنطن بأن حكومة الاتحاد السوفياتي نفت نفيا باتا بأن يكون سفيرها في القاهرة قد تعهد لمصر بمدها بالمساعدات كاملة في حال تجدد الحرب مع اسرائيل . كما نفت الملاحظات التي نسبت الى سفيرها في القاهرة . وفي اوائل كانون الثاني صدر تحليل في صحيفة « البرافدا » هدفه تحديد الخطوط العريضة للسياسة السوفياتية ازاء الحل السياسي للنزاع في الشرق الاوسط وتتلخص هذه الخطوط بما يلي : (١) التشديد على السعي لاحلال السلام في المنطقة وتشجيع التسوية السياسية على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ . (٢) تجريد النزاع من تأزمه الحاد في الوقت الحاضر . (٣) ربط الحالتين التاليتين وتطبيقهما معا : سحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وانهاء حالة الحرب في الوقت نفسه ، واقامة السلام بين الدول العربية واسرائيل . (٤) اتخاذ تدابير اجرائية معينة مثل : تحديد مواعيد سحب القوات الاسرائيلية وربط ذلك باقامة علاقات سلمية جديدة بين اسرائيل وجيرانها العرب ، توفير الضمانات اللازمة لامن حدود كل البلدان في المنطقة بما في ذلك ضمانات من جانب الدول الكبرى ومجلس الامن الدولي . واكد التحليل السوفياتي على أن احد الشروط المهمة للنضال الناجح في سبيل تصفية العدوان الاسرائيلي هو تضامن ووحدة البلدان العربية ، لان لهذا الامر اهميته الخاصة في الظروف الحالية اذ تبني الامبريالية عملها على شق حركة التحرر الوطني العربية وتسعى لتستغل لصالحها الخلافات القائمة بين البلدان العربية في صدد حل بعض المشاكل المطروحة . كما ندد التحليل برفض قادة اسرائيل ، في تصريحاتهم العلنية ، فكرة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . واكد ان اسرائيل تحاول تبرير سياسة المماطلات التي تنتهجها بحجة الحصول على الحدود الامنة في حين انها تريد تغطية مطامعها التوسعية في الاراضي العربية المحتلة ورغبتها في تجميد الوضع القائم على حاله .

من جهة اخرى قام وفد سوفياتي « غير حكومي » برئاسة نائب مدير اتحاد الجمعيات السوفياتية للعلاقات الودية والثقافية بزيارة اسرائيل ، وهي اول زيارة من نوعها منذ قطع العلاقات بين البلدين في ١٩٦٧ . شارك الوفد في اجتماعات جمعية الصداقة السوفياتية — الاسرائيلية التي اشرف على تنظيمها الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) . وصرح رئيس الوفد ان بلاده تريد حل ازمة الشرق الاوسط عن طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما اكد ان بلاده تسعى الى حل الازمة على اساس اخذ الحقوق الشرعية لكل شعوب المنطقة ، بما في ذلك الفلسطينيون والاسرائيليون ، بعين الاعتبار ، ولا يمكن ان يقوم مثل هذا الحل الا على اساس التسوية السياسية . وأعرب رئيس الوفد عن أمله في أن يؤدي اجتماع جمعية الصداقة السوفياتية — الاسرائيلية الى تدعيم العلاقات والتفاهم المشترك بين شعوب الاتحاد السوفياتي وشعب اسرائيل .

اما الصين فقد عبرت عن موقفها المؤيد للجانب العربي عن طريق رفضها المشاركة في محادثات الدول الاربع الكبرى (والمجمدة عمليا في الوقت الحاضر) ومن خلال الخطاب القوي الذي القاه ممثلها أمام الجمعية العامة اثناء مناقشة قضية الشرق الاوسط . شدد المندوب الصيني في كلامه على عدوانية اسرائيل والدور الامريكي والاستعماري في دعمها . كما ندد بهيئة الامم نفسها بسبب فشلها في ادانة العدوان التوسعي الاسرائيلي وعجزها

عن تقديم ما يلزم من العون للشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى في كفاحها ضد العدوان والاحتلال . كذلك ندد المندوب بالابتزاز الذي تمارسه الدول الكبرى ضد الشعوب العربية عن طريق نشر الفكرة القائلة بأن الاستمرار في الكفاح التحرري المسلح سيؤدي الى حرب عالمية مدمرة ، واعتبر هذا المنطق مجرد هراء لانه من حق هذه الشعوب حمل السلاح لمقاومة العدوان واستعادة أراضيها المفقودة وحقوقها الوطنية المهدورة . كذلك دعا المندوب الصيني جميع الحكومات الى ادانة الرجعية في الاردن بسبب قيامها بأعمال القمع الدموية ضد الشعب الفلسطيني . كما طالب بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة وبضرورة استرداد الشعب الفلسطيني لوطنه ولحقوقه في الوجود الوطني .

كان للحرب الهندية الباكستانية وقيام دولة بنغلادش تأثيرات شبه مباشرة على أوضاع النزاع العربي الاسرائيلي . كان الانطباع الدولي الاهم الذي تركته الحرب هو ان النتيجة العملية لقيام الهند بعقد معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي ومن ثم خوضها حرب منتصرة ضد الباكستان (حليفة امريكا) هي الحاق هزيمة بالسياسة الامريكية واستراتيجيتها في تلك البقعة من العالم . وقد أدى ذلك الى الاستنتاج الفوري بأن الولايات المتحدة سترد على التحدي عن طريق انتهاج سياسة « قوية » واكثر عدوانية في مناطق أخرى من العالم أهمها الشرق الاوسط ، خاصة وان معاهدة صداقة مشابهة تقوم الان بين مصر والاتحاد السوفياتي في مواجهة اسرائيل وامريكا. على هذا الاساس لا يبقى اي شك في ان نتائج الحرب الهندية الباكستانية كان لها تأثير في اسراع نيكسون بتزويد اسرائيل بالطائرات وباتخاذ اجراءات اخرى لتقويتها عسكريا بالرغم عن الاعتراف الامريكي بعدم تحول ميزان التسلح عما كان عليه في الشرق الاوسط .

ومن تأثيرات الحرب الهندية الواضحة وضعها بعض الحكومات العربية (خاصة مصر) التي تعتبر نفسها صديقة تقليدية للدولتين المتحاربتين في موقع المحرج وغير القادر على التعبير عن موقف واضح في النزاع . الا انه يجوز لنا القول هنا ان الموقف الضمني لهذه الحكومات كان اكثر ميلا الى تأييد الباكستان ، بينما كان قطاع واسع من الرأي العام التقدمي العربي يميل الى تأييد قيام بنغلادش بسبب المجازر التي ارتكبها الجيش الباكستاني ضد الشعب البنغالي . كذلك كان الانتصار الهندي مصدرا للاحراج بالنسبة لبعض الانظمة العربية لانه برهن على قدرة دولة من دول العالم الثالث المرتبطة بمعاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي خوض حرب ناجحة ضد دولة داخلة في نظام الاحلاف الامريكية ، ولانه برهن عن نجاعة اللجوء الى الوسائل العسكرية لحل المشاكل المستعصية ، خاصة عندما يكون لهذه المشاكل صلة مباشرة بقضايا اللاجئين والمبعدين بالقوة عن اوطانهم ، وعندما يأتي اللجوء الى القوة نتيجة لفشل كل محاولات استجداء الرأي العام العالمي وهيئة الامم والدول الكبرى لتقديم المساعدات الفعالة لحل المشكلات الوطنية المستعصية اياها . ومصدر آخر للاحراج العربي الرسمي ، على هذا الصعيد ، هو البرهنة الملموسة على انه باستطاعة دولة كبيرة من دول « معسكر عدم الانحياز » ايجاد الطرق المناسبة ، ان هي ارادت ، لاخذ زمام المبادرة العسكرية والتحرك السريع بحرية وباستقلال نسبي بدون التسبب بوقوع حرب عالمية ثالثة وبدون الخضوع للابتزاز الذي يمارس حاليا باسم « تجنيب العالم كارثة نووية » . لا بد من الاشارة ايضا الى ان اسرائيل قد تذرعت بعجز هيئة الامم عن التدخل في مجرى الحرب الهندية ومنع تقسيم الباكستان لتدلل على تهافت ما يسمى « بالضمانات الدولية » لحدود الدول ، وللتصلب في موقفها من الاراضي العربية المحتلة ومسألة « الحدود الامنة والمعترف بها . » كذلك اشار الرئيس السادات الى اهمية الحرب من حيث تأثيرها في تبديل رأيه بالنسبة « لعام الحسم » في النزاع مع اسرائيل الذي كان مقررا ان يكون في نهاية ١٩٧١ .

صادق جلال العظم

ملحق

رسالة خاصة من الولايات المتحدة : الضغط للحصول على الفانتوم

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ القى وليم روجرز، وزير الخارجية الاميركية، خطابا اعتبره الاسرائيليون بداية تباعد سياسي بين واشنطن وتل ابيب على اعتبار ان روجرز دعا فيه الى عقد اتفاقية موقتة وتسوية شاملة بين مصر واسرائيل والى السماح للفنيين المصريين بالعبور الى الضفة الشرقية لقناة السويس للاشراف على سير العمل فيها بعد اعادة فتحها . وقبل اسبوع من خطاب روجرز هذا قال احد المراقبين الاسرائيليين : « عندما نشعر بأن الولايات المتحدة تمارس ضغطا حقيقيا علينا سنعمد الى تأليب اليهود في اميركه ضد سياسة واشنطن في الشرق الاوسط » (نيوزويك ، ١٨ اوكتوبر ١٩٧١ ، ص ٦٢) . وسرعان ما انتهى روجرز من خطابه حتى اعطت القدس الاشارة للبدء بهذه الحملة ، وكذلك بدأ مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى الخمس والعشرين في الولايات المتحدة المعروف بنفوذه القوي بشن حملة مماثلة ولكن بمفرده . وهنا لاحظ احد المسؤولين الاميركيين في واشنطن انه من خلال التجارب السابقة « بتنا نتوقع تكرار حدوث النموذج نفسه : اولا يطلب زعماء اليهود في اميركه تحديد موعد لمقابلة الرئيس او وزير الخارجية . ثم نبدأ بتلقي سيل من الرسائل ، يرافقه سيل آخر من الخطابات في الكونجرس ، وبعد ذلك يبدأ عدد من الصحفيين بالصياح بملء حناجرهم » (المصدر نفسه ، ص ٦٤) . ولكن حدث خروج بسيط عن هذا الخط عندما قام ستة شيوخ ديمقراطيين وستة آخرين جمهوريين في ١٥ اكتوبر بتعميم مشروع قرار يدعو حكومة نيكسون لتزويد اسرائيل بطائرات فانتوم النفاثة ف ـ ٤ . والذين قاموا بذلك هم : من الديمقراطيين : ستيوارت سيمنجتون من ميسوري، هيرمان تالمادج ، من جيورجيه ، جيل ماكجي من وايومنج ، ادوار كيندي من ماستشوستس ، ابراهام ريبيكوف من كونيكتكت ، هنري جاكسون من واشنطن ، ومن الجمهوريين : هيو سكوت من بنسلفانيا ، جاكوب جافيتس من نيويورك ، ادوارد بروك من ماستشوستس ، روبرت دول من كنساس ، ادوارد جيرني من فلوريدا ، وتشارلز بيرسي من الينوي . وقد نجح هؤلاء في جمع تواقيع ٧٨ شيخا . وقد تلا ذلك تقديم مشروع مماثل الى مجلس النواب في ٢٧ اكتوبر ١٩٧١ وقعه ٢٥٠ من اصل ٤٣٥ نائبا . وفي ٢٣ نوفمبر جرت مقابلة عاصفة بين روجرز وثمانية من اعضاء مجلس الشيوخ هم : بيرسي وبروك ودول وجافيتس وكيندي وماكجي وريبيكوف وسيمنجتون ، الذين جاؤوا ليعربوا لروجرز بأن « الرأي السائد لدى غالبية اعضاء الكونجرس هو في وجوب تزويد اسرائيل بطائرات فانتوم فورا » ـ (جويش ويك (نيويورك) ، ٢ ديسمبر ١٩٧١ ، ص ٢٠) . وعلى حد قول الذين اشتركوا في هذه المقابلة ، اتهم روجرز اسرائيل بـ « التداعي » بسبب النزاع السياسي الداخلي الناجم عن الاعباء الدفاعية الباهظة ولاخفاقها في التوصل الى سلام مع الدول العربية . واتهم اسرائيل ايضا بـ « العناد » و« التعنت » مؤيدا هذه الاتهامات باقوال صدرت على لسان مئير وغيرها من الزعماء الاسرائيليين ـ (المصدر نفسه) . عندئذ رد الشيوخ على روجرز، و« فسر احدهم ملاحظات روجرز بأنها ليست سوى اتهام لاسرائيل بأنها تقوم بنسف مبادرته لاحلال السلام ، ليتسنى لها بذلك الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة . » ـ (المصدر نفسه) . وفي هذا اليوم بالذات وافق مجلس الشيوخ بأغلبية ٨٢ صوتا مقابل ١٤ على مشروع قانون بتزويد اسرائيل بمعدات حربية اضافية ، وبضمانات قيمتها ٥٠٠ مليون دولار نصفها لتغطية بيع المزيد من طائرات فانتوم . وهذا القانون الذي قدمه السناتور هنري جاكسون جاء على شكل تعديل لقانون الاعتمادات الدفاعية رغم معارضة اربعة من اقوى

الشيوخ هم : زعيم الاغلبية الديمقراطية ، مايك مانسفيلد من مونتانا ، ورئيس لجنة العلاقات الخارجية ، وليم فولبرايت من اركنساس ، ورئيس لجنة الاعتمادات ، ألن ايللندر من لويزيانا ، ورئيس لجنة القوات المسلحة ، جون ستنيس من مسيسيبي . وخلال المناقشة أثار ايللندر نقطة نظام وهي ان التعديل المطروح يجب ان لا يكون جزءا من مشروع قانون اعتمادات الدفاع ، بل مسألة تتعلق بلجنة العلاقات الخارجية . اما فولبرايت فقد اتهم جاكسون بعرقلة جهود الحكومة من اجل التوصل الى تسوية متفاوض عليها في الشرق الاوسط ، وبأن التعديل يهدف الى غل يد الرئيس ، ثم قال : « ليس لدي اي اعتراض على قيام المجلس بالرد على الرئيس اذا ما أحس أعضاؤه بأنهم على اطلاع كاف على كل ما يتعلق بالموضوع ، وان القيام بذلك هو للصالح العام .» (نيو ايست ريبورت ، ١ ديسمبر ١٩٧١ ، ص ١٩١) .

وكما كشف المراقبون المطلعون كانت تل ابيب هي التي تحرك هذه الحملة وفي ذهنها الاهداف الثلاثة التالية : اولا ، يعتبر اقتراب انتخابات الرئاسة كتذكير في الوقت المناسب لحكومة نيكسون بأن لاسرائيل تأييدا كاسحا في الولايات المتحدة . ثانيا، عن طريق تحويل المسألة الى قضية سياسية محلية مشحونة عاطفيا ، تأمل اسرائيل ارغام روجرز على التراجع عن سياسته بالنسبة للشرق الاوسط التي يدعو فيها الى تحقيق تسوية سياسية منسجمة مع قرار مجلس الامن (٢٤٢) الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وايضا على بيع وتقديم المقاتلات النفاثة لاسرائيل . ثالثا ، تحذير القاهرة بأن لا تتأمل استسلام اسرائيل للضغط الاميركي من اجل التوصل الى تسوية موقتة بهذه السرعة .

وما حدث هو أن موضوع الفانتوم والمساعدات العسكرية لاسرائيل احيل على لجنة مشتركة تتألف من مجلسي النواب والشيوخ ، حيث رفض تعديل جاكسون على اساس ان مجلس الشيوخ كان قد خصص مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كاعتمادات عسكرية لاسرائيل . وفي محاولة اخيرة لجعل الولايات المتحدة تستانف تقديم الفانتوم لاسرائيل قامت جولدا مئير بزيارة لواشنطن في ديسمبر لمقابلة ريتشارد نيكسون . ويظهر ان مهمتها قد نجحت ، فقد اتخذ قرار ارسال الفانتوم في اجتماع بين مئير ونيكسون « ولكن الرئيس كان يريد ابقاءه طي الكتمان لكي لا يتسبب بذلك في زيادة تدهور العلاقات بين واشنطن والدول العربية ، وخاصة مصر . ومن الجدير بالذكر انه منذ زيارة مئير للولايات المتحدة بدأت اسرائيل والزعماء اليهود في اميركة بمعالجة موضوع الفانتوم بكل هدوء . » (جويش ويك (نيويورك) ، ٦ يناير ١٩٧٢، ص ٨) . وفي مقابلة تلفزيونية في ٢ يناير ١٩٧٢ اكد نيكسون استئناف بيع الفانتوم وذلك عندما اعلن انه قرر « من الناحية المبدئية » (واشنطن بوست ، ٣ يناير ١٩٧٢ ، ص ٧ أ) بيع المزيد من الطائرات النفاثة لاسرائيل . ويقول المعلق الصحفي جاك اندرسون ان هنري كيسنجر هو الذي يقف وراء قرار واشنطن باستئناف تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم (واشنطن بوست ٧ يناير ١٩٧٢ ، ص ٢٣ ج) .

وهكذا نرى ان القرار ببيع اسرائيل طائرات الفانتوم تأثر بالضغوط التي قام بها اصدقاء اسرائيل في الولايات المتحدة ، واخيرا وليس آخرا بغياب اي تهديد عربي جدي للمصالح الاميركية في البلاد العربية في الوقت الذي كان الصهيونيون جادين لتحقيق أهدافهم ، مما أكد لواشنطن رأيها بضعف الارادة العربية وعدم قدرتها على ممارسة أكثر من ضغوط سياسية متقطعة على المصالح الاميركية في العالم العربي .

عودة ابو ردينة

(٤) السياسة الاسرائيلية

كان من الطبيعي مع اقتراب عام « الحسم » من نهايته ، ان يكون الشاغل الاساسي لدولة العدو في شهر ديسمبر ١٩٧١ السؤال الكبير : هل يفتح السادات فعلا النار ؟ واي نوع من الحرب سوف تشن فيما لو نشب القتال ؟ كما كان من الطبيعي ، بعد أن تلفع عام الحسم بعباءة « الضباب » ومر من دون حسم ، أن يتحول السؤال الكبير الى سؤال أصغر حجما : ماذا بعد ؟ — هذا على صعيد الرأي العام . أما على الصعيد الرسمي ، فقد كانت الحكومة الاسرائيلية ومؤيدوها للولايات المتحدة مشغولين ، فيما يتعلق بموضوع الامن والخارجية ، بمهمة اكثر جدية : الوصول مع الولايات المتحدة (بعد ان طرأ تغير أساسي على تقديرات هذه بالنسبة للموقف في المنطقة) الى تصور مشترك لاحتمالات المرحلة القادمة من المواجهة العربية — الاسرائيلية ، والاتفاق على خطة مشتركة ، ووضع الترتيبات المتعلقة بتنفيذ هذه الخطة . وشهدت اسرائيل ايضا في الفترة ما بين ديسمبر ٧١ ويناير ٧٢ تصاعدا في العمل الفدائي، وشن الجيش الاسرائيلي غارتين على الاراضي اللبنانية ، وقصفت طائراته قواعد للفدائيين في الارض السورية . هذا في نطاق الامن والخارجية. اما في النطاق الداخلي فقد ظلت اسرائيل مشغولة بالانهيارات التي حصلت في عدد من الشركات الحكومية الكبيرة ، وبما تكشفت عنه هذه الانهيارات من فساد عام متفش في اوساط اقتصادية وحكومية نافذة . ونشبت في اطار القوى السياسية أزمة في حركة جاحال رفعت فوق استمرار بقائها علامة استفهام كبيرة ، وتعرض موشيه دايان ، وزير الدفاع القوي ، لحملة استثارت أنصاره في حزب العمل ودفعتهم للتكتل دفاعا عنه. وكان مصدر غبطة خاصة للمسؤولين الاسرائيليين تزايد الهجرة من الاتحاد السوفياتي بشكل لم يكن متوقعا على الاطلاق .

عام « الحسم » في اسرائيل : ابدت الصحف الاسرائيلية في الشهر الاخير من عام ١٩٧١ حيوية ملحوظة في مناقشة احتمالات تجدد القتال وعرض تقديرات المسؤولين السياسيين والعسكريين للموقف . كما ابدت حيوية ملحوظة في مناقشة السياسات التي أوصلت الامور الى حافة الحرب مع مصر . ان تغير معطيات الموقف الان يجعل من غير المجدي كثيرا عرض خلاصة موجزة للمناقشات التي دارت ، ولكن لعله يظل من المفيد ان نقدم هنا نماذج انتقائية تعكس بشكل عام التقدير الاسرائيلي للموقف ، كما كان سائدا في تلك الفترة. ونفضل هنا ، لاعتبارات عديدة ، ان نعرض النماذج مع الحد الادنى من ابداء الملاحظات ، وأول النماذج المختارة هو الجنرال حاييم بارليف — رئيس الاركان آنذاك . ففي خطاب القاه في تل أبيب قبل فترة وجيزة من نهاية العام تحدث بارليف (معاريف ٧١/١٢/٢٠) عن توقعاته بالنسبة لموعد نشوب القتال وطبيعته ، وتقديراته للفروقات في الوضع بين تلك الفترة وفترة حرب الاستنزاف ، وهدف الجيش الاسرائيلي فيما لو نشب القتال ، وصورة المستقبل القريب . ونعرض فيما يلي بايجاز شديد جانبا من آراء بارليف : حول احتمالات نشوب القتال قال : « رغم انعدام المنطق في/وعبثية (اي حرب قد تشنها مصر) فان احتمال ان يقرر السادات استئناف القتال يظل قائما . ان احتمالات تجدد القتال او استمرار الهدوء في رأيي متساوية » . حول طبيعة القتال فيما لو نشب ذكر بارليف : « لا اتوقع هجمات شاملة بالصواريخ او الاسلحة الاخرى على أهداف في الجبهة او المؤخرة » . حول الفروقات بين معطيات حرب الاستنزاف السابقة ومعطيات الفترة الراهنة عدد بارليف الفروقات التالية : « أولا — يشغل الان منصب رئيس الجمهورية في مصر أنور السادات وليس جمال عبدالناصر . ثانيا — ينصح الروس المصريين الان باستنفاذ الجهود السياسية (بينما كانوا هم الذين دفعوهم في الماضي لشن حرب الاستنزاف) . ثالثا — ان الجيش الاسرائيلي اقوى الان بما لا يقاس عما كان عليه قبل ١٧ شهرا عندما تحقق وقف اطلاق النار . رابعا — ان الجبهة الشرقية قد تفككت والفدائيون في أسوأ حال » . ويستخلص بارليف من ذلك انه فيما لو نشب القتال مجددا فان اعادة فرض وقف اطلاق النار ستتم هذه المرة في مدى زمني اقصر مما تطلب الامر بالنسبة للفترة السابقة . حول هدف الجيش

الاسرائيلي حدد بارليف له مهمتين : « أولا — منع العدو من احتلال اية رقعة ارض على اي خط من خطوط الجبهة . فأنا واثق من انه ... لو احتل المصريون في حرب الاستنزاف اي موقع لكانت الحرب قد انتهت بشكل آخر ولما تحقق وقف اطلاق نار كالذي نشهده اليوم . ثانيا — تحقيق وقف اطلاق النار مجددا في اقصر وقت ممكن » . وحول صورة المستقبل القريب قال رئيس اركان الجيش الاسرائيلي السابق : « هناك ثلاث امكانيات ، واحدة نظرية ، واثنتان عمليتان. الامكانية النظرية هي الوصول الى اتفاقية سلام ... ولكن احتمال ذلك قريب من الصفر . الامكانية الثانية المتوقعة في المستقبل هي وضع كالوضع السائد الان ، بدون قتال . وهي امكانية معقولة لان أيا من الطرفين لا يرى ربحا واضحا في استئناف القتال . حتى الدولتان الكبريان ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، لا تريان اية فائدة من ذلك . وهناك امكانية ثالثة، هي ان يعمد المصريون الى استئناف القتال قريبا بعد أن ييأس رئيس مصر من الجهود السياسية » .

ولاستكمال الصورة ، نعرض نموذجا انتقائيا آخر يوضح هذه المرة الفروقات في رأي الاسرائيليين بين وضع اسرائيل عشية حرب حزيران ووضعها في ديسمبر ١٩٧١ عشية الحرب التي كان عام الحسم يعنيها . والنموذج الذي اخترناه هو البروفسور ييجال يادين، رئيس الاركان الاسرائيلي في حرب ١٩٤٨ ومستشار اشكول للشؤون العسكرية في حرب الـ ٦٧ وأحد المقربين من المراكز التي تحدد السياسات الامنية في اسرائيل . ففي مقابلة أجرتها معريف في ٧١/١٢/١٠ مع ييجال يادين ، طلب منه مراسل الصحيفة ان يجري مقارنة بين الوضع في أيار ١٩٦٧ وديسمبر ١٩٧١ . ونعرض من ردود يادين ، بايجاز شديد جدا ايضا، ما يلي : « (سؤال) اين تجد الشبه بين ايار ٦٧ وديسمبر ٧١ ، وما هو الذي تغير من النقيض للنقيض ؟ (جواب) لا مجال اطلاقا للمقارنة بين الفترتين ... (بين) كابوس تلك الايام في ايار ١٩٦٧ (وهذه الايام) ... ان اخطارا اساسية كانت تخيم على اسرائيل لم تعد قائمة الان . (سؤال) هل تقصد العمق الاستراتيجي الذي تمنحه الحدود الراهنة لنا ام التنامي الكبير في قوة الجيش الاسرائيلي ؟ (جواب) أقصد هذين ايضا، وسأعود الى الحديث عنهما فيما بعد . ولكن هناك ، عدا هذين ، شيئا اساسيا قد تغير . شيء يقصر اي وصف ، مهما كان مبالغا فيه ، عن الرقي الى اهميته . في ايار ١٩٦٧ لم يكن لنا وزير دفاع ... اليوم لنا . (وحدثت تغيرات في القيادة المصرية) ... ان موت ناصر هو عامل ذو اهمية كبرى لتفهم الفرق بين أيار ٦٧ وديسمبر ٧١ ... لقد كان ناصر قائدا ذا صفات كاريزماتية استثنائية، وكان الوحيد القادر على تحقيق تماسك في العالم العربي من الناحية العسكرية في اللحظات المصيرية. (سؤال) لنأخذ الكفة الاخرى في ميزان التغيرات ، ألا تعتقد ان خطر التدخل السوفياتي في الشرق الاوسط كعامل ضدنا قد تغير منذ أيار ١٩٦٧ ؟ (جواب) نعم ... ان خطر التدخل السوفياتي آنذاك كان قائما حقا ولكنه الان اتخذ صبغة أكثر جدية . ليس لدي ادنى شك في انه لو تدهور الوضع الى حرب مع المصريين فاننا سنتمكن من التغلب عليهم حتى لو تلقوا دعما روسيا اكبر ... ولكن يجب الا نخدع انفسنا... ان الروس عامل يستطيع أن يسبب لنا صعوبات هائلة . ولكنني واثق انه بسبب من اعتبارات جغرافية وبسبب الخوف من مواجهة بين الدول العظمى لن ينشأ وضع نضطر فيه الى الوقوف في مواجهة الدب الروسي بكامل قوته » .

ان بارليف ذكر في الخطاب الذي اقتبسنا منه اعلاه انه كان يرى « احتمالات تجدد القتال او استمرار الهدوء متساوية » ، ولكن هل كان فعلا يعتقد ذلك ؟ ان من الامور اللافتة للنظر ان الصحف الاسرائيلية ، بنفس المقدار الذي كانت معنية فيه بابراز تقديرات المسؤولين الاسرائيليين لعوامل الموقف ، كانت معنية — ولفترة طويلة من شهر يناير ايضا — بابراز الانباء الواردة من واشنطن ، والقائلة بأن الدوائر الاميركية لا تتوقع نشوب قتال قريب في المنطقة . ونقدم فيما يلي نماذج من هذه المعلومات ظهرت كلها على الصفحة الاولى للصحف المعنية . ففي تاريخ ١٥—١٢—٧١ نشرت معريف رسالة من مراسلها في واشنطن ، شموئيل سيجف، فاتحتها كما يلي : « خلافا للتقديرات السائدة في اسرائيل ، لا تتوقع المصادر الاميركية هنا نشوب حرب في الشرق الاوسط في المستقبل القريب ... وبالمقابل تتوقع هذه المصادر تجدد الجهود الاميركية للوصول الى حل مرحلي في بداية السنة القادمة ».

وبتاريخ ٧١/١٢/٢٠ ، أي قبل عشرة أيام تقريبا من نهاية عام « الحسم » ، نشرت ذات الصحيفة رسالة من مراسل آخر لها في واشنطن فاتحتها كما يلي : « اخطرت الولايات المتحدة اسرائيل مجددا بأنها تلقت توضيحات موثوقة جدا بانه على الرغم من تهديدات الرئيس السادات ، فان مصر ما زالت ترغب في تجديد المفاوضات حول الحل المرحلي . ان اخطارات مماثلة قد ابلغت لاسرائيل في الماضي. ولكن الاخطار الراهن ، ربما ، يكتسب اهمية خاصة في ضوء التصريحات العلنية للسادات بأنه لم يعد يثق بقدرة الولايات المتحدة على ان تلعب دور الوسيط الشريف » : وفي اليوم التالي ، ٧١/١٢/٢١ ، ابرزت هآرتس على صفحتها الاولى رسالة من مراسلها هي ايضا في واشنطن يقول فيها : « ان الدبلوماسيين الاميركيين هنا لا يشعرون بالقلق تجاه الانباء الواردة عن تصاعد اتجاهات الحرب او الاستعدادات في العواصم العربية . ان الشعور السائد هنا هو ان كل هذه الضجة هي من أجل توليد انطباع معين ولن ينتج عنها اي عمل حربي فعلي » . وعادت صحيفة معريف في يوم ٧١/١٢/٢٣ ، اي قبل اسبوع واحد من انتهاء العام ، فنشرت رسالة اخرى من واشنطن تقول بأن الولايات المتحدة واثقة تماما بأن السادات ما زال راغبا بعد في « اعطاء السلام فرصة أخرى » .

واذن يمكن القول انه بالنسبة للوضع في اسرائيل عشية انتهاء عام الحسم كان الاسرائيليون يشعرون بالاسترخاء — استرخاء مستمد جزئيا من استهانتهم بالجانب العربي وغرورهم فيما يتعلق بقوتهم العسكرية ، ومستمد في جزئه الاخر من التأكيدات الواردة من واشنطن بأن شيئا ما فعليا لن يحدث. ولكن رئيسي الاركان السابقين ، في صدد تعدادهما للعوامل الداخلية في تركيب صورة الموقف في المنطقة ، قد اهملا في الحقيقة ذكر عامل يفوق في اهميته كل العوامل المطروحة من قبلهما وهو — التغير الاساسي في نظرة الولايات المتحدة الى دور اسرائيل في ميزان القوى العالمي في البحر المتوسط، وما ترتب عن هذا التغير من نتائج على صعيد العلاقات الاميركية — الاسرائيلية ومدى الدعم الاميركي العسكري والسياسي لاسرائيل .

العلاقات الاسرائيلية — الاميركية : شهد شهر نوفمبر من العام الماضي ، وهو الشهر السابق للفترة التي تحدث فيها رئيسا الاركان عن تقييمها للموقف في المنطقة ، تازما في العلاقات الاميركية — الاسرائيلية ، اوصلها الى حضيض لم تبلغه من قبل منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ (راجع شؤون فلسطينية — العدد السابق) . وقد كان السبب في هذا التازم تصلب اسرائيل تجاه الحل المرحلي الذي كانت الولايات المتحدة تتوسط لتحقيقه ، وتلكؤ هذه بالمقابل في الاستجابة لطلب اسرائيل بتزويدها بالمزيد من طائرات الفانتوم ، كنوع من الضغط المحسوب عليها . وقد بلغ هذا التازم حدا جعل من الضروري سفر غولدا مئير الى واشنطن في اوائل ديسمبر لعقد لقاء قمة اميركي — اسرائيلي بينها وبين نكسون لبحث الموضوع . واثناء زيارة غولدا مئير لواشنطن ، وقعت الحرب الهندية — الباكستانية . وفجأة ، بعد ان « كنا نتحدث بأسف عن أزمة ثقة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، ونحتج بمرارة على رفض الاميركيين استئناف تزويدنا بطائرات الفانتوم ، ونغضب من روجرز ونقاطه الست » على حد تعبير دوق غولدشتاين في معريف ٧١/١/١٤ « صفا الافق ، نتحدث الان عن الفانتوم . نفترض ان الولايات المتحدة لن تضغط علينا. ماذا حدث ؟ ما الذي تغير ؟ ولماذا ؟ » . ان هذه الاسئلة كانت في الحقيقة موجهة الى يتسحق رابين ، سفير الولايات المتحدة في اسرائيل . وكان جواب السفير : « ان شقة الخلاف بيننا وبين الولايات المتحدة قد ضاقت — وهذا أمر هام ليس فقط بالنسبة للعلاقات المباشرة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وانما بالنسبة لما هو اكبر من ذلك — لما ينطوي عليه تحسن هذه العلاقات من انعكاسات واضحة على حرية الحركة السوفياتية والمصرية ضد اسرائيل » . ولدى الاستفسار عما يقصده رابين بكلامه عن حرية الحركة السوفياتية شرح السفير الامر بقوله : « ان حرية الحركة السوفياتية ، سواء من جهة دفع المصريين الى القيام بمبادرات عسكرية او من جهة الاشتراك السوفياتي الفعلي في مبادرة كهذه ، انما تتقرر من ناحية بناء على قدرة اسرائيل على الصمود في وجه مثل هذه المبادرات ، ومن ناحية اخرى ، فيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي ، بناء على مدى التطابق بين الولايات المتحدة واسرائيل . فكلما كان التطابق بين الولايات المتحدة واسرائيل اكبر ، كلما كبرت وتضخمت علامة الاستفهام في التفكير الروسي : هل

يستحق الامر التورط مع الولايات المتحدة بسبب تزايد التدخل السوفياتي ؟ » وردا على سؤال فيما اذا كان حدث تغير ما في نظرة الولايات المتحدة الاساسية بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط ، اجاب رابين في نفس المقابلة أن نعم وان التحول حدث « نتيجة تراكب عاملين : اولا — استعداد امريكا الان لوضع سياسات الحفاظ على التوازن العسكري بين اسرائيل والدول العربية موضع التنفيذ بمعزل عن المشكلة السياسية . ثانيا — رؤية اوعى ... في الولايات المتحدة للاسباب والعقبات الحقيقية التي تحول دون التقدم لحل سياسي في المستقبل القريب... **هناك الان استعداد اميركي لقبول الحقيقة بان هل المشكلة في الشرق الاوسط يتطلب زمنا طويلا وان التقدم الى الحل يجب ان يتم بخطوات صغيرة وبطيئة** » . ماذا يعني هذا الكلام بلغة ابسط بعيدة عن الصياغة الدبلوماسية ؟ انه يعني ان الولايات المتحدة قد قررت الكف عن الضغوطات التي كانت تمارسها على اسرائيل لتحقيق الحل المرحلي ، وتدعيم اسرائيل عسكريا وباستمرار بحيث تبقى متفوقة عسكريا على العرب ، وردع الاتحاد السوفياتي عن التفكير في التدخل مباشرة لصالح العرب فيما لو نشبت حرب قادمة . وفي ضوء المعطيات الراهنة للموقفين العربي والاسرائيلي من التسوية السياسية يصبح معنى هذا الكلام ان الولايات المتحدة قد وافقت على تكريس الامر الواقع ، واعتبار اسرائيل منطقة مجابهة اميركية — سوفياتية ذات مشاكل غير قابلة للحل في المدى القريب . ولكن لماذا هذه الاستدارة المفاجئة من جانب الولايات المتحدة عن السعي النشيط نسبيا لمحاولة ايجاد حل سياسي للازمة ؟ ان صمود اسرائيل في وجه الضغوطات الاميركية عليها للتخلي قليلا عن تصلبها ، وانتخابات الرئاسة القادمة في الولايات المتحدة ، ووجود فريق قوي في البيت الابيض والبنتاغون يضغط على الرئيس الاميركي لدفعه لاعتبار اسرائيل حلقة استراتيجية في ترتيبات الدفاع الغربية في منطقة شرق البحر الابيض المتوسط والتصرف على هذا الاساس ، كلها لعبت دورا في هذا التحول . ولكن كل هذه العوامل كانت قائمة قبل ديسمبر ، فلماذا لم تفعل فعلها ؟ هنا يدخل دور الحرب الهندية الباكستانية في تفسير الموضوع.

ان الحرب الهندية — الباكستانية ، التي اعتبرت بمثابة انتصار روسي على الولايات المتحدة في جنوبي آسيا ، وما يمكن ان يستتبعه هذا الانتصار من تدعيم للنفوذ الروسي في شبه القارة الهندية والمحيط الهندي ، قد ولد قلقا عميقا في نفوس واضعي الاستراتيجية الاميركية على المستوى العالمي ، وجعلهم ينظرون الى تزايد النفوذ الروسي في مصر والبحر المتوسط بمنظار مختلف عن السابق ، كما جعلهم أقل استعدادا للمخاطرة بسياسات غير مضمونة النتائج فيما يتعلق بهدف تقليص النفوذ الروسي في المنطقة . فهناك من جهة اسرائيل ، التي تعرض نفسها قلعة للنفوذ الاستعماري في المنطقة وحاجزا في وجه الروس ، وهناك من جهة اخرى مصر ، التي تبدي استعدادا مترددا لاخراج الروس فيما لو تمت التسوية . فلماذا ترك القاعدة المضمونة ، والمراهنة على الجهة التي قد لا تكون تملك ، حسب اعتقادهم ، ارادتها اصلا ؟ — هذا فضلا عن الحاجة الى رد الهيبة الاميركية في منطقة قوة للولايات المتحدة ، وهي اسرائيل في وضعها الراهن . يقول رابين في المقابلة التي اقتبسنا منها اعلاه ، ردا على سؤال حول لماذا في ديسمبر ، ما يلي : « مع اقتراب عام ١٩٧١ من نهايته ، بسبب التطورات في منطقتنا **وخارجها ، على مستوى العلاقات بين الدول العظمى** ، اصبحت (عوامل معينة) مقررة اكثر في الاطارات التي تتخذ القرارات في الولايات المتحدة — وجاءت القرارات التي اتخذت على مستويات مختلفة ، اكثر ايجابية بالنسبة لاسرائيل » . وقد كان اكثر هذه القرارات دراماتيكية القرار بتزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم والسكايهوك ، ولم يكن اقلها اهمية ما ذكره نكسون في تقريره عن السياسة الخارجية الاميركية الى الكونغرس في ٧٢/٢/٩ من ان « الجهود الرامية الى تحقيق تسوية شاملة عربية — اسرائيلية قد فقدت زخمها » وان «المعالجة المؤقتة اذا كان يرجى لها النجاح يجب ان تجد طريقة لاحراز تقدم حول النواحي العملية والجزئية للموقف من دون اثارة كل القضايا المثيرة للنزاع التي تعيق تسوية شاملة » . — وهو موقف يتطابق مع الموقف الاسرائيلي ، ويتناقض تناقضا جذريا مع الموقف المصري ، ويعني دفن المبادرة الاميركية للحل المرحلي ، الا اذا عادت مصر فتراجعت خطوات اخرى اكبر الى الوراء .

النشاط الفدائي والغارات الاسرائيلية : وشهد

الشهر الاخير من العام الماضي ومنتصف الشهر الاول من العام الحالي تزايدا في النشاط الفدائي ، سواء من قبل عناصر فدائية من الداخل ، او من قبل مجموعات متسللة من وراء الحدود . وقد كان اكثر هذه النشاطات دراماتيكية الطرود المتفجرة التي ارسلت من اوروبا الى عناوين مسؤولين كبار في دولة العدو . وقد انفجر واحد من هذه الطرود بخبير في المتفجرات من ضباط الشرطة . وعددت صحيفة معريف (٧٢/١/١٢) احدى عشرة عملية فدائية قريبة من الحدود اللبنانية في الفترة بين ١٩٧١/١٢/١٠ و٧٢/١/٦ . وفي ليل ٧٢/١/١١ هاجم الجيش الاسرائيلي قريتي بنت جبيل في القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية وقرية حمام غرب الحرمون . ثم عاد فهاجم في ٧٢/١/١٤ قرية كفرا ، البعيدة ٩ كيلومترات عن الحدود . ووجهت اسرائيل الى لبنان انذارا تطلب منها فيه ان تعمل على ايقاف عمليات الفدائيين ايقافا تاما ، او يبقى الجيش الاسرائيلي في المنطقة بشكل دائم ، مضيفة انها تود ان تحذر السلطات اللبنانية ان مثل هذا الاجراء سيؤدي الى هجرة الفلاحين من قراهم في الجنوب . وبعد ايام من هجوم الجيش على قرية كفرا قصفت الطائرات الاسرائيلية قواعد الفدائيين في الاراضي السورية . وكان الهدف من هذه الغارات دفع السلطات اللبنانية الى تقييد حرية الفدائيين وتحذير سوريا من مساندتهم من جهة ، واختبار رد الفعل العربي والدولي من جهة اخرى . وقد سجل يوسف حريف في معريف ٧٢/١/٢٨ بارتياح ان رد الفعل الدولي تجاه الغارات على لبنان كان ادنى بكثير مما حدث سابقا، وان الغارة على سوريا مرت بصمت ، ليس فقط في العواصم الغربية ، وانما في موسكو ايضا . واستنتج من ذلك ان العالم قد بدأ يعتاد على سياسات اسرائيل بالنسبة للتعامل مع موضوع قواعد الفدائيين في الاراضي العربية .

الفساد والشركات المنهارة : وفيما كان أفق العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية يصفو ، وقرار استئناف ارسال الفانتوم لاسرائيل وانحسار الضغط السياسي عليها من طرف واشنطن يبعث في نفس رجل الشارع في دولة العدو شعورا بالارتياح والاسترخاء في المجال الامني ــ الخارجي، كان الافق في المجال الداخلي يزداد تكدرا وعكرا ، ويصيب رجل الشارع بشعور هو مزيج من الدهشة والقلق والاشمئزاز ، نتيجة لاكتشافه مدى الفساد والاهمال الضارب بجذوره في المؤسسات الحاكمة الاسرائيلية ــ هذا الفساد والاهمال الذي كشفت عنه الانهيارات في العديد من المؤسسات الاقتصادية الحيوية التابعة للحكومة ، والطريقة التي عالجت بها المؤسسة الحاكمة في اسرائيل هذه الانهيارات . لقد تكلمنا في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » عن قضية شركة « نتيفي نفط » وما استثارته من زوابع في الحياة السياسية والعامة في اسرائيل . ان قضية « نتيفي نفط » لم تكن في الحقيقة هي القضية الوحيدة ، وانما كانت حلقة في سلسلة من القضايا والفضائح ، بدأت بالتفجر في اسرائيل منذ شهور عدة ، وما زالت الصحافة ووسائل الاعلام والمنابر الرسمية مشغولة بها حتى لحظة كتابة هذه السطور . ولقد كانت اول هذه القضايا الكبيرة قضية انهيار شركة « اوتوكارز » لصناعة السيارات في اسرائيل ، التي اتضح ان انهيارها كلف الدولة خسائر تقدر بعشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية . ثم تلتها قضية « نتيفي نفط » للتنقيب عن البترول في سيناء ، وكلفت خسائرها الدولة ايضا عشرات الملايين . ثم تلتها قضية شركة « فاراد » لمشروعات تطوير مصادر المياه التي قدرت خسائرها باكثر من ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية. وبعدها جاءت قضايا شركة « عراد » للصناعات الكيماوية التي بلغت خسائرها ١٥ مليون ليرة ، وشركة « تاهال » لمشروعات تطوير المناطق الزراعية التي قدرت خسائرها بعشرات الملايين . وكانت آخر قضية اقتصادية كبيرة تحمل طابع الفضيحة هي قضية انهيار بنك « اغودات يسرائيل » ، الذي اعطى اشكول الاذن باقامته في عام ١٩٦٥ لحزب اغودات يسرائيل مكافأة له على تأييده لاستمرار الحكم العسكري . وقد كلف انهيار هذا البنك الدولة اكثر من ٦ ملايين ليرة .

ان حدوث كل هذه الانهيارات ، وجميعها باستثناء البنك شركات حكومية وعامة ، في مدى زمني لا يتجاوز الثلاثة شهور قد أحدث هزة كبيرة في اوساط الراي العام في دولة العدو . ولكن مصدر الهزة لم يكن فقط في مجرد واقع الانهيارات ، او ما كشفته التحقيقات عن وجود سوء في الادارة والتقدير ، وانما ايضا فيما تكشفت عنه التحقيقات من وجود سرقات وتلاعب بالاموال العامة ورشاو شملت عددا كبيرا من الموظفين المحتلين لمناصب

رفيعة في الادارات العامة والحكومية . وتحولت الهزة الى صدمة قوية عندما اتضح ان الحكومة ، بدلا من ان تترك التحقيقات تأخذ مجراها ، أخذت تلقي بثقلها وراء وضع حد لها ، او على الاقل تقليصها قدر الامكان . وهو تصرف جعل اصابع الاتهام تشير الى وزراء في الحكومة ذاتها ، وجعل قطاعات في الرأي العام الاسرائيلي تتحدث ، على حد تعبير عوزي بنزيمان في هآرتس ٧١/١٢/٨ ، عن وجود « مافيا قوية توزع الرشاوى ، وتستر الخلل والعيوب ، وتخلد التشويهات » ، وتسيطر على قطاعات هامة في جهاز الدولة .

وقد استغلت المعارضة اليمينية (جاحال) هذه الانهيارات وما تكشفت عنه من فضائح لمهاجمة القطاع الحكومي في الاقتصاد والمطالبة بتصفيته وتحويل امواله الى جهات غير حكومية . وفيما اعلن يوسف سابير ، من زعماء جاحال ، ان « شرش الفساد قائم في الاساس الايديولوجي للنظام الذي اظهر افلاسه » ، أصدرت كتلة جاحال في الكنيست بيانا يقول : « ان مظاهر الفساد التي تكشفت مؤخرا في ادارة الشؤون المالية والاقتصادية للدولة هي نتيجة لسياسات تسلط الحكومة على مصادر الاقراض وعلى معظم فروع الاقتصاد ... ان كشف هذه المظاهر زعزع ثقة الجمهور بالدولة وأساء الى سمعتها في الخارج » . وقد كانت اهم المعارك السياسية التي دارت بين المعارضة بكافة اتجاهاتها من جهة ، والحكومة من جهة اخرى ، حول هذا الموضوع ، هي المعارك التي دارت في اللجنة الاقتصادية للكنيست وفي هيئة الكنيست بكاملها في ٧١/١٢/٢٩ حول « لفلفة » التحقيق في قضية اوتوكارز. ففي اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست، التي كانت تتقصى الحقائق ، قررت احزاب الائتلاف الحكومي ، بعد ان ادلى شاهد رئيسي امام اللجنة بشهادة تورط بعض الوزراء في القضية ، اغلاق باب الاستماع الى شهادات جديدة ، الامر الذي اثار ، ليس فقط ثائرة المعارضة، وانما أيضا ثائرة عضو المعراخ المنسق بين اعضاء الائتلاف الحكومي في اللجنة ، الذي استقال من مهمته واعلن ان « ايقاف التحقيق والكف عن الاستماع الى الشهود في هذه المرحلة المتقدمة ... سيثير اجواء سلبية توحي بان هناك محاولة لكم الافواه وتمييع القضايا وحجب الحقائق عن الجمهور » . وانقتم اعضاء اللجنة المعارضين ، في الجلسة المعقودة بتاريخ ٧١/١٢/٢٧ ، فرصة غياب الكثير من اعضاء الائتلاف الحكومي عن الاجتماع ، ليطلبوا من الشخص الذي اوكلته المحكمة بتصفية اعمال اوتوكارز ، ان يطلعهم على القائمة التي وصفتها احدى الصحف بانها « أشهر قائمة في اسرائيل » — وهي القائمة المحتوية على اسماء الذين تلقوا رشاوي من اوتوكارز . وهنا حدث في اللجنة الاقتصادية ، على حد تعبير مراسل معريف في عدد ٧١/١٢/٢٨ ، شيء شبيه بالهزة الارضية : علا الصراخ من كل جانب ، وتبودلت الاتهامات ، وسادت الفوضى ، وغادر الشخص القاعة المعقودة فيها الجلسة رافضا الافصاح عن الاسماء . ولكن النقاشات الاعنف دارت بعد ذلك بيومين في الجلسة التي عقدتها الكنيست بكامل هيئتها لبحث موضوع تشكيل لجنة تحقيق برلمانية في القضية ، او على الاقل منح اللجنة الاقتصادية التي تتقصى الحقائق صفة « لجنة تحقيق » . وقد انتهت الجلسة بالطبع بنجاح الحكومة في احباط اقتراحات تشكيل لجان التحقيق بعد ان خاضت ، كما يقول مراسل معريف في عدد ٧١/١٢/٣٠ ، « معركة هائلة... استخدمت فيها كل سلطتها ، واستعملت جميع وسائل الضغط الممكنة لفرض الانضباط على فرقاء الائتلاف الحكومي، مهددة كتلة المفدال تهديدا صريحا باستخلاص النتائج (فيما لو صوتت مع المعارضة) » .

جاحال والحملة ضد دايان : وفي نطاق الاحزاب شهدت الفترة المستعرضة هنا ازمة حادة في العلاقات بين حزبي حيروت والليبراليين ، اللذين تتكون منهما حركة جاحال اليمينية — اقوى كتل المعارضة في الكنيست الاسرائيلي . وقد كانت الازمة هذه المرة من الحدة بحيث انها رفعت علامة استفهام كبيرة فوق استمرار الحركة اصلا . وقد كان السبب المباشر في الازمة هو ان اتحاد الصهيونيين العالمي الذي ينتمي اليه الحزب الليبرالي عقد اتفاقا مع حزب المركز الحر المنشق عن حيروت في عام ١٩٦٥ والقائمة الرسمية المنشقة عن المباي في نفس العام لتشكيل كتلة موحدة في المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في اسرائيل في الفترة ما بين ١٨ — ٢٨ يناير من هذا العام ، وذلك بدون علم او استشارة شريكه في حركة جاحال ، حزب حيروت . وقد استثارت هذه الخطوة غضب بيجن زعيم حركة حيروت ، الذي هاجم الليبراليين، واتهمهم بخرق اتفاقية تشكيل حركة جاحال ،

التي تحظر في بند من بنودها على أي من الشريكين « الارتباط بترتيبات سياسية او كتلة اخرى أيا كانت الا بموافقة الشريك الآخر » . واكثر من ذلك اتهمهم بالخداع ، ذاكرا ان احد زعمائهم كان يدير المفاوضات مع المركز الحر والقائمة الرسمية في ذات الوقت الذي كان يقترح فيه على ممثل حزب حيروت في ادارة الوكالة اليهودية البحث في تشكيل كتلة مشتركة من اتحاد الصهيونيين العالمي وتحالف حيروت — هتسهار في المؤتمر الصهيوني . وقد رد زعماء الليبراليين بانهم لم يخرقوا الاتفاق ، لان هذا الاتفاق يتعلق بالقوى السياسية داخل اسرائيل فقط ، وليس بالحركة الصهيونية العالمية . كما نفى دولتسين ، الشخص المتهم بالمخادعة ، ان يكون اقترح على ممثل حيروت البحث في تشكيل كتلة موحدة من تنظيمي الحزبين على المستوى العالمي في المؤتمر الصهيوني ، ذاكرا انه تكلم معه حول تعاون فقط . وقد اتفق زعماء الحزبين ، بعد اتهامات علنية متبادلة وتذكير كل من الفريقين للآخر بخطاياه السابقة ، على عقد اجتماع لمناقشة مصير كتلة جاحال ، على ضوء الازمة الراهنة . ويعتقد بعض المراقبين السياسيين ان هدف الليبراليين من استثارة حيروت ، هو الضغط عليه للاحتفاظ بنسبة تمثيل الليبراليين الحالية في قائمة المرشحين القادمة للكنيست الثامنة ، بينما يذهب البعض الآخر الى القول بان الليبراليين انما ارادوا من خطوتهم هذه تمهيد الطريق للضغط على حيروت كي يقبل بانضمام احزاب اخرى الى الحركة ، للتخفيف من سيطرة حيروت على الحركة بحكم كونه الشريك الاكبر وزيادة وزن الحركة كمعارضة « رسمية » في الكنيست . ويذهب فريق صغير ثالث من المعلقين الى القول بان الليبراليين ، او الغالبية بينهم ، انما تستهدف الى الانفلات من حركة جاحال تمهيدا لعودة الليبراليين الى الحكومة . ومن المعروف داخل اسرائيل ان الليبراليين ، عندما انسحبت جاحال من حكومة التجمع الوطني في آب ١٩٧٠ ، لم يكونوا راضين عن الخطوة ، ولكنهم اضطروا للخضوع لها تحت ضغط الحيروتيين وكتلة « ايحود وتموره » داخل الحزب الليبرالي .

وفيما كانت جاحال تعيش ازمتها الكبيرة ، شهد حزب العمل الاسرائيلي الحاكم ازمة سريعة مصغرة بسبب من وزير الدفاع موشيه دايان . وقد كان سبب الازمة المباشر استقتاء نشرته « أوت » ، المجله النظرية لحزب العمل ، حول من يرتأي المواطن الاسرائيلي ان يحل محل وزير الدفاع فيما لو استقال دايان من منصبه. لقد جاء نشر الاستفتاء في ذروة حملة تشنها مجلة « هعولام هزه » على وزير الدفاع ، وتشترك فيها بعض الصحف الاخرى بشكل مباشر او غير مباشر ، حول ما وصفته « هعولام هزه » بخرق وزير الدفاع للقانون ، و « سرقته » للآثار ، ومتاجرته بالمقتنيات الاثرية داخل اسرائيل وفي انحاء العالم — هذه التجارة التي جعلت المجلة تصفه بانه واحد من كبار تجار الاثريات في اسرائيل . وقد رأى انصار دايان في حزب العمل (مجموعة كتلة رافي سابقا) في نشر هذا الاستفتاء خطوة ذات دلالة ، وبادر احدهم ، مردخاي بن بورات، الى توجيه الاتهام لدوائر معينة في حزب العمل ، بالمشاركة في الحملة على دايان لاضعاف مركزه ، ذاكرا كمثل على نشاطات هذه الدوائر المعادية لدايان الاستفتاء في مجلة « أوت »، ونشر اعلانات لشركات تابعة للهستدروت في مجلة « هعولام هزه » ، وسكوت قيادة حزب العمل عن الحملة الموجهة ضد وزير الدفاع . وقد هدد بن بورات بتكوين كتلة داخل حزب العمل للدفاع عن دايان اذا لم تسارع قيادة الحزب الى اتخاذ الاجراءات المطلوبة . وتلافيا لاية ازمة حول الموضوع استدعت غولدا مئير رئيس تحرير مجلة « اوت » وابدت له تحفظها من نشر مادة كهذه ، وسارع سكرتير الهستدروت الى نفي اشتراك أي من مؤسسات الهستدروت في الحملة على دايان مصرحا بانه طلب من الشركات التي تنشر اعلانات في « هعولام هزه » اعادة النظر في سياستها الاعلانية ، واعلنت القيادة عن انها تضع ثقتها في دايان ، وانحلت الازمة .

الهجرة من الاتحاد السوفياتي : واخيرا ، موضوع الهجرة من الاتحاد السوفياتي التي وصفتها غولدا مئير بانها « معجزة السنة الكبرى » . لماذا معجزة ؟ لانه اتضح ان عدد المهاجرين من يهود الاتحاد السوفياتي في العام الماضي قد بلغ في نهاية السنة ١٤٠٠٠ الف مهاجر تقريبا . وفيما يدعي المسؤولون السوفياتيون بانهم لا يسمحون الا بهجرة « عدد محدود » من المسنين والاطفال والعجزة ، تؤكد الصحف الاسرائيلية ان المهاجرين من روسيا ينتمون الى كل الاعمار ، ومن كل طبقات المجتمع ، وموزعين على كل سلم المهن والوظائف والاعمال .

وتذكر صحيفة هآرتس في عدد ٧١/١٢/٢٠ ان ٤٠٪ من مجموع المهاجرين الروس هم خريجو جامعات ومعاهد عليا ، وان رئيس معهد التخنيون للهندسة التطبيقية في حيفا قد صرح بان المعهد استوعب ٦٠٠ مهندس . ان هناك ، بدون شك ، تحولا قد طرأ على سياسة الاتحاد السوفياتي فيما يتعلق بموضوع هجرة اليهود منه الى اسرائيل . ويكفي للدلالة على حدوث هذا التحول ان نذكر ان عدد المهاجرين من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل في العام الماضي فقط ، فاق مجموع المهاجرين منه خلال السنوات العشر الماضية . اذ بينما بلغ العدد في نهاية العام الماضي ١٤٠٠٠ مهاجر لعام ١٩٧١ كما ذكرنا اعلاه ، بلغ مجموع المهاجرين في السنوات ما بين ١٩٦١ — ١٩٧١ بالمقابل ١٠،٣٣٠ . ويتفق المرء مع مراسل معريف في موسكو (عدد ٧١/١/٥) في ان هجرة اليهود هذه من الاتحاد السوفياتي تمثل ظاهرة لا سابقة لها بالنسبة لهجرة الاقليات من الاتحاد السوفياتي . اذ ان هذه هي اول مرة يسمح فيها الاتحاد السوفياتي في تاريخه تحت النظام الشيوعي لمثل هذا العدد الكبير بالهجرة بطريقة منظمة وشرعية . لماذا هذا التحول في سياسة الاتحاد السوفياتي — موضوع يفضل المرء عدم الخوض فيه ، وينتظر من الاتحاد السوفياتي ، الصديق للعرب ، ان يتكلم .

احمد خليفة

— **Settler Colonialism in Southern Africa and the Middle East.**
By George Jabbour (216 p. 8 L.L.)

— **Whither Israel ? A Study of Zionist Expansionism.**
By Khalid Kishtainy (213 p. 8 L.L.)

Published by the P. L. O. Research Center,
(P. O. Box 1691 — Beirut — Tel. 351261).

(٥) المناطق المحتلة

اتسمت الفترة الاخيرة في المناطق المحتلة بتشدد اسرائيل على التمسك في هذه المناطق ، بغرض تكريس الاحتلال وجعله يأخذ صفة الشرعية ولو على اجزاء معينة من المناطق المحتلة . ففي اعقاب التصريح المشهور لوزير الدفاع الذي ادلى به قبيل انتهاء « عام الحسم » اثناء الاحتفال بتخريج دورة قيادة واركان ، وقال فيه : « علينا ان نعتبر انفسنا في المناطق المحتلة كحكومة دائمة ، نقوم بالتخطيط والتنفيذ ، وان لا نترك باب الاختيارات مفتوحا ، لان اليوم الذي يمكن ان تستخدم فيه هذه الاختيارات لا يزال بعيدا » جاءت رئيسة الوزراء غولدا مئير لتعلن من فوق منصة الكنيست بعيد انتهاء « عام الحسم » ردا على استفسار قدم لها من قبل عضو الكنيست « أوري أفنيري » انها تمنح « تأييدها الكامل » لهذا التصريح . ومن الجدير بالذكر ان هذه هي المرة الاولى التي ينال فيها « تصريح ديان » تأييدا رسميا من قبل رئيسة الوزراء ، بعد أن واجه عند الادلاء به « تحفظا » من جانب الدوائر الحكومية و« استياء » من قبل أوساط وزارة الخارجية .

ان العوامل التي تكمن وراء تمسك اسرائيل وتشددها على الاحتفاظ بالمناطق المحتلة تمهيدا لضمها او ضم اجزاء منها « الى الابد » تعود الى اطماع اسرائيل التوسعية ، والوهن الذي أخذ يدب في حركة التحرر العربي ، والاهم من ذلك كله ، عدم تخطي حركة المقاومة الفلسطينية حتى الان لمرحلة الانحسار التي تمر بها .

ويتمثل نشاط اسرائيل من اجل تكريس تواجدها واحتلالها ، في ازالة معالم قديمة واقامة معالم جديدة في المناطق المحتلة ، واستغلال ثرواتها الطبيعية وتسخير الايدي العربية العاملة لصالح اقتصادها .

حركة الاستيطان : لم تنج اية منطقة محتلة من عملية الاستيطان الاسرائيلي . ففي هضبة الجولان، التي تحتل مكان الصدارة في النشاط الاستيطاني الاسرائيلي ، يجري العمل الان لاقامة مستوطنة جديدة على قمة جبل الشيخ ، تحمل اسم « نفيه اوتيف » ، وتقوم السلطات المسؤولة عن الاستيطان باعادة تأهيل مستوطنة « رمات شالوم » ، كما وتم استكمال بناء خزانين للمياه يقع الاول في جنوب الهضبة بالقرب من « ناحال جولان » ، والثاني بالقرب من الخزان القائم والذي شيد عام ١٩٦٩ في الشمال الغربي للقنيطرة بالقرب من مستوطنة « ماروم هجولان » ، بغرض انعاش الزراعة الصيفية والحيلولة دون وقوع فيضانات في المنطقة . ومن الجدير بالذكر ان الخزان الاول يشغل منطقة تصل مساحتها الى ٤٢٥ دونما ، ويتسع لـ ١٬٢٠٠٬٠٠٠ متر مكعب من الماء ، اما الخزانان الاخران فيشغلان منطقة تبلغ مساحتها ٤٢٥ دونما .

وفي غور الاردن لا تزال حمى الاستيطان على اشدها ، فبالرغم من انه تم انجاز الجزء الخاص من مشروع الون المتعلق بوادي الاردن ، حيث اقيمت هناك ٩ مستوطنات اسرائيلية على امتداد النهر ، وحل مستوطنون مدنيون في معظم المستوطنات ، قامت في الآونة الاخيرة شعبة تمهيد الاراضي التابعة للوكالة اليهودية ، بتمهيد الارض لاقامة مستوطنة مدنية جديدة في منطقة تقع الى الجنوب الغربي لمستوطنة « مسوآه » . كما وانهمكت السلطات المسؤولة بادخال الصناعة الخفيفة في مستوطنات الاغوار ، ففي مستوطنة « كاليا » يقوم المستوطنون بانتاج السلالم المعدنية لاستخدامها في قطف اثمار الحمضيات ، وفي مستوطنة « جلجال » يقوم المستوطنون بتركيب انابيب المياه لحساب مصنع في داخل اسرائيل . كما وتبذل السلطات المسؤولة قصارى جهدها لاحلال مستوطنين مدنيين محل مستوطني الناحال في بقية المستوطنات ، خاصة وان وادي الاردن يتمتع الان بهدوء أمني شبيه بالهدوء الذي يسود المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني . ففي اعقاب مجزرتي عمان والاحراش ، تبدل الوضع في وادي الاردن راسا على عقب ، حيث اخذت مستوطنات الاغوار تنعم بالهدوء والاستقرار (بعد ان كانت جميعها بمثابة ثكنات عسكرية تابعة لسلاح الناحال ، تواجه معارك يومية مع رجال المقاومة) الامر الذي مكن شركة « ايجد » للمواصلات من ربط مدينتي بيسان والقدس بطريق جديدة على امتداد

النهر . ويشبه وضع هذه المستوطنات من الناحية الامنية الوضع الامني لقرى الحدود الاسرائيلية على امتداد خطوط الهدنة مع الاردن قبل عام ١٩٦٧ .

وفي سيناء التي لم يشفع لها واقعها الصحراوي من شره الاستيطان الاسرائيلي ، حيث اقيمت هناك ثماني مستوطنات اسرائيلية ، بدأ الاستيطان الاسرائيلي ينشط حين اخذت شركة «سوليل بونيه» على كاهلها البدء عند مطلع هذا العام في اقامة ٩٠ وحدة سكنية كدفعة اولى في شرم الشيخ . وقد تم تسجيل اسماء ٢٠٠ عائلة من مناطق مختلفة في اسرائيل للاستيطان في شرم الشيخ علاوة على العائلات المدنية الموجودة هناك . وتأمل هذه العائلات ان تكون بمثابة الطلائع الاولى من المستوطنين ، لتحويل تلك المنطقة النائية الى مدينة تتسع لعشرين ألف نسمة حسب البرنامج الاساسي. ومن الجدير بالذكر انه روعي ان يكون تخطيط هذه المباني ملائما ومنسجما مع المخطط الاساسي للمدينة .

فيما يتعلق بالمنطقة الشمالية من سيناء ، فقد حظيت المستوطنات القائمة هناك بزيارة وزير الدفاع موشيه ديان ، حين تفقد في النصف الثاني من شهر يناير مستوطنات « ناحال يام » و« ناحال سيناي » و« دكله » وتحدث مع المستوطنين حول امكانيات توسيع نشاطهم ، ومدهم بمستوطنين جدد . هذا ومن المقرر ان تضاف في العام الحالي الى المستوطنات القائمة في شمال سيناء بالقرب من رفح ما بين ٨ — ٩ مستوطنات جديدة كما جاء على لسان « يعقوب تسور » احد المسؤولين في الوكالة اليهودية . وبذلك يتعزز الاستيطان الاسرائيلي في صحراء سيناء ويصبح اذا ما تم ما وعد به «يعقوب تسور» شبيها بالاستيطان في هضبة الجولان التي يصر المسؤولون الاسرائيليون في تصريحاتهم بأنها « لن تعاد الى السوريين حتى ولو مقابل اتفاقية سلام » .

هنالك ثلاثة عوامل — بالاضافة الى العامل الاستراتيجي — منشطة لاستيطان سيناء (١) استغلال آبار البترول البرية منها والبحرية في منطقة ابو رودس على خليج السويس ، حيث تستخرج كميات تبلغ ٦ ملايين طن سنويا وتقدر بـ ٨٠ مليون دولار ، وهذه الكمية تكفي احتياجات اسرائيل من النفط (٢) العثور على كميات وافرة من المياه الجوفية وسط سيناء على عمق كبير . وحسب تقدير الخبراء « فانها ستغطي جزءا كبيرا من احتياجات القطاع والعريش لعشرات السنين » ويعكف المختصون الان على دراسة امكانية نقل هذه المياه الى القطاع (٣) الارباح التي تجنيها اسرائيل من السياحة في أماكن مختلفة من سيناء .

اجراءات لتكريس الاحتلال : نشطت اسرائيل في الاونة الاخيرة باتخاذ اجراءات — علاوة على النشاط الاستيطاني — بغرض تكريس احتلالها للمناطق العربية المحتلة ، تمهيدا لضمها او ضم اجزاء منها الى اسرائيل .

ففي هضبة الجولان بدأت سلطات الاحتلال بفرض قانون ضريبة الدخل على سكان الهضبة ، وقد رفض وجهاء المنطقة في بداية الامر هذا الاجراء لان « خطوة كهذه تعتبر بمثابة احلال القانون الاسرائيلي على الهضبة » الا أنهم سحبوا معارضتهم ، بعد اجتماعهم بقائد المنطقة الشمالية ، وعلى اثر تعهد السلطات الاسرائيلية « بأنهم سيحظون بكافة التسهيلات التي تمنح لسكان قرى الحدود الاسرائيلية » !

وفيما يتعلق بالضفة الغربية فان السلطات الاسرائيلية ما زالت ماضية في الاعداد لاجراء الانتخابات للمجالس البلدية والقروية بالرغم من اشتداد معارضة الانتخابات بين صفوف الزعامة التقليدية هناك ، فقد انضم في الاونة الاخيرة الى صفوف المعارضين للانتخابات رئيس واعضاء بلدية نابلس واقتفى اثرهم كل من رئيسي بلديتي جنين وطولكرم ، كما ان الشيخ محمد الجعبري رئيس بلدية الخليل المعروف بولائه للسلطات الاسرائيلية اعرب عن تخوفه من ان تؤدي الانتخابات الى « القطيعة بين الضفتين » .

ويمكن القول ان الانتخابات ناجمة بالاساس عن التناقض بين الاطراف الثلاثة ذات النفوذ في الضفة الغربية ، الاول الطرف الاسرائيلي وهو الاقوى والثاني الزعامة التقليدية ، والثالث النظام الاردني . فقد ارتأى الطرف الاسرائيلي منذ الاحتلال ان ينمي الزعامة التقليدية في الضفة التي كانت قد ترعرعت في احضان النظام الاردني ، وان يفسح المجال في نفس الوقت للنظام الاردني بأن يمارس ما تبقى له من نفوذ للوصول الى هدف واحد يتمثل في حصر ظل النفوذ الفدائي في المنطقة،

بغرض جعل الجماهير تقف مواقف تتسم باللامبالاة تجاه الاحداث بفضل غياب التنظيمات الشعبية ، ومن ثم يقدم على اجراءات لحسر ظل النفوذ الاردني ونفوذ بعض الزعماء التقليديين المتعاونين معه ، وتسيير الزعامة التقليدية الاخرى في خط يهدف الى تكريس الاحتلال ، ولذلك اقدم في المدة الاخيرة للاعداد لاجراء الانتخابات .

ان الوضع الذي تمر به الزعامة التقليدية وضع حرج ، فهي من ناحية تعارض اجراء الانتخابات لاسباب عدة من بينها انها لا تريد الدخول في منافسة هي في غنى عنها ، كما وانها لا تريد تعرية نفسها تماما وتقف مع المخطط الاسرائيلي بشكل علني ، ومن ناحية اخرى لا تملك الشجاعة والقدرة للتصدي للسلطات الاسرائيلية التي احتضنتها ونمتها ، ولذا فان معارضتها تتسم بالسلبية المطلقة . اما النظام الاردني فقد أعلن بواسطة وسائل اعلامه انه يقف في وجه الانتخابات خشية ان تؤدي هذه الخطوة الى الكيان الفلسطيني وبالتالي فصل وحدة الضفتين ، الا انه يبدو ان معارضته قد خفت في الآونة الاخيرة وذكرت بعض الانباء انه يسعى من وراء الستار لترشيح الموالين له في الانتخابات ، ولذا فان موقفه يتسم بالتذبذب، وفيما يتعلق بالطرف الاسرائيلي فانه يبدو انه مصر على تحقيق اجراءاته ، فقد استدعى الحكام العسكريون بعض وجهاء الضفة « وحذروهم من مغبة التحريض ضد اشتراك السكان في الانتخابات » كما واوضحوا « بأن جهاز الحكم العسكري لن يتوانى في اتخاذ التدابير ضد من يحاول عرقلة سير الانتخابات » . اما الطرف الآخر الذي استطاع الثالوث المسيطر في الضفة من حسر ظله هناك ، ألا وهو المقاومة الفلسطينية فانها تقف في وجه مهزلة الانتخابات لاسباب عدة نذكر اهمها كما جاء في بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : ١ ــ « ان الاحتلال الصهيوني بدفعه الشعب الفلسطيني الى ممارسة الانتخابات البلدية المزعومة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، انما يهدف الى تحقيق مخططه الرامي الى فرض التعايش بين الشعب والاحتلال ، وكسب شرعية الاحتلال ، وبالتالي تكريس الاحتلال نهائيا في فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ » . ٢ ــ « لا شرعية في حالة الاحتلال الا للمقاومة ، اما اعمال سلطات الاحتلال واعمال المتعاونين مع الاحتلال فانها تقف في خط معاكس للمقاومة والشرعية » . كما وحذر البيان « الخونة والعملاء من تصعيد تعاونهم مع الاحتلال الى حد تسهيل مهمة اجراء الانتخابات البلدية » .

اما في قطاع غزة حيث لا زالت المحاولات الاسرائيلية العسكرية لتصفية المقاومة هناك على اشدها ، فان الاجراءات الاخيرة التي اتخذتها اسرائيل لتكريس احتلالها تتمثل في التالي :

١ ــ خلق زعامة تقليدية وتنميتها وعلى رأسها رشاد الشوا رئيس بلدية غزة الذي اخذ يقلد الزعامة التقليدية في الضفة الغربية في مواقفها (على النقيض من سلفه راغب العلمي) بالرغم من اختلاف الوضع في القطاع والضفة ، فعند مطلع هذا العام كان يحتل مع الجعبري مكانا بارزا في الحفل الذي اقامته السلطات الاسرائيلية بمناسبة تربع « دافيد اليعازار » رئاسة الاركان ، في الوقت الذي كانت فيه ثورة الجماهير في القطاع تتعرض لاشرس محاولة تصفية .

٢ ــ ربط مدينتي رفح وخانيونس بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، وبذلك يتم ربط مدن القطاع بهذه الشبكة بعد ان تم في الماضي ربط مدينتي غزة ودير البلح بها .

٣ ــ هنالك خطة لا تزال قيد الدرس لربط قطاع غزة بشبكة المياه الاسرائيلية ، ويعكف الخبراء في وزارة الزراعة على دراسة امكانية نقل المياه الجوفية التي اكتشفت مؤخرا في سيناء الى القطاع ، وربطه بشبكة المياه الاسرائيلية !

٤ ــ اعتزام شركة « لبيدوت » الاسرائيلية للتنقيب عن النفط ، البحث في المستقبل القريب عن البترول في ثلاثة اماكن في قطاع غزة تعتقد الشركة بامكانية اكتشاف النفط بها .

٥ ــ الشروع بتنفيذ « مرحلة الربيع » لتخفيف الكثافة السكانية في قطاع غزة ، استكمالا لخطة الهدم والتهجير والتشريد التي شرع بها في شهر تموز من العام الماضي ، والتي تم بها هدم حوالي الفي منزل وتشريد وتهجير حوالي ١٥ الف نسمة من سكان المخيمات . وبموجب « مرحلة الربيع » التي تأتي لاستكمال الخطة الانفة الذكر ، شرعت السلطات الاسرائيلية ببناء ضاحيتين بالقرب من رفح يشمل كل منهما ٦٠٠ وحدة سكنية ، كما تعتزم سلطات الاحتلال اقامة ضاحيتين اخريين ، الاولى

بالقرب من خانيونس وتتألف من ٢٥٠ وحدة سكنية، والثانية بالقرب من مخيم الشاطىء . وبمقتضى هذه الخطة سيتم تفريغ حوالي ١٦،٠٠٠ شخص من سكان المخيمات لاشغال المنازل الجديدة بغرض تخفيف الكثافة السكانية لتسهيل السيطرة على القطاع . ومن الجدير بالذكر ان هنالك من بين المهتمين في مشاكل القطاع ، لا يكتفي بتخفيف الكثافةالسكانية في المخيمات ، بل يرى ان الحل الافضل يكمن في تخفيف الكثافة السكانية في القطاع برمته ، ويدعو الى « ايجاد وسائل لنقل جزء من سكان القطاع الى أماكن اخرى » اي الى الضفة الغربية والعريش . وهنالك طرف آخر يدعو الى ضرورة شطر القطاع الى شطرين سياسيا واداريا واقتصاديا بواسطة غرس مستوطنات في وسطه « الامر الذي يؤدي الى دمج القطاع باسرائيل » (هآرتس ٧١/١/٤) .

استغلال الايدي العربية العاملة : مثلما اقدمت اسرائيل على اتخاذ اجراءات لتكريس احتلالها للارض المحتلة ، وتسخير ثرواتها لخدمتها هي ، كذلك اقدمت على استغلال العامل العربي لصالح اقتصادها . وقبل التطرق الى وضع العمال العرب ، لا بد من الاشارة الى ان فكرة فتح باب العمل امام سكان المناطق المحتلة في اسرائيل كان يتنازعها تياران ، الاول يدعو الى فتح باب العمل تمشيا مع سياسة « الدمج الاقتصادي » التي ترسخ الاحتلال ويقف على رأسه وزير الدفاع موشيه ديان ، والثاني يدعو الى عدم السماح للعرب من سكان المناطق المحتلة بالعمل في اسرائيل « خشية تلويث العمل العبري » ويعارض سياسة « الدمج الاقتصادي » لتخوفه من ان يؤدي التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في نهاية الامر — اذا ما حدث تباطؤ في حركة الهجرة اليهودية — الى تحويل العرب من اقلية الى اكثرية ، ويقف على رأسه وزير المالية « بنحاس سبير » . وقد احتدم النقاش بين هذين التيارين في عام ١٩٦٨ الا ان الغلبة في نهاية المطاف كانت الى جانب التيار الاول .

ومن الجدير بالذكر انه كانت هنالك فرضية بقيت قائمة لمدة معينة بعد حرب حزيران تقول بأن المناطق المحتلة « ستشكل عبئا على الاقتصاد الاسرائيلي » الا ان هذه الفرضية انقلبت رأسا على عقب ، وحلت محلها حقيقة تقول بأن المناطق المحتلة عامل منعش للاقتصاد الاسرائيلي لاسباب عدة اهمها : ١ — استغلال اسرائيل لآبار البترول في سيناء ، ولثروات طبيعية اخرى . ٢ — فتح الباب امام المنتوجات الاسرائيلية في المناطق المحتلة . ٣ — تسخير الايدي العاملة العربية لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي .

لم يفتح باب العمل في اسرائيل على مصراعيه أمام عمال المناطق المحتلة ، بسبب الصراع الذي دار بين جناحي سبير وديان ، الامر الذي دفع اللجنة الوزارية لشؤون المناطق المحتلة ايجاد حل وسط ، حين قررت في شهر آب عام ١٩٦٩ جعل الحد الاقصى للعمال العرب ٢٠ الفا، مع ان عدد العمال في تلك الفترة كان يناهز الـ ٢٧ الفا ، وفي شباط ١٩٧٠ ارتفع الحد الاقصى للعمال الى ٢٥ الفا ، وفي نهاية ١٩٧٠ وصل الى ٣٠ الفا ، وفي شهر آب ١٩٧١ قفز الى ٣٥ الفا ، أما في المدة الاخيرة فقد طرأ ارتفاع ملموس عليه ، فعندما استفسرت رئيسة الحكومة غولدا مئير اثناء اجتماعها بسكرتارية اللجنة الاقتصادية التابعة لكتلة « التجمع العمالي » عن عدد العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل قيل لها : « بشكل رسمي ٤٢ الفا » .

ومن المعروف ان السلطات الاسرائيلية اشترطت عند تحديدها لعدد العمال العرب سلسلة من الاجراءات من بينها ، ان يتم تشغيل العمال العرب بواسطة « مكاتب العمل » التابعة للهستدروت ووفقا لقوانين العمل المعمول بها في اسرائيل ، وهذا يعني ان تتساوى معاشاتهم مع معاشات العمال اليهود ، وان يتم الدفع بواسطة مكتب العمل ، وان يأتي العمال العرب الى أماكن عملهم ويعودوا الى أماكن سكناهم برحلات منظمة .

للوهلة الاولى تبدو هذه الاجراءات بأنها تتسم بالانصاف ، الا انها تعتبر في الحقيقة عملية نهب منظمة للعمال العرب ، ذلك ان مكاتب العمل تقتطع حوالي ٤٠٪ من معاش العامل العربي على شكل ضرائب ، علاوة على اقتطاعها حوالي ١٠٪ مقابل رحلات السفر المنظمة . اي ان العامل العربي يتلقى من مكاتب العمل ٥٠٪ فقط من راتبه الاساسي او ما يعادل ٦٠٪ (اذا استثنينا تكاليف السفر) من معاش العامل اليهودي الذي تعود اليه الحسومات التي تقتطع من معاشه على شكل ايام

عطلة مدفوعة واجازات مرضية وعلاوات للاولاد وتعويضات وتقاعد ، بينما لا يعود شيء من هذه الامور الى العامل العربي ، بل تبقى في خزينة « مكاتب العمال » .

ولذا ، وهروبا من عملية النهب المنظمة ، يلجأ كثير من العمال العرب الى البحث عن عمل دون الالتجاء الى مكاتب العمل ، ومن هنا يتضح ان « الافا » اخرى غير الـ ٤٢ الفا (الرقم الرسمي) تعمل داخل اسرائيل ، وقد ازداد عـدد العمال « غير الرسميين » في الآونة الاخيرة على اثر الغاء الرحلات المنظمة .

يقوم العمال العرب بالاعمال التي تحتاج الى جهود شاقة مثل اعمال البناء وصناعـة مواد البناء والانابيب والاسمنت ، وقد غدا فرع البناء يعتمد أساسا على العمال العرب اذ يشكلون في الوقت الحاضر حوالي ٦٠ ٪ من العاملين في هذا المضمار، ومن المتوقع ان تزداد نسبة العمال العرب في هذا الفرع عقب الغاء الرحلات المنظمة ، كما ويعمل قسم آخر في ميدان الزراعة في القرى اليهودية ، وتحتل العاملات العربيات مكـانا بارزا في هذا الميدان ، ومن الجدير بالذكر ان هنالك فتيات تتراوح اعمارهن ما بين ١٣ ــ ١٥ عاما يعملن في الحقول الاسرائيلية الامر الذي يتنافى ويتناقض مع قوانين العمل الاسرائيلية ، وبالاضافة الى هذين الفرعين بدأ قسم من العمال العرب يعمل في مجال الصناعة الاسرائيلية ، ففي شركة « عسيس » على سبيل المثال ازداد عدد العمال العرب على عدد العمال اليهود (٣٥٠ من مجموع ٦٥٠) ومن الجدير بالذكر ان الفتيات العربيات يشكلن اكثرية في هذا المصنع ، وتتقاضى كل واحدة مقابل ٨ ساعات عمل ١٦ ليرة الا انها تحصل على ٨ ليرات فقط بعد اجراء الحسومات من قبل مكتب العمل .

هنالك ثلاث طرق امام العامل العربي للعمل في اسرائيل (١) بواسطة مكاتب العمل المنتشرة في المناطق المحتلة (٢) بواسطة المتعهدين العرب ، وهنا يتعرض العمال لنهب آخر من معاشاتهم من قبل المتعهد (٣) بواسطة المبادرة الفردية ، اي العمل دون الالتجاء الـى مكتب العمل وبدون الحصول على تصاريح عمل ، مما يجعل هذه الفئة من العمال تعاني من وطأة الخوف من السلطات . وقد أدى هذا الوضع الى خلق نوع من « اسواق للعمال » تشبه الى حد كبير « اسواق النخاسة » كما جاء على لسان الصحفي الاسرائيلي « عامي شمير » . ففي بعض الاماكن « الاستراتيجية » خلق نوع من « اسواق العبيد العصرية » ، سوق يقع في الرملة بالقرب من البلدية ، وآخر يقع في حديقة في شارع « يافث » في يافا ، وثالث قرب « الساعة » في مدينة « بيتح تكفا » .

ما ثمن العامل العربي في هذه الاسواق ؟ يقول متعهد يهودي : «انهم في يافا مدللون ــ فهم يطلبون مبلغ ٣٠ ــ ٤٠ ليرة مقابل يوم عمل ، وحتى في هذه الاسعار يأتي اصحاب العمل ويأخذونهم ، اما في الرملة ، فان الاسعار تأخذ في الهبـوط وتتراوح ما بين ١٥ ــ ٢٠ ليرة ، بيد ان اكثرية هؤلاء هم عمال من غزة لا يساوون كثيرا » (ملحق هآرتس ٧١/١١/١١) .

ويصف « عامي شمير » سوق العمال في يافا بقوله: « يفتح سوق العمال الكائن في شارع « يافث » ببافا طيلة النهار ، وتعقد فيه الصفقات بشكل علني ، حيث يأتي متعهدون ، ومساعدو متعهدين ، ومواطنون عاديون يملكون بضاعة ويرغبون في نقلها او حديقة ويودون الاعتناء بها ، ويختارون لهم عاملا ، حسب الشكـل ، وحسب العضلات ، وحسب السن ، ويشبه ذلك الى حد كبير اسواق النخاسة في كانو ، في القرن التاسع عشر » (ملحق هآرتس ٧١/١١/٢٦) .

لا تقتصر الاهانة على عملية « شراء » العمـال العرب في هذه الاسواق بل تتعداها الى الحقول ، لتعيد الى الاذهان صورة « السادة والعبيد » في القرون الوسطى ، فكثيرا مـا يحدث كما يقول « موشيه رنجل » مزارع من مستوطنة « مجشيميم » بالقرب من بيتح تكفا ان تقـوم وحدات الرقابة التابعة لوزارة العمل بتعقب العمال العرب الذين لا يعملون عن طريق مكاتب العمل « انهم كانـوا يأتون الى الحقول ، ويلقون القبض على العمال العرب ويشرعون بضربهم . كان العمال يهربون ، يطلقون سيقانهم للريح بشكل جنوني وسط الحقول، ومن يلقى القبض عليه يتلقى نصيبه من الضرب ثم يزج داخل سيارة ، ويلقى به على بعد كيلومتر واحد من الحقول ، ويطلق أمرا بالعودة الى بلدته على الاقدام ، التي تبعد في بعض الاحيان مسافة ٢٠ كم » .

وفي الوقت الذي تتعقب فيه وحدات المراقبة العمال العرب ، يتنافس المتعهدون اليهود للحصول على الايدي العربية العاملة ، وتصل هذه المنافسة الى حد « الخطف » عن طريق الاغراءات ، فكثيرا ما يحدث ان يأتي بعض المتعهدين الذيـــن يشتغلون لحساب متعهد يهودي آخر ، ويعرضون عليهم ٥ او ١٠ ليرات اضافة على المعاش الذي يتلقونه « وفي كثير من الاحيان لا يصمد الولاء للمتعهد الاول أمام اغراءات المتعهد الجديد » .

ولعل ما هو أكثر اهانة واشد خطورة ، الخطوة التي تعتزم القيام بها شركة اسرائيلية « لتصدير العمال » برئاسة « عكيفا سهفر » ، فقد استطاعت هذه الشركة الحصول على ثلاثة آلاف عامل عربي معظمهم من المناطق المحتلة « بغرض تصديرهم » الى اوروبا . ومن المعروف ان هذه الشركة تتعاون مع شركة سويسرية وشركتين فرنسيتين تقوم بصنع المصانع وتقدمها الى الشركات مع العمال ، وقد واجهت عملية تصدير العمال الفلسطينيين بعض الصعوبات بسبب « تخوف الدول الاوروبية من التنظيمات الفلسطينية ومن ردود الفعل في الدول العربية الا ان هذه الصعوبات قد ازيلت ، ويشترط على هؤلاء العمـــال ان يكونوا اصحاب مهنـــة ومزودين بتأشيرات دخول ، وان يتعهدوا بالعمل سنة واحدة على الاقل في البلدان التي سيرسلون اليها » (هعولام هزيه ٧١/١١/١٠) . وتعيد هذه الخطوة الى الاذهان صورة تجار الرقيق وهم يقومون بجلب الافريقيين الى اميركا عبر المحيط .

وقد بدأ بعض الاسرائيليين يتخوفون من التبعات الاجتماعية المرتبة على هذه الاوضاع ، ويصف «دان بابلي» ، وهو اقتصادي كان مقربا من جهاز الحكم العسكري هذه التبعات قائلا: «انها تنطوي على اهمية كبيرة ، ان واقع قيام العرب ببناء مستوطنات المهاجرين الجدد ، وبناء ضاحية « كريات اربع » في الخليل ، والاعتناء بحدائق مدينـــة سفيون ، وقيامهم بمعظم اعمال الخدمات ينطوي على خطورة شديدة . ان هذا الواقع يخلق فئة متدنية ... نوع من الرق العصري ... ولذا فهنالك معنى اخلاقي وستتضح خطورة ذلك بعد عشرين عاما ، خاصة عندما يقوم جيل جديد لم يكن في حرب الايام الستة ولم يجتز حرب ١٩٤٨ ولم يعش فتـــرة الكارثة . ان هذا الجيل سيجد صعوبة في تقبل وجود طبقة متدنية من السكان ، مميزة من الناحية الاثنية ، ومضطهدة في حقوقها . انهم لن يوافقوا على ضرورة ابقاء العرب حطابين وسقائي مـــاء لكونهم ارادوا ابادة اسرائيل في ايام غابرة » .

لا تقتصر خطورة حديث هذا الاقتصادي الاسرائيلي على كون العمال العرب يشكلون نوعا من الرق العصري فحسب ، بل ايضا على تصوره لمستقبل السكان في المناطق المحتلة ، نفس التصور الذي عبر عنه وزير الدفاع موشيه ديان قبيل انتهاء « عام الحسم » ، وايدته رئيسة الحكومة غولدا مئير بعيد « عام الحسم » « علينا ان نعتبر انفسنا في المناطق المحتلة كحكومة دائمة ، نقوم بالتخطيط والتنفيذ ..»

عبدالحفيظ محارب

رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسّام

تلقت شؤون فلسطينية هذه الرسالة من السيد ابراهيم الشيخ خليل ، احد رفاق الشيخ عز الدين القسام ، الذي سبق لشؤون فلسطينية ان نشرت في عددها السابق دراسة عنه وعن ثورته الرائدة في تاريخ الكفاح الفلسطيني . وهي تتضمن ملاحظات وذكريات وتصويبات احب السيد ابراهيم لفت نظرنا اليها .

قرأت ما كتبه السيد عادل حسن غنيم عن ثورة الشيخ عز الدين القسام في العدد (٦) وكواحد من ابناء فلسطين فانني اشكر الاخ الكاتب على هذه اللفتة الكريمة الجادة وعلى جهوده في تقصي الكثير من الحقائق عن حقبة مشرفة من تاريخ شعبنا واعترف بأن الاخ عادل قد اولى هذا البحث القيم عناية فائقة واوفى الكثير من جوانبه . ولما كنت واحدا ممن كان لهم شرف العمل في صفوف الثورة وقد عاصرت احداث تلك الحقبة جميعها مجاهدا في سبيل الله وذائدا عن حياض وطني الحبيب ومع ان هناك عدة نقاط في البحث تحتاج الى تصحيح فاني سأقتصر بحثي هذا على نقطتين هامتين : الانشقاق بين القائد الشهيد واخوانه في عام ١٩٢٩ ، والخلاف على جمع المال وبكل وسيلة كما جاء في البحث .

١ — لم يحدث انشقاق على الاطلاق بين القائد الشهيد واخوانه في عام ١٩٢٩ بل كان الوفاق على أتمه والانشقاق بمفهومه لم يحدث لا في حياة القائد الشهيد ولا بعد استشهاده ايضا والسبب بسيط جدا فان القائد الشهيد كان يدعو الى الجهاد على اساس ديني والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين ومفهوم الجهاد على اسس دينية لا يوجد به اشكالات ولا تعقيدات ايديولوجية او نفسية ولا أعماق ولا ابعاد وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة .

كان هناك شعار واحد تنطوي تحته كل مفاهيم الثورة (هذا جهاد ، نصر او استشهاد) والجهاد بالاصل فرض من فروض العقيدة الاسلامية ، وهو سهل الفهم والذي حدث بالفعل كان خلافا بسيطا على توقيت اعلان الثورة ففي اوائل عام ١٩٣٥ رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من اخوانه وافساد جميع مخططات الثورة قبل أن تظهر للمواطنين وكان رأيه الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة وكان رأي الاخ ابو ابراهيم وبعض الاخوان التريث في الخروج الى الجبال مسلحين بل الطواف بالقرى بدون سلاح وحث المواطنين على ما يلزم للثورة ولكن هذا الخلاف كان بسيطا جدا بحيث انه عندما حزم القائد أمره على الخروج الى الجبال كان يوجد في صندوق الجماعة مبلغ من المال قدره مائة جنيه فأخذه ابو ابراهيم من الصندوق وارسله الى القائد مع المرحوم الحاج علي الحلح من قريته يعبد وهذا دليل واضح على شكل الخلاف وبساطته .

٢ — أما موضوع جمع المال (بأية وسيلة) فلم يحدث أبدا اذ لم يكن الموضوع قد بحث بين القائد الشهيد واخوانه لا من بعيد ولا من قريب. والمال للثورة كان له مصدران مصدر الاشتراك

الشهري وكان جيدا والمصدر الثاني كان التبرع الطوعي والتبرع كان يجري على اسس العقيدة الاسلامية ويقع تحت حكم عدة آيات قرآنية كريمة « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

كان عدد كبير من اخوان القائد الشهيد بوضع مالي حسن وكان منهم المزارع الكبير والتاجر والمقاول وكانت ارباحهم وافية وكان العديد منهم يتبرعون بكل ما يملكون بعد سد حاجتهم اليومية واكثرهم احياء يرزقون ولا اجد حاجة لذكر اسمائهم ، زد على ذلك ان بعض اخوان القائد الشهيد كانوا على صلات حسنة جدا مع بعض الاثرياء من المواطنين وكانوا يحصلون منهم على بعض المال طواعية وعن طيبة خاطر وعلى هذا لم يكن هناك حاجة الى جمع المال بالقوة او بكل وسيلة حتى بعد استشهاد القائد لم يحصل اي تعديل على وسيلة جمع المال الا بعد مدة وفي اواخر عام ١٩٣٨ حيث طبعت بطاقات عليها صورة مجاهد مسلح في دمشق بفئات مختلفة من النقد الفلسطيني وكانت تجيء طواعية ايضا وبهذه المناسبة سأروي هنا حادثة وانا شاهد عليها واحد عناصرها لتعلموا منها مدى استعداد المواطن الفلسطيني للبذل والتضحية بالمال والنفس وعناصر هذه الواقعة جميعهم احياء يرزقون .

كنت أنا شخصيا عنصرا في خلية عددها تسعة عناصر وذات يوم حضر مساعد قائد الخلية وطلب مني تبرعا محددا قيمته خمسة وسبعون قرشا فلسطينيا ودفعت المبلغ ولما كنت أنا اقدر منه على معرفة بيوت الرفاق طلب مني مرافقته للطواف على بيوت الرفاق واسم الرجل عارف ابراهيم مقيم في الاردن حاليا وفي الطريق قابلنا أحد الرفاق واسمه عبد القادر احمد عامل في سكة الحديد فطلب عارف منه المبلغ فقال عند عودتكما تجداني في هذا المكان والمبلغ معي وفعلا وبعد عودتنا من المهمة وجدنا عبد القادر في نفس المكان ودفع المبلغ المطلوب الى الاخ عارف وتابعنا طريقنا وكان على بعد خطوات متجر بقالة لرجل من قرية البروة اسمه على ما أذكر ابو صالح وكان يعرفني فاستوقفني واستدعاني لداخل المتجر وبعد السلام قال لي الا تتقون الله فقلت بلى فقال والله يا ولدي ان عبد القادر يوم أمس اشترى من متجري كيس طحين بخمسة وسبعين قرشا واليوم وقبل ساعة احضر كيس الطحين وطلب مني شراءه وبعد الوزن كان الطحين يساوي ثمانية وستين قرشا دفعتها له وطلب مني استدانة سبعة غروش اخرى فدفعتها له وانا يا ولدي كما تعلمون ميسور الحال وبامكاني دفع عشرة جنيهات افتح يدك واستلم المبلغ ولكنني انكرت الواقعة وانكرت ان عبد القادر دفع تبرعا واستدرت لانادي على عبد القادر والذي كان لا يزال يقف مع رفيقي عارف ولكن الرجل توسل الي واقسم بأن عبد القادر لم يحدثه بهذه الواقعة ولكنه عرفها بفراسته واستنتاجاته الخاصة وكررت انا انكار الواقعة وانصرفت وفي الطريق اطلعت رفيقي على ما جرى مع صاحب المتجر فقال احسنت لانك أنكرت الواقعة ولكن هذا الرجل صالح وقد وضعناه منذ مدة تحت المراقبة وان كل المعلومات التي وصلت عنه الى الان تشير الى صلاحه وسنستفيد منه بعد ان نرفع مراقبتنا عنه هذه الواقعة بما فيها من معاني البذل والتضحية وغيرها من القرائن كفيلة بأن تدلل على تلك الروح في ذلك الوقت .

أما النقاط الثلاث التي ناقشها الكاتب في ختام بحثه فان بعضها يحتاج الى تعديل بسيط والباقي أصاب به الكاتب كبد الحقيقة وخدمة للتاريخ اكتب مشاهدتي الفعلية وان القول بأن القائد الشهيد قد اقتصر دعوته على العمال والفلاحين فربما كانت لدى، علما بأن الاستعانة بالضباط المدربين كانت تحدث كثيرا وسأروي الواقعة التالية التي أنا من بعض شهودها .

عندما قرر الشيخ سلمان عبد القادر ابو حمام قائد منطقة الجليل في جنة خوض معركة كبيرة في قضاء عكا وتكون ذات اثر فعال طلب من السيد فارس سرحان استدعاء الضابط المتقاعد السيد احمد عجينه من عكا الى بيته في قرية الكابرة وحضر الشيخ سلمان الى القرية المذكورة واجتمع مع الضابط المذكور واطلعه على رغبته وطلب منه دراسة المنطقة الممتدة من قرية الكابرة الى قرية ترشيحه على الشارع العام واختيار المكان المناسب للمعركة وفعلا اخذ الضابط المذكور يتجول في المنطقة برفقة فارس سرحان وكامل القاضي تحت ستار ملاحظة اعمال وعمال السيد سرحان وقد

درس السيد عجينه المنطقة على الطبيعة دراسة وافية ورسم مخطط المعركة بدقة وناقشه مع الشيخ سلمان بحضور السادة المذكورين ووضع في المخطط المكان الذي سيكون متواجدا فيه لمراقبة المعركة وشرح اخطاءها فيما بعد وسلم المخطط لقائد المعركة ورتب القائد المعركة حسب المخطط ترتيبا ممتازا واضعا بحسابه جميع الاحتمالات واوعز الى السيد فارس سرحان بأن يرسل من عماله من يخبر البوليس في عكا بان قوة من الثوار موجودة في منطقة (كذا) وبالفعل تم ذلك وخرجت قوة من البوليس البريطاني واليهودي والعربي بقيادة الضابط حسن المكاوي مدير بوليس عكا ودارت المعركة في الصباح ولكن حسن المكاوي لم يستطع مجابهة القوة فاستنجد بقوات الجيش البريطاني وقبل الظهر حضرت قوات الجيش ودارت معركة طاحنة على مساحة عدة كيلومترات على الطريق الممتد من الكابرة الى ترشيحا وقد عرفت المعركة فيما بعد بمعركة ترشيحا . وكانت من اعنف المعارك التي حصلت في منطقة الجليل عام ١٩٣٦ حتى ان المستعمر الغاشم استمر يومين كاملين بعد المعركة يجمع جثث قتلاه من بين الصخور والاحراش. هذه المعركة كانت بحق هي بداية الثورة الملتهبة في جميع أنحاء الجليل . واني واثق كل الثقة بأن العديد من اهالي قرية ترشيحا والذين ساقهم المستعمر بأعقاب البنادق ورؤوس الحراب الى ساحة المعركة لجمع قتلاه لا يزالون من الاحياء . وبعد انتهاء المعركة كان تقرير الضابط السيد عجينه بأنه لم يتوقع ان يكون سير المعركة بالشكل الذي جرت به وان التكتيك الذي اتبع تجاوز التكتيك الذي وضعه وبشكل اقوى واعم . واما عدد الذين جندتهم ثورة الشيخ القسام فاني اعلم ويعلم كذلك كثير من اخواني الاحياء بأن عددهم قد تجاوز المئات وانه باعتقادي يربو على الالاف . أما بالنسبة لتبعية القسام وارتباطاته بحزب معين فان الذي أعرفه معرفة حقيقية ويعرفه العديد من اخواني الاحياء امثال ابو ابراهيم الكبير والشيخ سلمان ابو حمام ومحمد عبد القادر ابو الهيجاء وحسن شبلاق والحاج حسين حماده واحمد التوسبه والشيخ محمد الحنفي ومحمد علي دلول وغيرهم كثيرون بأن القائد الشهيد لم يكن له أي ارتباط حزبي مع اي حزب من الاحزاب وان ارتباطه الوحيد كان مع العقيدة الاسلامية وحدها وكان رحمه الله يستمد منها كل ما كان يدعو اليه واما الاسماء المذكورة في البحث وانا أجلهم جميعا فاني اعلم علم اليقين واخواني المذكورين اعلاه يعلمون بأن القائد الشهيد كان على صلات وثيقة معهم وبصورة خاصة من كان منهم يقيم في حيفا وكانوا جميعا على علم بأكثر تحركات القائد الشهيد واخوانه حتى ان اخوان القائد الشهيد بعد استشهاده لم يقطعوا صلاتهم بالاسماء المذكورة بل زادت صلاتهم عن ذي قبل وان سفارة الشيخ كامل القصاب بين حيفا والقدس كانت معلومة الى الكثير من الاخوان .

ابراهيم الشيخ خليل

المؤسسة العصرية للطباعة والزنكوغراف

طباعة
كليشيهات
آرمات نحاسية
اكياس مطبوعة

سجل تجاري رقم ٢١٤١
تلفون : ٢٢٩٣٧٩ / ٢٢٣٣٠٢
بيروت ــ لبنان

المعرض ، بناية الشمالي ، خان انطون بك

الآثار الكاملة لشعراء الطليعة التي صدرت عن

دار العودة - بيروت

ديوان عمر ابو ريشة
ديوان ادونيس
ديوان صلاح عبد الصبور
ديوان محمود درويش
ديوان بدر شاكر السياب
ديوان عبد الوهاب البياتي
ديوان نازك الملائكة
ديوان توفيق زياد
ديوان سميح القاسم
ديوان محمد الفيتوري

تطلب من **دار العودة** ــ بيروت

عمارة بنك بيروت والبلاد العربية تلفون ٢٣٦٤٠٧

الوثائق العربيّة

مجموعة لأهم الوثائق العربية السياسية ، من تصاريح وخطب ومقابلات وبيانات وبرامج حزبية وغيرها من الوثائق للدول والاحزاب والشخصيـــات السياسية العربية .

تصدر سنويا عن الجامعة الاميركية في بيروت منذ ١٩٦٣ .

ثمن المجموعة السنوية اربعون ليرة لبنانية او ما يعادلها .

*

الموزعون في لبنان والبلاد العربية :

مكتبـــة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بـــيروت .

طبع في مؤسسة منطورة للطباعة
تلفون : ٢٤١٤٧٠

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.